العنوان الأصلي للكتاب :

Dictionnaire usuel de Psychologie

NORBERT SILLAMY

Bordas

المعـــجم الموســـوعي في علـم الـنفس= Dictionnaire Usuel de Psychologie/ نوربير سيلامي؛ ترجمة وجيه أسعد. - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠. - ٦ ج؛ ٢٤سم.

١- ٣ر١٥٠ س ي ل م ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- سيلامي ٥- أسعد

مكتبـة الأســد

الايداع القانوني: ع- ١٥٠٨ /٩/ ٢٠٠٠

نوربير سيلامي

ولد نوربير سيلامي في تشرين الثاني (نوفمبر) 1926 في أسرة موسيقية. وكان قد توجّه، إذ سجّل اسمه في المعهد الموسيقي بستراسبورغ، إلى إدارة أوركسترا عندما باشر دراساته في علم النفس. وكان الاختيار أمراً لا بدّ منه. فاختار علم النفس لا سيّما بتأثير غاستون فيّو.

وبدأ مهنته ممارساً في ديجون، عالم نفس في المركز الإقليمي للملاحظة. وتولّى على التوالي منصب مدير مركز الملاحظة الطبية السيكولوجية لدور العجزة في كولمار، الدور المدنية، ثم عالم نفس مناطقي للصحة الاجتماعية لدى وزارة الصحة. وكان قد باشر تحليلاً نفسياً تعليمياً، وذلك أتاح له أن يمارس فاعلية محلّل نفسي.

وخصّص نوربير سيلامي الأساسي من وقته لتحرير **المعجم الموسوعي لعلم النفس** من مجلدين، أنجزه بمشاركة مئة وثلاثة وثلاثين مشاركاً فرنسياً وأجنبياً أتاحوا له أن يوسّع المعجم الموسوعي لعلم النفس من جانب

فروع المعرفة ذات العلاقة: الفلسفة، البيداغوجيا، الإتنولوجيا، الأنتروبولوجيا، الألسنية، الطب النفسي، التشريح، والفيزيولوجيا العصبية، وعلم النفس الصيدلاني.

ثم وجد نوربير سيلامي أن مجلّداً واحداً يعرض الأساسي من الإعلام، الذي اقترحه المعجم الموسوعي، بصيغة تسهل مقاربتها، أسهل تناولاً بالنسبة للقارئ. فهذا المعجم أداة ثقافة عامة للجمهور الكبير وأداة عمل للمعلمين، والطلاب، والممارسين، والعمال الاجتماعيين.

وجيه أسعد (المترجم)

- مولود عام (1927) في قرية عين الجاش- منطقة الدريكيش- محافظة طرطوس.
- نال إجازة في الفلسفة (1953) وإجازة في الحقوق (1966) من جامعة دمشق.
- مدرس الفلسفة وعلم النفس التربوي وعلم الاجتماع في دور المعلمين وثانويات عديدة في القطر العربي السوري، ومدير عدة ثانويات.
- خبير علم النفس التربوي في منظمة اليونسكو (1968-1973).
- موجّه أول للفلسفة في وزارة التربية.
- محاضر في كلية التربية بدمشق عدّة سنوات.
- مؤلفاته:

1) «درجات المعرفة عند سبينوزا»، أطروحة لنيل إجازة الفلسفة.

2) «كتب مدرسية في التربية الوطنية» بمشاركة بعض المدرسين.

3) محاضرات عديدة في علم النفس التربوي ألقيت على الطلاب والمدرسين داخل القطر وخارجه.

4) «بحوث عديدة في دوائر القابليات مع منظمة اليونيسكو».

- ترجماته: كتب يفوق عددها الثلاثين كتاباً غالبيتها في علم النفس.

عنوانه: ص.ب. 7789- دمشق.

هـ 4451045 و 4451661.

توطئة

يتوخّى السفر الحالي، دون ادّعاء بأنه يغطّي حقل علم النفس بكليته، إنه يقدّم نظرة إجمالية لهذا العلم ذي الحدود غير المعّينة، إذ يزوّد القارئ في الوقت نفسه بمعلومات كاملة ودقيقة عن قطاعات من المعرفة شتّى. فالموضوعات معروضة فيه بحيث يمكن أن يكون لديه عنها معارف كافية وأن يكتشف جوانبها الكثيرة بفعل حركة الإحالات.

ولكل مصطلح سبب وجود، إما أنه يسهم في أن يضيف إلى المعاني المعروضة في مكان آخر علاوة إعلام، وإما أنه يكوّن عنصراً ذا أهمية من المعرفة السيكولوجية. وهكذا يُشرح وجود مفهومات عديدة لاتنتمي إلى مفردات علم النفس بالمعنى الدقيق للكلمة. ومثال ذلك أن سيرورات التعلّم تقودنا إلى الكلام على التعزيز الإيجابي والتعزيز السلبي، وهو أمر يُدخلنا في مجالي سيكولوجيا(*) الأعصاب والكيمياء الحيوية الدماغية. كذلك عندما نبحث في الذكاء وضروب قصوره، فإن علينا ألا نأخذ بالحسبان أضرار القصور العاطفي المبكّر فحسب، ولكن علينا أيضاً أن ندرس نتائج زيغان الكروموزومات واضطراب الاستقلاب. وعلى هذا النحو أيضاً لايمكننا أن نعرض طريقة الروائز دون أن نرجع إلى الإحصاء، ولاأن ندرس الشخصية السوية أو المرضية دون أن نتكلّم على الوراثة والوسط. ولنضف إلى ذلك أننا أردنا من جهة، بفعل شاغل الانفتاح، أن نردّ الاعتبار إلى بعض المعاني المستبعدة في العادة من علم النفس، كالصداقة، والعطف، والسر أو

---

* استخدم المقابل العربي «علم النفس» والمقابل المعرّب «سيكولوجيا» بمعنى واحد للمصطلح الأجنبي «Psychologie» «م».

سيكولوجيا الجرائم، وأن نعرض، من جهة أخرى، تلك التيارات والنظريات الأكثر تنوّعاً، من التحليل النفسي والسلوكية إلى علم النفس الماركسي وسيكولوجيا الأعصاب. وأخيراً، بما أن علمنا يغطّي مجال الحياة اليومية، والمعاني الأكثر اشتراكاً ولكنها المثقلة مع ذلك بالاستفهام، بل بالحَصر، فإن هذا المعجم يقاربها: الحب والموت، منع الحمل والإجهاض، اللذة والألم، النوم والأحلام، الزواج والطلاق، الأسرة، المدرسة، العمل، الاستهلاك، إلخ. إنها، كلها مأخوذة، على نحو هادئ، ودون أخذ رأي مسبق بالحسبان، والشاغل الوحيد هو الإسهام في معلومات صحيحة.

وأسهم في هذا السفر مئة وثلاثة وثلاثون اختصاصياً (ألسنيون، أطباء نفسيون، علماء أعصاب، علماء فيزيولوجيا، محلّلون نفسيون، علماء اجتماع، علماء بيداغوجيا) ينتمون إلى خمسة وعشرين بلداً مختلفاً، إذ أن كلاً منهم قدّم فيه مساهمته الأصلية، تبعاً لمزاجه وثقافته. وحتى نجعله سهل المنال لأكبر عدد ممكن من الناس، فإن معاني عسيرة كانت موضع تحليل وشرح بلغة مبينة أكثر مايمكن، ولكن دون أن نباشر مع ذلك تبسيطات مغالية. ونأمل على هذا النحو أن نجعل من هذا المعجم أداة ثقافة عامة، للجمهور الكبير، وكتاباً تعليمياً موجهاً للطلاب والممارسين. ونحن نأمل، إذ نقدّم لهم الأساسي من المفهومات والنظريات السيكولوجية على صورة تأليفية، أن نساعدهم ونقودهم إلى أن يفهموا الموجود الإنساني فهماً أفضل.

نوربير سيلامي

مقدمة الترجمة

أجدني، بعد تجربتي الطويلة التي قدّمت للقارئ نبذة عنها، أهلاً إلى أن أكون مرشحاً لترجمة معجم موسوعي في علم النفس، غنيّ بالمعارف السيكولوجية والمعارف ذات الصلة بها. إنني أعلم أن المسؤولية كبيرة، والحمل ثقيل، والزمن الذي يستغرقه هذا العمل طويل، والجهد المطلوب بذله شاق. ولكنني عزمت على النجاح في هذه المهمة، وعلى أن أقدّم للمثقفين والاختصاصيين وطلاب علم النفس عملاً ذا أهمية ثقافية كبرى، دافعي إلى ذلك الحاجة الماسّة إلى معجم موسوعي جديد في علم النفس بلسان عربي مبين.

والحقيقة أن في مكتبتي من المعاجم العربية والأجنبية، الضرورية لعملي هذا، ما يكفي لمباشرته. وإذا أضفت إلى ذلك تجربتي في ترجمة نصوص كثيرة من علم النفس، فإن بوسعي أن أقول إنني مطلّع اطلاعاً كافياً على المقابلات العربية المقترحة في علم النفس، والعلوم الأخرى الوثيقة الصلة به، للمصطلحات الأجنبية.

وواقع الأمر أنني انطلقت في تعاملي مع تحديد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي من المنطلقات التالية:

1- لاأحدّد نهائياً أي مقابل عربي لمصطلح أجنبي قبل أن أقرأ المقال المكتوب الذي يوضّح المصطلح الأجنبي كل التوضيح. وهناك مع ذلك مقابلات شائعة؛ إنها بالنسبة لي مقترحات وليست مقابلات نهائية. فبعضها كان عرضة للتبديل بعد قراءة المقال المكتوب، بل بعد ترجمته في بعض الأحيان. ويخضع مقترحي الأول لهذا المبدأ.

2– لاتعريب للمصطلح الأجنبي مبدئياً. ومن الطبيعي ألا يكون هذا المنطلق، ونحن في مجال العلم، تعصّباً للغة الأم، ولاتحيّزاً للرأي القائل إنها قادرة على أن تستوعب العلوم والتقنيات والمعارف الجديدة، ولاخوفاً من التبعية الثقافية كما يزعم بعضهم. ولكن القدرة على التطور والتكيف مع الجديد ينبغي أن تكون صفة من صفات اللسان الحيّ في كل الأزمنة وفي أيامنا هذه على وجه الخصوص. أضف إلى ذلك أن مصلحة القارئ تقتضي البعد عن التعريب الجزافي لأن المصطلح المعرّب سيظل فترة طويلة غير مألوف بالنسبة له. بيد أن الواقع يفرض نفسه. فما استغنت الألسن عن الاقتباس بعضها من بعض، ولاسيّما في أيامنا هذه، عهد العولمة الثقافية.

ومنطلقي ألا ألجأ إلى التعريب إلا إذا كان المصطلح الأجنبي اسم علم، أو لم أجد مقابلاً عربياً له، أو أن المقابل العربي للمصطلح الأجنبي يتألف من أكثر من كلمة، إذ يتعذّر الاشتقاق منه، والحال هذه، إلا إذا لجأنا إلى ضرب من التركيب المفتعل للمقابل العربي، وذلك أمر أستهجنه شخصياً إلا إذا كان هذا التركيب رشيقاً، وقلما يكون. وعندئذ أقترح تعريب المصطلح إلى جانب هذا المقابل العربي إذا وجد. وأبسط مثال على ذلك مصطلحي علم النفس (السيكولوجيا)، وعلم الاجتماع (السوسيولوجيا). فالصفة من أحد هذين المقابلين العربيين لن تكون «النفسي» أو «الاجتماعي»، فذلك خطأ فادح لأن لهاتين الصفتين مقابلين أجنبيين مختلفين، ناهيك عن حالات أخرى يكون فيها المقابل العربي أكثر من كلمتين، والمترجمون العرب السالفون اعتمدوا التعريب في حالات معينة.

3– الشيوع. إنني أنظر إلى الشيوع من جانبين: جانب المصطلح الأجنبي المعرّب سابقاً، وجانب المقابل العربي للمصطلح الأجنبي. والحقيقة، فيما يخصّ الجانب الأول، أن مصطلحات كثيرة معرّبة شاعت في اللسان العربي شيوعاً كبيراً بحيث أصبحت جزءاً منه غير مستهجن . والأمثلة كثيرة: إبستيمولوجيا، إتنولوجيا، أنتروبولوجيا، إلخ. والمبدأ أن هذه المصطلحات المعرّبة اكتسبت

بشيوعها حق المواطنة. وقد نقترح على استحياء، أو تبجّح كما يفعل بعضهم، مقابلاً عربياً، ولكنه سيظل ضرباً من الشرح إذا لم تتحقّق فيه شروط المقابل، التي ستكون موضع البحث بإيجاز في الفقرة «5» الآتية.

أما من الجانب الثاني، جانب المقابل العربي الشائع للمصطلح الأجنبي، فقد كان موضع فحص وتدقيق بالنسبة لي. والمبدأ الأساسي الذي اعتمدته يكمن في أن شيوع المقابل العربي يمنحه حق البقاء إلا إذا كان المقابل المقترح أكثر دقّة واقتصاداً بكثير من المقابل الشائع.

4 – حاولت، احتراماً لمبدأ الاقتصاد، أن يقتصر اقتراحي على مقابل عربي واحد للمصطلح الأجنبي. ولكن التقيّد المطلق بهذا المنطلق أمر متعذّر بالنظر إلى طبيعة اللسانين: اللسان المنقول عنه واللسان المنقول إليه. مثال ذلك أن لكل مصطلح أجنبي من المصطلحين التاليين: «Formation» أو «Orientation»، مقابلين عربيين: «تكوّن، تكوين» و«توجّه، توجيه». فاللسان المنقول عنه اكتفى بمصطلح واحد وترك للسياق، كما يقول البنيويون، أن يوضّح أي المعنيين هو المقصود. ولكن بيان اللسان المنقول إليه، اللسان العربي، أبي إلا أن يخترع لفظتين، وإن كانتا من أصل واحد.

5– وللمقابل العربي بصورة عامة، ونحن الآن بصدده، شروط ينبغي أن تتوافر فيه حتى يكون مقابلاً على الوجه الأصح. والواقع أن هذه الشروط وردت سابقاً في الفقرات الأربع الأولى، ولكنني قصدت أن تكون بيّنة في فقرة خاصة. وأول هذه الشروط هو الدقّة، وهذا أمر يقتضيه العلم؛ والثاني هو الرشاقة، رشاقة اللفظ المقترح؛ والثالث هو الشرط الاقتصادي، أي اقتصار المقابل على أقلّ عدد ممكن من الألفاظ. فإذا استثنينا الشرط الأول لأنه أمر لابدّ منه، فإن الشرطين الأول والثاني هما اللذان يؤمّنان شيوع المقابل العربي. وآمل أن أكون قد حقّقت الشرط الأول على الإطلاق، وأن أكون قد حقّقت الشرطين الثاني والثالث ضمن حدود الإمكان.

وأعترف بكل تواضع من جهة، وهو اعتراف بالحقيقة من جهة ثانية، أن أي عمل إنساني، وربما يمكنني أن أقول «لاسيّما الترجمة»، لايبلغ الكمال مهما كان نصيبه من الدقة كبيراً. ولمصلحة العلم، علم النفس هنا، والثقافة، أن يكون هذا المعجم الموسوعي موضع الدراسة والنقد البنّاء من جانب المختصين والمثقفين، مشاركةً منهم في أن يبلغ مايمكنه أن يبلغ من الكمال في طبعاته القادمة. وسأكون في غاية الامتنان عندما يصلني أي نقد أو اقتراح سيكونان موضع اهتمامي وحسباني.

وجيه أسعد

دمشق، ١٧/ ٩/ ١٩٩٧.

المساهمون في تأليف هذا المعجم
بإشراف نوربير سيلامي

1- AUBIN (Henry) (H.A.).

مدير عيادة الطب النفسي العصبي للأطفال «قصر سوليز» في سوليز- بون- (فار). خبير دولي في منظّمة الصحة العالمية.

2- BARA HONA FERNANDES (Henrique J.de) (H.B.F).

أستاذ ذو كرسي الطب النفسي ومدير عيادة الطب النفسي في جامعة ليشبونة.

3- BARGUES (Jean- François) (J.F.B.).

رئيس قديم لعيادة كلية الطب في بوردو. مساعف مستشفيات.

4- BARUK (Henri) (H.B.).

عضو أكاديمية الطب الوطنية.

5- BASSAND (Michel) (M.B.).

أستاذ. قسم علم اجتماع، جامعة جنيف،

6- BAUMSTIMLER (Yves) (Y.B.).

محاضر. قسم علم النفس، جامعة باريس الشمالية.

7- BERGE (André) (A.B.).

مدير مركز علم النفس التربوي في باريس.

8- BERLINE (D.E.). (D.E.B.).

أستاذ قسم علم النفس . جامعة تورنتو .

9- BEUCHET (Jran) (J.B.).

أستاذ . قسم علم النفس، جامعة بريتون العليا، رين .

10- BLANC (Bernard) (B.B.).

أستاذ، شهادة الأستاذية في الفلسفة، تولون .

11- BOER (Th.de).

أستاذ . معهد العلوم الإنسانية، أمستردام .

12- BOURGUIGNON (André) (A.Bo.).

أستاذ، شهادة الأستاذية في دائرة الطب النفسي، مركز استشفائي وجامعي في كريتيل .

13- BRUNO (Marie) (M.BR.).

طبيبة رئيس في قطاع الطب النفسي . تولون .

14- Buding (Franz) (F.B.).

طبيب أطفال مقيم قديم في المشافي . تولون .

15- BURNER (Marcel) (M.BU.).

أستاذ كلية الطب . لوزان .

16- CAILLE (E´mile Jean) (E.C.)

مدير مركز الدراسات والبحوث في قسم علم النفس التطبيقي في البحرية الوطنية . تولون .

17- CAMINADE (Pierre) P.C.).

دكتور في الآداب . تولون .

18- CARLINI (Georges) (G.C.).

دكتور في الحقوق . مدير قسم العمل الصحي والاجتماعي . تولون .

19- CASTELLAN (Yvonne) (Y.C.).

محاضرة في قسم علم النفس ، جامعة باريس الشمالية .

20- CHRISTOZOV (Christo) (C.C.).

أستاذ ذو كرسي الطب النفسي ، أكاديمية الطب . صوفية .

21- COHEN (John) (J.C.).

أستاذ في قسم علم النفس ، جامعة منشستر .

22- COLLOMB (Henri) (H.C.).

أستاذ في سيكولوجيا الأعصاب . مدير مركز البحث في علم النفس المرضي ، التابع لمعهد العلوم السيكولوجية والاجتماعية ، جامعة داكار .

23- COURBET (Claudine) (CL.C.).

عالمة في علم النفس . أفينيون .

24- DARCOURT (GUY) (G.D.A.).

أستاذ ، شهادة أستاذية . دائرة الطب النفسي وعلم النفس الطبي ، المركز الاستشفائي والجامعي في نيس .

25- DELWARDRE (Georges) (G. D. E.).

طبيب نفسي . مساعد قديم في كلية الطب . مارسيلية .

26- DENBER (Herman C.B.) (H. CD.).

أستاذ في الطب النفسي . جامعة لويسفيل ، كانتوكي .

27- DOISE (Willem) (W. D.).

أستاذ في علم النفس الاجتماعي التجريبي . جامعة جنيف .

28- DRACOULIDE`S (Nicolas N.) (N. D.).

رئيس الجمعية الهيلّينية لعلم النفس البيولوجي . أثينة .

29- DRAKE- BROCKMAN (Jane) (J.D.B.).

عالمة في علم النفس . قسم علم النفس . نِدْلاندز ، استرالية .

30- DURAND (Gilbert) (G.D.).

أستاذ مدير مركز البحث في المتخيّل . المركز الجامعي لسافوا ، شامبيري .

31- ELLENBERGER (HENRI, F) (H.F.E.).

أستاذ . كليتا الفنون والعلوم ، جامعة مونريال .

32- EY (Henri) (H.E.)

رئيس أطباء في مشفى ألب النفسي في بونيفال . مستشار تقني لمنظمة الصحة العالمية .

33- EYSENCK (Hans, J) (H.J.E.).

أستاذ . مدير قسم علم النفس . معهد الطب النفسي ، جامعة لندن .

34- FAURE (Henri) (H.F.).

أستاذ . مدير مخبر علم النفس التطبيقي في السوربون .

35- FAVERGE (JEAN Marie) (J.M.F.).

أستاذ . مدير مخبر علم النفس الصناعي ، الجامعة الحرة ، بروكسل .

36- FE`RAUD (Clément) (C.F.).

سكرتيرعام الرابطة العالمية لعلم الطباع . تولون .

37- FOUGEYROLLAS (Pierre) (P.F).

أستاذ. قسم علم الاجتماع، جامعة باريس السابعة.

38- GASTAUT (Henri) (H.G.).

أستاذ. مدير دائرة الفيزيولوجيا العصبية العيادية، مركز استشفائي وجامعي في مرسيلية.

39- GILLIBERT (Jean) (J.G.).

محلل نفسي. رئيس رابطة المحللين النفسيين في باريس.

40- GOLEMINOV (Marin) (M.G.).

مؤلف موسيقي. أستاذ في المعهد الموسيقي. صوفية.

41- GOLLTET (Pierre) (P.G.).

أستاذ في جامعة نيميغ.

42- GRENGER (Gilles Gaston) (G.G.G.).

أستاذ. مدير معهد الفلسفة، جامعة بروفانس. إكس- إن- بروفانس.

43- GREENNER- SILLAMY (Gretel) (G.G.S.).

عالم نفس. تولون.

44- GUYOT (Roland) (R.G.).

أستاذ في علم النفس التربوي. باريس

45- HEARNSHAW (Leslie Spencer).

أستاذ. مدير قسم علم النفس، جامعة ليفربول.

46- HECAEN (Henry) (L.S.H.).

أستاذ. مدير وحدة البحوث في سيكولوجية الأعصاب وألسنية

الأعصاب، .I.N.S.E.R.M باريس.

47- IMADA (Hiroshi) (H.I.).

أستاذ. قسم علم النفس، جامعة كوانسه غاكان. نيشينوميا، هيوغو، اليابان.

48- JEANNET (Mauriee) (M.J.).

أستاذ. قسم علم النفس، جامعة لوزان.

49- JULLIEN- VOLL MER (Denise) (D.J.V.).

عالم نفس. باريس.

50- KANEKAR (Suresh) (S.KA.).

أستاذ. قسم علم النفس التطبيقي، جامعة بومبه.

51- KARLI (Pierre) (P.K.).

عضو أكاديمية العلوم. مدير المخبر الفيزيولوجي العصبي. C.N.R.S، ستراسبورغ

52- KATAGUCHI (Yasufumi) (Y.K.).

أستاذ. قسم علم النفس، جامعة طوكيو.

53- KITAMURAT (Seiro) (S.K.).

أستاذ متقاعد. جامعة طوكيو. ساندي. اليابان

54- KRIVOHLAVY (J.) (J.K.).

عالم نفس. معهد علم النفس. براغ.

55- KURCZ (Ida) (T.K.).

أستاذ. معهد علم النفس، جامعة فارسوفية.

56- LANDAUER (Ali) (A.L.).

أستاذ. قسم علم النفس، جامعة غرب أوسترالية، نيدلاندز، أوسترالية.

57- LAGADEC (Josette) (J.L.).

مديرة بيداغوجية. لوبراده (فار).

58- LAZZERONI (Virgilio) (V.L.).

أستاذ. مدير معهد علم النفس العام والعيادي جامعة سينّ.

59- LE COEUR (Marie yuonne) (M.C.).

عالمة نفس. تولون.

60- LEIBBRAND (Werner) (W.L.).

أستاذ متقاعد. جامعة مونيخ.

61- LEIBBRAND- WETTLEY (Annemarie) (A. L. W).

أستاذة. جامعة مونيخ.

62- LEONTTEV (A.A) (A.A.L.)

أستاذ. مدير البحوث في علم النفس الألسني. أكاديمية العلوم في روسية موسكو.

63- LEITHAM (Godfrey, W.H) (G.W.L.).

أستاذ. جامعة ليفربول.

64- LIETH (Lars Von der) (L.L.).

أستاذ. مخبر علم النفس، كوبنهاغن.

65- LUCCIONI (Henri) (H.L.).

عالم نفس. مركز الاستشفاء الجامعي في مرسيلية.

66- MALLART (José) (J.M.).

عالم نفس . مدريد .

67- MALRIEU (PHILIPPE) (PH. M.).

أستاذ . قسم علم النفس ، جامعة تولوز .

68- MARCHAND (Francois) (F.MA.).

عالم نفس . مساعد قديم في معهد العلوم التربوية ، جامعة جنيف ، باريس .

69- MARÈS (Jean) (J.MA.).

طبيب رئيس في مشافي الطب النفسي ، تولون .

70- MARX (Charles) (C.M.).

أستاذ . معهد الفيزيولوجيا ، كلية الطب في ستراسبورغ .

71- MATEJCEK (Z.) (Z.M.).

أستاذ . معهد علم النفس ، براغ .

72- MAURLY (Claire) (C.MA.).

معلم مساعد . قسم الألسنية ، جامعة بروفانس ، إكس- إن- بروفنس .

73- MAVLOV (LUDMIL) (L.M.).

أستاذ . جامعة صوفية .

74- MÈDIONI (Jean) (J.ME.).

أستاذ . مدير مخبر علم النفس الفيزيولوجي ، جامعة تولوز .

75- MEJEAN (Christian).

طبيب مساعد . مركز العلاج النفسي في فار .

76- MEREI (Ferene) (F.M.).

عالم نفس . مخبر علم النفس ، جامعة بودابست .

77- MESSERLT (Pierre) (P.M.).

عالم نفس. مخبر علم الحُبْسة وعلم الأعصاب، مشفى كانتون جنيف.

78- MICHEL- JONES (Françoise) (F.M.J).

إتنولوجية. باريس.

79- MIYOSHI (Akimitsu) (A.M.).

أستاذ. قسم الطب النفسي العصبي، جامعة كيوتو.

80- MOLES (Abraham) (A.A.M.).

أستاذ. مدير معهد علم النفس الاجتماعي، جامعة ستراسبورغ.

81- MOUCHOT (JEAN- Marie) (J.M.M.).

مكلّف بالتعليم. معهد علم النفس، جامعة ستراسبورغ.

82- MOUILLERON (Claude) (C.MO.).

مترجم. لا سيوتا.

83- MOUNIN (Georges) (G.M.).

أستاذ. مدير قسم الألسنية العامة، جامعة بروفنس، إكس- إن- بروفنس.

84- MOUSS ONG- KOVACS (Elisabeth) (E. M. K.).

أستاذة. العيادة العصبية، بودابست.

85- MOUTARD(Nicole) (N.M.).

أستاذة مساعدة. قسم الألسنية، جامعة بروفانس، إكس- إن- بروفانس.

86- MUCHIELLI (Roger) (R.M.).

أستاذ شرف في علم النفس. جامعة نيس.

87- NAKAMURA (Hajime) (H.N.).

أستاذ. قسم الفلسفة، جامعة طوكيو.

88- NE`DONCELLE (Maurice) (M.N.).

أستاذ . كلية اللاهوت الكاثوليكي . ستراسبورغ .

89- NEWMAN (Lottie M.) (L.M.N.).

ناشر مؤلفات أنّا فرويد .

90- OCHANINE (Dimitri) (D.O.).

أستاذ . دكتور في جامعة باريس . دكتور في العلوم السيكولوجية في روسية .

91- OLÉRON (Pierre) (P.O.).

أستاذ . مدير مخبر علم النفس التكويني ، جامعة باريس .

92- ORLICK (Peter) (P.OR.).

أستاذ . قسم علم النفس الاجتماعي ، جامعة ساريبروك .

93- OSGOOD (Charles) (C.O.).

أستاذ . مدير مركز علم النفس الألسني المقارن ، جامعة إوربانا- شامبين ، إيلّينوا .

94- PAILLARD (Jacques) (J.PA.).

أستاذ . مدير معهد الفيزيولوجيا العصبية وعلم النفس الفيزيولوجي C.R.N.S. ، مرسيلية .

95- PANKOW (Gisela) (G.P.).

محلّلة نفسية ، محاضرة في كلية الطب في بون .

96- PINATEL (Jean) (J.P.).

مفتش عام . رئيس الجمعية العالمية لعلم الجريمة . باريس .

97- PIRET (Roger) (R.P.).

أستاذ . قسم علم النفس ، جامعة لييج .

98- PIRYOV(Gencho Dimitrov) (J.D.P.).

أستاذ. عضو أكاديمية العلوم في بلغارية، صوفية.

99- PRICK (J.J.G.) (J.J.P.).

أستاذ. مدير العيادة العصبية، جامعة نيميغ.

100- REVENTLOW (Iven) (I.R.).

أستاذ. مخبر علم النفس، جامعة كوبنهاغن.

101- RICAN (P.) (P.R.).

عالم نفس. معهد علم النفس. براغ.

102- RICHMAN (Charles 1.) (C.L.R.).

أستاذ مشارك. قسم علم النفس، جامعة ونستون- سالم، كارولينة الشمالية.

103- ROCHE (MICHEL) (M.R.).

عالم نفس. مدير مركز البحوث والتطبيق للوقاية من حوادث الطرق، باريس.

104- ROCHEBLAVE - SPENLE' (Anne-Maric) (A.M.R.).

أستاذة. قسم علم النفس الاجتماعي، جامعة باريس السابعة.

105- ROSCA (AL.) (A.R.).

أستاذ. ذو كرسي علم النفس، جامعة كلوج، رومانية.

106- ROSENZWEIG (Saül) (S.R.).

أستاذ. قسم علم النفس، جامعة سان لويس، ميسّوري.

107- ROSCHILD (Freidrich) (F.R.).

محلّل نفسي . القدس .

108- SANSOT (Pierre) (P.S.).

أستاذ . معهد الفلسفة وعلم الاجتماع ، جامعة غرونوبل .

109- SAPIR (Michel) (M.SA.).

محلّل نفسي . مكلّف بالتعليم ، جامعة باريس .

110- SCHACHTER (Mendel) (M.SC.).

مكلّف بالتعليم العيادي في كلية الطب بمرسيلية .

111- SCHIPKOWENSKY (Nicola)(N.SC.).

ذو كرسي الطب النفسي . جامعة صوفية .

112- SCHNEIDER (P.B.) (P.B.S.).

أستاذ . مدير المستوصف العمومي الجامعي للطب النفسي في لوزان .

113- SIFNEOS (Peter E.) (P.E.S.).

أستاذ . قسم الطب النفسي ، مدرسة هارفر الطبية ، بوسطون .

114- SILLAMY (Norbet) (N.S.).

محلّل نفسي . تولون .

115- SILLAMY (Myriam) (M.S.).

طبيب طب نفسي . مقيم في مشافي الطب النفسي بمرسيلية .

116- SIMONOV (P.V.) (P.V.S.).

أستاذ علم النفسي الفيزيولوجي . معهد الفاعليةالعصبية العليا ، موسكو .

117- SINHA (Durganand) (D.S.).

أستاذ. مدير قسم علم النفس، جامعة الله أباد، الهند.

118- SLAMA - CAZACU (Tatiana) (T.S.C.).

أستاذ. قسم علم النفس الألسني، جامعة بوخارست.

119- STROSSOVA (Iréna) (I.S.).

طبيب رئيس. مشفى الطب النفسي في أوبوفا، تشيكوسلوفاكية.

120- SUTTER (Jean Maurice) (J.M.S.).

أستاذ. عيادة الطب النفسي، مركز الاستشفاء الجامعي في مرسيلية.

121- SVANCARA (J.) (J.SV.).

عالم نفس. معهد علم النفس. براغ.

122- SZEWCZUK (Wlodzimiarz) (W.S.).

أستاذ. معهد علم النفس، جامعة كاركوف، بولونية.

123- TCHAKROFF (N.) (N.T.).

أستاذ. جامعة صوفية.

124- TUTTAS - SYLLMY (Joëlle) (J.S.T.).

عالم نفس. مركز المعالجة النفسية في فار.

125- VENCOVSKY' (Eugène) (E.V.).

أستاذ. مركز عيادة الطب النفسي الجامعية، بلزن، تشيكوسلوفاكية.

126- VINCELET (Patrick) (P.V.).

عالم نفس. مكلّف بالتعليم في المعهد الإقليمي للعميان. باريس.

127- VION (Robert) (R.V.).

معلم مساعد . قسم الألسنية ، جامعة بروفنس ، إكس -إن - بروفنس .

128- WANDALL (Janne) (J.WA.).

عالمة نفس . جامعة كوبنهاغن .

129- WARNERYD (Karl-Erik) (K.E.W.).

أستاذ . معهد علم النفس الاقتصادي ، ستوكهولم .

130- WATZLAWICK (Paul) (P.W.).

باحث في معهد البحث العقلي . بالو ألتو ، كاليفورنية .

131- WEAKLAND (John) (J. WE.).

باحث في معهد البحث العقلي . بالو ألتو ، كاليفورنية .

132- WISHNER (Julius) (J.W.).

أستاذ . قسم علم النفس ، جامعة بنسلفانية ، فيلادلفية .

133- ZAZZO (Rene') (R. Z.).

أستاذ . مدير مخبر علم النفس البيولوجي للطفل ، جامعة باريس .

حـــــرف
الألــف
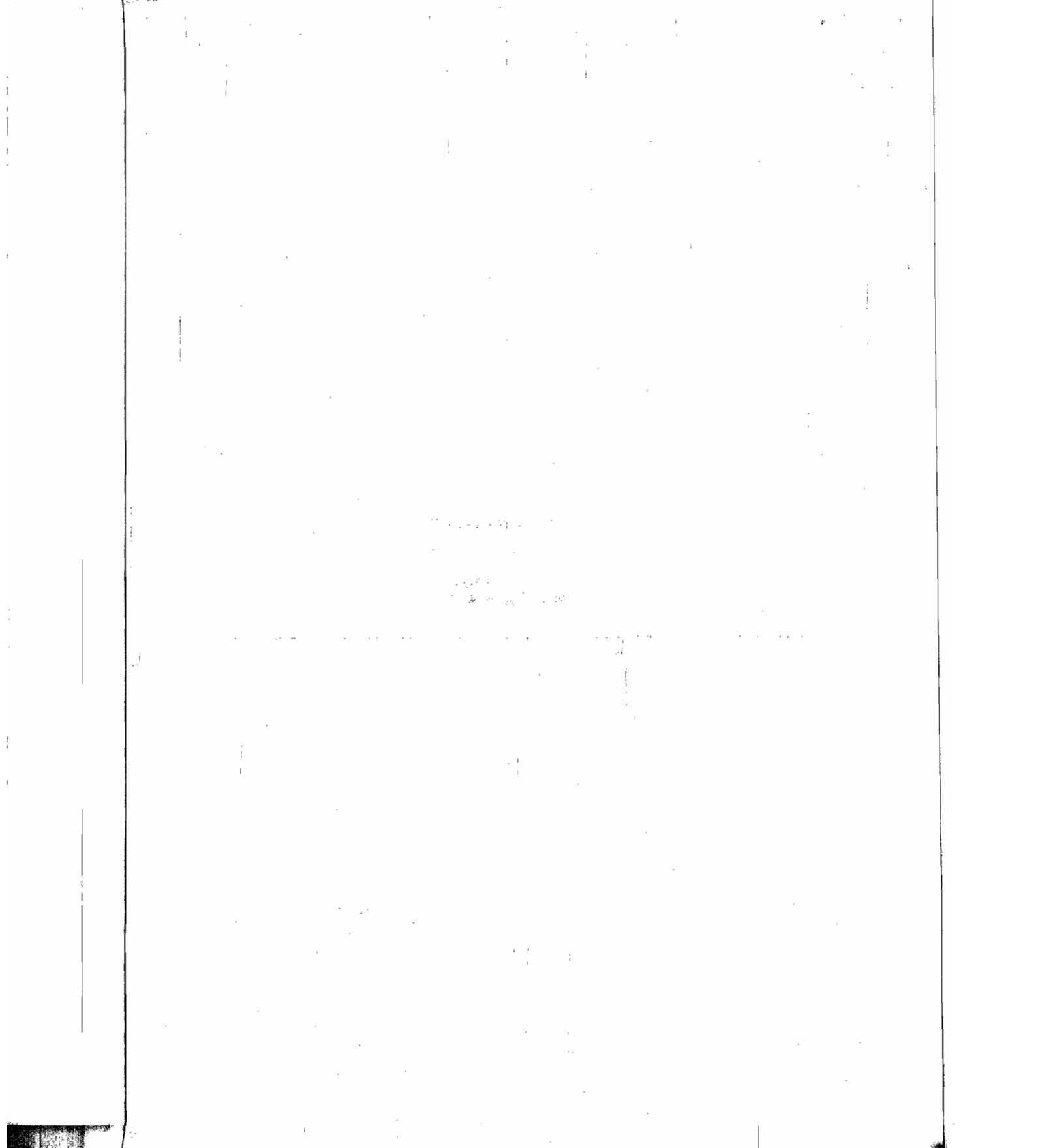
الأب

F : Père
En: Father
D : Vater

التحليل النفسي، وعلى نحو أحدث، الأعمال التي تناولت القصور العاطفي، حجبا دور الأب بعض الشيء حين أبانا الأهمية الرئيسية للأم بالنسبة لنمو الطفل. والحال أن وظيفة الأب السيكولوجية ليست أقل أهمية من وظيفة الأم. وإذا كانت الأم تنشر الحب وتعلّمه، فإن الأب يحوز السلطان ويمثّل القانون. فالاثنان يتكاملان تكاملاً ناجحاً، وغياب أحد القطبين المرجعيين يُحتمل أن يزرع الاضطراب في التوازن الوجداني لدى الطفل. ومع ذلك نعرف رجالاً عديدين من أصحاب الشهرة فقدوا أمهاتهم منذ الولادة أو حُرموا منهن في زمن مبكّر، تلك هي حال ميشيل دو مونتين (1533-1592)، المترعرع حسب تعاليم أبيه الذي نذر له مونتين محبة عميقة وإعجاباً كبيراً، كما تشهد على ذلك **المحاولات** التي كتبها؛ وتلك هي أيضاً حال بليز باسكال (1623-1662) الذي أمّن تربيته برمّتها أبوه بدءاً من العام الثالث من عمره؛ وحال جان جاك روسو (1712-1768) وسورين كيركيغارد (1813-1855) اللذين ماتت أماهما بالولادة.

وإذا كان أبٌ، مع ذلك، قادراً وحده على أن يحافظ على غنى شخصية أطفاله ويفتّحها، فإن غيابه مؤذ لهم إلى حدّ كبير. وثمة دراسة قام بها غ. إيمار ومعاونوه تناولت مئتين وخمسة عشر فرداً مصابين بالفصام أو الذهان الهاذي الحادّ، أعمارهم بين خمسة عشر وخمسة وعشرين عاماً، تبيّن أن بعضهم كان محروماً من الأب إما منذ الولادة وإما بدءاً من العام الخامس من العمر أو الحادي عشر أو الثاني عشر. ولانجد، بالمقارنة، في فئة من السكان مؤلفة من مئة مريض أعمارهم بين خمس عشرة سنة وخمس وعشرين، مصابين بمرض من اختصاص الطب النفسي

(آفة في الجملة العصبية)، سوى سبع حالات كان الأب لدى هؤلاء الأفراد ميتاً قبل ظهور المرض. فالفارق بين الجماعتين ذو دلالة كبيرة (ح≤0,001)، أي أن الاحتمال، حتى يكون الفارق ناجماً عن المصادفة، هو 1000/1.

ولوحظ أيضاً (م. فيركونن) أن غياب الأب أو البديل الأبوي كان متواترا لدى الجانحين، وبخاصّة لدى الذين يكرّرون الوقوع في الخطأ نفسه.

ويصبح دور الأب قرب الطفل أكثر أهمية مع عمر هذا الطفل. وإذا كان هذا الدور ضعيف الأهمية جداً عند الولادة، فإنه لم يعد الآن موضع الإهمال في الأشهر الستة الثانية. ولكنه يتّخذ قيمة خاصة بين الثالثة والخامسة من العمر، في ذروة العقدة الأوديبية. فالأب، في هذا المرحلة، ليس المانع على درب إنجاز الطفل رغباته العميقة فحسب، ولكنه الذي يملك القوة أيضاً، السلطان، ومن يجسّد القانون. ولكن ممارسة السلطة، ولاسيّما في حضارتنا، ليست بسيطة بالقدر الذي يمكن أن يعتقده المرء. فكثير من الآباء لايؤدّون الدور الذي يؤول إليهم، أو أنهم في الغالب، إذا كانوا يؤدونه، يؤدونه على نحو متقطّع وغير تام، وعلى نحو أخرق في بعض الأحيان. أضف إلى ذلك أنهم غائبون غالباً عن منزلهم، وتستغرقهم مشاغلهم المهنية والتزاماتهم الإجتماعية، فهم قليلو الاطلاع على حياة أطفالهم بمقدار مايكون الأطفال قليلي الاطلاع على النشاطات الأبوية. إنهم، بوصفهم مشغولين، تعبين، قليلو الجاهزية ليلتزموا أيضاً بمهمات تربوية ويؤثرون أن يفوّضوا الأمر إلى زوجاتهم في كل ما له علاقة بحياة المنزل الداخلية. ويعتقدون أن عليهم ألا يتدخّلوا حقاً في تربية أطفالهم إلا عندما سيُطرح مشكل مستقبلهم، في المرحلة التي يقرّرون خلالها توجيههم، قبل أن يدخلوا الحياة الاجتماعية دخولاً مستقلاً. ومثل هذا الاتجاه مفرط في التفاؤل وفي جهل الوسائل التربوية؛ إنه يجهل على وجه الخصوص أن الحوار يكون أكثر حرية وخصوبة بمقدار ما يرتكز على علاقة ثقة ومحبة وأن من الضروري أن يبدأ الأب محادثة طفله منذ الطفولة الأولى حتى يكون مفهوماً منه وهو مراهق.

إن الدور التربوي للأب يبدأ مبكّراً جداً ولايتوقّف أبداً، ولهذا السبب كانت صورته التي يقدّمها إلى أطفاله ذات أهمية رئيسة. ففي دراسة انصبّت على دور

الأب في نشوء الاضطرابات المرضية النفسية لدى الطفل، بيّن الأستاذ هـ. فلافيني أن في منشأ ضروب عديدة من عدم التكيّف أباً مندثراً، قليل الرجولة، فوّض سلطانه إلى امرأته. وهو يرفض، بوصفه يتعلّق بأطفاله على نمط طفولي، أن يتدخّل خوفاً من أن يسبّب لهم أدنى إحباط. ولكنه لايجلب لزوجته ولالأطفاله الأمن الضروري لهم، حين لايضطلع بمسؤولياته، مسؤوليات رئيس الأسرة. ونجد **تصرفاً مشابهاً على وجه التقريب لدى آباء المراهقات اللواتي فقدن الشهيّة؛ فهم** لايظلّون على تحفّظهم فحسب، ولكنهم يقيمون بينهم وبينهن مسافة تكبر بقدر ماتصيبهم بالحصر أنوثة بناتهن.

وثمة على عكس هؤلاء الآباء غير التدخّليين، آباء سلطويون، صارمون، مدهوشون، يتعذّر لومهم. ولهؤلاء عواقب مؤذية بقدر عواقب أولئك. و«الأب النموذج» عسير المنال، وأي طفل لايمكنه أن يتوحّد به. فضروب لومه ليست ذات تأثير سواء أكانت ضمنية أو صريحة، وهؤلاء الآباء يغمرون الطفل بالخوف على وجه الخصوص. ولعدد من الأطفال المصابين بالتأتأه آباء من هذا النوع نفسه.

وبين غياب السلطان والقسوة المغالية، والضعف والصرامة، واعتزال الدور والحضور الكلي، مسلك يتقن عدد من الآباء سلوكه، على الرغم من أنه يصعب توطيده. وينبغي لنا أن نقول إن دورهم غير يسير، ذلك أننا نشهد في عصرنا ضرباً من وضع السلوكات الأسرية التقليدية موضع التساؤل. وذلك يرتبط في الجزء الأكبر منه بواقع مفاده أن لدى الأطفال والمراهقين شعوراً، له ما يسوّغه في بعض الأحيان، مفاده أن الآباء لايفلحون في التكيّف مع تطور المجتمع وأنهم، في نهاية المطاف، ربما يكونون أقلّ تسلّحاً منهم بكثير لمواجهة العالم الراهن وعالم المستقبل. فلم يعد الآباء يبدون في أعينهم نماذج عليهم أن يمتثلوا لها ولاحتى من المناسب لهم أن يتمرّدوا عليها، بل بالحري موجودات من الماضي، طُرُز محبوبة عفا عليها الزمن، لايعلمون كيف يستبدلونها. (انظر في هذا المعجم: **المراهقة، قصور السلطان، أم، عقدة أوديب**).

M. C.

الإبداعية

F: Créativité

En: Créativity

D: Kréativität

استعداد للإبداع، والابتكار، وتحقيق الذات.

ينطبق هذا المفهوم على الطفل الذي يلعب على شاطىء البحر، ويبني قصوراً من الرمل بمقدار ما ينطبق على من يرتجل لحناً جديداً يدندن بكلمة، أو من يبتكر قصة، أو رسماً أو حلاً جديداً لمشكل من المشكلات. فثمة، في قاعدة هذا التصرّف، تلك القدرة على تنظيم (أو إعادة تنظيم) عناصر الحقل الإدراكي أو المعلومات التي نحوزها، سواء كان الأمر ذا علاقة بالرمل، بالكلمات، بالأصوات أو المبادىء الرياضية. فالإبداعية ميل طبيعي موجود في حالة الكمون لدى الأفراد كلهم وكل الأعمار. إنها ذات علاقة وثيقة، بوصفها مرتبطة بالخيال والإعلام، بالوسط المادي، والسوسيولوجي، والثقافي، والأشخاص الذي يحيطون بالفرد؛ وتحتاج، لتظهر، إلى شروط نفسية وجدانية ملائمة. وربما تكون التربية عائقاً للإبداعية، ولاسيما عندما تطمح إلى أن تُخضع الأفراد إلى نمط معيّن، ذلك أنها تولّد عندئذ الخوف من الانحراف والامتثالية الاجتماعية. وربما يكون النقد البسيط أيضاً كابحاً؛ أما «الحرفية»، فيحتمل أن تصيب الإبداعية بالعقم، ولو أنها تتيح اكتساب مهارة تقنية معيّنة. فتعليم الطفل أن يرسم ربما يكون حرمانه إلى الأبد من أن يعبّر عن فرديته. والمبدع الأصيل ليس «صانعاً». والإبداعية تحتاج إلى السمة التقنية أقلّ من حاجتها إلى العفوية التي تسوق الفرد بفعل حركتها الخاصة إلى

الخلق. فالطفل الذي لم يعان بعدُ عبء تربية قسرية، ويدع رغباته وخيالاته تنبعث لأنه لايزال غير عارف بضروب الكفّ، طفل خلاق على وجه الخصوص. إنه يبدع كما يحلم أو كما يلعب، إذ يحقّق رغباته على حال شبه هلوسي. فإبداعيته في خدمة دوافعه. والإنسان الذي سيكونه هذا الطفل فيما بعد ينبغي له، حتى يستعيد عفويته ونضارة نفسه ويتعلّم أن يتحرّر من معارفه ومن، على نحو أكثر أيضاً، ضروب قمعه وكبته، أن يقبل أن يكون ذاته، أي أن يكون مختلفاً عن الآخرين. وعندئذ سيكون حراً ويمكنه أن يستخدم وسائله الخاصة ليبدع في الزمن الراهن. وليس لدى المبدعين فقط قدرات فكرية خاصّة، وخيال مبدع على وجه الخصوص (**انظر** دراسة ج. و. جيتزل، ب. و. جاكسون، التي تنصبّ على المراهقين الموهوبين جداً، 1962)، بل لديهم أيضاً صفات حساسية، واستقبالية، وحركية، وأصالة، ومرونة، واستقلال، مادام صحيحاً أن الابداعية لاتستخدم الذكاء وحده بل الشخص برمته. والأفراد الأكثر إبداعاً يمكننا اكتشافهم بروائز مصنوعة لهذا الغرض، ولكن الوسائل الأكثر يقيناً تظلّ أيضاً معطيات السيرة، ومعرفة اهتماماتهم وإنجازاتهم الشخصية. (انظر المصطلحات التالية في هذا المعجم: (**تفتيق الأفكار، رائز الإبداعية، المرض الخلاّق، الذكاء الاجتماعي**).

N. S.

الإبداعية العلمية

F: Créativité Scientifique

En: Scientific Créativity

D: Wissenschaftliche Kreativität

انطلاق البحوث في الابداعية العلمية، بعد الثورة التقنية العلمية المعاصرة مرتبط بضرورة مفادها تحضير أطر علمية وتقنية قادرة على أن تحلّ المشكلات التي تتطلّب الابداعية بصورة متزايدة، بالنظر إلى أن الفاعليات الألغورتمية تنفّذها الآلات. واستُخدمت، في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين، روائز الذكاء التقليدية للكشف عن المخترعين المستقبليين، في العلم كما في مجالات أخرى. ولكن بعض علماء النفس، مثل جـ. ب. غيلفورد، ك. و. تيلور، إ. ب. تورنس، وآخرون، وضعوا، أمام النتائج الحاصلة الهزيلة، روائز للفكر المبدع، فكر هو في حقيقته **فكر منفرج**، في ظلّ مظاهره، مظاهر السيولة والمرونة والأصالة. ولكن الروائز المعنيّة لاتختلف أبداً عن روائز الذكاء التقليدية؛ إنها تكملها في جوانب جديدة بدلاً من أن تحلّ محلّها (ك. بورت، 1962). والنتيجة الناجمة عن البحوث الموجودة، فيما يخصّ العامل العقلي في الإبداعية، هي أن الذكاء ضروري ولكنه غير كاف بالنسبة للإبداعية العلمية. ومن الضروري وجود مستوى من الذكاء (حدّه الأدنى حوالي 120 من حاصل الذكاء)، ولكن حاصل ذكاء أعلى لايضمن تنامي الإبداعية (د. و. ماك كينّون، 1962). أضف إلى ذلك أن بعض القابليات النوعية ضرورية حسب المجالات المأخوذة بالحسبان: قابليات عددية، مكانية، لفظية، الخ، وكذلك عوامل الدافعية والشخصية. وللفضول،

بين هذه القابليات، الذي يؤمّن المثابرة في الجهد، دور أساسي(أ. رو، 1961).
ولبعض الجوانب في السيرة (فاعليات أو إنجازات ذات عناصر مرتبطة بالابداعية الحقيقية) قيمة تنبؤية أكثر أهمية من الامتحان السيكولوجي الذي يُمارس بواسطة روائز الذكاء والشخصية وروائز أخرى. وبوسعنا، في حالة بعض الطلاب، أن نذكر الجائزة الممنوحة على نشر أو مداخلة أصيلة قُدّمت خلال ندوة أو جلسة علمية طلابية. ونلاحظ في أيامنا هذه ميلاً إلى إضافة الكشف عن الموهبة العلمية إلى التكوين لاسيّما في التعليم العالي. وفيما يخصّ سيرورة الإبداع العلمي، تكون الأطوار الأربعة التالية هي المذكورة على نحو أكثر تواتراً (ك. دالاس، 1926): 1- التحضير؛ 2-الحضانة؛ 3- الإشراق؛ 4- التحقّق. والحضانة والإشراق هما الطوران الأكثر اتّصافاً بأنهما موضع منازعة. فبعضهم يعتقد أن ظهور الحلّ، ظهوره المفاجىء، هو حصيلة اللاشعور أو قبل الشعور. ويعتبر آخرون أن افتراض إرصان لاشعوري أمر غير ضروري، بالنظر إلى أن الحضانة ليست سوى مهلة ضرورية حتى يُسحب فَرض بدئي خاطىء، بحيث أن الفكر المبدع يجد نفسه حراً في أن ينظر في المشكل من زاوية مختلفة. كذلك يُذكر الظهور الفجائي لترابط يمكنه أن يصل، على نحو غير متوقّع على الغالب (مستنداً إلى تماثل محض ظاهر)، جوانب مختلفة جداً من وضع أو من فاعلية، بعضها مع بعض (ب. كيدروف، 1969).

وفي شرح الاكتشاف العلمي، علينا ألا نستنجد بالمعطيات التي يقدّمها علم النفس فحسب، ولكن علينا أيضاً أن نستنجد بالمعطيات التي تقدّمها علوم أخرى (علم الاجتماع، تاريخ العلوم، إلخ) التي تنيرنا فيما يخص الشروط الاجتماعية التاريخية التي جعلت هذا الاكتشاف ممكناً. وكوننا نجد في تاريخ العلوم حالات متواترة من الاختراعات المتزامنة، التي قام بها باحثون يعملون بصورة مستقلّة، أمر يكوّن دليلاً على الدور الذي يؤديه العامل الاجتماعي التاريخي في الاكتشاف. وهذا هو ما كان يسمّيه غوته Zeitgeist («روح العصر»). وهكذا اخترع نيوتن (1642-1727) وليبنز (1646-1716) الحساب التفاضلي كل منهما بصورة مستقلة

عن الآخر . واكتشف آدامز ولوفيريه، في وقت واحد على وجه التقريب، الكوكب نبتون؛ ووضع و . جيمس (1842-1910) وكارل جورج لانج (1834-1900) دون أن يكونا على علاقة أحدهما بالآخر، نظرية في الانفعالات تحمل اسميهما . ويحدث على الأغلب أن ينجح عدة باحثين نجاحاً في وقت واحد، لااثنان فقط، يعملون بصورة منفصلة أحدهم عن الآخر، في اكتشافات متماثلة (إ. جـ. بورنغ، د. ك. ميرتون). ولجماعة الباحثين، في تكوين العلماء وتحريض الإبداعية العلمية على حدّ سواء، دور هامّ. وفي مناقشات هي الأكثر بعداً ما يمكن عن أن تكون نظامية، إنما تستمدّ أفكار جديدة مصدرها، إذ تعمل أفكار أحدهم بوصفها حافزاً لأفكار الآخر. فالمناقشات الجماعية تهزّ الأفكار المقولبة وكل ما هو متخثّر في تناول المشكل الذي ينبغي حلّه؛ وعلى هذا النحو، تحرّض المناقشات تفكير المشارك وتشجّع مرونة الفكر. (انظر في هذا المعجم: **تفتيق الأفكار، المرونة، الذكاء الاجتماعي**).

A.R.

الإبداعية الفنية

F: Créativité artistique

En: Artistic Créativity

D: Künstlerische Kreativität

لم يكن فرويد قد عالج قطّ مفهوم الإبداعية بوصفه كذلك. بل بوسع المرء أن يتساءل إن لم يكن ثمة نقيضة بين الاكتشاف التحليلي للاشعور ومفهوم **النفس**، وهو ضروب من تحوّل فكرة الروح. وحاول بعض خلفاء فرويد أن يحدّدوا السيرورة الوراثية لمختلف أحوال الإبداعية، ولكنهم تخلّوا في كل مرة عن المنظور التحليلي (بما فيهم ميلاني كلاين) ليُبرزوا الإمكانات الإنسانية، شبه التأليفية، في الإفلات من الموت أو من التدمير. فالإبداعية الفنية موصوفة دائماً أنها معادية للقدر، ومبرّر الوجود ضد الموت: ولكن المحلّلين النفسيين لم يفعلوا، في ذلك، سوى أنهم كرّروا ما كان شوفوكلوس (في **أنتيوغون** وفي **أوديب في كولونية**، على سبيل المثال) وأندره مالرو (باريس، 1901- باريس، 1976) قد كتباه عن القدر «الجمالي» للإنسان. والنمط الذي ينوب مناب الملجأ الأخير هو دائماً نمط الإبداع في الإيلاد، أي نمط الإنجاب لدى الأم: الحصول على «الأطفال»، والجسم، والرخام، والكتابة، والثقافة. الحصول على طفل من الأم، الحصول على طفل من الأب: هكذا يغذّ النسب الثقافي سيره من عصر إلى عصر. وليس من المؤكد أن بوسع التحليل النفسي أن يباشر بثقة مثل هذا الكلام، وليس من المؤكد أن يكون حتى «قراءة» ثقافة فاعلة ومؤكدة ولاأن تكون وسائله المرجعية مناسبة. وما بوسعه أن يقول إنما هو أن نِسابة أحداث الرغبة الإنسانية، في ثقافة معيّنة (حضارة تخضع

للقوانين ولضرب من المصير)، والتحوّلات المبدعة لهذه الرغبة الإنسانية، أمر ممكن تصوّره والتفكير فيه. ولهذا السبب، يمكنه أن يشرح ثقافته الخاصة وعسر الحضارة (**انظر** فرويد). ويمكنه أن يفهم كيف أننا وضعنا في موقع «موجودات» ثقافة، «موجودات» مبدعة (فن، دين، مجتمع) بفعل تنسيق وتنظيم المواقع الخاصة والمتباينة لسلطات الإيروس (الحب، الليبيدو) **والتاناتوس** (سلطات الموت). فكل مؤلفات فرويد دارت في الواقع حول هذه القدرة التي يملكها التحليل النفسي على التفكير في استعداد الإنسان لينخدع في الفن، ومنظومة المجتمع، والعصاب، والجنون، ويشفيه التحليل النفسي جزئياً، الدراسة العلمية الوحيدة لـ«النفس» الإنسانية. وليس ثمة شيء، للوهلة الأولى، يقود الناس إلى أن يتبادلوا الحب، وينتجوا ويبدعوا. والرغبة الطفولية التي لاتُقمع، والمظهر «الشيطاني» الذي يتجلّى فيه اللاشعور، والتكرار، والضرورة المحافظة للغريزة، ومبدأ اللذة والماوراء الخاص بها (غريزة الموت)، تجعل الإنسان تلك «البهيمة» المعاقة، المتوحّشة في ماهيتها. وهذه «البهيمة» الإنسانية، بهيمة السيرورة الأولية (تصرّف يحكمه مبدأ اللذة) والطاقة الحرّة (الطاقة التي تميّز السيرورات اللاشعورية)، تظلّ غير مفيدة ولامبدعة إذا لم تكن، من جهة، قوة **الإيروس** (دوافع الحياة) قد أنقذتها، قوة تكمن وظيفتها في أن تربط الوحدات التي تكبر بصورة متعاظمة ويزداد عددها ازدياداً متنامياً، وأنقذتها، من جهة ثانية، قوة الوعي الآثم (الأنا العليا) وقوة المثال (مثال الأنا) اللتان تفصلان في أن اعتقاد البهيمة بأنها «متوحشة وحرة» إنما هو، في نهاية المطاف، ضرب آخر من الوهم، أكثر خطورة من الفن، والدين، أو الاشتراكية، فالإنسان مرتبط بذاته، وبالناس الآخرين، والحضارة، والنوع. ومع أنه يشعر، من الناحية النرجسية، أنه «خالد وكليّ القوة»، فكل شيء حوله يبرهن له على العكس. فمحرّكات «الإبداعية» هي إذن، في المستوى الأول، طاقة توظيف **الليبيدو** (غريزة جنسية قبل تناسلية وتناسلية)، والنرجسية، والمواجهة مع الواقعي، والاستيهامات، وغريزة الموت. وهذه الأشكال كلها، أشكال الوجود، الضرورية لمحركات الإبداعية، ذات نتيجتين متعاكستين؛ فضرورتها ذاتها تجعلها

فانية بقدر ما هي حيوية. ويمكنها أن تكون شفاء، سلاماً أو ضياعاً. والإنسان، بوصفه فرداً ذاتياً، مركز نزاعاتها. فالحضارة، في سيروراتها الأساسية، تتجلّى فوق الإنسانية. وعاطفة الإثمية، العاطفة اللاشعورية، تجذب الفرد نحو الغير بقدر ماتجذبه نحو سلبية الموت المجازي (الكاتاتونيا الفصامية أو السوداوية على سبيل المثال). والفن، والدين، والجنون، ضروب مزعومة من الشفاء، ولكنها ضروب من الشفاء مع ذلك، قلق «الوجود». وإذا كان المرء مع ذلك إنما يلجأ إلى العلاج النفسي لأنه يشعر أنه تعس، آثم، أو معذّب، فإنه أيضاً إنما يموت بالنسبة لنفسه أو بالنسبة للحياة لأنه يشعر أنه «آثم» جداً.

والمفهوم الأول الذي ينبغي أن نبرزه، فيما يخصّ هذه الإبداعية، هو مفهوم **التصعيد**. ولم يكن فرويد بليغاً جداً في كلامه على قدر الدوافع، هذا القدر الخاص جداً. فالمصطلح ذاته قد يفسح المجال للبس: أهو رهافة الماهيات؟ أو خليط آخر من بعض المبادىء السيميائية؟ أو راسب كيميائي من رواسب التجربة (مصعّد)؟ أو مضمون أخلاقي ومهذّب، فالسامي يقابل المشترك والعامي؟ أو نقل نرجسي نحو الأعلى؟ أو طريقة إقلاع من الأرضي، إلخ؟ إنه كل ذلك معاً بالتأكيد، إذا تكلمنا من الناحية الفينو مينولوجية. فالدافع هو إذن هذه القوة التي لانعرف واقعها ووجودها إلا بالقدرة على التصوّر النفسي؛ إنه، في انتشاره، يخضع لطاقته الخاصّة، لمبدأ اللذة (إنقاص التوتر إلى المستوى الأدنى)، ولمبدأ النرفانا (ميل إلى ردّ كل إثارة إلى نقطة الصفر). فللدافع **مصدر** يكمن في حالة من الإثارة الجسمية (جوع، عطش، حاجة جنسية)؛ إنه يوجّه تصرّف العضوية نحو **موضوع** يمكنه أن يشبعه إذ يلغي هذه الحالة من التوتر. والدوافع الجنسية تعارض جزئياً دوافع «الأنا» (نموذجها يظلّ الجوع)، الضرورية للمحافظة على الفرد. وهذه المعارضة، التي صاغها فرويد في نظريته الأولى للدوافع، كان إدخال غريزة الموت قد لطّف حدّتها كثيراً فيما بعد. فغائية الليبيدو الجنسي، بالنسبة لفرويد، هي المحافظة على النوع، في حين أن غائية دوافع الأنا تنشد المحافظة على الفرد. ومهما يكن من أمر، فإن هذه الدوافع تنظّم «الممثّلات النفسية» (مصطلح سيكولوجي لحالات الإثارة

الجسمية) والاستيهامات، ولكنها تتحول، إضافة إلى ذلك، وفق **مصادرها وموضوعاتها**. فهدف الدافع يكمن دائماً في تفريغ التوتر، وبلوغ اللذة (بفاعلية اللعب على سبيل المثال) أو الهرب من اللالذة (**المثيل** الكبير يظلّ الحلم). وكان بوسع فرويد أن يتكلم على هزّة الجماع بمناسبة الحديث عن غائية الغريزة، وبالتالي على غائية الدافع الذي ليس سوى قسم من الغريزة. ولكنه لم يفعل وتكلّم قليلاً على هزة الجماع، ذلك أن هذا المصطلح موقوف على غائية التنظيم، الدافعي ذاته، على التناسلية: فهزّة الجماع وقف على الإشباع التناسلي (جماع، استمناء)، ولكنها ليست، في مبدأها، سوى خليط يحدث في اختبار الإشباع ولذة التفريغ.

أما **الانقلاب إلى الضدّ**، فإنه السيرورة التي بها يتحوّل **هدف** دافع إلى عكسه بواسطة الانتقال من الفاعلية إلى السلبية (سادية- مازوخية، تلصّص- استعرائية، على سبيل المثال). **وإضفاء المثالية** خاصّ بـ **الموضوع**؛ إنه سيرورة؛ يكون بها الموضوع ممجّداً: الأب، الأم، الموجود المحبوب. **والتصعيد** خاصّ بانحراف الدافع نحو هدف جديد، غير جنسي. ويمكنه أن يكون خاصاً، من حيث المبدأ، بكل الدوافع الجزئية كالدافع الفمي أو دافع الرؤية، وهما دافعان منحرفان في ماهيتهما. فيصبح الهدف «سامياً»، إذا تكلمنا من الناحية الاجتماعية، ولكن طاقة رغبة الطفولة ظلّت مصانة ومنقولة خارج الجنسية بصورة كاملة في بعض الأحيان. فليس الفن هو التصعيد الوحيد؛ إن الدين والفاعليات الاجتماعية هما تصعيد أيضاً، ولكن الفن يبدو أنه يبيّن الإمكان الأوضح للتصعيد في الرغبة الإنسانية. والمسائل التي تطرح نفسها عديدة، ونقاط رسوّها كثيرة. وإليكم بعضاً منها: 1- إذا كان هدف الدافع إلغاء حالة التوتّر السائدة في مصدرها (هزة الجماع بالنسبة للتناسلية)، فكيف نشرح اللذة التي تؤمّنها الفاعليات المتحدية والدينية والاجتماعية؟ 2- إذا لم يعد الإشباع جنسياً، فما هو إذن؟ وهل ثمة دائماً إشباع في نهاية القدر الدافعي؟ وإذا كان هدف الحياة، التي ليس الإيروس والدافع الليبيدي سوى شكلين «محلّلين» منها، هو الموت، والعودة إلى الجامد، وغير العضوي، والسابق التي ليست القوة الغريزية سوى جزء منه، فهل لهذه الغائية أيضاً (الموت) دور في المتّحد

الإنساني الذي يجتمع حول الفن، أو حول الدين، أو الاشتراكية؟ 3- أيمكن أن يوجد تصعيد دون إضفاء المثالية على الموضوع؟ 4- كيف ندرج النرجسية والاحتياط الاستيهامي؟ وهل الفن، على سبيل المثال، مصالحة مع العالم الخارجي؟ وهل تجد الرغبة الطفلية، التي لايمكن أن تُقمع، بالواسطة غير المباشرة للاستيهام، ضرباً من التوفيق، من المصالحة، مع مانسميه تسمية شائعة «الواقع» أو الواقعي؟ أم أن الفن، هو أيضاً وبالضرورة **منفى** (نرجسي في حقيقته)؟ 5-ماالعلاقة بين شتى أشكال «الشفاء» الاجتماعي؟ وهل يمكن أن يكون مجنون، على سبيل المثال، فناناً عندما يكون «مجنوناً»؟ وهل بوسع «الجنون» أن يكون مصدر الدين، والفن، والمتّحد الاجتماعي؟ 6- وثمة سؤال رئيس: ما هو نزع الصفة الجنسية في التصعيد؟

ونحن نجيب بإيجاز عن مجموع هذه الأسئلة لنوجّه اهتمامنا توجيهاً أكبر إلى الفن والفاعلية الفنية. فأن يكون «الجنسي» موجوداً في الفن، ذلك أمر لاجدال فيه؛ والطبيعة لايمكنها، ولو أنها تحوز في ذاتها قوى حيّة سابقة على الفن، ومصادفات موضوعية (كما كانت تريد السوريالية)، أن تُقاد إلى الفن، أي إلى المكان الذي يتعرّف فيه الإنسان نفسه وينفصل (يغترب)، إلا بالتوسّط الإنساني الذي يعيشها، ويعقلها، ويجسّدها. ففكرة الفن الأرسطية، الذي ينجز ما تعجز الطبيعة عن فعله، لايمكننا أن ننبذها بالقدر من السهولة كما يفعل «المحدثون». ولو أن الأمر لم يكن سوى تقليد للطبيعة (**محاكاة** بفعل الإنسان)، فذلك يظلّ مشكلاً ميتافيزيقياً بصورة أساسية، مشكلاً وجّه فرويد الذي اتهم الطبيعة أيضاً، حين «اتهم» الفن بأنه ضرب من الوهم، أنها ليست جيّدة ولا رديئة. وكان كارل ماركس الأول الذي أضفى الديالكتيك على العلاقة بين الإنسان والطبيعة (مخطوطة 1844) وبيّن، بمناسبة الحديث عن علاقات الإنتاج، أن أحدهما (الإنسان) دون الآخر (الطبيعة) يناظر مصادرة ميتافيزيقية مضيّعة. ويظهر منظور فرويد، على مستوى الإبداع الفني، أوسع مدى وأكثر خصوبة. فمفهوم الليبيدو (دافع جنسي) يحتوي الإنسان والطبيعة ويفكّك بنية كليهما معاً. إنه يحوز، بانتشاره ذاته، معنى اللذة

(الإشباع) والممنوع. ومن الوهم أن نريد «تجسيد» الطبيعة كلياً بقدر ما يكون من الوهم إضفاء الروحانية عليها كلياً. فالروحانية، (التي ليست فحسب الإحيائية، والسحر، وقوة الفكر الكلية و«الأرواح» على نحو من الأنحاء، ولكنها هي أيضاً، وعلى وجه الخصوص، قتل الأب البدائي، التكفير واجتماع الأبناء، وعقدة أوديب، وعاطفة الإثمية، العاطفة اللاشعورية)، تنتمي إلى قدرة التفكير التي لدى الإنسان الذي عليه أن يعقل ذاته بعبارات **القدر**: شيء من الإنسان ينبغي إنجازه أو «أُنجز»؛ الوهم الأسمى أن يلوذ المرء بحب الضرورة (ضرورة الموت)؛ إن علينا أن نموت، ذلك أمر مؤكد؛ ذلك أمر ممكن في «أجلنا»؛ ولكن ذلك وهم وفق تقدير (إله، طبيعة، مصير أو «مادة»). وليس بوسع الفاعلية الفنية، في حقيقتها، أن تكون مفكوكة الشيفرة، ومعزولة عن الفاعلية الدينية والفاعلية الاجتماعية. والفاعليات الثلاث كلها ترتبط ارتباطاً إلزامياً بالماضي والمصير الإنساني. فالإنسان «متمفصل» إذن مع شيء آخر غير ذاته (الحضارة). وهذا التمفصل ليس موجوداً ولا إلهاً، ولكنه علاقته باللاشعور. واللاشعور جمعي منذ الوهلة الأولى، بعلامات اللغة، والكتابة، والإشارات، وكل ما هو خارج عن الإنسان ولكنه غير موجود لولاه: الخارجية. فالإنسان، باللاشعور، يكون إذن وسيطاً؛ وسيط فن، حامل علامات (بعضهم يقول حامل رموز)، إنه هو ذاته علامة. ولكنه «علامة» يمكنها أن تختفي، وأن تصبح مريضة، ويمكنها، وذلك اكتشاف أكثر حداثة حيث التحليل النفسي يحتلّ مكانه فيه، أن تشوّه وتضيّع العالم الخارجي، عالم واقع آخر غير الواقع الإنساني. فالفاعلية الفنية يتحدّد موقعها، بوصفها لحظة خصيبة، حيث الانتهاكات هي الأكثرتدخّلاً والأكثر تهديداً: الطفولة بعد المرحلة الأوديبية، والمراهقة بوصفها استعادة الطفولة. وهنا إنما تتأسّس، من الناحية الفردية والاجتماعية، «الألعاب»، و«الكتابات» (القصائد الأولى)، والرغبات الأولى القوية (الجنسية ورغبات الطموح) في أن تتجاوز نفسها وتستمرّ. فثمة هنا إجابة ملحّة ينبغي أن تُقدّم إلى دراما الوفيات، إلى الاكتشاف الجنسي، إلى التنقيب عن الآليات الخارجية والداخلية. وتصبح الجنسية، في هذه الفترات الأكثر خصوبة،

لاتُطاق بفعل غائيتها الظاهرة: إرواء الغليل. ويمكننا القول إن المسألة ذات علاقة بانزياح فاعلية الاستنماء، ولكن هذه إنما هي الرغبة أيضاً في تأخير السقوط وفي كبت حصر الفناء (وبالتالي حصر الخصاء). ولكن هل المقصود حقاً نزع الصفة الجنسية؟ ليس الأمر، على أي حال، أمر تقشّف أو حذر أخلاقي ليس سوى تحوّل الكفّ الجنسي؛ والأمر الممكن تصوّره أن فاعلية التصعيد، تصعيد الدافع الجنسي، تنشد، في حقيقتها، أن تقدّم المتعة إلى الآخر، المختلف عن الذات: الأبوين، الصديق، العشيق، وكل الآخرين، حتى يمضي استمتاعهم (المفترض) بالمقابل نحو «اعتراف» (نرجسي) بمن جعل مهمته أن يستطيل هو ذاته حتى يبلغ الآخر. وليفعل ذلك، عليه أول الأمر أن يكون قادراً على أن يغادر ذاته؛ أن يتغلّب على النرجسية الأولية ويضحّي بنفسه جزئياً حتى يُعترف به بوصفه موجوداً (إن قوة «المبدع» الليبيدية هي التي يُعترف بها عندئذ، وذلك أمر فنيّ بقدر ماهو ديني). ثم عليه أن يكون قادراً على أن يتخلّى عن «الموضوعات» الأوديبية، موضوعات الطفولة (وبالتالي يوظّفها) وأن ينفصل عنها لا ليرتدّ إلى أنانية أساسية (ستكون الذهان) بل ليتوجّه نحو (أو ضدّ) الأغراض التي تمنحها الحضارات نفسَها من الناحية الثقافية. فالمبدع هو دائماً منفيّ، يتكلّم قبل زمانه، مبكّراً جداً، أو أن كلامه شديد القوة، حادّ جداً. فليس ثمة شيء دون ليبيدو (دون متعة)، دون عقدة أوديب، دون **تحويل**. والخطأ المنهجي الذي ارتكبه التحليل النفسي أنه تمسّك، على سبيل الحصر، إما بالتحليل النفسي بواسطة السيرة، وإما بالتحليل النفسي للنصوص (اتجاهات راهنة)؛ ينبغي أن نفهم قدرات الإبداع بغنى **التحويلات** الممكنة على الأغراض الثقافية نفسها، على مايحدث فوق الإنسان كما كان فرويد يقول على وجه الضبط. فهناك عصور يبدع فيها الفنان بثقافته وعلى وفاق معها (عصر النهضة على سبيل المثال) وعصور أخرى يبدع فيها الفنان مايخالف أغراض عصره الثقافية (الرومانسية على سبيل المثال). وتوجد «أعمار» خصوبة، واستعداد للفن: الطفولة والمراهقة. ولكن كل الأطفال وكل المراهقين ليسو فنانين، كما يميل إلى أن يجعلنا نعتقد ذلك حالياً مذهب روسّوي عامي: «العمل الفني»، الذي لولاه لايوجد

فن، يقتضي صبراً، ومثابرة، بل جَلَداً، تشرحه وحدها استطاعة الليبيدو وضروب الكفّ التي تعترضه. فليس ثمة إذن طاقة لامتمايزة (ك. غ. يونغ) تتجاوز الليبيدو؛ إن «النرجسية» هي التي تبدّل اتجاه الغائية الظاهرة (تفريغ الشحنة) لليبيدو عن ذاتها وتحوّلها على الموضوعات «والأغراض» أيضاً (للمنفعة النرجسية الكبرى، منفعة المبدع).

فلا ينبغي إذن أن نجعل الأعمال الثقافية متعارضة مع الحيوات الإنسانية ونضع أنفسنا أمام الخيار المزيّف الذي يقضي بأن علينا أن نختار بين كاتدرائية وبين عذاب إنساني واحد؛ ينبغي أن نسلّم بأن عمل الفن، أياً كان، ينتمي إلى عالم **العصاب**، وأنه «شفاء جماعي» كما أن العصاب الفردي «شفاء» فردي. وإبداعات الأساطير هي في بعض الأحيان متجذّرة في ثقافة إلى حدّ يكون المبدع، بوصفه ذاتية منعزلة، غير مجد. فالإبداع جماعي ومغفل منذ الوهلة الأولى (ينبغي الاعتراف أن هذه اللحظات نادرة جداً). وليس للدوافع الجزئية «المصعّدة» معنى ولاقيمة، ولايمكنها أن تفسح المجال للتدوين في نصّ ثقافي، إلا إذا كانت قد بُنيت في تطور الفرد بفعل تناسلية مكتسبة، إلا إذا كان الغير، آخر الآخر، معترفاً به وليس داخلاً في مجموع فقط (إذ يهيئ الموضوع الجزئي مكاناً للموضوع الكلي). وعاطفة الإثمية، هنا أيضاً، ضرورية في هذا الاعتراف بالغير. فلا وجود لعمل فني لايكون موسوماً بهذه المغامرة المرعبة، لايكون عمل فن، عملاً فنياً وليس تجميع «دالاّت». وأخيراً، إذا كان الفن، من حيث هو ظاهرة إنسانية، عنفاً دائماً يُمارس على العالم الخارجي، وليس فقط مصالحة مع الواقعي كما كان يريد فرويد، الغوتي (نسبة إلى غوته) جداً كذلك، فالسبب أن الفن، حتى ولو أنه لايفهم الموت بمقدار مايفهمه الدين، يفهم الخطر أكثر مما يفهمه الدين لأنه هو ذاته مايكون، في الإنسان، أكثر عرضة للتهديد. فالأنظمة التربوية لاترعاه رعاية كافية. إن الإنسان، بالفن، حارس الموت؛ ووظيفته كوظيفة الحلم، حارس النوم. ولأن الفن يفقد الإنسان، في أحلامه، إنما يحرس الحياة ويبطل الموت. وليس لدى أي شخص فكرة مفادها أن يصادر على أن إبداعاً فنياً يخدم التدمير، في حين أن بوسعه

المصادرة على أديان تنذر الإنسان للموت (كلها على وجه التقريب) أو على أنظمة اجتماعية هدفها أن تستبعد آخرين من المجتمع (النازية على سبيل المثال). فالفن لايخدم التقدّم إذن (لاوجود لفن تقدّمي)، ولكنه يحوز وحدة الموت والحياة، وتماثلهما.

وتظلّ المسألة التي تثير السخط، مسألة الفن والجنون، قائمة أيضاً. فالمجالان، بالنسبة لبعضهم، متنافران بالنظر إلى أن الجنون هو اللافن، والكلام الميت، الصامت. والجنون، بالنسبة لبعضهم الآخر، على العكس، فن كأي فن، ربما لايزال غير بيّن لذاته وللإنسانية. فالقضية خادعة على نحو نموذجي. إن للجنون والفن تلك المنظورات نفسها، ولكن لدى أحدهما وسائل، والآخر ليس لديه وسائل. والجنون، في قوله، في نصوصه (ثمة بداية لجعلها تتكلم)، **قمعي**، بمقدار ماهو قول الطبيب النفسي أو **الرفاق** المحيطين. إنها أقوال رعب بدرجات مختلفة وقول الفن **انتهاكي**، **تمثّلي**، **تحويلي**، بمقدار مايكون أكثر عنفاً، وبمقدار مايتكلم على سبب الوجود، سببه العبثي. والجنون يُظهر إشارات، وندوباً، وضروب قسر؛ إنه لايخلق، حتى عندما يكون أسطورياً، إلا الطوائف وأنواع العرفان، أي الانغلاقات، ولايخلق أبداً أساطير، وأدياناً، وأعمالاً ثقافية. وإذا كان العالم الحديث يرى أن إمكانات إبداع فني تتبدّد لمصلحة مغامرات يُعتقد أنها عنيفة لأنها تثير الإنسان ضدّ ذاته، فالسبب أن قوة التدمير لم يعد التوسّط مستخدماً فيها وأن بوسعها أن تدمّر الإنسان في كل لحظة. (انظر في هذا المعجم: **الفن**، **سيكولوجيا الفن الحديث**، **الإبداع الموسيقي**).

J.G.

الإبداع الموسيقي

F : Création musicale
En: Musical creation
D : Musikalische schöpfung

تكتسب الإدراكات الآتية من الخارج بعض الأحيان، في غسق الشعور الإنساني، حدوداً غريبة على غرار الأدغال والحجارة التي تمنح الانطباع، في غسق المساء، بأنها تعجّ بالحياة وتتّخذ أشكالاً غريبة ليست أشكالها الخاصة، ولكنها التي يمنحها إياها شعورنا المثار. هكذا هي حال هذه المنبّهات الخارجية التي هي الأفكار والعواطف الأساسية لعصر من العصور، أفكار وعواطف تبدو قوى غافية. وحين يتبناها المؤلف الموسيقي بوصفها عواطفه وأفكاره الخاصة تتحول بوسائله الشخصية في التعبير إلى مؤلفات موسيقية. فكيف تحدث سيرورة هذا الإبداع؟ وكيف تحرك هذه المثيرات الخارجية المنشأ آلية الطبيعة الإنسانية، آليتها المعقّدة؟ وكيف تُلقى في وعي المؤلف الموسيقي وكيف، بعد ذلك، يحسّ الوسط المحيط إحساساً مبدعاً ويمكنه أن ينعكس في الانشاءات الصوتية؟ تلك هي بعض الأسئلة التي تطرح نفسها فيما يخص الإبداع الموسيقي. ولايرى عدة أشخاص، ليس لديهم التدريب الكافي في مجال الفنون، في سيرورة الإبداع إلا مظهراً مزعوماً من مظاهر قوة فوق طبيعية يوجّه يد المؤلف الموسيقي، دون أن يشارك في هذه السيرورة على نحو آخر. فالواقع مختلف كل الاختلاف. إن ثمة قوى نفسية شخصية عاملة، نميّز في عدادها بصورة أساسية القوى الانفعالية والقوى العقلانية. فنابض الموسيقى الأساسي هو الانفعالية؛ والموسيقى تبدأ وتنتهي بها. والعاطفة القوية لايمكن أن تكتم أنفاسها الوسائلُ التقنية. ولكن الاعتماد على هذه الوسائل التقنية فقط لتوليد عاطفة مؤشر ضرب من العجز عن الإبداع. فالعقلانية قادرة، هي أيضاً، على أن تثير انفعالاً،

على الرغم من ابتعادها عن الانفعال في الدوائر العليا كالعلم والتقنية. وكما أن إلقاء حجر في مستنقع لن يفوته أن يُحدث دوائر متّحدة المركز على سطح الماء، كذلك ستُحدث الإثارة الخارجية حالات وجدانية. ولاتدخل هذه العواطف مع ذلك في دائرة الموسيقى، باستثناء بعض المظاهر القصوى من موسيقى الطليعة. فالمشكل الأساسي، هنا، إنما تكمن طبيعة الانفعالات وخصائصها، وقيمتها الجمالية، بالنظر إلى أنها ستشكّل جزءاً من نمط الحياة لدى الناس؛ فجانبها ذو النزعة الإنسانية والجمالي لايكون إذن دون أهمية على الإطلاق. ونقول بعبارة أخرى، ينبغي، في مجال الفن، أن نفرز الظاهرات الجمالية فرزاً دقيقاً جداً، حتى لاندلف في منحدر التافه أو المبتذل.

ففي أي شيء تكمن العقلانية في الموسيقى كموناً بصورة حقيقية؟ إن الأشياء، هنا، ليست مقسومة إلى «أدوات» أو«أفكار»، ولا إلى «صيغ» أو عناصر كيميائية». وكل النظرية الموسيقية، التي يعبّر عنها تآلف الأنغام، وتفرّع الأصوات أو النغمات، ونظم الألحان، والشكل الموسيقي، تخدم الفن. إنها تستمدّ منشأها منه، ولكنها تعيد إليه عدداً كبيراً من الإمكانات التي لم تكن، في البداية، إلا أفكاراً تطوّرت فيما بعد إلى ماهية جمالية وأصبحت، في نهاية المطاف، معارف نظرية. وفي ذلك تكمن سيرورة معقّدة من الإغناء المتبادل. ولكننا نتساءل: كيف يؤثر العقلاني في الانفعالية؟ إنه قادر على أن يفصل الزوان عن الحنطة النقيّة؛ وعلى إضفاء الأسلوبية على العاطفة الصريحة، إذ يجعلها نبيلة ويعمّقها؛ وعلى إغناء فكرة- مهما كانت مثيرة في طبيعتها البدئية- إذ يزوّدها بالروح ويطوّرها. فكيف بوسعنا أن نشرح تشييد أعمال صوتية عظيمة: رباعيات موسيقية، سمفونيات، أوبرا، دون مساهمة التقنية، ومساهمة الاستدلاليّ في الفن؟ إن العقلانية، التي ترصن العناصر وترتّبها في كلٍّ منظّم جيداً، تتدخّل خلال السيرورة المبدعة (التعبير عن الشحنة الانفعالية) تدخلاً لامفر منه بعد الأفكار البدئية. فالعقلانية لاتعارض الحدس ولاتحلّ محلّه. وسيكون من الخطأ أن نعتقد أن عملاً موسيقياً معيّناً ليس سوى ثمرة عاطفة، تولد وتتحقّق مباشرة.

فتشييد الروائع الموسيقية، الأكثر أهمية على وجه الخصوص، تقتضي مهلة من الزمن أطول، يضيف المؤلف الموسيقي في أثنائها عناصر جديدة إلى الفكرة الأساسية المبدعة. وذلك لايعني أن ما كان قد تمّ في يوم من الأيام سيكون مقوّضاً في اليوم التالي (مع أن ذلك يحدث في الأغلب من الناحية العملية)؛ إن الفكرة العظيمة تتطلّب زمناً لتنضج في الوعي، وعي المؤلف الموسيقي، وترتبط على نحو طبيعي جداً بوسائل التعبير. وتقتضي كتابة التوليفة الموسيقية لعمل كبير، هي أيضاً، كثيراً من الزمن، بالإضافة إلى ذلك. فتدخّل العقلاني، لدى المبدعين العظام للأشكال الصوتية، يستشعرها المرء على نحو أقلّ وضوحاً، على الرغم من أن روائعهم الموسيقية تكون مبنيّة عليه بالضبط. إن تيار الانفعالية، هنا، أقوى بكثير ويجعلنا ننسى القناة التي يسيل فيها، مثلما أننا لانفكر بالحجارة والأشجار عندما يتملّكنا الإعجاب بقمّة مهيبة، ونقبلها بوصفها كلاً يأسرنا بعظمته وجلاله. والهدف النهائي من العمل الموسيقي يكمن في أن يضفي على الانفعال ألق الفكر، ، ويرسّخ فيه شيئاً من عمقه ومن تحليق المخيّلة. أما تحديد جرعة الانفعالية والعقلانية في الإبداع الموسيقي فهو من الصعوبة مع ذلك بحيث أن الأشهر من ممثلي هذا الفن لا يفلحون، حتى هم، في أن يحقّقوه في كل روائعهم الموسيقية، وأن يعبّروا عنه تعبيراً كاملاً. ويحدث في الأغلب أن فكرة المؤلف تتجاوز إمكاناته المبدعة. وحينئذ ينتهي إلى إنجازات غير كاملة لما يرغب، ولما يتوقّع. وذلك يحدث على وجه الخصوص خلال المرحلة المبكّرة من إبداع المؤلف الموسيقي، عندما تكون وسائله التقنية لاتزال غير كافية للتعبير عن عوطفه وأفكاره. وهذا الواقع يقود المؤلف على نحو طبيعي جداً إلى فكرة تعديل عمله الموسيقي المبتسر (وذلك أمر، في الموسيقى، يحدث في بعض الأحيان أيضاً بفعل مؤلف موسيقي آخر). ويلجأ العديد من المؤلفين الموسيقيين إلى هذا الأسلوب. ويبين، في بعض الأحيان، هذا البعد عن الجو الجمالي والإيديولوجي الذي ساد إبداع عمل موسيقي، أنه عائق بالنسبة للمؤلف يتعذّر تجاوزه. وتكون النتيجة النهائية، في هذه الحالة، غير مرْضية. (انظر في هذا المعجم: **الفن، الإبداعية الفنية**).

M.G.

الإبستيمولوجيا

F: Épistémologie

En: Epistemology

D: Epistemologie, Wissenschaftslehre

الاشتقاق: من اليوناني épistémé، «علم»، و logos، «قول»، «استدلال».

دراسة المعرفة العلمية في نموّها، في بنيتها وفي أسسها.

يبدو أن الكلمة كانت مستعملة للمرة الأولى عام 1906 (ملحق **اللاروس المصوّر**) ومنسوخة عن اللفظة الانغليزية epistemology التي يبدو أن جيمس ف. فيريه، الفيلسوف الإيقوسي، قد ابتكرها في كتابه **مجموعة مبادىء الميتافيزيقا** (1854). ولكن المعنى الأنغلوساكسوني هو معنى «نظرية المعرفة بصورة عامة» أكثر مما هو «نظرية العلم»؛ أما اللفظة الإيطالية المقابلة - epistemologia - فهي، على العكس، متخصّصة على وجه الدقة بفلسفة العلم وتدلّ، بهذه الصفة، على جزء من أجزاء الـgnoseologia أو نظرية المعرفة. ومصطلح «فلسفة العلوم»، «Philosophie des sciences»، بالفرنسي، يُستخدم مرادفاً للإبستيمولوجيا استخداماً شائعاً.

ومن المناسب أن نعترف بثلاث مناطق حدودية للإبستيمولوجيا: تاريخ وعلم اجتماع العلوم (اللذين تجاورهما من حيث أنها تتّخذ العلم موضوعاً، العلم في واقعه المشخّص والمحدّد من الناحية التاريخية)، والمنطق الصرف (التابع لها لأنه يصف أشكال البناء العلمي)، وأخيراً النظرية العامة للمعرفة التي تحدّدها

الإبستيمولوجيا بوصفها بحثاً في أسس العلم. وتاريخ بروز ضرب من الإبسيتيمولوجيا، بوصفها فرع معرفة خاص، هو تاريخ علاقاتها مع هذه الميادين الثلاثة.

ويمكننا القول إن الفلاسفة يهتمّون بالعلوم، حتى القرن التاسع عشر، دون أن تكون الإبستيمولوجيا مطروحة بعدُ في مجال البحث: ففرانسيس بيكون، وليبنز، وكانْت، هم الذين أسهموا، بهذا الصدد، أكبر إسهام في منح فلسفة العلوم نظاماً أساسياً. وفلسفة أوغست كونت الوضعية تدشّن الإبستيمولوجيا حقاً، ومعه أو ضده إنما سينمو هذا الفرع من المعرفة أول الأمر.

المصادر الفلسفية الفاعلة لنظرية العلم

1- **دافيد هيوم (1711-1776)**. قماشة الخلفية لنظرية هيوم الاختبارية النقدية تجمع بصورة أساسية، بعضها مع بعض، بعض الموضوعات، التي تفسَّر تفسيراً مختلفاً، ينسّقها الإبستيمولوجيون الأمريكان، البريطانيون والاسكندينافيون، أو يهاجمونها. وتحوّل اختبارية النزعة السيكولوجية اتجاه نظرية العلم نحو وصف لأفعال الفكر، التي تتماهى عند الاقتضاء مع الأفعال الألسنية. وتوحي اختبارية النزعة الحسّية بمحاولات إرجاع المعرفة إلى وحدات تُدرك مباشرة بوصفها صفات حسّية. وتقود اختبارية جواز التعاقبات «السببية» إلى تعميق مسألة الضرورة وتسويغ الاستدلالات الاستقرائية.

2- **إيمانويل كانت (1724 -1804)** وريث هيوم في حقيقة الأمر. ولكنه يبدو مع ذلك، بوصف نظريته في المعرفة تتضمّن قضايا تعارض اختبارية هيوم، أنه الملهم البعيد أسرةً أخرى من الفكر. إنه يدلي، أول الأمر، بفكرة مفادها أن أطر المعرفة، التي يتعذّر أن نستمدّها من النظر في المحتويات وحده، تبين فقط في **المؤلفات لا في الأفعال**، ويلقي الشبهة على هذا النحو على كل مشروع يضفي النزعة السيكولوجية على مشروع تفسير للعلم. ويطرح، من جهة أخرى، مشكل علاقات المفهومات القبْلية بموضوعات التجربة.

3- **كارل ماركس (1818 -1883)**، يُذكرعلى الغالب، أخيراً، ولكن تأثير فكره يمارس عمله دون شك على نحو ينتشر في كل الاتجاهات أكثر

كثيراً مما يمارسه باستعارة المفهومات الأداتية واستخدامها الفعلي. ويبدو، بصورة مفارقة، أن الموضوعات الماركسية الأكثر فاعلية في فلسفة العلوم هي من طبيعة هيغلية على نحو أساسي؛ تلك هي فكرة تحوّل العلم بقطيعات وتوقّفات وفكرة الاختبارية المضادّة لدور «المقولات الفلسفية» الإيجابي، الذي يهيّىء تجديد مفهومات العلم.

التيارات المعاصرة

بيان مصادر الاستلهام العميق للإبستيمولوجيا المعاصرة لايكفي على الإطلاق مع ذلك لتكوين رسم البروز والمسيرة للتيارات المرئية في السطح.

1- **ذُرّية الفلسفة الوضعية**. إن الشاب ويتجنشتاين (1889 -1951) وأعضاء **حلقة فيينة** (من 1923حتى نحو 1938) هم الذي يجدّدون بالتأكيد الفلسفة الوضعية بوصفها فلسفة العلم ويسهمون في أن يزرعوا في الوسط الأنغلوساكسوني فكرة ذات منشأ قارّي تماماً. ووجهة النظر السائدة أول الأمر هي وجهة نظر الثنائية في مصادر المعرفة، ووجهة نظر تبين عند كارْناب (1891 -1971) بالتمييز بين علوم الحوادث والعلوم الصورية. ولكن التوجّه الاختباري العميق هو الذي، على وجه الخصوص، يتحكّم في المحاولات المختلفة لتكوين موضوع العلم، تكوينه الأساسي، بوصفه إقامة ضرب من منطق العالم المحسوس (كارناب، روسّل، غودْمان). وفي سياق مختلف كل الاختلاف، ومع مقاصد أقلّ منهجية وأكثر ارتباطاً بالإشكاليات الخاصة بالميكانيك، وعلم الفلك، والفيزياء، ذلك هو تماماً ما كان ينشده هنري بوانكاره (1854 -1912). ويمكننا أن نتردّد، ونحن على صواب، بأن نذكر أيضاً هنا الأسلوب الفلسفي لمدرسة أوكسفورد التحليلية بوصفها من أجيال الفلسفة الوضعية (منشقّة جداً). ولكن انحيازها إلى التمسّك بتحليل اللغة العادية وتجنّب الأنطولوجيات المغالية في الطموح يحضنّنا بكفاية على ذكرها.

2- **«هالة» البنيوية**. كلمة «بنيوية» لاتقابل أبداً مفهوماً محدّداً بوضوح، مع أنها ذات استخدام واسع جداً. ونحن نفهمها هنا بوصفها تنطبق على

الإبستيمولوجيات المعاصرة (قارية على وجه العموم) التي تأخذ العلوم بصورة أساسية أنها منظومات عضوية من المفهومات. والنموذج الأصلي لهذا التصور هو ألسنية سوسّور. ولكن هذه الفلسفات، فلسفات العلم، يمكنها أن تختلف فيما بينها اختلافاً جذرياً تبعاً للطبيعة المنطقية الرياضية أو المنطقية التاريخية، التي تُعزى إلى هذه المنظومات. وإبستيمولوجيا الألسنية ذاتها هي، على نحو طبيعي، أحد الميادين التي يظهر فيها هذا الاتجاه، ولكنها تُحدث فيه أوضاعاً متباينة، (هجيلمسليف، شومسكي). وفي مجال العلوم السيكولوجية والاجتماعية، نجد التنافرات نفسها. وإذا كان «البنيويون كلهم» يحاولون تماماً أن يكوّنوا مجدّداً منظومات الفكر الخاصة بالموضوع الإنساني، فإن ليفي شتراوس يعالج الموضوع الأنتروبولوجي إما أنه شبكة من تبادلات الأشخاص (علاقات القرابة)، وإما بوصفه مجموعة من بدائل الموضوعات (الأساطير)؛ ويفحص بياجه سلوك الطفل فحصاً دقيقاً ليتعرّف فيه مراحل التَبَنْيُن المؤقت لعمليتي تمثّل الفرد ومطابقته مع العالم الخارجي؛ ويجمع فوكول في مؤلفات الاقتصاديين، والنحويين، و الأطباء، تلك الأجزاء التي يريد أن يؤلف منها اللوحات المتتالية للمعايير الكامنة التي تفرض نفسها، من الناحية التاريخية، على المعارف المختلفة.

3- **تأثير الماركسية الجديدة**. الإبستيمولوجيا الماركسية، كما نمت في الاتحاد السوفييتي، معروفة لدينا معرفة غير كافية أبداً بحيث أننا غير قادرين على أن نقيّم إسهامها الأصيل، متجاوزين مجرّد التأكيدات المبدئية للمادية الجدلية. إن غالبية الإبستيمولوجيين، في فرنسة، الذين يستندون إلى الماركسية، يستأنفون موضوعات باشلار لتطور المفاهيم العلمية، إذ يلحّون على الثورية التي تسم تكوين علم، قياساً على الأشكال السابقة، أشكال المعرفة.

المشكلات

1- **منطق الكشف العلمي**: كيف يحدث البرهان في علوم الطبيعة؟ إن غالبية البحوث الحالية في هذا الموضوع تدور حول معنى مفهومي **الشرح** و**إثبات**

الفروض. فقضية كارل بوبر (Popper) (1959)، التي تلحّ على سهولة المنال لشرح علمي للنقض وعلى تعذّر برهان إيجابي صارم، تظلّ نقطة انطلاق أساسية.

2- **العلم بوصفه سيرورة تاريخية**. على حدود الإبستيمولوجيا وتاريخ العلوم، كانت مسألة مسار الثورة العلمية ومحركها موضوعاً مفضلاً لدى الإبستيمولوجيين الفرنسيين من كورنو (1801-1877) ودوهيم (1861-1916) إلى برانشفيك (1869-1944) وباشلار (1884-1962) وكانْغيليم. فعقلانية الفكر العلمي ضرب من الفتح، تباشر عملها بانقطاعات متتالية وتقيم معايير مؤقتة للموضوعية. إنها فكرة مشابهة جداً أدخلها، على نحو أحدث، ث. كوهن (1962) باسم «أنموذج تفسيري»، ولكن مع الإلحاح، على عكس باشلار، على ضرب من اللاتواصلية المزعومة بين النماذج التفسيرية المتتالية.

3 - **طبيعة الفكر المنطقي الرياضي**. سبّبت كشوف المناطقة العظمى كجودل (1931) وتارْسكي (1936)، تجديداً في إبستيمولوجيا المنطق والرياضيات كما كانت قد تكوّنت في عصر بوانكاره وروسّل. ويقترح جـ. كافايّه (1903-1944) تفسيراً لعلاقات الحدس والمفهوم، تدعمه دعماً متيناً معرفة مفصّلة ومعمّقة بتاريخ الرياضيات الحديث، وتغذّيه علاقة صميمية بالفلسفة الكلاسيكية. ويدشّن، في المجال الأنغلوساكسوني، و. فان (و) أو. كواين، من جملة آخرين، ضرباً من «المنطق الفلسفي» الذي يمنح المذهب الاسمي معنى المصالحة إذا جاز القول، ويبني، فيما يخصّ الشكلانيات المنطقية الرياضية، الميتافيزيقا المعاصرة، ميتافيزيقيا المعرفة الأكثر رهافة وجدّة دون شك (كواين، 1960).

4 - **طبيعة المفهومات الفيزيائية الرياضية**. تطرح مفهومات علوم الطبيعة ونظرياتها، ولاسيما العلوم الفيزيائية، ثلاثة نماذج من المشكلات على الإبستيمولوجيين: مشكل نقد مفاهيم المكان والزمان والسببية، إذ يجدّد موضوع نظريات المعرفة الكلاسيكي (مثال ذلك غرونْبوم في الولايات المتحدة الأمريكية، جـ. مرلو بونتي في فرنسة، بمنظور أكثر اتصافاً بأنه تاريخي)؛ ومشكل إعداد جملة

من الأولّيّات (axiomes) للمنظومات (مثال ذلك كارناب وبونْج في العالم الأنغلوساكسوني)؛ وأخيراً مشكل تكوين هذه المفهومات وتسلسلها المنطقي الممكن، انطلاقاً من المعاني والممارسات قبل العلمية، مشكل قاربه على نحو أصيل جداً جـ. بياجه ومدرسته، من زاوية سيكولوجية الذكاء، في أعمال الإبستيمولوجيا التكوينية.

5 - **مفهومات علوم الحياة**. المسائل التي تطرحها نوعية الموجود الحيّ لاتزال، في أيامنا هذه، صعبة الانفصال عن المسائل التي تثيرها نوعية **معرفة الحياة**. ولهذا السبب، فإن الأعمال التي تنصبّ على تفسير التطوّر (ف. ر. ميير، 1954، جـ. مونود، 1971)، أو على تفسير المرضي (كانغيليم، 1971؛ فوكول، 1963)، تقع على حدود ضربٍ من إبستيمولوجيا علوم الحياة ومن فلسفة الحياة.

6 - **مشكل الحوادث الإنسانية ومعناها**. نموّ المحاولات الخاصة بمعرفة علمية للإنسان يرافقها تفكّر إبستيمولوجي ربما يكون حيّاً ومثيراً للجدل بمقدار ما تكون الإجراءات هنا أكثر تنوّعاً والنتائج أكثر ريبية. ويبدو أن هذه الإبستيمولوجيا تدور حول موضوعين كبيرين. فدور وطبيعة الرياضيات والفكر الصوري، بصورة عامة، كما يظهران في علم الاجتماع، والأنتروبولوجيا، وعلم النفس، والألسنية، يكوّنان الموضوع الأول. وعلاقات النظرية والممارسة، وطبيعة الموضوعية في علوم الإنسان، تقدّمان الموضوع الثاني.

والأهمية التي تتّخذها في أيامنا هذه الإبستيمولوجيا بين فروع المعارف الفلسفية هي، جزئياً على الأقل، نتيجة التسارع المدهش في العلوم خلال النصف الذي ينصرم من هذا القرن، وكذلك نتيجة التنامي الظاهر في دورها المعترف به من الناحية الاجتماعية. وهو أمر لايعني مع ذلك أن للعلم في عصرنا تلك الفلسفة التي يستحقها، ولايعني أننا أيضاً نسير في اتجاه نظرية للعلم موحّدة ومقبولة كلياً.
(انظر في هذا المعجم: **الألسنية**، **النموذج التفسيري**، **الزمن**).

G.G.G.

الإبستيمولوجيا التكوينية: F: Épistémologie génétique

En: Genetic epistemology

D: Genetische epistemologie

فرع علمي من المعرفة يدرس نشوء مقولات الفكر الأساسية.

الإبستيمولوجيا التكوينية يمكنها أن تُعرّف أنها «علم أجنّة العقل» (جان بياجيه، 1950). إنها تنكبّ، لفهم طبيعة الفكر، على دراسة تحوّلاته وشروط المعرفة وقوانين تناميها. أما طرائقها، فهي طرائق تاريخية نقدية وسيكولوجية تكوينية. ولاينبغي أن نخلط بين الإبستيمولوجيا التكوينية وعلم النفس التكويني، الذي تلجأ إليه مع ذلك لأنها تتضمّن دائماً فروضاً سيكولوجية تُخضعها لرقابة التجربة والوقائع. إنها ضرب من **نظرية المعرفة**، التي تقتضي عون باحثين عديدين ينتمون إلى فروع معارف شتّى: علم النفس التكويني، المنطق، الرياضيات، تاريخ العلوم والتقنيات، إلخ. ولهذا السبب أسّس جان بياجيه (1980-1996)، عام 1953، **المركز الدولي للإبستيمولوجيا التكوينية**. (انظر في هذا المعجم: **الإبستيمولوجيا**).

N.S.

الاتجاه

F: Attitude

En: Attitude

A: Attitude, Haltung, Einstellung

النحو الذي يكون عليه الفرد في وضع من الأوضاع.

مفهوم الاتجاه، الأساسي في علم النفس، وفي علم النفس الاجتماعي على الأخص، ضبابي، ذلك أنه يشمل شتى المعاني. إنه يدلّ على توجّه الفكر، والاستعدادات العميقة لوجودنا (اللاشعورية على الغالب) التي تقود تصرّفنا. ويدلّ أيضاً على الوضعات الجسمية (مثال ذلك وضعة رامي القرص أو المفكّر)، والسلوكات الاجتماعية (الاتجاه الإحساني...)، والحالة الذهنية، حالتنا، أمام بعض القيم (قيمة الجهد، قيمة المال...)، إلخ. وترتبط اتجاهاتنا بالشيء الذي تظهر إزاءه بقدر ما ترتبط بنا نحن وبدافعياتنا الخاصة: مثال ذلك أم، لطيفة ودود عندما يكون طفلها مريضاً، ستظهر قاسية صلبة عندما سيعمل في المدرسة عملاً غير مرْض. ونميّز مع ذلك، من خلال تموّجات الاتجاهات لدى شخص، ميله العام الذي يخصّه. والاتجاه حامل معنى، على الدوام، إن لم يكن حامل نيّة (مثال ذلك الاتجاه المنفتح أو المتحفّظ لمسافر يستقرّ في مقصورة قطار).

وفي عداد الاتجاهات، نميّز الاتجاهات الشخصية التي لايُعنى بها إلا الفرد (الأشياء الجمالية المفضّلة على سبيل المثال) من الاتجاهات الاجتماعية (الخيارات السياسية...) التي لها انعكاس على الجماعات. ولكن ما يميّز هذه وتلك هو أن

الأمـر ذو عـلاقـة دائمـاً بمجـمـوع من الارتكاسـات الشـخـصـيـة على مـوضـوع محدّد: حيوان، شخص، فكرة أو شيء. فالفرد يدركها هو ذاته بوصفها حالات وجدانية، عواطف أو قيم، تشكّل جزءاً لايتجزأ من شخصيته، وذلك أمر يجعلها قريبة عن كَثَب من سمات الطبع. وهي تختلف عن سمات الطبع ذلك، يقول جان ستونزل، بتبعيتها للموضوع؛ إنها ارتكاسات على أوضاع يمكنها أن تتغيّر معها. ومـثـال ذلك أن من الممكن، في عـمـل مـعـيّن، أن يتـعـدّل الإنجـاز إذ نؤثّر على الاتجاهات بمجرد تعديل التعليمات. وعلى هذا النحو إنما نطلب، بعد أن نؤلف أربع جماعات من الأفراد عُهد إليهم حفظ قائمة من المقاطع الخالية من المعنى، إلى أفراد الجماعة أن يعودوا في اليوم التالي لجلسة ثانية؛ ولأفراد الجماعة ب، نوضّح أن القائمة نفسها ستتكرّر وسيكون ثمة قائمة أخرى للحفظ؛ ويُخبر أفراد الجماعة جـ أن القـائمة الجـديدة ستـثـير تداخـلات مع الأولى؛ أما أفـراد الجـمـاعة د، فإننا نخطرهم على أن عليهم مقاومة هذه الظاهرة من التداخل. والنتائج هي ما هي عليه بحيث يمكننا أن نرتّبها ترتيباً تصاعدياً، من الجماعة الأولى إلى الجماعة الأخيرة. فالاتجاه هو إذن على وجه الضبط حالة ذهنية تهيىء للعمل، قادرة على أن تجنّد كل منابع الشخص، تبعاً للوضع. وسواء كان المقصود وسائل حسّية (حالة الخفير الذي يستنفره أوهى تغيّر في المحيط)، أو قوى عضلية تحت رقابة الجملة التي تنظّم التيقّظ (ثمـة توتّر عـضلي للعـضـوية الجـاهزة للعـمل، يمكننا أن نحـدّده بفـضل مـخطّط الكهربائية العضلية)، أو القدرات العقلية (حالة الطالب الذي يحضّر امتحاناً)، فالاتجاه هو الموضوع موضع التساؤل في اللحظة البدئية لاستجابة العضوية لوضع محدّد. وبوسعنا، من الحيوان إلى الإنسان، ومن الوضعات الجسمية إلى الأدوار الاجتـمـاعـيـة، أن نتبع النحـو الذي تتوطّد عليـه الاتجـاهات. فـخـلال تجربة من التجارب، نروّض فأراً على أن يختار بين ثلاث علب تلك العلبة المنيرة. وعندما يستقرّ الإشراط، نمسك الحيوان لحظة قصيرة خلال البرهة التي سينطلق في سيره إلى اختيار العلبة، ونطفىء النور. فنلاحظ أن الفأر يتّجه نحو العلبة المعنيّة إذا لم تتجاوز المهلة بعض الثواني وإذا كان قد اتّخذ وضعة السير. وعندما نرتفع في السلم

الحيواني، تكون المهلة ممكنة الاستطالة، واتجاه الوضعة غير ضروري. ويمكننا، لدى الشمبانزي، أن نحصل على ارتكاس مؤجّل عدة ساعات؛ وفي هذا المستوى، يبدو أن اتجاهاً ضمنياً، رمزياً، يحلّ محلّ الوضعة. ونحن نجد مجدّداً، لدى الإنسان، اتجاهات ضمنية في الأدوار الاجتماعية، مثال ذلك عندما يتوقّف طبيب، ذاهب لقضاء عطلته، في الطريق ليعالج جريحاً. فالاتجاه يصبح إذن حالة شبه دائمة من التهيّؤ للعمل، أو، إذا استأنفنا مصطلح نعوم شومسكي، **كفاية** خاصة، وذلك أمر يميل إلى أن يبرهن على أن الاتجاه والقابلية (كلاهما مشتقّان في الفرنسية من اللاتيني aptitudo) ليسا سوى وجهي واقع واحد. ويبدو أن عالمي النفس السوفييتيين إوزنادز، ف. باسّين، قريبان من مثل هذا التصوّر. والواقع أن مصطلح اتجاه يُقال في اللغة الروسية Ustanovka، الذي يدلّ في معناه الشائع على «تشييد»، إنشاء». فيبدو إذن أنه يدلّ، في ذهن إوزنادز، على معنى جهاز مرصود لمواجهة مشكلات عديدة وغير متوقّعة» (س. كوبرنيك، 1970، ص193). وفي رأي إوزنادز أن «الاتجاه نمط متحرك، جاهز (...)، وظيفته الأساسية أن يرصن الإعلام الذي تتلقّاه الجملة العصبية، دون أن يكون هذا العمل، لهذا السبب، مدرجاً في ساحة الشعور» (س. كوبرنيك).

ولا يكوّن الاتجاه معيشاً مشخّصاً بل هو حال وجودية، جاهزية للإحساس، والإدراك، والارتكاس، على نحو خاص. ويقيم إوزنادز نظريته على تجارب في علم النفس مختلفة. مثال ذلك أن يضع في يدي فرد كرات متساوية الوزن ومختلفة الحجم، إذ يحرص على أن تكون الكرة الأصغر في اليد نفسها؛ ثم يعرض عليه كرات أخرى متساوية الوزن والحجم، ويطلب إليه أن يحدّد الكرات الأكبر؛ فالكرة التي تمسكها اليد التي كانت توجد فيها الكرات الصغرى، في الطور الأول من التجربة، هي التي تُدرَك، بصورة منتظمة، أنها الأكبر. وفي رأي إوزنادز أن هذا الوهم الإدراكي هو مظهر منظومة القيم (للاتجاه) التي استقرّت في حياة الفرد النفسية، على غير علم منه، منظومة ستؤثّر في تجاربه المستقبلية. فالاتجاه قوة

حركية تنمّي حظوظ النجاح في مشروع من المشروعات عندما تكون إيجابية. وذلك أمر حسّاس في العمل وفي التعلّم على وجه الخصوص. فبين الاتجاه والإنجازات صلة واقعية تعمل في الاتجاهين، ذلك أن الإنجازات تؤثّر في الاتجاهات أيضاً إذا كانت الاتجاهات تحدّد الإنجازات.

والاتجاه يعني الشخص برمّته، ماضيه وحاضره، تكوينه وتجاربه، بنيته النفسية الوجدانية وضغوط المحيط عليه: ضغوط أسرته، أول الأمر، أسرته التي يكون تأثيرها حاسماً، وضغوط المدرسة أيضاً، والكنيسة، وشعبه، والطبقة الاجتماعية، والمهنة وكل التجمّعات الاجتماعية التي ينتمي إليها. كلها تعمل بدقة، على الأغلب، في اتجاه إضفاء التجانس على اتجاهات أعضائها الذين يميلون، من جهتهم، ميلاً تلقائياً إلى أن يمتثلوا لمعايير جماعاتهم. ومثل هذا العمل يجد تعبيره في دُرْجة اللباس، والعادات والأعراف، والآراء والمعتقدات، بل في الإدراكات كما برهن على ذلك موزافير شريف (1936) في تجاربه على قابلية الإيحاء لدى الأشخاص في الجماعة. فقوة الضغط الاجتماعي هي ما هي عليه بحيث أن الاتجاهات الأكثر شذوذاً يمكن أن تتبنّاها قبائل وشعوب بكاملها: ممارسة وأد الأطفال لدى شعوب الآريوا (Arioi) في تاهيتي، حيث أن النساء اللواتي لم يكنّ يقتلن أطفالهن المولودين حديثاً، منذ أن يروا النور، كن محتقرات وموصوفات أنهن «صانعات أطفال»؛ وثمة تضليل الايديولوجية النازية (65 بالمئة من الألمان الراشدين انتسبوا إلى الحزب الاشتراكي الوطني، من 1939 إلى 1945). فالفرد يؤمّن اندماجه الاجتماعي حين يتبنّى معايير جماعته؛ ويتعرّض إلى أن تنبذه الجماعة حين يرفض هذه المعايير. وليس ثمة اتجاهات معزولة، بل مجموعات من الاتجاهات منضمّة في منظومات متماسكة (ث. أدورونو ومعاونوه 1950؛ س. أ. ستوفر ومعاونوه1949 ، 1950). والعرقية، على سبيل المثال، ترافقها الامتثالية والخضوع للسلطة، والاقتناع بالسمو والأفضلية على «الآخرين»، الخ، فالرغبة بالانتساب الاجتماعي، في هذه الحالة الخاصة، لاتشرح كل هذه الميول

والتصرّفات؛ ولكن عاطفة الانتماء إلى جماعة ذات تبنين قوي ضرب من التعزية، ودعم ضد الحصر. بحيث أن الاتجاه يؤمّن، من الجانب الآخر من وظيفته، وظيفة الاندماج الاجتماعي، وتوازن الفرد النفسي، إذ يعمل على المستوى الوجداني بوصفه آلية دفاع للأنا. ويبدو أن قوة الأنا تشرط الاتجاهات: كلما كانت الأنا قوية، كانت الاتجاهات مستقلة، منفتحة ومرنة؛ وكلما كانت ضعيفة، وكلما احتاجت إلى نظام إحالة متين، كانت الاتجاهات صلبة. وثمة تأكيد لوجهة النظر هذه يمكنها أن تكون موجودة في أعمال هارفه ومعاونيه (1961) التي تتناول التسامح مع اللبْس. فهؤلاء المؤلفون يميّزون بين أربع فئات من الأفراد، بدءاً من أولئك الذين لايتحمّلون اللبْس حتى أولئك الذين يتوافقون معه توافقاً كاملاً. إن للأوائل شخصية صلبة؛ وعالمهم مخطّط، معقّد، متبنين بقوة؛ اتجاهاتهم بسيطة وراسخة. أما الأخيرون، فإنهم، على العكس، يقبلون، إذ يعترفون بالتعقّد اللامتناهي للوجود، تعدّدية الآراء والمعتقدات وتنوّعات محيطهم أيضاً. إنهم يتكيّفون معه بسرعة، إذ يصنعون إجابات تلائم الأوضاع الجديدة. إنهم أيضاً، يوضّح ي. ريم (1973)، أشخاص أذكى، وأكثر استقراراً من الناحية الانفعالية، من الأوائل.

وملاحظة الاتجاهات، بالنسبة لعالم النفس، تقدّم الفائدة الكبرى، ذلك أنها تتيح له أن يتنبّأ كيف سيكون ارتكاس بعض الأشخاص إزاء القيم أو المنبّهات الخاصة. وبمتناوله، في علم النفس العيادي، طرائق إسقاطية وطرائق المحادثة، وفي علم النفس الاجتماعي، تُستخدم الاستبانات، والمقابلة وسلالم الاتجاهات. فالاتجاهات ثنائية القطب كلها (سلبية أو إيجابية، مؤاتية أو غير مؤاتية)، ولها دائماً ضرب من الشدّة يمكنها أن تمضي من الكره إلى الحب، من اللامبالاة إلى الهوى؛ فبوسعنا إذن أن نرتّبها على سلالم. أي يمكننا أن نقيسها. ولإجراء من هذا النوع فائدته، ذلك أنه يكوّن في وقت واحد وسيلة معرفة ووسيلة تواصل وعمل: إننا، إذ نطلب رأي الناس (مستهلكين، جنود، موظفين...)، نباشر حواراً يمكننا بفضله أن نفهمهم فهماً جيداً، ونكتشف رغباتهم غير المتحققة ونتداركها. وإذا كان

هذا الاجراء يقدّم إلينا مع ذلك معلومات عن الحالة الذهنية لجماعة من الجماعات (حيث القوانين الإحصائية، إذ تذيب الفروق الفردية في مبادىء عامة)، فإنها لايمكنها أن تشرح الخاصيّات (أي الخصائص السيكولوجية البارزة لكل فرد).
فالإجابات عن رائز أو عن استبانة اتجاهات لاتعكس السلوك بالضرورة كما أن تصرّفاً من التصرفات غير ذي علاقة بالدافعيات حتماً (مثال ذلك أن اتجاه المساعدة يمكنه أن يكون ذا أسس أنانية). وكثير من الناس بيننا قادرون على قبول قيمة مبدأ دون أن يضعوا هذا المبدأ موضع الممارسة (مثال ذلك أننا نعلن أن العرقية شذوذ عقلي معارضين في الوقت نفسه زواج أحد أطفالنا من شخص من عرق آخر أو دين آخر). وقاد مثل هذا التناقض بين الإجابات اللفظية والسلوكات بعض علماء النفس إلى أن يتخلّوا عن استخدام روائز الاتجاهات (هـ. شومان، 1972).
والحقيقة أن ثمة مستويات في الاتجاهات: فبعضها، المتجذّر بعمق، كانت قد اكتُسبت بالتربية والتفكّر الشخصي؛ إنها، بوصفها راسخة جداً ودائمة، تعارض التغيّر بمقاومة كبيرة. وبعضها الآخر أكثر سطحية بكثير؛ إنها، بوصفها «اتجاهات محاولة» (لورج)، يمكنها أن تتعدّل بالإعلان. ومهما يكن من أمر، فإن مفهوم الاتجاه يشغل مكاناً أساسياً في علم النفس. إنها تكوّن، يقول سيرج موسكوفيتشي (1961، ص 266) «**مصطبة** تتيح المرور من الواقع الاجتماعي إلى الواقع السيكولوجي، والعكس بالعكس». وهي أتاحت لعلم النفس الاجتماعي، إضافة إلى ذلك، أن يصبح «العلم الوسيط ذي المجال المحدّد: الاتجاه» (انظر في هذا المعجم المصطلحات التالية: **آلية الدفاع**، **الدور**، **الاتجاهات الاجتماعية**).

N.S.

الاتجاه الاجتماعي

F :Attitude Sociale

En: Social attitude

D : Soziale Einstellung

الاتجاه استعداد مكتسب للارتكاس دائماً، على نحو معيّن، على شخص، فكرة، أو شيء. والاتجاه اجتماعي عندما يكون لموضوعه مدى اجتماعي، عام (الاتجاهات الشخصية مستبعدة إذن). فنزعة التمركز على الإتنية إذاً، ونزعة السلام، والاشتراكية، اتجاهات اجتماعية، في حين أن حب الكلاب، والموسيقى المشخّصة، والجبنة، اتجاهات شخصية.

ويتقن علماء النفس قياس الاتجاهات منذ بداية السنوات العشرين من هذا القرن، بعد أن وضع ل. ل. ثورستون (1887 -1955) المبادىء الإحصائية وبنى السلالم الأولى للاتجاهات إزاء الكنيسة، والجنوح، إلخ. ولبناء سلّم، نعدّ عدداً كبيراً من الأقوال عن الموضوع المختار، بعضها مناسب، وبعضها غير مناسب، يقوم عدة حكام بتدوين علامة عليها من 1 إلى 10، كل منهم على انفراد. وتتيح مواجهة الحكام ترتيبها، إذ تعزى إليها قيمة عددية (العناصر، أي الأقوال التي لايتّفق عليها الحكام، تعتبر قليلة الوضوح وتستبعد) ولا يُحتفظ للسلّم النهائي إلا بالأقوال التي تكون انحرافاتها متساوية، من الأكثر مناسبة إلى الأكثر اتصافاً بأنها غير مناسبة. ويكون السلم عندئذ ممكن التطبيق على جماعات من الأفراد. وكلّ فرد منهم ينال علامة عددية، وفق العناصر التي يقبلها أو يرفضها، علامة تحدّد موقعه الصحيح على السلّم. ويجري البرهان على صحة هذه الأداة بواسطة جماعات الضبط

(المراقبة). والواقع أننا يمكننا أن نتوقّع أن ينال أعضاء من حزب محافظ علامات ضعيفة في سلّم قياس الاتجاهات الاشتراكية، كذلك سيكون لأولئك الذين يرغبون في مجتمع ذي نزعة «عقلانية» علامات ضعيفة في سلم اتجاهات الاعتقاد بالله. وبيّنت دراسات الصحة، التي جرت بعدد كبير، أن لمثل هذه القياسات دقة كبيرة حقاً.

وليست الاتجاهات مستقلّة بعضها عن بعض؛ إنها تكوّن بنيات (**نماذج**) يمكننا أن ندرسها إذ نحسب الارتباطات بين النتائج لعدّة سلالم. وهكذا فإن اتجاهاً مؤيّداً للدين يرتبط على وجه العموم ارتباطاً إيجابياً مع الانتساب إلى الرأسمالية وسلبياً مع الانتساب إلى فكرة الجنس الحر. فبين غالبية الاتجاهات الاجتماعية ارتباطات قوية من هذا النوع. ويتيح تحليل عاملي لهذه الارتباطات الإحصائية أن يبيّن الميول (أو العوامل الأساسية) التحتية. فالعامل الأول الذي يبدو على هذا النحو هو الراديكالية، المقابل لنزعة المحافظة، كما يتوقّع الحسّ السليم ذلك. والعامل الثاني، المستقلّ عن الأول، هو المثالية- الواقعية. إن المثاليين يعتقدون أن السلوكات تحدّدها المفاهيم الأخلاقية والدينية، في حين أن أصحاب النزعة الواقعية يعتقدون بالقوة والمناورة. وتتمايز الأحزاب السياسية تبعاً لهذين العاملين، وبوسعنا القول إن الشيوعيين واقعيون- راديكاليون، والفاشيين واقعيون محافظون، في حين أن الاشتراكيين والمحافظين هم، على التوالي، راديكاليون ومحافظون، ولكن في منطقة وسطى بالنسبة للنزعة الواقعية. وهكذا يتوزّع ناخبو هذه الأحزاب وفق شكل هو حدوة حصان، يحتلّ الشيوعيون والفاشيون طرفي الحدوة والليبيراليون يحتلّون المنحنى.

وثمة أعمال حديثة بيّنت أن الاتجاهات ليست مكتسبة فحسب، ولكنها ذات مصدر وراثي أيضاً. وتبيّن دراسات التوائم الحقيقية والكاذبة اتفاقاً لدى الحقيقية أكبر بكثير منه لدى الكاذبة، بالنسبة للراديكالية والنزعة الواقعية على حدّ سواء؛ ويبيّن التحليل الإحصائي أن أكثر من نصف الانحرافات بكثير ذو علاقة بالجهاز

الوراثي . وهذا النصيب الوراثي وسيط على وجه الاحتمال بالنسبة لعوامل الشخصية . وهكذا فإن الانبساطيين هم واقعيون بالحري والانطوائيين مثاليون بالحري . ومن المعلوم الآن أن عوامل وراثية تحدّد الشخصية بنسبة كبيرة، ومن الممكن أن تؤثر هذه العوامل في الاتجاهات الاجتماعية تأثيراً مباشراً . (انظر في هذا المعجم : **الاتجاه، طريقة التوائم ، الشخصية**) .

H.J.E. (ترجمة **D.J.V.**)

الاتّزان الحيوي

F : Homéostasia ou Homéostase

En: Homeostasis

D : Homöóstase

مجموع ارتكاسات فيزيولوجية أو غريزية تنزع إلى أن تصون شروط توازن العضوية ثابتةً.

تعرّض للخطر تفاعلات الموجود الحيّ ووسطه، والعمل الوظائفي نفسه للجسم، في كل لحظة، توازنَ العضوية الفيزيائي الكيميائي الداخلي، الذي ينبغي لهذه العضوية أن تعيده إلى ما كان عليه باستمرار. وهذا المبدأ، الذي استشعره كلود برنار (1813 -1878) من قبلُ، كان عالم الأعصاب الفيزيولوجي الأمريكي ولتر برادفورد كانّون (1871- 1945) قد بسطه باسم **الاتزان الحيوي**. وتثير تغيّرات الوسط الداخلي تعديلات توتّرية لغشاء الخلايا، ولاسيّما غشاء المستقبلات الداخلية وتنجم عن ذلك تغيّرات في خصائصها الحيوية الكهربائية والكيميائية الحيوية، إذ تحرّض ضرباً من الفاعلية التي تطّلع عليها المراكز العصبية الدامجة، وبخاصة تحت المهاد. ومثال ذلك أن تغيّراً مفاجئاً في الضغط الشرياني ستسجّله مستقبلات الشريان السباتي؛ وإذ ينتقل الإعلام إلى الدماغ، فإن هذا الدماغ يؤثّر بالدروب العصبية الغدّية في عضلة القلب، والغدّتين فوق الكلويتين والجدران الدموية حتى يعود التوازن إلى ماكان عليه. ومثال ذلك أيضاً أن الكبد يحكم آلياً، بعد وجبة غنية بالسكريات، إنتاج السكر لديه على مستوى سكر الدم، في حين أن البنكرياس يفرز الأنسولين الذي يعيد تمركز السكر في الدم إلى الحدود الطبيعية

وسيكون خطأً مع ذلك أن نعتقد أن الوسط الداخلي لعضوية سليمة ثابت دائماً. فثمة، في الحالة الطبيعية، تغيرات دورية أوضحتها دراسات البيولوجيا الزمنية. وهذه التقلّبات الإيقاعية منتظمة ومتوقّعة. إنها تمنح مفهوم الاتزان الحيوي بعداً آخر أكثر تعقيداً ولكنها لاتعارضه. وليس إلا بدءاً من عتبة معيّنة إنما يوجد عدم التوازن ويُخطر به الفرد فيحدث عندئذ ارتكاس من اليقظة المعمّمة، تليه سريعاً حالة من اليقظة الموجّهة وضرب من تصرّف العضوية متكيف مع المنبّهات الداخلية والخارجية. ومثال ذلك أنني أنهض من فراشي، في ليل بارد من ليالي الشتاء، لأضع مجدّداً على السرير غطاء الرِجْل ذي الزغب، الذي كان قد سقط على أرضية الغرفة؛ أو أنني أيضاً أوقف عملي لأمضي أشرب الماء أو أتناول الطعام. وينطلق السلوك النوعي عندما تأخذ العضوية علماً بوجود فقدان للتوازن غير طبيعي، ولايتوقف عندما يُعاد التوازن الحيوي إلى ما كان عليه، بل يتوقّف بدءاً من اللحظة التي تُستخدم فيها الإجراءات التعويضية. ومثال ذلك أن كلباً عطشان، أُحدث في مريه اصطناعياً ناسور، يتوقّف عن شرب الماء بعد أن لعق منه كمية معيّنة؛ ولم يبلغ السائل معدته مع ذلك، ولكنه يكفي، حتى يكون ظمأه قد ارتوى (مؤقتاً)، أن تنقل المستقبلات النوعية للعطش الموجودة في الفم والمري إلى الدماغ ذلك الإعلام الذي مفاده أن الحيوان شرب الماء. وثمة تجربة مشابهة استطاع أن ينجزها م. كوهن (1951) فيما يخصّ الجوع ذا المستقبلات النوعية المتموضعة في المعدة على وجه الخصوص. فحقن كوهن مادة غذائية في معدة الفئران الجائعة؛ ولاحظ أن الفئران كانت قد توقّفت عن البحث عن الغذاء حتى قبل أن يكون بإمكان الشروط الكيميائية الحيوية للعضوية أن تتعدّل.

إن مفهوم الاتزان الحيوي موجود في أساس ظاهرات تكيّف مختلفة لاغنى عنها لاستمرار الحياة. فالجسم، يقول هانزسيلي (1907-1982)، يقاوم العوامل السمّية المتنوّعة، إذ يضبط ارتكاساته بفضل رُسُل كيميائية وتنبيهات عصبية تنتمي إلى نسقين مختلفين. فبعض هذه الارتكاسات، المسماة «مرافقة للعوامل السمّية»، تخلق حالة من تسامح الأنسجة السلبي، تتيح لها الوجود مع المتعدي، وبعضها

الآخر، المسمى «ضدّ السمّي»، يثير تعديلات كيميائية تنقل إلى أنسجتنا الأمر بأن تدمّر الغزاة تدميراً على نحو أكثر فاعلية أيضاً ممّا تفعله في الزمن الطبيعي. ووسّع ك. ب. ريختر مبدأ الاتزان الحيوي ليشمل علم النفس، وكونراد (المولود عام 1903) ليشمل دراسة السلوك. فالتصرف الموجّه نحو هدف يُفسَّر أنه بحث عن توازن جديد؛ وبناء عشّ، على سبيل المثال، ذو علاقة بوسيلة لمكافحة انخفاض حرارة الجسم. ويعتقد بعض العلماء في علم النفس الاجتماعي أن الضبط نفسه موجود أيضاً في المجتمعات. فهذه المجتمعات لا تستمرّ مستقرّة إلا بحركة الاتزان الحيوي. فالنزعة المحافظة تثير تمرّد العناصر التقدّمية، والمغالاة في النزعة الليبرالية تليها عودة إلى النزعة المحافظة. وليست الحركة نواسية على وجه الدقّة، ذلك أن المجتمع وُهب الذاكرة، والظاهرة ليست هي نفسها في المضيّ والعودة. فالتوازن الاجتماعي ليس سكونياً، بل هو دينامي، إنه يحدث بالتغيّر والحركة. انظر في هذا المعجم: **الحاجة، دورية الظاهرات الحيوية، السلوك، مبدأ الثبات**).

N.S.

الإتنولوجيا

F: Ethnologie
En: Ethnology
D: Ethnologie

الاشتقاق: من اليوناني ethnos، «شعب، و logos، «علم».

دراسة مقارنة وتفسيرية للمجتمعات، والثقافات، والشعوب (على وجه الخصوص تلك التي لا كتابة لها).

الإتنولوجيا هي المرحلة الثانية من بحث مرحلته الأولى، الوصفية، هي الإتنوغرافيا، ومرحلته الأخيرة، التأليفية، هي الأنتروبولوجيا. وتنشد الإتنولوجيا أن تبلغ المعرفة الكلية لطباع كل إتنيّة بقصد تحديد بنيتها وأحوال تطورها. وهي، في رأي مارغريت ميد (1901-1978)، «تهتمّ بالعلاقات بين طبيعة الإنسان الإنسانية ووسطها الطبيعي، وابتكاراتها التكنولوجية، وتنظيمها الاجتماعي، وبنيات الدين الرمزية والفن، والفلسفة (1939، مقدّمة، ص. XXV). وتقدّم لها الإتنوغرافيا تلك الموادّ التي تستخدم نقطة انطلاق لتأليف اتجاه يمكنه أن يكون، في رأي كلود ليفي ستراوس (مولود عام 1908)، «جغرافياً»، إذا أردنا أن ندمج معارف خاصة بجماعات مجاورة؛ تاريخياً، إذا كنا ننشد أن نكوّن مجدّداً ماضي شعب أو عدة شعوب؛ منهجياً أخيراً، إذا عزلنا هذا النموذج من التقنية، من العرف أو المؤسّسة، لنمنحها اهتماماً خاصاً» (1958، ص. 387). وبالنظر إلى أن مصطلح الإتنولوجيا يشمل جزئياً مصطلح الأنتروبولوجيا، فإن الأنغلوساكسون يميلون إلى إهماله حتى لا يحتفظوا إلا بمصطلح الأنتروبولوجيا (انظر في هذا المعجم: **المرض الخلاق**).

N.S.

الإثارة

F : Excitation
En: Excitation
D : Erregung

استجابة فيزيولوجية يستجيب بها مستقبل حسيّ، وبالتعميم عصبون أو ليف عضلي، لتنبيه حسي أو كهربائي.

تظهر الإشارة، على مستوى مستقبل أو مجموعة من المستقبلات الحسية، بتغيّر بطيء في كمون طاقة الخلية أو المجموعة الخلوية؛ وهذه الموجة هي **الكمون المولّد** الذي تتنامى سعته، مبدئياً، كتنامي لوغاريتم الشدّة المنبّهة، بدءاً من عتبة مطلقة من الإثارة. وينجم عن ذلك، في العصبون أو العصبونات، دفعة من **كمون العمل**، إيقاعه مرتفع بقدر ما تكون الإثارة قوية. فيجري الترميز العصبي الحسّي للشدّة إذن، شدّة تنبيه، بتعديل سعة الكمون المولّد، ثم بتعديل تواتر كمونات العمل في الدرب الحسّي. والشروط الفيزيولوجية الدقيقة للإثارة معروفة جيداً على وجه الخصوص في مرحلة نقل الرسالة الحسيّة إلى الوصل العصبي بين المستقبل والعصبون الحسي: إصدار **وسيط عصبي** (الأسيتيلكولين على سبيل المثال) موجود في حويصلات الوصل العصبي. وتظهر زيادة **الإثارة العصبية** (في يقظة الانتباه على سبيل المثال)، على مستوى أكثر إجمالية من العمل الوظائفي للمراكز العصبية، بـ **انعدام التزامن** في الموجات الدماغية التي يسجّلها التخطيط الكهربائي للدماغ: دورية أقلّ دقّة، سعة ناقصة، تواتر متنام. ومفهوم الكفّ يقابل مفهوم الإثارة بصورة متناظرة.

J.M.E

لمصطلح الإثارة معانٍ أخرى أيضاً. ويعني، على سبيل المثال، ارتكاس العضوية الإجمالي على تنبيه، كاستجابة الوليد الانفصالية اللاامتمايزة لكل مثير (ك. م. ب. بريدجز). ويدلّ بصورة أعمّ على الحالة الانتقالية للإثارة العقلية والهياج النفسي الحركي، التي قد يكون شخص خاضع لانفعالات حادّة أو مصاب بالتسمّم (كحولية على المثال) غائصاً فيها. فكل الآفات ذات العلاقة بالطب النفسي، الأعصبة، والذهانات، وضروب التخلّف العقلي، وعقابيل الالتهابات الدماغية، يمكنها أن تظهر، في لحظة معيّنة ولأسباب شتّى، بحالة من الإثارة العقلية، التي يرافقها على الغالب هياج حركي. وتوجد الإثارة الكبيرة، الدائمة، لدى المصاب بالهوس، الفرحِ، الثرثار، المتحرّك دائماً ويبدو أنه لايتعب. وعندما يصبح الهياج في ذروته، عنيفاً، يطرح نفسه مشكلُ ضرورة اللجوء إلى الطب النفسي. ومن الضروري عندئذ اللجوء إلى مهدّئات الأعصاب (بوتيروفينون، فينوثيازين) وعزل المريض في غرفة معتدلة الإنارة. وتُستخدم على الغالب أيضاً أملاح الليثيوم، ولا سيّما في الهوس الحادّ وتحت الحاد. (انظر في هذا المعجم: **الكفّ، الهوس، الوسيط الكيميائي، مهدّىء الأعصاب، التنبيه، الوصل العصبي**).

N.S.

إثولوجيا (دراسة السلوك الحيواني العفوي)

F : Éthologie

En: Ethology

D : Ethologie

الاشتقاق: من اليوناني ethos، «mœurs»، سنن وأعراف، وlogos، «discours»، «science»، قول، علم.

المعايير الإجتماعية للسلوك الخلقي في الجماعة. أو، بصورة أخصّ، دراسة السلوكات العفوية للحيوانات في مسكنها الطبيعي أو في المحيط القريب منه.

ومصطلح إثولوجيا، الذي استعمله جون ستيوارت ميل أولاً (1843، **نظرية في المنطق**، IV) للدلالة على دراسة تكوّن الطبع، استأنفه عام 1854 ايزودور جوفري- سان- هيلير (باريس، 1805- باريس، 1861) الذي منحه معناه الحالي.

والإثولوجيا تكوّن فرعاً من علم النفس الحيواني. وممثّلوه الأكثر شهرة هم الحائزون الثلاثة على جائزة نوبل في الطب عام 1973: النمساويان كارل فون فريش (المولود عام 1886) وكونارد لورنز (المولود عام 1903)، والنييرلندي نيكولاس تانْبرجن (المولود عام 1907). فالثلاثة جميعهم رفعوا الملاحظة الصبورة، الموضوعية، للتصرّفات العفوية لدى الحيوانات الحرّة، إلى مستوى طريقة علمية. فأبان لنا كارل فون فريش على هذا النحو، بصورة خاصة لغة النحل، في حين بيّن لورنز وتانْبرْجن أن العلاقات الاجتماعية بين حيوانات نوع واحد (إقامة التراتبات، الدفاع عن الأراضي، إلخ) تخضع لقوانين دقيقة.

والعلاقات بين الحيوانات المثيلة يحكمها **إدراك المنبّهات- الإشارات** النوعية التي تنشّط لدى الحيوان المستقبل **آليات إطلاق فطرية** . وآليات الإطلاق تتكوّن من اتحاد تشكّلات (**غشطالت**) من عناصر مورفولوجية (أشكال، مقادير، ألوان)، واتجاهات وحركات نمطية . والمنبهات- الإشارات يمكنها، في بعض الحالات، أن تقتصر على عنصر واحد (لون البطن لدى سمكة أبو شوكة الذكر، في فترة التكاثر، على سبيل المثال) .

وتنفذ دراسة السلوك الاجتماعي لدى الحيوانات في محيطها الطبيعي إلى مشكلات كتبادل الإعلام في الجماعات الحيوانية، وتعلّم أحد الصغار تلك القوانين التي تحكم المجتمع الذي وُلد فيه، الخ . فطرائق الإثولوجيا أتاحت، عند تطبيقها على الموجود الإنساني، لبعض المؤلفين، كالفرنسي هوربرت مونتانْتر (مولود عام 1939)، أن يغنوا معارفنا في علم نفس الطفل، وعلم النفس الاجتماعي، بل الأنتروبولوجيا . (انظر في هذا المعجم : **سيكولوجيا الحيوان، السمة الإدراكية، الذكاء الحيواني، لغة الحيوانات، لورانز (كونراد)، التنشئة الاجتماعية، إوكسل [جاكوب فون]** .

N.S.

الاجتياف

F: Introjection

En: Introjection

D: Introjektion

آلية سيكولوجية لاشعورية من الدمج المتخيّل لـ «موضوع» (شخص ، بطل ، مثال) أو بعض الأجزاء أو الصفات منه .

كان سندور فورنزي (1856-1933) قد أدخل هذا المصطلح في التحليل النفسي وتبنّاه سيمغموند فرويد (1856 -1939) الذي جعله يقابل بصورة بارزة مصطلح الإسقاط (أن نعزو إلى الغير أفكاراً، وصفات أو عواطف شخصية نرفضها في أنفسنا) . والاجتياف موجود لدى الراشد، ولكنه موجود على وجه الخصوص لدى الطفل الذي يجعل الصفات الواقعية أو المفترضة لنمطه أفكاره . إنها آلية مكوّنة للشخصية، تسبّب تعديلات في الأنا وتساهم، مع التوحّد، في إعداد عواطف أخلاقية وفي بناء الأنا العليا .

(انظر في هذا المعجم : **التوحّد، آلية الدفاع، الأنا، الأنا العليا**) .

M.S.

الأجر

F: Salaire
En: Wage, Pay
D: Lohn

مكافأة تُدفع مقابل عمل.

الأجـر يمكنه أن يُحـسب تبعـاً للزمن أو لمردود العـامل. فـ**الأجر بالزمن** (بالسـاعة، باليـوم، بالأسبـوع أو الشهـر) جزافي: الأجرة واحـدة أياً كـان العـمل المنجز. ولهذا النمط من المكافأة ميزة مفادها أنه يقدّم للعامل شيئاً من الأمن وأنه مفهوم بسهولة، ولكنه غير محرّض من وجهة نظر المردود.

الأجر بالقطعة متناسب مع إنتاج العامل: فكلما كان عدد الأشياء المصنوعة كبيراً، ارتفعت قيمة المكافأة. ولهذا النظام من دفع الأجور أيضاً مزايا ومحاذير. فلنلاحظ أن بين المزايا تكيّف العمل مع ايقاع العامل (إيقاع يمكنه أن يتغيّر من لحظة من النهار إلى أخرى، أو من يوم إلى آخر، بحسب حالة العامل الفيزيولوجية)؛ وبين المحاذير يمثل الإرهاق الذي يتعرّض إليه العـامل، ذلك العامل الذي يريد أن ينتج إنتاجاً أكبر، تقوده شهوة الربح.

والأجر يمكنه أن يتضمّن **علاوات**، وفق مقاييس محدّدة تضاف إلى الأجر الأساسي. فثمة، على وجه العموم، مستوى أدنى من الإنتاج محدّد يكسب العامل، إذا تجاوزه، علاوة تتناسب مع كمية التجاوز. ويقضي نظام المهندس الأمريكي هنري لورنس غانت (مقاطعة كالفِر، ميريلاند، 1861- باين أيلاند، نيويورك، 1919) بعلاوة تُمنح إذا تجاوز العامل معياراً معيّناً، إضافة إلى الأجر اليومي المحدّد، وبصورة مستقلّة عن الإنتاج؛ وهذه العلاوة يمكنها أن تكون بين 10

بالمئة إلى 30 بالمئة من الأجر الأساسي . والعلاوة يمكنها أن تحسب أيضاً بالنقاط ، إحالةً إلى نظام بودو . ومن المعلوم أن المهندس الفرنسي شارل بودو (باريس ، 1888- ميامي ، 1944) ابتكر **النقطة- الدقيقة** أو «بودو» ، أي كمية العمل التي يمكن أن يقدمها إنسان عادي في دقيقة ، خلال نهار من ثماني ساعات ، دون أن يعرّض صحته للخطر . إن مثل هذا العامل ينتج إذن 60 بودو بالساعة ، فإيقاعه ، «السرعة 60» ، تؤخذ بوصفها السرعة المرجع . ويكفي لدراسة حركة ، أن تقاس المدة وتقيّم ، بالنسبة إلى المرجع 60 ، تلك السرعة التي ينجز بها العامل هذه الحركة . فنحصل عندئذ على «القيمة بودو» للحركة المدروسة بمجرد قاعدة الثلاثة . وهذا النظام يمكنه أن يُطبّق على تنوّع كبير من الأعمال . فالعلاوة متناسبة مع النقاط التي يبلغها العامل فوق المعيار . ولكن رؤساء المشروعات ليسوا مؤيدين أبداً لهذا النظام ، إذ يعتبرون أن أرباح العمال تزداد على نحو لا يتناسب مع ازدياد الإنتاج . والعلاوات تُوزّع جماعياً ، في بعض المشروعات ، على كل فريق ، أو ورشة أو قسم ، انطلاقاً من معيار معيّن ، ولكن هذه الممارسة ، التي تجعل العمال الذين يعملون معاً في عمل واحد متضامنين ، يفضي إلى نبذ العمال الأقلّ سرعة والأقل موهبة .

ويُمارس في بعض المشروعات إشراك الأجراء في الربح . ويبدو أن لهذا النظام ، الذي تشجّعه السلطات العامة الفرنسية ، قليلاً من التأثير في الإنتاجية ، ذلك أن زمن دفع الأجور ، من جهة ، بعيد جداً عن الزمن الذي كان العمل خلاله قد أُنجز ، ولأن مسؤولية كل عامل تكون ضعيفة جداً ، من جهة ثانية ، ولأن عدد العمال المعنيين ، أخيراً ، كبير جداً .

ويتدخّل الأجر في الرضى بالعمل تدخلاً كبيراً . فالوضع الاجتماعي ، واعتبار الذات ، والأمن المادي ، تابعة له . وصداه على حالة العمال المعنوية واسع جداً ؛ ولهذا السبب يبذل رؤساء المشروع والنقابات جهدهم لإيجاد نمط من المكافأة أكثر عدالة وأصلح لإرضاء العمال ورؤساء المشروع .

N.S.

الإجراء، العملية

F: Opération

En: Opération

D: Opération

عمل يكمن في تنفيذ القرارات المتّخذة، تنفيذاً منهجياً، لتحقيق مشروع (حربي، سياسي، اقتصادي أو طبي). وندلّ باسم «إجراء» أو «إجراء عقلي»، بصورة أكثر نوعية، على اتحاد عناصر، تسمّى «ألفاظاً»، أو «عوامل»، بغية الحصول على نتيجة معيّنة.

دراسة نشوء الإجراءات في جوانبها المنطقية، لدى الطفل والمراهق، كان على وجه الخصوص جان بياجيه (1896 -1980)، مؤسس الإيبستيمولوجيا التكوينية، قد طوّرها. ويدلّ مصطلح **إجراء**، في المصطلحات الخاصة بهذا المؤلف ومدرسته، على عمل يمكنه أن يُستدخَل، أعني أن الفكر يمكنه أن يجريه دون أن يكون ثمة داعٍ لأن تراقب المعالجة الفيزيائية باليد نتيجته. فبياجيه عُني إذن، بصورة أساسية، بتكوين الفكر المنطقي وبيّن أن الاجراءات العقلية مندمجة، في مستويات نموّها المختلفة، في منظومات إجرائية ذات بنيات متميّزة. ويميّز بياجيه مرحلتين أساسيتين: مرحلة **الإجراءات المشخّصة**، التي تظهر بين السنة السابعة والثانية عشرة على وجه التقريب، ومرحلة **الإجراءات الصورية**، التي تبدأ نحو الحادية عشرة أو الثانية عشرة وتغتني إلى أن تتفتح في الفكر العقلاني ثم في الفكر العلمي أيضاً. وتباشير هاتين المرحلتين مرحلةٌ **قبل إجرائية** (من سنتين إلى سبعة)، تسبقها هي ذاتها فترة زمنية **حسية حركية**، تتميّز بغياب وظيفة العلامات (أو الوظيفة

الرمزية وبذكاء عملي على نحو أساسي. وهكذا نرى أن نشوء الفكر الإجرائي- من منشأ الإيبستيمولوجيا التكوينية- يحدث تدريجياً بدءاً من الأسابيع الأولى من الحياة وخلال سنين عديدة.

المستوى قبل الاجرائي. تتكوّن أدوات الفكر الإجرائي في الفترة الزمنية التي تمتدّ من سنتين إلى سبع سنوات تقريباً، وتسمى لهذا السبب «المستوى قبل الإجرائي». وسيستدخل الطفل، خلال هذه الفترة الزمنية الانتقالية بين العمل الحسي الحركي والإجراءات المشخصة، استدخالاً على مستوى الامتثال، ماكان قد اكتسبه سابقاً بالحركات والعمل، ويمكنه، بفضل اللغة، أن يستحضر الأوضاع السابقة، ويستبق المستقبل ويعبّر تعبيراً لفظياً عن أعماله بدلاً من إنجازها مادياً. وهذا الانتقال من العمل إلى الامتثال يقتضي تعلّم العلامات والقدرة على التفريق بين الدلالات والمدلولات، أي يقتضي نضج **وظيفة العلامات أو الوظيفة الرمزية**. فطفل في الشهر الثامن عشر من عمره إلى السنتين يتعرّف على بيته أو حديقته، ولكن ليس لديه بَعْدُ امتثال الأماكن، وهو عاجز، حتى في السنة الرابعة من عمره، أن يكتشف، في نموذج مصغّر (ماكيت) يجسّم حيّه أو قريته، ذلك المسار الأقصر الذي يمشيه ليذهب إلى المدرسة، وهو مسار مألوف له. ويبدو، يقول بياجيه، أن الذكريات في هذه الفترة الزمنية تكون ذكريات حركية فقط.

ويستخدم الطفل بين السنة الثانية والرابعة، استخداماً أساسياً، **ما قبل المفاهيم**، التي تكون في منتصف الطريق بين العام والخاصّ، بين «عمومية المفهوم وفردانية العناصر التي تؤلّفه» (بياجيه، 1947، ص 152). إنه العصر الذي يرى فيه بابا أو ماما في كل راشد، ولكنه العصر الذي مايزال عاجزاً فيه عن أن يجمعهم في أصناف عامة، وسيقول، لأنه لايفهم العلاقة القائمة بين مجموع ومجموع فرعي، إنّ في إضمامة تتألف من ست ورود وأربع أزهار من الخزامى وروداً أكثر من الأزهار، ذلك أنه عاجز على تصوّر مجموع الورود أنه متضمّن في مجموع الأزهار. كذلك إذا صففنا أمامه فيشات حمراء طالبين إليه أن يفعل الشيء نفسه

بفيشات زرقاء، فإنه سيبني صفاً ذا الطول نفسه دون أن يشغله عدد العناصر، إذ يقيّم على هذا النحو كمية الفيشات بالمكان المشغول.

ومن الرابعة إلى السابعة من عمره تقع مرحلة **الفكر الحدسي**، التي ينهج الطفل خلالها بتركيزات متتابعة، ولكن كل تركيز منها يلغي السابق. وإليكم مثالاً نقتبسه من بياجيه: وإذ يُدعى الطفل إلى أن يضع خرزات بالتناوب، خرزة في وعاء (أ) وخرزة في وعاء (ب)، وعاءين لهما شكل واحد، فإنه يسلّم بسهولة أن في الوعاء الأول من الخرزات بقدر ما يوجد في الثاني، وإذا أفرغنا أمامه خرزات الوعاء (ب)، في إناء (ر) أضيق ولكنه أكثر ارتفاعاً، محتفظين بالوعاء (أ) بوصفه الشاهد، فإنه سيقول مع ذلك أن في الإناء (ر) من الخرز أكثر مما في الوعاء (أ)، لأن الإناء (ر) أكثر ارتفاعاً. وإذا صببنا، مستمرّين في التجربة، محتوى الإناء (ر) في إناء آخر (جـ) أكثر ارتفاعاً أيضاً وأضيق، فإنه سيقول إن في الإناء (جـ) عدداً من الخرز أقل لأنه أضيق. فالطفل لايأخذ بالحسبان إلا متغيّراً واحداً، ارتفاع الإناء (ر) وضيق الإناء (جـ)، ويهمل المتغيّر الآخر. ولن يكون قادراً على توحيد المتغيرات واكتساب مفهوم **المحافظة على الكمية** إلا في مرحلة لاحقة، على مستوى الإجراءات المشخّصة.

مستوى إجراءات الفكر المشخّصة. تظهر الإجراءات المنطقية الأولى تلقائياً نحو السنة السابعة إلى الثامنة من عمر الطفل في كل مجالات الفكر، في العصر الذي يحدّد فيه المربون موقع «عمر العقل». والمقصود منطق مشخّص لايمارس فاعليته على قضايا أو فروض لفظية، ولكنه ينطبق على أشياء ويتيح أول تبنين للواقعي. وهذا هو السبب الذي من أجله يسميها بياجيه **الإجراءات المشخّصة**؛ وهذه الإجراءات المشخّصة تنتظم في بنيات جماعية. والواقع أن الطفل، الذي وصل إلى مرحلة الإجراءات المشخّصة. ينظّم كل نموذج من إجراء تبعاً لقواعد مجرّدة لايتقن توضيحها، ولكنه قادر على تطبيقها شريطة أن يعالج الأشياء باليد معالجة مشخّصة. وفي النموّ السويّ للفكر، يدرك الطفل ذلك المبدأ الذي ينجم

عنه كل إجراء منظور إليه بصورة منعزلة (مثال ذلك أنه سيكتشف مبدأ الجمع دون أن يكون عليه أن يتعلّم كل عمليات الجمع الممكنة). وتكوّن الإجراءات ذات الطبيعة نفسها (التصنيف على سبيل المثال)، في الواقع، منظومة إجرائية ذات بنية، يسمّيها بياجه **التجميع**.

ويميز بياجيه، في كتابه **المطوّل في المنطق** (1949)، بنية التجميع بالخصائص التالية:

1) يتضمّن التجميع إجراءً (أو قانون تأليف)، أي نمطاً من التركيب نتيجته موجودة داخل التجميع، بحيث أن هذا التجميع مجموع مغلق. مثال ذلك أن تجميع عددين يعطي نتيجة هي عدد آخر: 4+3 = 7؛

2) ينبغي لهذا الإجراء أن يكون قابلاً للعكس، أي أن بوسعنا أن نقلب ماهو محدد أعلاه ونعود إلى الحالة البدئية، الطرح في هذه الحالة: 7-3 = 4؛

3) يوجد، بين إجراءات التجميع، إجراء ليس له مفعول، حيادي بالتالي؛ 4+0 = 4، في مثال الجمع؛

4) ينبغي للإجراء أن يكون ترابطياً، بمعنى أن يكون بمقدورنا أن نجمع إجراءات متتالية دون أن نغيّر النتيجة، ذلك هو أيضاً حالة جمع الأعداد:

$$(4+3) + 6 = 4 + (3+6) = 13;$$

5) ينبغي للإجراء أن يتمتّع بخاصّة يسمّيها بياجه «الهوية الخاصة» ولكنها تشتهر باسم «تحصيل الحاصل» يُدوّن على النحو التالي: A= A+A (وليست هي الحال في جمع الأعداد بالتأكيد: 2+2#2.

وأوضحت مدرسة الإيبستيمولوجيا التكوينية انبعاث هذه البنية من التجميع في ذكاء الطفل، ولاسيما بالنسبة لإجراءات المحافظة، والتصنيف، وتكوين السلاسل.

أ) **المحافظة** . يكتسب الطفل الصغير ، نحو الشهر العاشر أو الثاني عشر من عمره ، ذلك المخطط الأولّي لدوام الشيء ، الذي يجسّد مسبقاً ، على المستوى الحسّي الحركي ، معنى المحافظة . ولكن المحافظة الإجرائية بمعناها الحقيقي ، المجرّدة إذن ، لاتدرك إلا في زمن أكثر تأخراً بكثير . فنحو السنة السادسة أو السابعة إنما يتصرّف الطفل ، على سبيل المثال ، على أن تباعد الفيشات بعضها عن بعض ، في التجربة المذكورة سابقاً ، لايغيّر عددها . ولن يكون الطفل قادراً كذلك على أن يحلّ مشكل نقل الخرز من إناء إلى آخر إلا نحو السادسة أو السابعة من عمره ، ذلك أنه يمكنه عندئذ أن ينفصل عن إدراكاته ويتصور المحافظة أنها الانتقال المعكوس من حالة إلى أخرى : «سيقول إنها الخرزات ذاتها ، واقتصر الأمر على صبّها في إناء آخر ، وبالإمكان إعادتها كما كانت قبلاً . وهذا المعنى من المحافظة يسمّيه بياجه «المعكوسية بالقلب» . والطفل قادر أيضاً بالحري أن يستدلّ معاً بالاعتماد على بعدين . وسيقول ، على سبيل ا لمثال ، «إنه إناء أكثر ارتفاعاً ، ولكنه نحيف ، فالمقدار واحد عندئذ» ، مقيماً على هذا النحو ضرباً من التكافؤ أو «المعكوسية بالتبادل» .

وإذا كانت المحافظة على الكمية ، عبر تغيرات الشكل ، ملْك الطفل ذي السنوات السبع أو الثماني من العمر ، فإننا نلاحظ مع ذلك تفاوتاً بين مفهومي الوزن والحجم . ويسلّم الطفل ذو السبع سنوات أو الثماني ، أمام كرتين من الصلصال متطابقتين نغيّر شكلهما ، بالمحافظة على الكمية ، ولكنه لايعترف بالمحافظة على الوزن (يراقبه ميزان عند الاقتضاء) إلا في التاسعة أو العاشرة من عمره ، ولكنه لن يدرك تساوي الحجوم إلا في الحادية عشرة أو الثانية عشرة ، التي تقاس بكمية الماء المزاح عندما نغطس الكرة في إناء .

ب) **التصنيف** . أصل هذه الإجراء المشخّص كامن في المخطّطات الحسّية الحركية الأولية ، أي في بعض الضروب من الانتظام في أعمال الفرد ، التي يمكنها أن تطبّق على أوضاع أخرى . فالطفل يحتاز الشعور على هذا النحو ، تدريجياً ، بالشروط التي تحدّد انتماء الأشياء إلى هذه الفئة أو تلك . ويبدأ الأطفال الذين ينبغي

لهم، على المستوى قبل الإجرائي والحدسي، أن «يضعوا معاً ما يتوافق معاً»، بإقامة «مجموعات متوافقة من حيث الشكل»، أي أنهم يُجرون ترتيباً اختبارياً إذ يصفّون في فئة واحدة، على سبيل المثال، شجرة وبيتاً، أو مثلثاً ومربّعاً لأن ذلك يذكّر ببيت. وليس إلا بدءاً من السنة السابعة أو الثامنة إنما يستطيع الطفل أن يتصوّر التضمين ويقيم تصنيفات تراتبية. فهو يفهم على سبيل المثال أن كلبه وكلب رفيقه الصغير ينتميان، كلاهما، إلى فئة الكلاب، الفئة نفسها، فئة هي ذاتها محتواة في فئة الثدييات، التي تنتمي الهررة أيضاً إليها. أضف إلى ذلك أنه سيُجري ترتيبات آخذاً بالحسبان معاً عدة معايير (اللون، الشكل)، وسيوزّع، في خانات جدول ذي مدخلين، خرزات تبعاً لشكلها (مستديرة، مربّعة، بيضوية. . .) وللونها (أحمر، أزرق، أصفر. . .).

وفي هذه المرحلة، مرحلة السيادة على الإجراءات المشخّصة، يحقّق تكوين الأصناف تماماً شروط وجود ضربٍ من التجميع: الخاصّية 1 و 4 (تأليف وترابطية): الكلاب + الهررة + الحيوانات الأخرى التي ترضع صغارها هي ثدييّات؛ الخاصية 2(المعكوسية): الثدييات دون الكلاب هي الهررة والحيوانات الأخرى التي ترضع صغارها؛ الخاصيّة 3 (إجراء حيادي): الكلاب +لاحيوانات غيرها= الكلاب. الخاصيّة 5 (تحصيل حاصل): كلاب الراعي+الكلاب الذئاب = الكلاب الذئاب (أو كلاب الراعي).

جـ) **تكوين السلاسل**. يتوصل الطفل إلى تكوين السلاسل بالتدريج، بالتلمّسات. وتُلاحظ البداية الأولى لتكوين السلاسل لديه نحو نهاية السنة الثانية. عندما يبني على سبيل المثال برجاً بقِطَعٍ ذات حجم متناقص، أو أن يضع العرائس المتداخلة بعضها داخل بعض. إنه يدرك فوارق الحجم إدراكاً حدسياً. ولكن هذه السيرورة الفكرية لاتتيح له أن يرتّب عشر مساطر صغيرة ليست فروق طولها مدركة إلا إذا قورنت كل اثنتين معاً. ولابدّ له من أن يتجاوز عدة مراحل قبل أن يبلغ تكوين السلاسل الإجرائي. وسنراه على هذا النحو يضع الأطول من المساطر في

جهة والأقصر في الأخرى أو يجمّعها ثنائياً أو ثلاثياً. وإذا أُعطي مسطرة صغيرة إضافية، عندما يكون قد أنجز الترتيب، فإنه سيختار أن يبدأ كل المعالجة اليدوية للمساطر الصغيرة مجدّداً بدلاً من أن يحاول إدراج هذا العنصر الجديد في السلسلة. وأخيراً، سيستخدم، نحو السنة السابعة أو الثامنة، طريقة منهجية، باحثاً أول الأمر عن المسطرة الأصغر، ثم الأصغر من الباقي، وهكذا دواليك. وفي هذه المرحلة نفسها إنما يصبح تكوين السلاسل إجرائياً، ذلك أن بين عنصرين، من جهة، ثمة عنصراً يُدرك بالضرورة أنه أصغر من الآخر (ا < ب) تمنع ب < ا، علاقة تسمى علاقة **عدم التناظر**) وأن، من جهة أخرى، عنصراً، بين ثلاثة عناصر، يؤدّي دور المفصل (إذا كانت ا < ب و ب < ج، علاقة تسمى **علاقة التعْدِيَة**). ونبيّن في المنطق، أن هاتين العلاقتين تزوّد مجموع الإجراءات في تكوين السلاسل ببنية التجميع.

مستوى الإجراءات الصورية. نسمي إجراءات الفكر، التي تنصبّ على قضايا أو فروض دون حامل مشخّص، إجراءات صورية. وتبدو الإجراءات الصورية، التي تمدّد الإجراءات المشخصة فتتجاوزها إذ تدمجها، بدءاً من السنة الثانية عشرة إلى الثالثة عشرة. إنه العصر الذي يبدأ فيه الطفل أن يجد لذّة في اعتبارات غير حالية، في إعداد النظريات دون اهتمام كبير بالواقعي، والعصر الذي يجعل فيه تحوّل الفكر «ذلك التعاطي مع الفروض وممارسة الاستدلالات انطلاقاً من قضايا منفصلة عن المعاينة المشخّصة الراهنة، أمرين ممكنين» (بياجة، 1966).

وكما أن الطفل يُعدّ في الامتثال مكتسباته الحسّية الحركية إعداداً جديداً، كذلك الفتى في مرحلة ما قبل المراهقة يعيد تبنين المعارف التي كان قد أتقنها بصورة مشخّصة في المرحلة السابقة. إننا رأينا أن الطفل كان قادراً، بدءاً من السنة السابعة أو الثامنة، على أن يرتّب سلسلة من عشر مساطر صغيرة ذات أطوال مختلفة؛ ولكن تكوين السلاسل المجرّد غير ممكن قبل الثانية عشر أو الثالثة عشرة. مثال ذلك مايحدث في الرائز التالي لسيريل بورت: «إيديث أفتح (أو أشقر) من سوزان،

إيديث أدكن (أو أسمر) من ليلي؛ فمن هي الأدكن (الأسمر) من الثلاث؟» يجيب الأطفال من سن أقل من الثانية عشرة: «إيديث وسوزان فاتحتان، إيديث وليلي داكنتان، إذن ليلي هي الأدكن.» ويشبه استدلالهم على المستوى الصوري ذلك النهج الذي كانوا يقومون به نحو الخامسة من عمرهم فيما يخص المساطر الصغيرة حين يرتبونها أزواجاً غير متناسقات. ولن يكون الحلّ ممكناً إلا في السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشر، مع انبعاث الإجراءات الصورية، ذلك أن الطفل ما قبل المراهقة يتقن في هذه المرحلة أن ينظر في تراكيب من الاحتمالات ويستدلّ منطقياً بالاعتماد على القضايا. كذلك سيمكنه إيجاد ضروب الثنائي الممكنة التي تتكوّن من 4 صبيان و 3 بنات (4×3=12)، حتى ولو كان لايعرف قانون الإجراء، الذي يعتبر مع ذلك قانوناً من أبسط قوانين التوافيق. وهكذا يبلغ المراهق ذلك الاتجاه التجريبي تدريجياً، كما تبيّن الأمر تجارب باربل إنهيلدر. ففي تجربة منها، يُطلب إلى الفرد أن يجد العامل الذي يحدّد تواتر النوسانات لساعة حائط. إنه يمكنه أن يغيّر طول الخيط، والوزن المعلّق في نهايته، والانطلاقة البدئية وارتفاع السقوط، فالطفل يتصرف، بين السنة السابعة والثانية عشرة (مستوى الإجراءات المشخصة)، بطريقة التلمّسات، إذ يغيّر عدة عوامل معاً. وبين الثالثة عشرة والخامسة عشرة من عمره، يضع المراهق، بعد بعض المحاولات، قائمته، قائمة المقاييس، ثم يدرسها واحداً بعد آخر، إذ يفصلها عن الأخرى، أي أنه لايغيّر سوى عامل واحد في كل مرة، وتظلّ الأمور كلها متساوية من جهة أخرى. فيعاين على هذا النحو أن الوزن يمكنه أن يتغير دون تعديل في تواتر النوسان، وبالتبادل، وذلك أمر يسبب استبعاد الوزن. ويستخلص، كما يجري الأمر نفسه بالنسبة لارتفاع السقوط والانطلاقة البدئية، أن تواتر نوسانات الساعة تابع لطول الخيط.

وأكّدت مدرسة بياجه أهمية أربعة إجراءات أساسية في التوازن النهائي للفكر المنطقي، وهذه الاجراءات الأربع المنطقية: **الإيجاب أو التطابق** (ا)، **السلب** (س)، **التبادل** (ت)، **التضايف**) (ض)، تكوّن نظاماً إجرائياً بنيته هي بنية مجموعة في الرياضيات، أي بنية أقوى من بنية التجميع التي كنا قد أوضحناها بالنسبة

للإجراءات المشخّصة. وبوسعنا أن نوضّح هذه الخاصّية البنيوية للفكر المنطقي بالمثال التالي، إذ نؤلف بين قضيتين بسيطتين نسمّيهما **جـ**، **د**: «وسيم قويّ في اللغة اليونانية» (**جـ**)؛ «وسيم سيذهب إلى مدرسة أثينة» (**د**). وبوسعنا على سبيل المثال أن نؤلف بين القضيتين **جـ**، **د** في القضية **الايجابية** التالية: «وسيم قويّ في اليوناني، إذن سيذهب إلى مدرسة أثينة»، ندوّنها، صورياً، في المنطق، على النحو التالي: أ: **جـ** ، **د**. ومثل هذا الايجاب يتضمن معكوستين نسمّيهما السلب: «وسيم قويّ باليوناني، ولن يذهب إلى مدرسة أثينة» (ندوّنها: **س**: **جـ. دَ**)، و**تبادلية**: «وسيم سيذهب إلى مدرسة أثينة، إذن هو قويّ في اليوناني» (ندوّنها ت: **د** ، **جـ**. أضف إلى ذلك أن الإيجاب ا يمكنه أن يتحوّل إلى قضية تسمّى **متضايفة**: «وسيم ليس قوياً في اليوناني، لكنه سيذهب إلى مدرسة أثينة» (**ض**: **جَـ. د**). فنرى أننا حصلنا على القضية المتضايفة بسلب القضية التبادلية: «وسيم سيذهب إلى مدرسة أثينة، مع أنه غير قوي في اليوناني (**د. جَـ=جَـ. د**)؛ هذا الاتحاد بين قضية سالبة وقضية متضايفة ندوّنه صورياً: **س. ت=ض** ونرى، على النحو نفسه، أن **س=ض. ت وت=ض. س**. وتبدو كل التركيبات الممكنة للإجراءات الأربعة ا، **س**، **ت**، **ض**، في الجدول الإجرائي المثبت أدناه؛ ونبيّن أن هذا الجدول يمثّل السمات التي تمنح المجموعة (ا، **س**، **ت**، **ض**) بنية للمجموع الإبدالي، المسمى في بعض الأحيان **مجموع كلاين**، الذي عمّده بياجه باسم «مجموع الرباعية».

	ا	س	ت	ض
ا	ا	س	ت	ض
س	س	ا	ض	ت
ت	ت	ض	ا	س
ض	ض	ت	س	ا

هذا الجدول الإجرائي (المماثل لجدول فيثاغورث للأعداد) يبيّن كيف يمكننا أن نركّب حدّين من الحدود. مثال ذلك أننا، إذا أخذنا الخط الثاني، نحصل على التركيبات التالية: **س**. ا = **س**، **س**. **س** = ا، **س**. **ت** = **ض**، **س**. **ض** = **ت**.

ونرى أننا أمام مجموع مغلق: فحين نركّب حدّين نحصل على حدّ آخر من المجموع. وأحد الحدود ا، المسمى «إجراء التطابق»، هو إجراء متعادل، أعني أنه ذو مفعول عدم، مثلا ذلك: ا. **س**=**س**. وهذا المجموع يسمى «مجموع الابدال» لأن بوسعنا أن نعكس ترتيب الاجراءات دون تغيير النتيجة: **س**. **ت**=**ت**. **س**=**ض**. وكل إجراء يمكنه أن يُعكس، لأننا إذا طبقناه مرتين، فإننا نعود إلى التطابق. مثال ذلك: **ت**. **ت**=ا أو **س**X**س**=ا. وهذه الحالة الأخيرة معروفة جداً، بالاضافة إلى ذلك، لأنها ذات علاقة بنفي النفي.

الخلاصة أن التطور العقلي لدى الموجود الإنساني، من المستوى الحسّي إلى إعداد الإجراءات المنطقية، يبدو تعاقباً من ثلاثة إنشاءات كبرى، كل إنشاء يمدّد الإنشاء السابق إذ يدمجه. وترتيب التعاقب في هذه الإنشاءات ثابت دائماً، مع أن السنّ الذي تظهر فيه يمكنه أن يكون مختلفاً من فرد إلى آخر، تبعاً لدرجة الذكاء والسياق الاجتماعي الثقافي. وتتحدّد كل مرحلة ببنية جماعية تتيح فهم الارتكاسات التي تميّزها. (انظر في هذا المعجم: **المطابقة**، **التمثّل**، **الرسم الذهني الأوّلي**، **المستوى الحسي الحركي**).

M.C.

الإجرائية

F: Opérationnisme ou Opérationalisme

En: Opérationism ou Opérationalism

D: Operationismus ou Operationalismus

تصوّر لاتنفكّ بحسبه المفهومات، والتعريفات، والنظريات ذاتها، تعكس طريقة الملاحظة أو التقصّي الذي يفضي إلى إنشاءات عقلية، وليس لها معنى إلا به أو بالنسبة له.

يوجد في منشأ الإجرائية عالم الفيزياء الأمريكي بيرسي وليامز بريدغمان (كمبردج، ما سّاشوست، 1882- راندومف، نيو هامشاير، 1961)، الذي كان يريد، بجهد طرائقي، أن يصون علم الفيزياء من تفسيرات الملاحظ وحدوسه، ويلغي من اللغة العلمية مفهومات مشحونة بالتضمّنات التي تقبل المناقشة، كمفهومي القوة والسبب. وكون كل قياس «موضوعي» لايمكنه إلا أن يكون نسبياً، لأنه تابع في وقت واحد للموضوع الملاحظ، لدقة آلة القياس، وللملاحظ، فإن من الضروري بلوغ هذه الصرامة الإبستيمولوجية إذا أردنا أن يفضي الملاحظون المستقلّون الذين يكرّرون العملية نفسها إلى النتيجة نفسها والصياغة نفسها. إن الإجرائية عزّزت التيّار السلوكي، تيار جون بوردا واطسون (1878-1957) وبعض علماء النفس، مثل س. س. ستيفنس (1935)، إ.ك. تولمان (1936)، ساهموا مساهمة واسعة في نشر هذا المبدأ في العلوم الإنسانية. ولكن ب. و. بريدغمان لايستحسن هذا التوسّع الذي كان قد وصفه بالمؤسف. فثمة في الواقع بعضٌ من السذاجة في إدارة تطبيق الطرائق الفيزيائية على علم النفس، ذلك أن لكل مجال

تعقيداته التي تتطلّب عمليات نوعية. ونحن نأخذ بالحسبان مع ذلك أن الدلالة الوحيدة للقضايا النهائية، في علم النفس كما في الفيزياء، هي الإجراء أو العمليات المستخدمة للبرهان على هذه القضايا. وهكذا يعني المستوى العقلي الذي تقدمه الروائز نتيجة الوسائل المستخدمة، في بعض الشروط وفي وُضع معيّن كان الفرد قد وُضع فيه، ولا يعني خاصة من خصائص فرد. وينجم عن ذلك أن نتيجة نحصل عليها بطريقة معيّنة لا يمكنها أن تعني الشيء الذي تعنيه نتيجة نحصل عليها بإجراء آخر. إن تعريفاً لشيء من الأشياء ليس سوى ضرب من تكوين المفهومات انطلاقاً من الطريقة التي بها قاربنا شيئاً من الأشياء، ذلك أن كل تعريف هو تعريف إجرائي فقط وليس دالاً على صفة جوهرية، ملازمة للموضوع المعرّف. فكل حادث مزعوم أنه لوحظ، هو نتاج طريقة مستخدمة، بنية مصطنعة طرائقية. (انظر في هذا المعجم: **السلوكية، السلوك**).

R.M.

الإجهاض

F: Avortement

En: Abortion

D: Abtreibung, Intrruption graviditatis

ايقاف الحمل

نتكلم على إجهاض عندما يحدث إخراج الجنين أو المضغة قبل الأسبوع الثامن والعشرين من الحمل، أي قبل أن يكون الجنين قابلاً للحياة. والإجهاض يمكنه أن يكون **تلقائياً**، ناجماً عن اضطراب هرموني، عن تشوّه لدى الأم، عن ورم ليفي أو عن عيب أصلي؛ أو **عرضياً**، عندما يتلو رضاً: سقوطاً أو حادث سير، على سبيل المثال؛ أو **محرّضاً**، وأياً كانت الأسباب، يطرح الإجهاض دائماً مشكلات كبيرة. فالخشية من ألا يكون بمقدور الأم أن تنجز أي حمل لاحق ترافق الإجهاض عندما يكون تلقائياً وخاصاً بولادة أولى. ويكوّن ضرباً من خيبة الأمل عندما يكون عَرَضياً، خيبة أمل أكثر خطورة بمقدار ما يقدم على تحطيم أمل كان الأبوان قد وجدا فيه لذة وبمقدار ما كان الطفل المنتظر يشغل في ذلك الحين مكاناً كبيراً في الحياة المتخيّلة للأم. أما الإجهاض المحرّض لأسباب طبية (مخاطر أمراض الجنين أو أمراض المضغة)، فإنه يقرن بخيبة الأمل الماثلة في انشغال البال الناجم عن الفكرة التي مفادها العجز عن إنجاب أطفال سليمين فيما بعد.

وتطرح مسألة إيقاف الحمل غير المرغوب مشكلات مختلفة، من النسق السيكولوجي والاجتماعي. ومن المعلوم أن مدوّنة قوانين نابليون كانت تجعل الإجهاض، الذي تمارسه المرأة على نفسها أو يمارسه شخص على امرأة، متماثلاً

للجريمة، وأن امرأة مجهضة، ماري لويز غيرو، قُطع رأسها بالمقصلة لهذا السبب، في عهد نظام فيشي، بداية الأربعينات. وأُلغيت القوانين التي سنّها الماريشال بيتان بعد تحرير فرنسة، ولكن التشريع الذي يتناول الإجهاض ظل قاسياً جداً لأنه كان قد قضى بعقوبة حبس المرأة التي تجهض نفسها من ستة أشهر إلى سنتين. ولكن عدد حالات الإجهاض المخالفة للقانون ما انفك مع ذلك أن يكون مرتفعاً جداً: 300000 إلى 400000 حالة في العام، حسب تقييم أجرته وزارة الصحة العامة (الصحيفة الرسمية للجمعية الوطنية، 1973/7/7)، ثلثاه كان يخصّ نساء متزوجات وأمهات أسرة. ولكن سياسة أخرى أقيمت مع تحرّر الأعراف، وسمح قانون 1975/1/17 بالإجهاض في ظل بعض الشروط. فالمرأة التي تجد نفسها في حالة من الكآبة جرّاء حملها يمكنها، من الآن فصاعداً أن تطلب إيقاف الحمل قبل الأسبوع العاشر من الحمل. وستوجّه، بعد أن يطلعها الطبيب على المخاطر الطبية التي تتعرض لها هي نفسها وأمومتها المستقبلية، وعلى حقوقها والمساعدات التي يمكنها أن تفيد منها، وعلى الامكانات المتوافرة لتبنّي طفل سيولد، إلى هيئة معتمدة وستفيد من نصائح مناسبة لوضعها الشخصي. وإذا لم تغيّر رأيها بعد أسبوع من التفكّر، فإن عليها أن تجدّد طلبها وتؤكده كتابة. وبوسع الطبيب، في هذه الحال، إما أن يمارس الإجهاض بنفسه، وإما أن يوجّهها نحو طبيب ممارس آخر. والإجهاض يمكن أن يمارس في أي مرحلة إذا شهد طبيبان أن متابعة الحمل تعرّض صحة الأم إلى خطر خطير، أو أن ثمة احتمالات قوية في أن يكون الطفل الذي سيولد مصاباً بآفة معترف بها أنها غير قابلة للشفاء في لحظة التشخيص. وعندما يودع بيان الإجهاض، يظلّ اختيار التقنية أمراً هاماً. فالطريقة الأقل تسبّباً في الرضّ والأكثر أمناً هي الطريقة بالامتصاص، وكان wu و wu (وي) قد وصفا هذه الطريقة، المستخدمة في الصين منذ 1958، وحسّنها كارمان في الولايات المتحدة الأمريكية. إنها تكمن في فصل الجنين والمشيمة عن الرحم بالامتصاص بواسطة أنبوبة من مادة بلاستيكية مرنة سماكتها 4 مم. وتدوم العملية من خمس دقائق إلى عشر ولاتنطوي على أي خطر.

وليس ثمة أبداً بهجة قلب في أن تصمّم امرأة ألا تلد طفلاً تحمله، والأسباب التي تدفعها إلى ذلك خطيرة دائماً، في ناظريها على الأقل. وربما يكون السبب، بالنسبة لصبيّة عزباء، خشيتها من أن تخيّب أمل والديها أو تواجه غضب أبيها، أو تتعرض إلى الاستهجان الاجتماعي، أو مجرّد الخوف من «القيل والقال». وقد يكون السبب أيضاً أنه يتعذّر عليها مادياً أن تضطلع وحدها بعبء تربية طفل. أما في حالة أمهات الأسرة، فالسبب على وجه العموم هو الرغبة في تحديد عدد الولادات، إما لدواع اجتماعية اقتصادية (مسكن ضيّق، مصادر مالية غير كافية)، وإما لأسباب تعب أو لشؤون شخصية. والإجهاض يمكنه أيضاً أن يكون بسبب مشكلات الثنائي: غيرة الزوج الذي يرى أن في الطفل الذي سيولد منافساً يمكنه أن يسلب منه محبة امرأته ورعايتها، أو، على العكس، رفض المرأة أن تمنح زوجها الطفل الذي يتمناه؛ خشية المرأة من أن ترى جسمها مشوّهاً بالحمل وألا تكون موضع رغبة زوجها، إلخ. والاجهاض المحرّض ينبغي له أن يكون استثنائياً في عصرنا، حيث يتوافر منع الحمل لكل النساء. والحال أن الأمر ليس على هذا النحو. ذلك أن لعدد من النساء، في الواقع، اتجاهاً ثنائي المشاعر أمام الحمل: وعلى الرغم من أنهن مصمّمات على ألا يكون لهن طفل (أو ألا يكون لهن بعدُ)، فإنهن يهملن أن يستخدمن وسائل منع الحمل الموضوعة بمتناولهن، وهنّ يبحثن لاشعورياً عن حالة الحمل، التي تؤمن لهم شعوراً بالكمال، ولايستسلمن إلى الاجهاض إلا تحت ضغوط الضرورة. ويفهم المرء، في هذه الشروط، أن الاجهاض الذي تطلبه النساء يكون أيضاً مولّداً خيبة الأمل، والحزن، وعواطف الاختناق، والنقص، بل الإثمية. ولكن هذه الحالة الذهنية ليست، من حسن الحظ، دائمة على العموم ومخاطر التعقيد الطبي النفسي ضعيفة (وفق استقصاء تناول اثنين وثلاثين طبيباً نفسياً من **المدرسة الطبية في جامعة كاليفورنية**، مفاده أنه لم يكن يوجد، خلال خمس عشرة سنة من الممارسة، سوى ست حالات من الذهان المرتبط بالإجهاض). ولوحظ أيضاً أن لمفعولات الإجهاض السيكولوجية

المرهقة التي تختفي سريعاً بمقدار ما تكون المرأة نفسها، أو الثنائي، هما اللذان كانا قد اتخذا القرار، في جو غير مأساوي، وبمقدار ما تكون عملية الاجهاض قد حدثت في البداية الأولى للحمل؛ وبمقدار ما كان المحيط، أخيراً، يبدو فهيماً ودوداً ويظهر تعاطفه مع المرأة القاتلة (انظر في هذا المعجم: **منع الحمل**، **الحمل**).

N.S.

أحادية الجانب المكانية الجسمية

F: Héminégligence

En: Unilateral spatial neglect

D: Halbseitige Vernachlässigung

اضطراب ناجم عن آفة في القشرة الدماغية تقع على وجه العموم في منطقة الاتصال الصدغي الجداري القذالي من نصف الكرة الدماغية الأيمن (من هنا منشأ تسمية أخرى هي «التناذر الأصغر في نصف الكرة الدماغية»). قوام هذا الاضطراب إهمال النصف الأيسر من المكان الجسمي أو خارج الجسمي.

نظراً إلى أن الجهة اليسرى من الجسم لم تعد مندمجة في المعيش السيكولوجي للمريض، فإن هذا المريض «ينسى» استخدام يده اليسرى، أو أن هذه اليد، إذا كان مصاباً بالفالج وهو أمر متواتر، تكون موضع النفي، في بداية المرض على الأقل. فالنظر لايستكشف سوى النصف الأيمن من المكان، على الرغم من القدرة الجيّدة لحركة الرأس وحركات العينين؛ والمنبّهات التي تبدو على اليسار مهملة. وهذا الإهمال سيزرع الاضطراب إذن في **القراءة** (الجزء الأيمن من النص، بل الأيمن الأقصى، هو المقروء وحده؛ ولاتكفي السمة العبثية التي تتخذها القراءة، مع ذلك، لحثّ المريض على أن يبحث عن بداية الأسطر(*) وفي **الكتابة** (النص يتكوّم على الجانب الأيمن الأقصى من الورقة)، وفي **الرسوم** (مع موديل أو بدون

(*) هذه الملاحظة لاتنطبق على قراءة الخط العربي الذي يبدأ من الجهة اليمنى إلى الجهة اليسرى على عكس الخط الأجنبي الذي يبدأ من الجهة اليسرى إلى اليمنى. ويعني ذلك أن بدايات الأسطر هي التي تتكوّم في الجانب الأيمن كما في اللغة الأجنبية لا نهاياتها «م».

مـوديل؛ يُرسم الجـزء الأيمن من الـصورة وحـده وتظلُّ أشكال مألـوفة، كـبيت أو مكعب، «مفـتـوحـة» في الجـانب الأيسـر منهـا [انظر الشكل]). ويضـاف إلى هذا الإهمال على الأغلب ضرب من العجز الحركي البنائي.

وليست أحادية الجانب المكانية الجسمية ذات علاقة بالمكان المدرك فحسب، ولكنها ذات علاقة أيضاً بالمكان المتصوَّر ذهنياً، كما يمكن أن نلاحظ ذلك حين ندعو المريض إلى أن يرسم مكاناً معروفاً. ولاتزال الآليات الفيزيولوجية السيكولوجية المثيرة للمرض، آليات هذا التناذر، غير واضحة. (انظر في هذا المعجم: **جهالة المرض، العجز الحركي، العمه الجسمي**).

P.M.
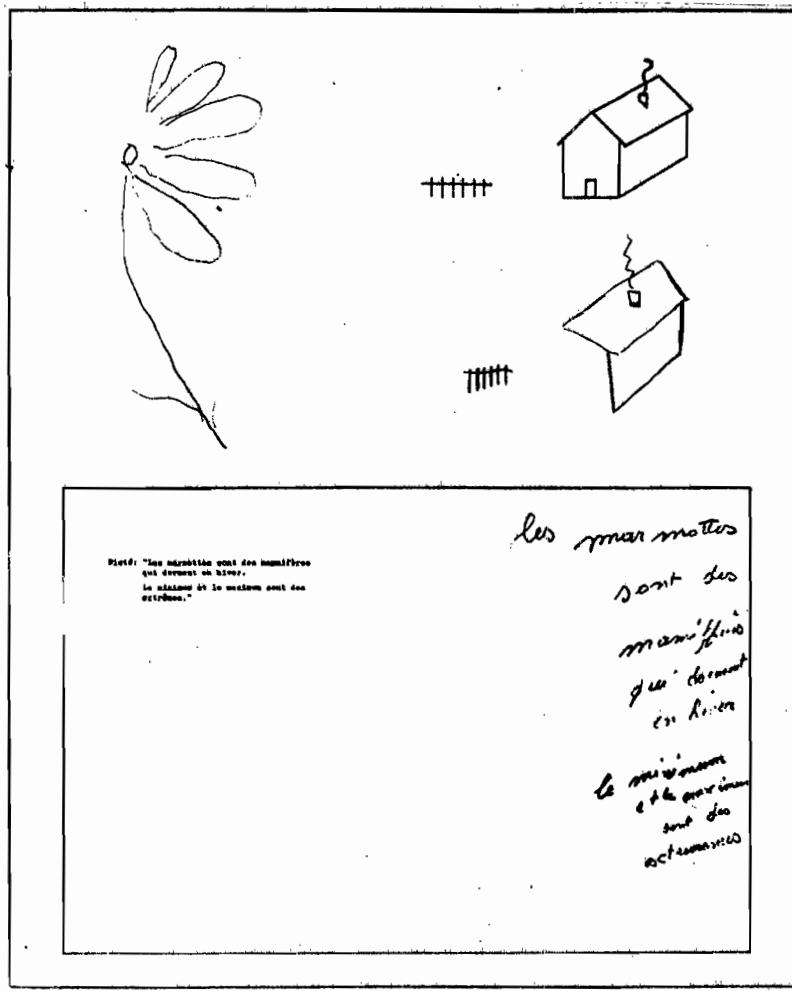
الشكل في الأعلى: رسوم مريض يعاني آفة في القشرة الدماغية موضعها في نصف الكرة الدماغية الأيمن. فكل ما يقع في النصف الأيسر من حقل الإدراك مهمل، ومن هنا منشأ المظهر غير المكتمل لزهرة الأقحوان والبيت اللذين كانا ماثلين أمامه عند الرسم مع ذلك.

الشكل في الأسفل: يبيّن الترتيب الخاص للنصّ (الذي أملي عليه) المتكوّم في أقصى اليمين من الورقة.

الإحباط

F: Frustration

En: Frustration

D: Frustration

حالة من يُحرم من إشباعٍ مشروع، من خابت آماله.

الإحباط معنى مبتذل يواجهه الموجود الإنساني يومياً، ذلك أن كل شيء في الحياة نزوع إلى إشباع الحاجات. وربما يكون الإحباط ناجماً عن غياب شيء (نقص الغذاء، الماء، النقود، العمل...) أو عن وجود مانع، خارجي أو داخلي، يحول دون الوصول إليه (حائط، ناطور، تربية أخلاقية...). وتعريف الإحباط لايتم مع ذلك بالحرمان ولابالمانع، ولكن بـ **الدلالة** التي يتّخذها وضع معيّن بالنسبة لشخص معيّن؛ مثال ذلك أن المرض سيستقبله بارتياح أولئك الذين يرغبون في أن يهتمّ الآخرون بهم؛ وسيبدو الحمل حدثاً كارثياً في أسرة معيّنة؛ ويصبح الاعتقال فرصة مؤاتية لإنقاذ حياة شخص يعلم أنه مهدّد. فليس بمقدورنا إذن أن نعلم إذا كان أحد الأشخاص محبَطاً إلا إذا سألناه أو لاحظنا سلوكه. والارتكاسات على الإحباط متغيّرة. إنها ذات علاقة بطبيعة عامل الإحباط وشخصية من يعانيه. والاستجابة تكون بعدوانية على وجه العموم. فبعضهم تمكّن أن يبرهن على أن عدد أعمال العنف كانت تزداد في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية عندما كان سعر القطن ينخفض، أي عندما ينخفض مستوى الحياة لدى «البيض الصغار». وربما تكون العداوة متّجهة نحو المانع (يغضب الطفل الصغير على أمه التي لاتستسلم لنزوته) أو تتحوّل على بديل (يضرب دبّه المخملي)، أو ترتدّ أيضاً على الذات

(يعاقب نفسه: ثمة بعض حوادث الانتحار لدى التلاميذ، التي تتلو تعنيفاً، تشرحها هذه الآلية). ويحلّ محل العدوان المكفوف كلياً، في بعض الحالات، نكوص إلى مرحلة سابقة من النموّ (ظهور جديد لتصرّف قديم: سلس البول على سبيل المثال). وتسبّب الإحباطات، حسب أهميتها واللحظة التي تحدث فيها، عواقب دائمة قليلاً أو كثيراً لدى الذين يعانونها. وهي خطيرة بمقدار ما تظهر مبكّراً. وقدّم لنا جـ. مـاك ف. هونت (1941) البرهان على ذلك بتجاربه على سلوك الفأر الأمهق. فبيّن أن **الادّخار** كان أكثر كثافة ومدّة لدى الفئران المحرومة من الغذاء في العمر الغضّ منه لدى الفئران التي كانت تتلقّى غذاء وافراً. وعزل الفئران المولودة في اليوم نفسه، التي يُجري تجريبه عليها، إلى ثلاث زمر، آ، ب، جـ. وحرمت فئران الزمرة الأولى من الغذاء خلال زمن معيّن، بدءاً من اليوم الرابع والعشرين من ولادتها؛ وحرمت الزمرة الثانية أيضاً من الغذاء، ولكن بدءاً من اليوم السادس والثلاثين فقط؛ أما الزمرة الثالثة، فقد استمرّت تغذيتها بصورة طبيعية. وخضعت فئران الزمر الثلاث إلى صوم مدّته ثلاثة أيام. وعندما قدّم لها الغذاء مجدّداً، لوحظ أن جميعها ادّخرت مؤونة، ولكن ادخار فئران الزمرة ب كان أكثر من ادخار فئران الزمرة جـ وأقل من ادخار الزمرة آ. أما احتياطيات الزمرتين آ، ب، فقد كانت أكبر من احتياطيات الزمرة جـ بمرتين ونصف.

والإحباطات الأكثر خطورة هي التي تنجم عن الحرمان من **صلة قوية بموجود عزيز** وعن **غياب الأمن**. إن هـ. س. ليدل لاحظ، إذ جرّب على جديين توأمين ترضعهما أمهما، يُعزل الأول عنها مدة ساعة كل يوم، والاثنان محرومان من النور، أن الجدي الذي لم يعزل لم يكن يعاني من الوضع في حين أن الثاني كان قد مات. وأثبت ر. سبيتز، من جهته، أن الأطفال المحرومين من أمهم، في حاضنة نموذج، كانوا يُظهرون حساسية متنامية لضروب العدوى المبتذلة (نسبة الوفيات أعلى بـ 37 بالمئة منها في منزل الأم). ويعتقد مؤلفون آخرون أن الإحباطات الوجدانية المبكّرة مسؤولة أيضاً عن ضروب من عدم التوازن الخطير في

الشخصية، وعن ذهانات كالفصام والأمراض النفسية الجسمية: فالقرحة المعدية تنشأ على الغالب من رغبة غير مشبعة في أن يكون المرء مدعوماً، محبوباً، تابعاً؛ والحمل العصبي ينشأ من أمل معاكس، أمل الحصول على طفل؛ إلخ. ويجد الجنوح، أخيراً، مصادره في الإحباط. ومثال ذلك أن يتيماً يتعلّق بأبوين معيلين ربّياه عدة سنين، وينويان تبنّيه. ولسوء حظّه مات الأب، ووُضع الطفل في أسرة أخرى. وسرعان ما شرع يسرق من المنزل أشياء ثمينة ولكنه يلقيها في النهر إذ لايعلم ما يصنع بها. إنه كان يلوم بصورة لاشعورية أبويه الجديدين على أنهما حرماه من معيليه السابقين. فالسارقون، يقول أ. هيسنار (1886 -1969)، «ليسوا على الأغلب سوى صور كاريكاتورية من أناس غير شرفاء. إنهم أفراد يعتبرون أنفسهم، على نحو غامض قليلاً أو كثيراً، أُحبطوا في حقهم بوصفهم أفراداً. وذلك بدءاً من الطفل الذي يشرع في أن يسرق أقلام حبر بسذاجة عند ولادة أخٍ صغير، أثير الأبوين، حتى رئيس العصابة أو العضو فيها، اللذين يجدان في الرُشَيش و«الاندفاع إلى الأمام» جهاز العدالة الملائم ضدّ مجتمع يحتقر حاجتهم إلى أن يعيشوا حياتهم بكل اتساعها». وينصّب كثير من المجرمين أنفسهم قضاة، ذلك أنهم يشعرون أن حقّهم الشخصي قد مُسّ، وأنهم مهدّدون في قيمتهم الخاصّة. والجريمة العاطفية هي الإبانة بالمثال لذلك: فالزوج المهان يمنح نفسه حق إنزال العقوبة، بل واجب إنزال العقوبة بالخائن: «كل قاتل غيور يجد في تلك التي لايستطيع امتلاكها وحده تلك الإثمية التي لايريد أن يراها لديه، على صورة دونية مهينة». فالجريمة، في كثير من الحالات، تنشأ إذن من آلية سحرية تنزع إلى أن تلغي جرحاً خفيّاً أصاب القيمة الشخصية، وذلك ما يشرح الهدوء والسكينة لدى المجرمين عندما ينجزون فعلهم.

ونحن نرى أن الإحباطات تشارك في تكوين اضطرابات عديدة، جسمية، وعقلية، وسلوكية. ولكن الإحباط لايكتسب قدرته على إثارة المرض إلا بدءاً من شدة معيّنة ومدة معيّنة، ومن خاصّة معيّنة (عتبة تتغيّر حسب الأفراد). وتتيح

الإحباطات التي تقع تحت هذه العتبة للفرد أن يتكيّف مع الواقع؛ إنها تساهم في أن تمنحه القوة الضرورية لاكتساب ما سيكون بحاجة إليه. فالطفل الذي يوضع في منجىً من كل إحباط ستفوته هذا الطاقة فيما بعد.

وسيحرص ضرب جيّد من قواعد الصحة العقلية على استبعاد الإحباطات الكثيفة، غير المجدية والمؤلمة كالوضع غير الضروري في منشأة استشفائية أو منشأة ذات طابع صحي أو اجتماعي، ذلك أن الطفل المبعد عن أسرته ليس محروماً من المحبة والأمن اللذين يؤمّنهما الوالدان له فحسب، بل يشعر أنه مهدّد في حقّه أن يكون محبوباً، حق هو كل حياته. فالتربية لاتكمن في إلغاء الإحباطات بل في أن تُجرَّع تبعاً لمقاومة الفرد (انظر في هذا المعجم: **التطلّع، القصور العاطفي، مفعول زيغارنيك**).

N.S.

F: Retention **الحفظ**

En: Retention, Conservation

D: Retention, Behalten, Zurückhaltung

عمل الاحتفاظ في الذهن، أو الإبقاء فيه بحالة القوة فكرة أو ذكرى.

يقاس الحفظ بالطلب إلى الفرد أن يتذكّر أو يكرّر عناصر تعلّمها (**طريقة التذكّر**)، أو يعرفها بين عناصر أخرى معروضة (**طريقة التعرّف**). وهذا القياس يمكنه أن يحدث في فترة التعلّم أو فيما بعد. ونسمّي **نسبة الحفظ** تلك العلاقة بين هذين القياسين مضروبة بمئة. (انظر في هذا المعجم: **الذاكرة**).

N.S.

الاحتمالية السيكولوجية F: Probabilité Psychologique

En: Psychological Probability

D: Psychologische Wahrscheilichkeit

مفهوم يغطّي مجموع البحوث التي تتناول كل أشكال الفكر والقرار والسلوك في وضع الارتياب.

يمكننا أن نقابله بكل التصورات الأخرى للاحتمالية وتفسيراتها. وهكذا، بالنسبة للاحتمالية **الكلاسيكية**، فإذا كان ثمة عدد من الإمكانات المحتملة على حد سواء **ن** أن يحدث حادث (مثال لعبة النرد)، فإن احتمالية (ح) كل واحد من هذه الإمكان هو ١/ ن. وإذا كانت **م** من هذه الإمكانات إيجابية، فإن احتمالية نتيجة إيجابية ستكون **م/ن**. والاحتمالية في مثل هذه الحالة احتمالية نظرية. والاحتمالية تُعرّف، حسب مفهوم **التواتر**، أنها حد التواتر النسبي لحادث داخل مجموع. ويوجد أيضاً ما يمكننا أن نسميه تفسير الاحتمالية الذاتي. وهو يُحدّد بالنسبة لفرد مثالي، عقلاني ومتماسك، لايرتكب أخطاء أبداً، على الرغم من أن اختياره البدئي للاحتمالية يمكنه أن يكون مختلفاً عن اختيار الآخرين. أما **الاحتمالية السيكولوجية** فإنها لاتفرض أي قسر منطقي على الفرد المدروس.

وكان مفهوم الاحتمالية وطرائقها قد طُبّقا على دراسة شعور البداهة، والاختيار، واتخاذ القرار (السوي أو المرضي)، والاستنباط، والرياضة، وكل المجالات التي يكون فيها الإعلام الذي يسهل بلوغه غير كامل والتي تقدم فيها القيمة (المنفعة) التي تمنحها الحادث على تعقيد التقدير الذاتي.

والاحتمالية السلوكية يمكنها أن تتجسّد في نموذج نوعي من الوضع بفعل «مفعول العطالة» الذي يمكننا اعتباره قانوناً للقرار التعاقبي. فلنتخيّل جدولاً ذا مدخلين تمثّل فيه م صفوف المراحل لمجرى اتخاذ القرار، وتمثل ن أعمدة الخيارات في كل مرحلة. ويبيّن القانون أن المبالغة في التقدير النسبي لخطوط التوقّع الصحيح في كل مرحلة تتغيّر تغيراً مباشراً، إذا كان عدد المراحل ثابتاً، مع قوة عدد الاختيارات بكل مرحلة. ولكن المبالغة في التقدير النسبي يتغيّر أسياً، إذا كان عدد الاختيارات هو الثابت، مع عدد المراحل.

ويظهر مفعول العطالة في عدد كبير من الأوضاع العملية حيث النجاح في عمل تابع لقرار بدئي يأخذ بالحسبان سلسلة من الارتيابات يتطلّب كل ارتياب منها قراراً منعزلاً. فكلما كانت السلسلة طويلة، كان احتمال خطأ القرار البدئي كبيراً. ويشترك التخطيط في الصناعة والاقتصاد، والسياسة، ومخطّطات المهنة، في هذه السمة، سمة الجدول م×ن أن يتضمن عدداً من المراحل توفّر كل منها عدداً من الخيارات. ولكن القرار، إذا تجاوزنا المراحل والخيارات، ينبغي أن يُتّخذ أول الأمر.

وتنطبق الاحتمالية السيكولوجية أيضاً على نظرية الحقوق وممارستها- طبيعة الاقتناع، مصداقية الشهادات، معايير القرار الذي يتخذه القاضي، إلخ- وفي الطب، في التقييم الذاتي لعناصر التشخيص: ما الاحتمالية السيكولوجية، بالنظر إلى الأعراض، أن يكون المريض يعاني هذا المرض أو المرض الآخر؟ والأمر نفسه ينطبق على قرار العلاج. (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **نظرية اللعب**، **مجازفة**).

J.C. (ترجمه **D.J.V.** إلى الفرنسية)

الإحساس

F: Sensation

En: Sensation

D: Emefindung, Sensation

رسالة مستقبل حسي تسجّلها المراكز العصبية العليا و«تفكّ شيفرتها»

كان أصحاب النظرية الحسية (كوندياك، 1714 -1780) يؤكدون، في القرن الثامن عشر، أن كل معرفة مصدرها الحواس: فثمة أولاً الإحساس الصرف، ظاهرة نفسية أولية ناجمة عن تنبيه عضو مستقبل؛ ثم الإدراك، احتياز الشعور الذي يرافق الإثارة الدماغية، ويتمّ إعداد المعرفة انطلاقاً منه. ولم يعد علماء النفس يقبلون هذه القضية في الوقت الراهن، هؤلاء الذين ينكرون إمكان إحساس منفصل عن كل تصوّر، عن كل تفسير؛ إنهم يعتبرون أن الإحساس الصرف يقابل ضرباً من التجديد وأنه لاوجود إلا للإدراكات وحقل إدراكي (امتداد يسبّب فيه منبّهاً ضرباً من الارتكاس). فليس ثمة إحساس أولي معزول، بل يوجد إدراك دائماً، أي ضرب من **المعرفة**، فهم حقل إدراكي متبنين. ومثال ذلك أن نوراً في الليل، يقلّ ألقه، يوهم أنه يبتعد.

والاحساسات «لاتعبّر عن خصائص الشيء، بل بالحري عن حالة فرد واتجاهه إزاء محيطه»، يقول عالم النفس السوفييتي س. ل. روبنشتين (1946). وبرهن علماء النفس الفيزيولوجيون مع ذلك، بعد مولّر (1801 -1858)، أن الإحساس هو، بصورة أساسية، سيرورة بيولوجية، ارتكاس نوعي للجهاز المستقبل على تنبيهات الوسط. وهذه الاستجابة الفيزيولوجية تابعة بصورة مباشرة لعضو الحس وبصورة غير مباشرة فقط للمثير: فالشبكية التي ينبّهها النور تمنح هذا

الإحساس على وجه الضبط؛ ولكن تياراً كهربائياً يُحدث المفعول نفسه، ولطمة على العين (ضغط ميكانيكي) «تجعلنا نرى ستاً وثلاثين شمعة». فالإحساس، التابع للجهاز العصبي أكثر من تبعيته لطبيعة المنبّه، ارتكاس بيولوجي أكثر مما هو معرفة. إنه يخضع للقوانين العامة للجملة العصبية (**قانون الكل أو لاشيء**: فالإحساس يظهر فجأة عندما تبلغ الإثارة عتبة معيّنة من الشدّة) ويؤدّي الدور البيولوجي لوظيفة تحمي وتكيّف الموجود الحيّ مع وسطه الفيزيائي الكيميائي. إن علماء النفس الفيزيولوجيين تحقّقوا مَن أنَ قانون فخنر («الإحساس يزداد بوصفه لوغاريتم الإثارة، أي أنه يزداد على نحو أبطأ بكثير من الإثارة») موجود على مستوى النسيج العصبي. إنهم أثبتوا، إذ ثبّتوا مساري كهربائية دقيقة إلى الحد الأقصى على عصب يمكنه أن يُثار إثارة كهربائية، أن السيّالات العصبية (دفعات الموجات للطاقة الكهربائية) تتالى بإيقاع تواتره يزداد وفق سلسلة حسابية عندما تزداد شدة التيار وفق سلسلة هندسية. فالعضوية ترتكس إذن على تغيّرات الوسط إذ تخفّف شدتها. وبالنظر إلى أن الارتكاس البيولوجي يرتبط بالحياة النفسية ارتباطاً لاينفصم، فإن وظيفة الإحساس الأساسية تكمن في أنها تجعلنا نعرف العالم الخارجي وتقودنا إلى أن نستبق الانطباعات ذات الأهمية الحيوية؛ إن بعض الأفراد المصابين بفقدان جبلّي لحساسية الألم هم سريعو العطب إلى الحد الأقصى للصدمات في الطفولة: إنهم يصابون غالباً بالجروح حتى المرحلة التي ينتهون فيها، أخيراً، من تعلّمهم المحفوف بالمخاطر.

وبيّنت البحوث الحديثة في الحرمان الحسي أن الإحساس ضروري لنمو الجملة العصبية المركزية وللحفاظ على عملها الوظائفي. ويسبّب غياب الإحساسات، وندرتها أو فقدان توازنها النوعي إذا دامت زمناً طويلاً جداً، اضطرابات لاشفاء منها في عضوية سائرة في درب النمو؛ وضروب الخلل، لدى الراشد، عميقة ولكنها عابرة على وجه العموم. (انظر في هذا المعجم: **التنشيط**، **الترابطية**، **الألم**، **فخنر**، **مولّر [جوهانز]**، **المستقبل**، **المهاد**).

N.S.

الإحصاء

F: Statistique

En: Statistics

D: Dtatistik

مجموعة من الطرائق المطبّقة على دراسة ملاحظات تُحصى، ملاحظات تتميّز معاً بخاصة واحدة أو عدة خصائص في وقت واحد (متغيرات) وتتميز من الناحية الفردية بأنماط هذه الخصائص (قيم).

الإحصاء دراسة دقيقة لظاهرات ضبابية، إذ تحصى الملاحظات بغية التحليل على نحو دقيق لتغيّرية الظاهرة المدروسة، بحسب الأهمية العددية لكل نمط من الأنماط (العدد وتواترات الفئات).

فبعض المصطلحات، كمصطلح «الفئة السكانية» للدلالة على كل مجموعة إحصائية، والعنوان ذاته، عنوان فرع الإحصاء، المنسوب إلى الاقتصادي الألماني غوتفريد أخنوُل (1719-1772)- تسمية حلّت محلّ المصطلح السابق «حساب سياسي» المعزو إلى الانغليزي السيد وليم بيتي (1623 -1687) - تبيّن جيداً أن الإحصاء في الأصل ضرب من علم المحاسبة للأعمال الإنسانية، وذلك تصوّر لايزال يسود في «الرياضيات الاجتماعية» لكوندورسه (1743-1794). وبعد مرحلة (القرن التاسع عشر) أفل فيها نجم علوم الإنسان لمصلحة علوم الطبيعة والتطبيقات الصناعية- مع تحفّظات بارزة مع ذلك، بالنسبة للديموغرافيا وعلم أقيسة الجنس البشري-، أصبح الإحصاء أحد الأسس الأكثر متانة لعلم النفس (روائز، سبور الرأي، قياس الإحساسات، إلخ). إنه، بالنسبة لعالم النفس، فرع

من المعرفة مساعد تزداد قيمته بقدر ما يتعذّر عليه أن يأخذ بالحسبان مقياساً واحداً، بالنظر إلى أن المقاييس الأخرى تظل ثابتة لحاجات التجربة: فالحوادث النفسية تابعة لمتغيرات عديدة تفلت من رقابة المجرّب، ولكن الملاحظ الإحصائي يمكنه أن يحدّد هويتها في بعض الشروط.

ويتضمّن النهج الإحصائي ثلاث مراحل:

1 - بيان الملاحظات ينبغي أن يكون معروضاً بشكل يمكن استغلاله؛ وعلينا، من وجهة النظر الطرائقية، أن نميّز بيان الملاحظات الفردية (مجموعة إحصائية لقيم يتّخذها متغيّر) من بيان ملاحظات متجمّعة في فئات (مجموعة من التكرارات التي تقابل القيم المركزية للفئات). فالتجميع في فئات هو الشكل الإحصائي لاختزال ظاهراتي؛ والمتغيّر يمثل عندئذ بوصفه مجموعاً من الثنائيات (م، ت) حيث أن كل قيمة م تتوازن بتكرار الوقوع ت، التكرار الخاص بها (انظر بند **التوزيع الإحصائي**).

2 - يتيح البحث في الأشكال الإحصائية وحساب المؤشرات العددية التركيبية أن نميّز بصورة إجمالية خصائص مجموع من الملاحظات. فالمؤشرات العددية تسمّى «مقاييس» عندما تميّز توزيع كل فئة من السكان المدروسة، و«إحصائية» عندما تُطبّق على عينات فقط من هذه الفئة من السكان. وتتيح المؤشرات الأكثر شيوعاً أن نقيّم النزعة المركزية وتشتّت الملاحظات بالقياس على هذه النزعة المركزية (انظر بنود **النزعات المركزية**، **المتوسط الحسابي**، **التشتّت**، **الانحراف المعياري**). وثمة مؤشرات أخرى أكثر إتقاناً من الناحية التقنية تشرح جوانب خاصة من توزيع من التوزيعات (انظر بنود **الاستقلال الإحصائي**، **الانحدار**، **الترابط**).

3 - تفسير هذه الأشكال والمؤشرات الإحصائية وتحليلها ينبغي لهما أن يستجيبا لشاغلين مختلفين: ربط معطيات الملاحظة بأنماط نظرية تتيح إغناء الوصف، إذ تمنحه شكلاً منطقياً وتستعير عند الاقتضاء لغة رياضية؛ ومن جهة

أخرى إخضاع نتائج العمل الإحصائي، وبخاصة الاستقراء الجاري على العينة(انظر بند **اختيار العينة**)، إلى روائز من طبيعة خاصة وضعها علماء الاحصاء باسم «روائز الدلالة» أو «اختبارات الفروض». (انظر بند الدلالة الإحصائية). وهذان المشكلان ينتميان أولهما إلى الإبستيمولوجيا العامة، وثانيهما إلى تقنية الإحصاء بالمعنى الدقيق للكلمة.

وتحدّد المراحل الثلاث موضع المناقشة أعلاه حقل الفروع الثلاثة من الاحصاء: جمع المعطيات، الإحصاء الوصفي، والإحصاء الرياضي. وهذا الفرع الأخير هو وحده الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحساب الاحتمالات. وبوسعنا بالتالي أن نكتسب معارف كثيرة في الإحصاء دون الدخول في خفايا الاحتمالات. ويظلّ الإحصاء بصورة أساسية وعملية استثماراً رياضياً لملاحظات أُجريت بعدد كاف، في حين أن حساب الاحتمالات توافيق من الإمكانات، أعني نمطاً دقيقاً من الاستدلال القائم على التقييمات.

ويبدو الإحصاء، بالنتيجة، أساساً من أسس علم النفس، ويلفت ج. ب. غيلفورد إلى أهميته بالنسبة لعلماء النفس:

- يؤمّن وصفاً صحيحاً لمجموع من الملاحظات،
- يرغمنا على الوضوح في إجراءاتنا وأنماط تفكيرنا؛
- يتيح تلخيص ملاحظات عديدة على صورة ملائمة وذات دلالة؛
- يتيح التعميم والتنبؤ بدقة؛
- يتيح تحليل مجموعة من المتغيرات واستخلاص عوامل منها، إذ يتفادى بذلك الصعوبات الناجمة عن تطبيق الطريقة التجريبية في علم النفس؛
- يقدم انماطاً اتفاقية (احتمالية)، لاغنى عنها لدراسة بعض الظاهرات السيكولوجية كتأثير دواء على السلوك والإدراك فوق الحسي.

J.M.M.

الاختزال، الردّ

F: Réduction

En: Reduction

D: Reduktion

عمل من أعمال الإنقاص ، والإرجاع إلى الأساسي.

تحويل معطى، أو قول من الأقوال، أو عملية، إلى شكل أبسط، وأكثر كثافة، أو أكثر نفعاً من وجهة نظر الهدف الواجب بلوغه، نسميه **اختزالاً** في المنطق والرياضيات. ومثال ذلك أننا نباشر في الإحصاء، حيث نواجه عدداً كبيراً من المعطيات التي تتلاءم تلاؤماً سيئاً مع المقارنة، اختزال المعلومات المجموعة، إذ نحلّ محل كلية المعطيات عدداً صغيراً من النتائج الرقمية التي نستمدّها من مجموع مرتّب، بواسطة حسابات مناسبة (الحساب المتوسط على سبيل المثال).

والردّ، بالمعنى الفلسفي، هو العملية التي **نشرح** بواسطتها ظاهرة معقّدة بظاهرة أبسط، معروفة من قبل ومن مستوى أدنى. وتطرح هذه العملية مشكلاً مفاده أن نعرف إن كان الرد هذا إلى الأدنى لا يفسح مجالاً ليفلت الأساسي. أبوسعنا أن نردّ، على سبيل المثال، الظاهرات البيولوجية والحياة إلى سيرورات فيزيائية كيميائية؟

وفي الفينومينولوجيا، نسمّي ردّاً، منذ هسّرل، تلك العملية الطرائقية التي تكمن في أن يوضع بين قوسين، خارج الدارة، ما يكون قادراً على أن يزرع الاضطراب أو «يحجب» إدراك الظاهرة على المستوى قبل الموضوعي أو ظهور

الظاهرة في نقائها الوجودي. وكما أن **الشك المنهجي** أتاح اكتشاف **الكوجيتو**، نقطة انطلاق الفلسفة لدى ديكارت، كذلك ضروب الردّ الفينومينولوجية هي طرائق تنقية الحدس الماهوي: إبعاد المعرفة المكتسبة، والمعارف العلمية (المسماة موضوعية) والميل العقلاني إلى البحث عن الشرح، والأسباب، والتشخيص؛ إبعاد الخصائص الاختبارية للأنا ودلالاتها «المتمركزة على الذات» التي تسقطها.

ويكمن الردّ، من وجهة النظر السيكولوجية، في شرح القيم الشعورية وغير السيكولوجية في الظاهر بمعطيات سيكولوجية على نحو صرف وباللاشعور على وجه الخصوص. وهكذا تكون الحاضرة المثالية، التي تسود فيها العدالة والحرية والسلام، شأنها على وجه الضبط شأن الفردوس، هي الإسقاط الذي تُضفى عليه الصفة المثالية، إسقاط رغبة في العودة إلى رحم الأم، **النكوص إلى الرحم**، حنين إلى المرحلة الجنينية. وهاكم مثل آخر مفاده أن الثوري ينقل إلى المستوى الاجتماعي السياسي نزاعاً أسرياً قديماً، أو الرغبة المتعذّرة في قتل الأب والثأر من سلطان تحمّله تحملاً شاقاً. كذلك الدين، في رأي س. فرويد، هو طقس جماعي تعزيزي لطرد الحصر والإثمية. (انظر في هذا المعجم: **الوسط الحسابي**، **النزعة السيكولوجية**).

N.S.

اختلاط الإحساسات

F: Synesthésie

En: Synesthesis

D: Synästhesie, Mitemfindung

نموذج من الترابط الإدراكي يحرّض فيه انطباع حسّي أو حسّاس تحريضاً آلياً انطباعات أخرى في مجال حسّي حسّاس مختلف.

مثال ذلك أن سماع الأصوات الموسيقية يمكنه أن يولّد أشكالاً هندسية، وصوراً أو ألواناً. ونتكلم في هذه الحالة على **إحساس الرؤية المصاحب** (Synopsie). والسمع الملوّن (Chromesthésie) حالة خاصة من إحساس الرؤية المصاحب. والسمع الملون يوضّحه بالمثال «سونتّو الأحرف الصائتة» للشاعر أرثور رامبو (مدينة شال، 1854- مارسيليا، 1891)، كل حرف صائت فيه يذكّر بلون مختلف: A الأسود، E الأبيض، I الأحمر، O الأزرق، U الأخضر. وثمة شكل آخر من اختلاط الإحساسات يُسمى **إحساس الألم المصاحب**، حيث يرتبط إحساس من الإحساسات (اللون على سبيل المثال) بألم.

N.S.

F: Échantillonnage **اختيار العينة، المعاينة**

En: Sampling

D: Stichprobenerhebung, Stichprobenuntersuchung

طريقة إحصائية تتيح تقديم فكرة دقيقة إلى حدّ كاف لخصائص مجموع من المعطيات، يُسمّى «مجموعاً ذات سمات مشتركة» أو «فئة السكان المرجع»، انطلاقاً من عدد قليل من الملاحظات التي تمثّل هذا المجموع؛ ومثل هذا المدّ الاستقرائي لجزء على الكل يُسمّى «استقراء» أو «استنباطاً إحصائياً».

التطبيق الأكثر شيوعاً لاختيار العينة- أو المعاينة- هو تقييم مقاييس التوزيع الإجمالي بالاستناد إلى حسابات تقدّمها العينة (المتوسط، الانحراف المعياري، الارتباط، التناسب، إلخ). فاختيار العينة و**السبر** مترادفان؛ ولأسلوب تكوين العينات أهمية أولية لصحّة الاستقراء، ويعرّض الباحث نفسه إلى أخطاء خطيرة إذا لم يأخذ بالحسبان تمييزات تقدّمها نظرية معقّدة.

وتقنيات اختيار العينة يمكننا أن نجمعها في فئتين كبيرتين: التقنيات التي تلجأ إلى الاستدلال الاحتمالي (سبور تُسمّى عشوائية)، والتقنيات التي تُبنى على طرائقية اختبارية (سبور تُسمّى «قياسية» أو «مراقبة»). ولكل فئة شروطها ومجالها الخاص في التطبيق؛ ومن المناسب مع ذلك أن نلحّ على واقع مفاده أن لبعض العينات سمة مختلطة ولاتدخل حتى في هاتين الفئتين.

ولنشر على وجه الخصوص، في عداد الأساليب لاختيار العينة «خارج الفئتين»، إلى اختيار العينة **الاصطفائي** واختيار العينة **العرضي** أو **بالمصادفة**. فالأول

يتكوّن من وحدات إحصائية تُختار قصداً بغية تحقيق نموذج من الملاحظة أو نموذج تجربة معيّنة، مثال ذلك أفضل التلاميذ، أعضاء طائفة، إلخ. ولاختيار العينة الاصطفائي سمة أحادية الموضوع بصورة بارزة، بالنظر إلى أن العينة هي الممثلة لفئة من السكان مجردة، مطابقة قبلياً للعينة. وتتكوّن العينة العرضية أو بالمصادفة على العكس، تبعاً للظروف وفي سبيل السهولة، من أي وحدات تنتمي إلى المجموع الإحصائي المدروس، مثال ذلك صالة صف، زُبُن مخزن كبير، المارّة من منفذ مترو؛ ومثل هذه العينة ليس لها أي سمة تمثيلية، ولكن بوسع الباحث عند الاقتضاء، إذا كان بمتناوله معلومات كافية، أن يستمدّ منها عينة ممثلة بالاستبعاد.

ويرتكز تكوين العينة، في فئة السبور القياسية- وتُسمّى أيضاً «سبوراً اختبارية»- على حكم الملاحظ الذي ينبغي له أن يبذل جهداً لتحقيق نمط مصغّر من المجموع الاحصائي. فالأمر الذي لاغنى عنه إذن هو، من جهة، أن يعرف الملاحظ تركيب المجموع أو «تنضيد سافاته» (تركيب المجموع، أو تنضيد سافاته، هو الذي يتيح وحده تكوّن مجموع منضّد السافات بالنسب ذاتها)، ومن جهة أخرى، أن يعلم أو يقدّر أن هذا التركيب ذو علاقة وثيقة بالخصائص التي نرغب في دراستها. مثال ذلك أن الباحث يكوّن، ليعرف الاتجاه السياسي الذي يحوز الغالبية العظمى في منطقة إدارية أو انتخابية، عينة تتشكّل، حسب النسب المعروفة الخاصة بهذه الدائرة، من سكان أرياف ومدن، من ممارسي الأديان واللاأدريين، من أشخاص معمّرين وشباب، من عمال، ومستخدمين إداريين، وحرفيين ومتقاعدين. ويختار الباحث هذه المتغيرات- المسمّاة «متغيّرات الرقابة»- لتكوين النمط المصغّر، لأنه يقدّر أنها ذات ارتباط بالاتجاه السياسي الذي يأمل أن يعرفه (لاسيما قبل اقتراع)؛ ويبدو، على العكس، أن متغيّرات كمدخّن- غير مدخّن، عازب- متزوّج، لون العينين أو الشعر، ليست ذات علاقة وثيقة بموضوع البحث لتكوين عينة مخصّصة لبيان رأي السكان السياسي. وهذه الطريقة في اختيار العينة معروفة باسم «طريقة الحصص» (النِسَب). وليست العينة، في السبر القياسي، تمثّل المجموع إلا إذا

كانت متغيّرات الرقابة ذات علاقة وثيقة بموضوع البحث، ولكن التجربة وحدها، الناجمة على الغالب عن تحقّقات **بعدية** عديدة، تبيّن مشروعية تنضيد السافات الذي تبنّاه الباحث. وهكذا تجد التسمية مسوّغها، تسمية «السبر الاختباري». والمزيّة الأساسية لهذه الطريقة تكمن في أنها تقدّم نتائج مقبولة مع عينة ذات حجم صغير جداً (مثال ذلك سبر يعتمد على 100 000/1)، دون أن نستبعد مع ذلك أبداً خطر خطأ منهجي ليس بوسع الباحث أن يكشفه أو يقدّره لأن الخطأ مصدره تركيب في العينة قاصر. وذلك يمكنه أن يحدث، على سبيل المثال، في مرحلة الإعداد، إذا تبنّى الباحث فئات اجتماعية مهنية غير ذي علاقة وثيقة بموضوع الاستقصاء، أو في مرحلة التنفيذ، إذا أدرج الباحث خطأً «مستخدمين إداريين» في ساف «العمال». فنقول عندئذ إن العينة «فقدت تمركزها» أو «انحرفت». والانحرافات، التي تدخل في العينة دخولاً ذاتياً ولاشعورياً، تزيّف النتائج دون أن يكون بالإمكان شرحها (مثال ذلك أن يسأل الباحث أصدقاءه أو معارفه، مع أنه احترم الحصص في الوقت نفسه).

وهذا التعذّر، تعذّر الكشف عن الخطأ المنهجي، قاد الباحثين إلى تطوير طرائق الفئة الثانية، حيث يكون ممكناً تقدير هامش الخطأ تبعاً للخطر المرتبط بكل استقراء. فليس من الضروري، لتكوين عينة عشوائية (أو احتمالية)، أن نعرف تنضيد السافات الملائم للمجموع (الحصص)، ولكن الأمر الذي لاغنى عنه هو أن نضع قائمة كاملة بوحدات المجموع الإحصائي - قائمة تسمّى «قاعدة السبر» - كيما نكون قادرين على أن نباشر السحب بالقرعة لتلك الوحدات التي تكوّن العينة. ومثل هذه القاعدة موجودة في حالات عديدة: قائمة الأطفال الذين يتابعون دراستهم، حالة الأجراء المشاركين في هيئات الضمان الاجتماعي، قائمة الأشخاص ذوي الدخل المعيّن، إلخ. فعلى الباحث أن يتخلّى عن الطرائق الاحتمالية ويعود إلى الطرائق الاختبارية، في حال غياب قاعدة السبر (مثال ذلك أنه لايمكنه أن يضع قائمة لقرّاء صحيفة تُباع في الأكشاك). ومهما يكن الأسلوب

المستخدم في السحب بالقرعة (سبر نظامي للاسم العاشر، أو العشرين، أو المئة؛ سحب بالقرعة بعد ترقيم الأعداد العشوائية على جدول؛ سبر عشوائي مع تنضيد السافات)، فإن الفائدة كبيرة: لايتجنّب الباحث كل انحراف فحسب، ولكنه يمكنه فضلاً عن ذلك أن يستخدم خصائص توزيعات اختيار العينة. والواقع أننا إذا اعتبرنا كل العينات ذات حجم متّفق عليه يمكننا تكوينه من مجموع من المعطيات، فإن لمتوسطات هذه العينات $\overline{V}e$ توزيع إحصائي من التوزيعات؛ والأمر نفسه ينطبق على تغايرات العينة Ve، أو بالنسبة أيضاً لمؤشرات الارتباط داخل كل عينة.

J.M.M

الاخفاق

F: Échec

En: Failur

D: Misserfolg

الاشتقاق: من الفارسية Chäh، «ملك»، في القول «Chäh mat»، «مات الملك» مفرنسة إلى «échec et mat»، أي «إخفاق ومات».

شعور المرء أنه أخفق في مشروع.

لايرتبط الإخفاق بالمستوى المطلق لإنجاز عمل. إنه مفهوم ذاتي بصورة أساسية، موقعه في بعض المعايير، ولاسيما على مستوى طموح كل فرد. فنحن نعرف الإخفاق عندما لانبلغ الهدف الذي حدّدناه لأنفسنا، وعندما تخيب آمالنا. وهذا الوضع قد يكون، مهما كان صعباً، مفيداً من حيث أنه يرغمنا على أن نفهم الواقع فهماً أفضل وأن نقيم على نحو أكثر دقة وسائلنا وحدودنا. وبهذا المعنى، يكون الإخفاق محرّضاً لذكائنا. والواقع أن الإنسان السليم يسعى لفهم أسباب إخفاقه. ويستمدّ فائدة من أمثولات المحنة، وكثير من النجاحات تولد من الاخفاق المقبول. .ولكن الإخفاقات يمكنها، عندما تتكاثر وتتكرر في المجالات الأسرية والمهنية والعاطفية والجنسية أو أي مجال آخر، أن تسبّب وهن العزيمة، والعصاب، بل الذهان. «والمريض الذي نقول عنه إنه في حالة لاشعورية، كتب إتيان بورن يقول، ربما لايكون سوى واع كثيراً لضرب من الاخفاق الأساسي في الوجود الذي يعبّر عنه وينقله إلى عجز عن الانطلاق وإلى سلوكات إخفاق مرضية.» فالعديد من الأفراد الخجولين، غير ذوي العزم، المستسلمين، يعانون الإخفاق وكأنه ضرب من

الحتمية، إنهم يتصرّفون في حياتهم كما لو أنهم كانوا قد نُذروا للعجز، وكما لو أنهم كانوا لايرغبون في النجاح. بل قد نقول بالنسبة لبعضهم إنهم يقصدون أن يخفقوا، كما لو أنهم يعاقبون أنفسهم بسبب إثمية لاشعورية. وفي رأي دونه لافورغ أن هذا التصرّف عمل «الأنا العليا» ويكوّن **عصاب إخفاق** حقيقي. ويحاول ليون تولوستوي، في روايته **الحرب والسلام**، أن يبيّن أن نابليون أخفق في موسكو من جراء هذه الآلية الخفيّة، في حين أنه كان بوسعه أن ينتصر على الروس انتصاراً كلياً: «لو أن هدف نابليون كان فقدان جيشه، لما ابتكر وسيلة أخرى»، كتب يقول. والإخفاق المتكرّر، في رأي س. فرويد، لايكوّن عصاباً، بل عَرَضاً أول من أعراض مرض، أي التعبير عن رفضٍ لاشعوري، رفض إشباع. (انظر في هذا المعجم: **قسر التكرار، النجاح**).

N.S.

الأخلاق

F: Morale

En: Morals, morality

D: Moral

مجموعة من قواعد السلوك التي يقبلها المجتمع في عصر معين.

علاقات الأخلاق وعلم النفس كانت مجهولة خلال زمن طويل، إذ لم تكن الأخلاق تقبل علم النفس في بداية الأمر إلا في دور ثانوي: لتعيد رسم «وجوه أخلاقية» جديرة بتهذيب الأخلاق ما أمكن ذلك. وتبدو مع ذلك الآن قرابة المفهومات التي يشملها هذان المصطلحان عندما نضع موضع الموازاة المعنوي والمادي، إذ ننتقل من المؤنث إلى المذكّر(*). ويترتّب على ذلك أن المعنوي (Le moral) يصبح مرادف النفسي على وجه التقريب. وبدا مع ذلك، مع التحليل النفسي، أن الأخلاق كان بوسعها، في جوّ معيّن، أن تبدو على تعارض مع التوازن النفسي. وبدت الأخلاق على نحو طبيعي، الأخلاق التي يرسّخها عادة الآباء في عمر لايزال فيه هؤلاء، في أعين أطفالهم، آلهة معصومة من الخطأ، بأن تتّخذ بالنسبة للإنسانية مظهر التعالي إما لأنها تُعتبر ناجمة عن أوامر دينية أو ميتافيزيقية، مطلقة، وإما لأنها بدت ناجمة عن ضرب من إكراه المجتمع أو عن عقد اجتماعي ضمني.

(*) الانتقال من المؤنث إلى المذكر يحدث في اللغة الفرنسية، أي من La morale (الأخلاق) إلى Le moral (المعنوي) «م».

فكل مخالفة لمعاييرها، في هذه المنظورات التي يُستبعد منها العالم الذاتي، ينبغي لها أن تولّد بصورة طبيعية «ندماً» (وفق مصطلحات الأخلاق) أو عاطفة الإثمية وفق المصطلحات السيكولوجية)، عاطفة قد تصبح، إذا كُبتت في اللاشعور، أداة **العدالة الداخلية** في رأي ألاندي. ويتبيّن مع ذلك أن عاطفة الإثمية ليست متناسبة دائماً مع الخطيئة المرتكبة بل تنبعث بالمناسبة، وبمعزل عن كل عمل خاطيء، لتنزل العقوبة دون ريب بفكرة ممنوعة بشدّة من أن يكون بوسعها أن تبلغ مستوى الشعور.

والسبب على الغالب أن القاضي الداخلي - المسمّى على وجه العموم مصطلح «الأنا العليا» - تنقصه المرونة الضرورية على الغالب للتكيّف مع الظروف، كونه لم يتوصّل إلى أن يتخلّص من التشبّع العصابي الذي يحدث أن يستمدّه من مصادره الأسرية.

وينجم عن ذلك **عالم من الخطيئة مرضي**، ندّد به أ. هيسنارد، س. فرويد، وتابعه شارل بودوان الذي كان قد بيّن منذ تلك اللحظة أن عاطفة من الإثمية، غير مسوَّغة في البداية، كانت تدفع الأفراد إلى ارتكاب خطيئات فعلية لتفلت من التباس هذه العاطفة المثيرةللحصر.

فهل ينبغي اعتبار التحليل النفسي وعلم النفس إذن عدوّي الأخلاق؟ الحقيقة أن بعضهم استشهد بهما لابتكار قانون جديد كان يكمن في انتهاك القوانين. ألم يكن يجب علينا أن ننتظر، كما يحدث غالباً، «عودة المكبوت» على صورة مقنّعة؟ إن انتهاك القوانين، حين يصبح قاعدة عامة، يحتفظ بظاهر من المنطق يصون الفرد من الاضطراب السائد، ولكنه لايصونه من كل المخاطر التي ينطوي عليه هذا الانتهاك. و «المنتهكون» حرمة القانون المنهجيون مرغمون، ليحافظوا على كمال حياتهم النفسية، على أن يبحثوا عن تسويغ نظري يكون في الوقت نفسه وسيلة لإعلاء القيمة الشخصية.

والواقع أن كمال الحياة النفسية هو الذي يوضع، في نهاية المطاف، موضع الاتهام. ولهذا السبب، تميل الأخلاق إلى أن تشبه قواعد الصحة العقلية، هي نفسها رافد من روافد علم النفس.

ولايبقى لمن يرفض كل أخلاق، بسبب نقص ضرب من الإيمان (أياً كان هذا الإيمان) أو خوفاً من أن «يغترب» حين يقبل مبادىء مصدرها الخارج، وسيلة أخرى سوى أن يستمدّ المعرفة من ذاته، بوصفه موجوداً إنسانياً خاضعاً بصفته كذلك إلى مقتضيات علم النفس البيولوجي.

فإلى جانب المصادر الدينية، الميتافيزيقية أو الاجتماعية للأخلاق، يبدو إذن مصدر سيكولوجي، ذو علاقة بحاجة فردية. والإنسان لايمكنه، من وجهة نظر الأخلاق **المغلقة** كما الأخلاق **المفتوحة**، اللتين حدّدهما برغسون، أن يستغني عن منهج من السلوك ولا عن سلّم قيم، في حين أن مناهج السلوك وسلالم القيم تختلف باختلاف الأماكن والأزمنة والتقاليد.

فعلم النفس يؤكّد لنا على هذا النحو أن الإنسان، بماهيته وتكوينه الداخلي، موجود أخلاقي شاء أم أبى. وعلم النفس هو الذي يمكنه أيضاً أن يكشف عن التواءات الأخلاق عندما الأخلاق ترهق الإنسان وتجعله عقيماً إذ تثير «أمراض الفضيلة»، أمراضاً حقيقية تتعارض مع الصحة العقلية، بدلاً من أن تساعده الأخلاق على أن يعيش ويتقدّم. (انظر في هذا المعجم: **عاطفة الإثمية، تربية، قواعد الصحة العقلية، إيديولوجيا، الأنا العليا**).

A.B.

الأخوة

F: Fratrie

En: Fratry, Siblings

D: Geschwister

جماعة من الأخوة والأخوات.

المنافسات في جماعة الأخوة والأخوات أمر لامفرّ منه عملياً. ويدرك كلٌّ منهم الآخرين، بوصفه يرغب في أن يحتكر لنفسه حب الأبوين واهتماماتهما، منافسين له. والغالب أن تثير ولادة جديدة في الأسرة، إثارة مؤقتة، نكوص البكر الذي يصبح مجدّداً مصاباً بسلس البول والغائط، ويتطّلب رضاعته، ويستعيد لغة الرضيع، الخ؛ إنه يأمل، إذ يسلك سلوك الرضيع، في أن يفيد من الاهتمام نفسه الذي يلقاه الوليد على حدّ سواء. وتبيّن دراسة أجراها جـ. ديكومبه وغـ. روكوبرون (1953) أن اضطرابات الطبع أكثر تواتراً لدى الأبكار منها لدى الأولاد الذين يأتون بعدهم. وهذان المؤلفان، في قسم هنري والون (باريس)، أثبتا أن أكثر من نصف المستشارين كان يتألّف من الأبكار (50 بالمئةمن الصبيان، 56 بالمئة من البنات) وأقل من الثلث يتألف من الولد الثاني (27 بالمئة من الصبيان، 23 بالمئة من البنات). وإذا كان الموقع في الأخوة لايتدخّل وإذا كان التوزيع يتبع قوانين المصادفة، فإن هذه الأرقام كانت تتقلّص في الحالين إلى 33 بالمئة لدى الصبيان وإلى 36 بالمئة لدى البنات. وهذه الظاهرة في رأي المستقصين، ناجمة معاً عن اتجاه الآباء الذين يقلقون على ولدهم الأول ويتشدّدون معه أكثر مما يفعلون مع الأولاد الذين يأتون بعدهم، وعن المنافسة التي تجعل بكراً يعارض أخاه الصغير أو أخته الصغيرة.
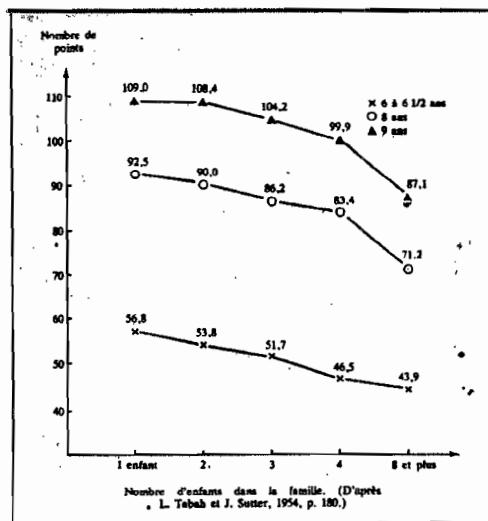
وموقع البكر في أسرة موقعٌ صعب بالتأكيد، ولكن الأطفال الآخرين ليسوا في وضع مريح. فالأبكار الذين يغالي الآباء في تقديرهم يسحقون الأصغر منهم على الغالب. والأعياد الأسرية الأولى التي تُنظّم للطفل هي للأبكار، ولهم يشتري الآباء ثياباً جديدة تستخدم ليرتديها الذين يأتون بعدهم. وفي هذه الشروط، يمكن أن يكون لدى الأطفال الذين يلون البكر شعور مشروع أن أهميتهم أقل من أهمية أبكارهم. وعلى أي حال، تتفاقم منافسات الأخوة عندما يكون لدى أحد الأبوين، أو كليهما، تفضيل بارز لأحد الأطفال؛ ويحدث الأمر على النحو نفسه في الأسر ذوات الأطفال العديدين جداً حيث يعتقد كل منهم في نفسه أنه غير محبوب بصورة كافية، بالنظر إلى أنه لايفيد من جزء من العناية والاهتمام الكافي.

ووجود الأخوة أو الأخوات يوفّر، على الرغم من هذه المحاذير، بعض المزايا، ذلك أنه يتيح لهم أن يمارسوا تعلّم الحياة في الجماعة. فالطفل الوحيد، الذي يحميه الأبوان ويدلّلانه أكثر من الأطفال الآخرين، أقلّ منهم إعداداً لحياة الرشد بكثير. وكل فرد في جماعة الأخوة ملزم بأن يحدّد موقع متطلّباته بالقياس على متطلبات أخوته وأخواته وهو يثير، إذا تجاوز حقوقه، ارتكاسات دفاع لدى هؤلاء الأخوة والأخوات. وكلٌّ منهم، من جهة أخرى، يحثّ الآخرين؛ والأبكار ميّالون على وجه الخصوص إلى أن يؤدّوا دور المدرّبين، إن لم يكن دور «الأساتذة»، بالنسبة للذين يأتون بعدهم. وهاكم مثالاً: عمر بيير ستة عشر شهراً، ولكنه لايزال يحبو. وإذ انزعج أخوه البكر، جان، ذو السنوات الثلاث، من أن يراه ينتقل على قوائمه الأربع، فإنه انتصب أمامه وقال له: ألا تخجل من أنك تمشي ككلب صغير؟ هيّا، قف!» فينتصب بيير خجلاً ولكنه سرعان مايقع مجدّداً. ولكن جان يلحّ عليه بقوة: «قف، أقول لك، قف!» وينهض بيير ويخطو خطواته الأولى، دون عون أمه التي كانت تشهد هذا المشهد، مذهولة.

أما العدد الأمثل للأطفال في أسرة، من وجهة النظر السيكولوجية، فإنه يقع بين اثنين وثلاثة، وذلك أمر يصبّ في أمنية الفرنسيين، كما يبرز من استقصاء أجراه هـ. باستيد (و) أ. جيرار، عام 1974، لدى 2325 راشداً. وبيّنت عدة دراسات

أنجزت في مختلف بلدان أوروبة وأمريكة أن النتائج في روائز الذكاء تتناقص، على وجه العموم، تناقصاً منتظماً كلما ازداد عدد الأطفال في الأسرة. ونظّم في فرنسة، عام 1944، جورج هوير، هنري بييرون، ألفريد سوفي، ومعاونوهم، استقصاءً واسعاً لدى 237 95 تلميذاً من عمر ست سنوات إلى اثنتي عشرة (أي 2,4 بالمئة من تلاميذ المدارس الابتدائية)، الذين ريزوا بـ **رائز المستوى** (رائز المستوى العقلي، غير اللفظي، رائز صُوَر)، رائز ر. جيل. والنتائج بليغة: في كل الأعمار، من عشر سنوات إلى اثنتي عشرة، يبدي الأطفال الوحيدون، في المتوسط، سبقاً في العمر العقلي قدره سنة إلى سنتين على الأطفال الذين ينتمون إلى أسر ذات ثمانية أطفال وأكثر.

وفي عام 1947، يلاحظ السير جودفري هيلتون ثومسون (1881-1955) تلك الظاهرة نفسها في فئة من الأطفال الإيقوسين بلغت 1215 طفلاً، ريزوا فردياً برائز ستانفورد- بينه: متوسط خاصلات الذكاء كانت تتناقص بانتظام من 113 للأطفال الوحيدين إلى 91 لأطفال الأسر ذات الأطفال التسعة.

الشكل: عدد الأطفال في الأسرة (ل. تاباه و جـ. سوتّر، 1954 ، ص 180).

المنحنيات الثلاثة وُضعت انطلاقاً من علامات نالها الأطفال من ست سنوات إلى ست سنوات ونصف، ومن ثماني سنوات وتسع (وليس انطلاقاً من حاصل ذكائهم). ولكن للخطوط البيانية كلها الاتجاه المتناقص ذاته من ست سنوات إلى اثنتي عشرة.

ودرس جوسيب ميغليوريني ومعاونوه في باليرم، من جهتهم، نتائج 4000 تلميذ خضعوا لبطارية من الروائز في الستينات من هذا القرن. ومتوسطات العلامات التي حصل عليها التلاميذ في **رائز المستوى**، رائز ر. جيل، هي التالية:

	عدد الأطفال في الأسرة			
	1	2	4	9 ومافوق
صبيان	105,60	113,60	107,07	100,85
بنات	107	111,38	101,23	92,60

(المصدر: ج. موغليو رينو، 1972، ص. 992-993)

وكان ر. ب. زاجون (و) ج. ب. ماركوس قد لاحظا الظاهرة نفسها في الولايات المتحدة الأمريكية، ولاحظها ليليان بيلمونت وفرانسيس أ. مارولا في البلدان المنخفضة. وكان يتناول العالمين الأولين علامات حصل عليها 800000 أمريكي من عمر 17 عاماً في **رائز الكفاءة لنيل المنح التعليمية الوطنية**، رائز اختُبروا به عام 1965. وكان لدى العالمين الآخرين نتائج 114 386 هولاندياً، في التاسعة عشرة من العمر (إنهم من الناحية العملية، مجموع السكان الذكور الذين وُلدوا في البلدان المنخفضة بين 1944و 1947)، في **المصفوفات المتتابعة** لبندوز ورافن. وكلا الفريقين يلاحظان أن أفضل النتائج وجدت في الأسر ذات الولدين والأضعف لدى الأسر ذات الأولاد العديدين. أضف إلى ذلك أن المستوى العقلي للأطفال يتناقص وسطياً مع رتبة الولادة.

وتفسير هذه الظاهرة أمر دقيق. وبوسعنا، على سبيل الفَرَض، أن نتذكّر تأثير العوامل الاقتصادية واتجاه الآباء. ويلاحظ ج. ميغليورينو أن عدد الأطفال في الأسر الميسورة ليست إلا 2,5 في حين أنه 3,7 في الأسر الفقيرة. فكلما كان عدد الأطفال مرتفعاً، كان النصيب من الدخل لدى الآباء لكل من هؤلاء الأطفال قليلاً. ولكن الشروط الاقتصادية لاتكفي لفهمَ هذه الظاهرة. ومن المحتمل أن اتجاه الآباء إزاء أطفالهم، إضافة إلى هذه الشروط الاقتصادية، حاسم. فأولئك الذين لهم قليل من الأطفال لديهم الوقت للعب معهم، وحثّهم، وتشجيعهم، وملاحقتهم في دروسهم، إلخ؛ في حين أن الأعمال المادية، في الأسر ذات الأطفال العديدين، تشغل الوقت وتنهك طاقة الآباء. والأبكار من الأولاد، من جهة أخرى، يرتبطون ارتباطاً مباشراً بالأب والأم اللذين يقبلانهم في عالمهم لهذا السبب. وأخيراً، فإن الدور الذي يؤدونه للأصغر منهم، دور المدرب والدليل، يمنحهم الاطمئنان ويُسهم في نمو حسّ المسؤولية لديهم.

المستوى العقلي، رتبة الولادة وعدد الأطفال					
عدد الأطفال	رتبة الولادة 1	2	3	4	5
1	103,76				
2	106,21	104,44			
توائم	98,04	98,04			
3	106,14	103,89	102,71		
4	105,59	103,05	101,30	100,18	
5	104,39	101,71	99,37	97,69	96,87

متوسط العلامات التي نالها التلاميذ في **روائز الكفاءة لنيل المنح التعليمية الوطنية** عام 1968 ، الذين بلغ عددهم 800.000 من الشباب الأمريكيين ذوي سبعة عشر عاماً من العمر.

(المصدر : د. ب. زاجون، 1976)

M.C.

الأداتية

F: Instrumentalisme

En: Instrumentalism

D: Instrumentalismus

تصور فلسفي دافع عنه عالم النفس الأمريكي جون ديوي (1859-1952) تكون الأفكار بحسبه، والنظريات، والفكر على وجه العموم، وسائل، أدوات للعمل.

المعرفة الإنسانية، التي تُعَدّ تدريجياً، معرفة مستقبلية: إنها تنظر إلى المستقبل وتبدو وسيلة تكيّف مع التجربة. وهذه النظرية شبيهة بالاختبارية وذرائعية وليم جيمس (1842-1910)، ذلك أنها تتّخذ القيمة العملية معيار الحقيقة: فالفكرة تُختبر في التجربة؛ والفكرة التي تنجح (أي تتيح أن تحلّ صعوبة أو تقود إلى إثبات واقع جديد، على سبيل المثال) فكرة صحيحة. (انظر في هذا المعجم: **الوظائفية**، **جيمس** [وليم]).

N.S.

الإدخال في مشفى الطب النفسي

F: Internement

En: Interment

D: Internierung

إجراء سلطوي من الحرمان من الحرية مفروض على فرد رُئي أن سلوكه غير السويّ، الخطر على نفسه وعلى (أو على) الغير، يُعتبر ذا علاقة بمرض عقلي.

ممارسة الإدخال في مشفى الطب النفسي كان قانون 30 يونيو 1838، الذي يتناول «المصابين بالاغتراب العقلي»، قد نظّمها في مجموعها، وهو قانون ألهم فيما بعد عدداً من التشريعات في البلدان الأجنبية. وهذا القانون كان يحاول، إذ حدّد شروط الإدخال، أن يوفّق بين الضرورة الماثلة في حماية المجتمع من بعض الأفراد الخطرين وشاغل ضمان الحرية لهؤلاء الأفراد ضد كل إفراط. وكان أيضاً ينظّم مشكل قدرتهم المدنية، وحماية أملاكهم، ويقضي أن العلاج الطبي ينبغي أن يجري في مؤسسات متخصّصة.

وعن هذه النصوص، ينجم أن المرضى العقليين، مع الأفراد المصابين بمرض زهري معدٍ، هم الوحيدون الذين كان ممكناً أن يُفرض عليهم العلاج والوحيدون، على وجه الخصوص، الذين كانت مشافيهم منعزلة ووضعهم القانوني كان مستثنى من القاعدة العامة. ولهذا السبب لم يلبث هذا العزل أن كان موضع التنديد والمحاربة، وتوالى عدد من مشروعات إعادة النظر في هذا القانون. ولكن

مجموعة المقترحات الأكثر تماسكاً كانت قد وُضعت بدءاً من 1985 ؛ والأكثر أهمية في هذه المجموعة من المقترحات يكمن في أنها كانت قد اقترحت إلغاء قانون عام 1883 وتطبيق التشريع العام على المرضى العقليين. ووجد هذا المنظور تطبيقه الأول في مجال الوضع القانوني المدني: حالة المرضى العقليين التي انضمت إلى حالة معوقين آخرين لتشكيل جماعة «العاجزين الرئيسيين» الذين كان وضعهم، ويظل، قد حدّده **قانون كانون الثاني (يناير) 1968**. وبان المشكل، الذي طرحته التقييدات التي أحدثها الإدخال في مشفى الطب النفسي للحرية، أكثر صعوبة على الحلّ. والقول الحق أن أي مشروع لايمكنه أن ينظر في إلغائها الكلي، والتنظيمات المقترحة كانت تنصبّ فقط على أشكال الإدخال في مشفى الطب النفسي (شروط القرار والرقابة، أقسام بُنى العناية الطبية، الخ). وتظل ممارسة الإدخال في مشفى الطب النفسي محكومة في أيامنا هذه أيضاً بقانون عام 1838، في حين أن وضع المرضى العقليين المدني ينظّمه قانون عام 1968.

وقانون 1838 ينصّ على نمطين للإدخال: 1- **الوضع الإرادي** في المشفى، المسمى على هذا النحو ليس لأن الوضع في المشفى ينجم عن قرار للمريض (وعندئذ يسمى «الوضع الحر») بل لأنه يتحقّق بطلب مكتوب من شخص ثالث (قريب، صديق، أو أي شخص آخر «ذي علاقة مع المريض»). وينبغي لهذا الطلب أن يكون مرفقاً بشهادة طبية تأريخها أقلّ من خمسة عشر يوماً من تأريخ الطلب، واضحة ومفصّلة، تكوّن الوثيقة الرئيسة في الإضبارة. ولاينبغي للطبيب المقرّر، الذي ليس بالضرورة اختصاصياً في الأمراض العقلية، أن يكون مرتبطاً بالمنشأة التي ستستقبل المريض ولا ذا صلة قرابة بمدير هذه المنشأة أو بالشخص صاحب الطلب. 2- **الوضع الإداري** في المشفى الذي يتحقّق تطبيقاً لقرار المحافظة (الوثيقة الوحيدة التي لاغنى عنها)، قرار يتّخذ بالنسبة «لكل شخص حالة اغترابه العقلي تعرّض النظام العام وأمن الأشخاص للخطر». والأغلب أن هذا القرار يستند إلى شهادة طبية واستقصاء تقوم به الشرطة، ولكن ذلك غير إلزامي. والمنشآت المخولّة استقبال هؤلاء المرضى هي مشافي الطب النفسي العامة وبعض

المؤسسات الخاصة التي تفيد من بند يقرّه وزير الداخلية. وليس لهذه المؤسسات بنوعيها أن ترفض قبول فرد تكون الشكليات التنظيمية لوضعه في المشفى متحقّقة، أياً كان زمن القبول ودرجة الازدحام في المصلحة).

وخلال فترة الحجز، ثمة رقابة ثلاثية محدّدة، مخصّصة للمحافظة على حقوق المرضى: رقابة طبية أولا، لأن الطبيب، بالنسبة لـ**الوضع الإرادي في مشفى الطب النفسي**، ملزم بأن يحرّر خلال أربع وعشرين ساعة شهادة مفصّلة موجّهة إلى المحافظ، ثم شهادة أخرى بعد خمسة عشر يوماً، وعليه أن يدوّن كل شهر على سجل خاص ما يطرأ على حالة المريض من تغيّرات. وفيما يخصّ **الوضع الإداري** في مشفى الطب النفسي، هناك تقرير مفصّل ينبغي أن يصل إلى المحافظ كل ستة أشهر. ويتلقّى المحافظ إشعاراً بكل الإدخالات في مشفى الطب النفسي التي لم يقررها هو نفسه، ويظل مطّلعاً على تطوّر كل حالة بالشهادات الطبية. أضف إلى ذلك أن عليه، بوصفه عمدة البلدة التي يوجد فيها المشفى، أن يزور المنشأة زيارات في فواصل زمنية منتظمة ليتلقى فيها الالتماسات المحتملة للأشخاص المحجوزين. والمدعي العام للجمهورية، الذي يُخبر أيضاً بكل حالة إدخال إلى مشفى الطب النفسي، يمكنه من جهة أخرى أن يطلب في كل لحظة إيضاحات عن كل حالة خاصة لهذا المريض أو ذاك، وعليه أن يزور المنشآت العامة للطب النفسي كل ستة أشهر، والمنشآت الخاصة كل ثلاثة أشهر. ويظلّ تنظيم الزيارات للمرضى المحتجزين خاضعة لتقدير الطبيب ولكن المحكمة يمكنها، في حال الاحتجاج على المنع الكلي للزيارات، أن تنظّم حقاً بالزيارة. وعلى ا لعكس، أي مراسلات موجّهة للسلطات الإدارية أو القضائية لايمكنها أن تكون موضع معارضة، والمحكمة يمكنها، بناء على طلب الفرد أو أسرته أو أصدقائه، أن تسمي «قيّماً على الشخص» مهمته على وجه الخصوص أن يسهر على «أن يُعاد الشخص المومى إليه إلى الممارسة الحرّة لحقوقه حالما تسمح له حالته».

وأسلوب إنهاء الإدخال مختلف بحسب نمط الوضع في المشفى: فالخروج يمكنه أن يتحقّق، في حال **الوضع الإرادي**، بطلب من الأسرة (في ظل بعض

الشروط وباحترام ضرب من نظام الأولوية لأعضائها)، بتصريح من الطبيب الذي يثبت الشفاء أو بأمر من المحافظ. أما بالنسبة لـ**الوضع الإداري في المشفى**، فإن تدخّل المحافظ إلزامي، والقرار يُتّخذ إما بسلطته الخاصة وإما بمبادرة من الطبيب. والمحكمة المدنية، أخيراً، يمكنها، إذا لجأ إليها المريض بعريضة، أو «كل قريب أو نسيب أو صديق» أو المدعي العام للجمهورية، أن تفصل في ذلك فصلاً لايقبل المنازعة وتقرّر خروج الفرد مباشرة، حتى عكس رأي الطبيب أو الإدارة.

ويحدّد قدرات المرضى العقليين قانونُ كانون الثاني (يناير) 1968، الذي يُطبّق في الواقع، كما كنا قد قلنا سابقاً، على كل «العاجزين الرئيسيين»، أي كل أولئك الذين «يضع ضرب من التشويه قدراتهم الشخصية في حال من العجز عن أن يتدبّروا أمر مصالحهم». وهذا التشويه يمكنه أن يصيب قدراته الجسمية أو العقلية؛ وفي هذه الحالة الأخيرة، يشمل التشويه كل التغيرات التي يسبّبها «المرض، أو عاهة، أو ضعف ناجم عن العمر». أضف إلى ذلك أن هذه النصوص ليست مستقلة عن نظام العلاج، وبالتالي، ليست مقصورة على حالات الإدخال في مشفى الطب النفسي. فالقاعدة المقرّرة أن وجود اضطراب عقلي خلال فعل مدني يجعل هذا الفعل لاغياً. وهذا البند الحقوقي لايمكن أن يدفع به إلا الفرد أو ممثّله، ولكن عبء البرهان على اختلال الذهن خلال الفعل المدني يقع عليهما.

ونصّ القانون على ثلاثة ضروب من الحماية للمرضى العقليين: 1- نظام «الوقاية القضائية»، ذي التطبيق السريع والمحدود في الزمن (يتجدّد في نهاية شهرين، ثم كل ستة أشهر)؛ إنه يترك القدرة للفرد على أن يمارس أفعالاً حقوقية ولكنه يتوقّع إلغاءها أو تقليصها إذا أضرّت بمصالحه؛ 2- نظام «الوصاية» يتوجّه إلى الأفراد العاجزين كلياً ودائماً ويؤمّن تمثيلهم بوصي يسمّيه ويعاونه مجلس الأسرة؛ 3- نظام «القِوامة» ينطبق في حال العجز الجزئي الدائم؛ فالفرد يحتفظ بإمكان إدارة ذمته المالية وحده، ولكنه ينبغي أن يكون موضع مساعدة القيّم للأفعال الأكثر أهمية (بيع، شراء، الخ).

ولنتذكّر أن مريضاً أُدخل مشفى الطب النفسي يرى حقوقه السياسية معلّقة؛ وثمة، من جهة أخرى، مرسوم 21 تموز (يوليو) 1954، يضيف إلى قائمة ضروب العجز التي لاتناسب حيازة شهادة سياقة «كل اضطراب في القدرات العقلية التي سبّبت الإدخال الإداري أو الإرادي في مشفى الأمراض النفسية»، وقضى بشرط للحصول على هذه الشهادة هو «فحص طبيب نفسي عصبي غير الطبيب الذي عالج الفرد، طبيب يفصل في الأمر فصلاً يرافقه الحذر الأكبر، بعد الخروج من المشفى بستة أشهر على الأقل. . . ». فشهادة السياقة تُسحب عملياً من كل مريض يدخل مشفى الطب النفسي، وتعود إلى هذا المريض، في مهلة قدرها ستة أشهر بعد الخروج على الأقل، أن يعرض نفسه، على نفقته الخاصة، لفحص طبي جديد سيحدّد إعادة الوثيقة. ويبدو إجراء من هذا النوع أنه غير عادل بصورة خاصة ويضرّ بإعادة الاندماج الاجتماعي للفرد ضرراً خطيراً. ولهذا السبب شكّل موضوع توصية من المجلس الدائم لقواعد الصحة الاجتماعية (لجنة الأمراض العقلية) تميل إلى إلغائه.

وشكّلت نصوص قانون 1838 منذ زمن طويل موضوعاً لانتقادات عديدة لم تصدر عن الأوساط المتخصّصة (أطباء، حقوقيين) فحسب، ولكن عن «الرأي العام» أيضاً، الذي يعبّر، بصورة منتظمة، عن خشيته المزدوجة من أن يرى مريضاً خطراً يحرَّر و يُحجَز فرد سليم الفكر. ومن المناسب، بهذا الصدد، أن نعترف بصحة شائعات دورية عن ضروب عبثية من الإدخال في مشفى الطب النفسي لأفراد أسوياء على نحو تام، بقصد السلب على وجه العموم. وجهاز الحماية الفردية القانوني الذي عرضناه أعلاه هو ما هو عليه بحيث أن مثل هذه الشروع يقتضي مجموعة من التوطؤات التي هي من الأهمية بحيث يصبح متعذّر التحقّق من الناحية العملية. وإذا كانت مع ذلك مراقبة الإدخال ذاتها لاتفسح مجالاً في الأساس لنقد رئيس، فإن شروط وضعها موضع التطبيق يمكنها أن تكون مناسبةً لتحويل الممارسة عن هدفها. وحسبنا، حتى نقتنع بهذا القول، أن نرى كيف يتغيّر عدد المحتجزين حسب الأزمنة، والمناطق، والمستويات الثقافية الاجتماعية أيضاً.

والسبب، إذا تجاوزنا الأوضاع التي ينصّ عليها القانون، أن الإدخال في مشفى الطب النفسي أصبح منذ زمن طويل وسيلة لتنفيذ الدرجة القصوى، في الزمان والمكان، ومن سيرورة طويلة من العزل والنبذ مطبّقة على فئات من المرضى المزعجين ولكن خطورتهم ليست واضحة. وهذه الممارسة أصبحت ممكنة بفعل الإجراء نفسه، إجراء الإدخال في مشفى الطب النفسي، الذي يجعل سلطات لاتعرف الفرد تتدخّل (إدارة المحافظة التي تأمر بالوضع الإداري) أو أشخاص ليس لديهم، بوصفهم طالبين الإدخال، حياد واقعي (الأشخاص الذين يحيطون بالشخص، فيما يخص الوضع الإداري؛ والطبيب المعالج فيما يخص الوضع الإرادي والإداري)؛ فطلبهم، أو قرارهم، يكفي لإيجاد وضع الإدخال في مشفى الطب النفسي، طلب سيفرض نفسه مباشرة، بصورة آمرة ومطلقة، وعلى الشخص المنشود وعلى منشأة الاستقبال. وهذا الإجراء مغال في السهولة والسرعة؛ إنه يكوّن وسيلة استبعاد غير معصومة ضدّ فرد معوق وأعزل (شيخ، مصاب بالتخلّف العقلي..). وحتى لو أن إجراءات الحماية، التي نص عليها القانون، ووُضعت موضع التنفيذ وأن الخروج من المشفى حدث دون تأخير، فإنها لن يمكنها أن تجنّبه المزعجات التي سبّبها الإدخال في مشفى الطب النفسي (مراقبة، عناية صحيحة) ولن يكون بوسعها أن تفعل شيئاً ضد النبذ الذي سيكون موضعاً له، نبذ الأشخاص المحيطين به، ذلك أن أي قانون، إلا القانون الأخلاقي، لا يفرض إلزامات في هذا المجال. وهذا الأسلوب في التصرف مورس، حسب العصور والأماكن، على فئات شتى؛ وهو خاصّ، في أيامنا هذه، بأفراد يبدو عليهم ضروب من القصور العقلي الجبلّي (تخلّف عقلي) أو المكتسب (شيخوخة)، اضطراباتها لاتكفي مع ذلك لوصفهم بأنهم «خطرون». وأمكن أيضاً أن يُستخدم الإدخال في مشفى الطب النفسي، في منظور مجاور، ولكن على حال أكثر تعقيداً، وسيلة قمع. والواقع أن هذا الإجراء، إجراء الحرمان من الحرية، القائم على تقييم ذاتي بالضرورة لحالة الفرد العقلية، يستند إلى «السواء النفسي» الذي نعرف التباسه الحتمي. فإذا كان مرجع هذا «السواء» تصرّف الغالبية، فإن الإدخال

في مشفى الطب النفسي يمكنه أن يُطبّق على بعض «المنحرفين» الذين قد يقيّم توازنهم النفسي على نحو مختلف، حتى ولو أنه لا يبدو لديهم أي عَرَض مرضي واضح ولا يظهرون سلوكاً خطراً (ونحن نقصد على وجه الخصوص أولئك الذين نصفهم بـ «المرضى الاجتماعيين»: «الشخصيات السيكوباتية»، بعض المدمنين على المخدرات أو الجانحين). ولكن هذا السواء يمكننا النظر إليه بالقياس على قاعدة أو مثال جماعي محدّد بصرامة. وسيهدّد الإدخال في مشفى الطب النفسي، في هذه الحالة، كل معارض لهذا النظام لأن موقفه لايمكنه أن يكون، على نحو واضح، إلا غير منطقي، و«مرضي» بالإحالة إلى المرجع.

وتبيّن هذه الأمثلة مخاطر ممارسة الإدخال في مشفى الطب النفسي وصعوباتها. وإذا لم يكن ممكناً أن ننفي وجود مرضى عقليين خطرين نادرين(إلا إذا ألغينا المفهوم ذاته، مفهوم مرض عقلي كما أوحت بذلك مدارس ضدّ الطب النفسي)، فإن من الضروري على وجه الإطلاق إيجاد الوسائل لنحتفظ لهم على وجه الدقة بإجراءات الإكراه. ويبدو أن الحلّ الحقيقي، في مواجهة الاقتراحات العديدة التي كانت قد صيغت (حتى أن أحدها عَهِد تقييم حالة الفرد إلى «لجان شعبية لقواعد الصحة العقلية»)، هو من النوع الوقائي، بإقامة شبكة من المساعفة، شبكة مجهّزة ومتنوّعة تتكيّف بمرونتها مع مختلف المعوقين وتتجنّب اللجوء على الأغلب إلى إجراء العزل حال الإدخال في مشفى الطب النفسي (انظر في هذا المعجم: **الطب النفسي**).

J.M.A.

الإدراك

F: Perception
En: Perception
D: Perzeption

عملية عقلية معقّدة يحتاز الفرد بها الشعور بالوقائع والأحداث الخارجية.

الإدراك إنشاء من إنشاءات الذهن لاتتدخّل فيه العناصر التي تقدمها أعضاء الحواس لدينا فحسب، ولكن تتدخل فيه أيضاً **معارفنا** التي تُقدم على إكمال المعطيات الحسية. وحسبنا أن نلقي نظرة لنحدّد هوية البرتقالة الموضوعة على الطاولة، دون أن نتعرّض إلى خطر اعتبارها طابة لعب التي لها اللون نفسه والحجم عينه. ولايقتضي هذا التعرّف تحليلاً ولا أن نقيم علاقات بين إحساساتنا، إنه تعرّف مباشر. فالإدراك، يقول ميرلو- بونتي (1908 -1961)، «إنما هو فهم معنى متأصّل في شكل حسّي سابق على كل حكم»؛ إنه على نحو أدقّ، أن تنسب إلى هذا الشكل الحسي معنى انطلاقاً من وضع مفهوم على نحو إجمالي.

ونحن لاندرك الواقع كما هو، بل ندركه كما نعرفه. فليونار دو فنشي (1519-1452)، مثّل الأوعية الدموية، حين رسم قلب الإنسان وكان موديله القلب الطبيعي، إذ أقام اتصالاً بين بطينين من خلال الحاجز الوسيط، اتصالاً كان كلود غاليان (131-202) يؤكد واقعه، ولكنه غير موجود في الحقيقة. ونحن أنفسنا نرتكب أخطاء حين نزعم أن سطحاً رمادياً تنيره الشمس أكثر قتامة من سطح أبيض موجود في الظلّ؛ والواقع أن هذا السطح الأبيض يعكس نوراً أضعف بكثير من النور الذي يعكسه السطح الأول (مفارقة فخنر). وتبدو لنا أشياء مألوفة أنها تحتفظ بأبعادها الواقعية، في حين أنها تبتعد عنا؛ وهذا الثبات في المقادير ينجم عن

«ضرب من تنسيق تعويضي بين المقدار الظاهر (م ظ)، والبعد (ب)، والمقدار الواقعي، (م و)، على الصورة م ظ×ب=م و، بحيث أن م ظ إذا نقص فالسبب أن ب تزداد أو العكس» (جـ. بياجيه، 1963، ص. 38).

وأكّدت عدة تجارب مخبرية تأثير معارفنا في إدراكاتنا. مثال ذلك أننا نعرض في غرفة مظلمة، حيث لايوجد أي مَعْلَم يتيح تحديد موقع الأشياء، بالونين لهما حجم واحد، منارين على حدّ سواء وواقعين على بعد واحد من ملاحظ. ثم ننقص حجم أحد هذين البالونين وإنارته دون أن يعلم الملاحظ، الذي يشعر أن البالون يبتعد، وعيناه تقومان بالمطابقة لمتابعته. وعندما نريه منارة من كرتون تنزلق ببطء أمام مرفأ يمثل فيه قارب، فإنه يرى القارب يتحرّك والمنارة ساكنة (و. كروليك، 1934). إن أخطاءه المتتابعة ترتبط بواقع مفاده أنه يعلم ككل فرد منا أن البعد يصغّر الأشياء ويجعلها غير متميّزة، وأن المنارات لاتنتقل. وإذا تدخّل الشيء في الإدراك، فالفرد ليس أقل حضوراً، وخصائص الأول لايمكنها أن تكون موضع فهم إلا من خلال خصائص الثاني. فالإدراك علاقة: علاقة الفرد بالشيء.

كل شخصنا متورّط في فعل الإدراك، وليست معارفنا فقط. إن **توقّعاتنا** هي التي توجّه الإدراك بادىء ذي بدء. والواقع أنني، إذا تنقّلت في غابة، لاأدرك الأشياء فيها على نحو واحد وفق كوني صيّاداً أو جامع فطور أو أسجّل زقزقة العصافير: إنني، في الحالة الأولى، حسّاس بالحري للآثار، للضجات البهيمة والروائح؛ وألاحظ، قبل كل شيء، في الحالة الثانية، رطوبة التربة، كثافة العشب، وأنواع المكان؛ وأستسلم، في الحالة الثالثة، إلى حاسّة سمعي تقودني. فأنا مرغم، في التنوّع اللامتناهي للإحساسات التي تقتحمني وغناها يكون مانعاً يحول بيني وبين أن أفهمها، على الاختيار- ضرب من تقطيع الواقع، تقطيع يتمّ تلقائياً وعلى نحو لاشعوري- الذي يحدث في علاقة باهتماماتي الراهنة. وتخلّف **الحاجات** أيضاً صداها على الإدراك، كما بيّن بصورة تجريبية ر. لوفين، إ. شين وغ. موفي (1942) انطلاقاً من رسوم ملتبسة. فلطلاب لم يتناولوا طعاماً ميل بارز إلى أن يروا غذاء في الأشكال التي عُرضت عليهم، في حين أن الآخرين الذين

أنهوا وجبتهم ليس لديهم هذا الارتكاس. وأتاحت التجارب على المنبّهات الملتبسة (التي يمكنها أن تفسح المجال لتفسيرات عديدة)، أن تُظهر عوامل أخرى تؤثّر في الإدراك، كالانتماء إلى جماعة. إن عالم النفس الأمريكي مظفّر شريف (1936-1935) استخدم الخداع الذاتي الحركة الذي يحدث عندما نلقي نقطة مضيئة في غرفة مظلمة. وفي حال غياب أي إطار مرجعي، يبدو هذا المنبّه الثابت متحركاً، والمسافة التي يبدو أنه اجتازها تختلف اختلافاً كبيراً من ملاحظ إلى آخر. وبعد أن حدّد شريف لكل شخص، مأخوذ فردياً، متوسط تقديراته، جمع الأفراد في جماعات صغيرة وبدأ التجربة مجدّداً إذ طلب إليهم أن يعلنوا تقييماتهم بصوت مرتفع. فلاحظ عندئذ أنّ للإجابات ميلاً إلى أن تتلاقى، وأنّ ثمة معيار جماعة يتكوّن تدريجياً. أضف إلى ذلك أن إجابات الفرد تظل، عندما يجرب على كل فرد بصورة منفصلة عن الجماعة، قريبة من معيار جماعته الإدراكية. وهكذا يمكننا القول إن **الانتماء الاجتماعي** يتدخّل أيضاً في الإدراك.

والمسلك الإدراكي، إضافة إلى كونه بنياناً عقلياً، ضرب من التزام الفرد الذي يحتاج في **عالمه الخاص** إلى إطار مرجعي ليشعر بالأمن ويعمل. وأسسُ هذا المسلك الإدراكي فطرية (إدراك البنيات تابع للتنظيم العصبي، الذي يرتبط هو ذاته بالبنيات الحركية على وجه الاحتمال)، ولكن الإدراك تحدّده التجربة الماضية أيضاً، والدافعيات، والوجدانية، والثقافة- ونقول بعبارة واحدة يحدّده مجموع الشخصية. ونفهم، في هذه الشروط، أن إصابات دروب التوصيل العصبي أو مراكز التكامل الدماغية، وكذلك تدمير الشعور تحت تأثير المرض العقلي، يمكنها أن تظهر في اضطرابات إدراكية كعَمَه إدراك الأشياء والأشكال (المريض عاجز عن تسمية الشيء المألوف الذي نعرضه عليه)، والصَمَم اللفظي (الفرد يسمع الكلمات التي تلفظ أمامه ولكنه لايفهم ما تعبّر عنه)، والهلاسات (ضرب من الإدراكات التي يعلم الفرد أنها لاتطابق الواقع)، والهلوسات. (انظر في هذا المعجم: **عمه الإدراك، العضو الشبح، هلوسة**).

N.S.

إدراك الجسم

F: Cénesthésie
En: Cenesthesia
D: Koinästhesie

إدراك داخلي لجسمنا ولعمله الوظائفي الإنباتي.

ينجم إدراك الجسم عن مجموع من الإحساسات التي تنقلها المستقبلات الداخلية (أي أن مصدرها الوسط الداخلي للجسم)، إحساسات تُدرك معاً وتفضي إلى انطباع جسمي بالهناء، بالتعب، بالعسر. . . ويغذّي إدراك الجسم وعينا أنانا التي يقدّم إليه حاملاً عضوياً. ويستند استقرار الشعور بهويتنا الشخصية، في جزء كبير منه، إلى الإدراك الداخلي لجسمنا، إدراك موجود لدينا عادة. وإذا تغيّر هذا الإدراك الداخلي تغيّراً عنيفاً وعلى نحو ذي أهمية، فإن بالإمكان حدوث اضطرابات خطيرة في الشخصية، ترافقها الأوهام، بل الهذيانات الهلوسية أو أفكار تحوّل الأعضاء. ومثل هذه الاضطرابات مصدر أعصبة عديدة- كالنَهَك العصبي (نوراستينيا) وتوهّم المرض- وضروب من الذهان- ولاسيما توهم المرض الهاذي. وندلّ باسم **مرض إدراك الجسم** على كل خلل في إدراك الجسم. ويدل هذا المصطلح، الذي ابتكره إرنست دوبره (1862 -1921) وكاموس، على حالة مريض يستشعر في جسمه إحساساً غريباً، معذّباً، مكدّراً أكثر مما هو مؤلم، متموضعاً على وجه العموم في عضو (قلب، معدة. . .)؛ وعلى الرغم من أن الفرد ينتقد هذا الاضطراب، الذي يعلم أنه لاأساس له، فالحقيقة أنه ليس أقلّ قلقاً بسببه وانشغال بال، ويؤثّر فيه تأثيراً مرهقاً. (انظر في هذا المعجم: **العضو الشبح**، **المخطط الجسمي**).

M.S.

F: Adrénaline ou Épinéphrine أدرينالين أو إبينيفرين

En: Adrenaline, Adrenin, Epinephrine

D: Adrenalin, Suprarenin

هرمون يفرزه على وجه الخصوص لبّ الكظر، وتفرزه أيضاً العقد العصبية، والألياف الودّية بعد العقدية، والأنسجة ذات الإمداد بالأعصاب الودّية.

إن جوكوشي تاكين (1854 -1922)، هـ. فورث، ت. ب. ألْدريش، كانوا الأوائل الذين عزلوا الأدرينالين عام 1901، انطلاقاً من لب الكظر. وأكّد البيولوجي السويدي أولف فون إولر عام 1946، المولود عام 1905، فَرض ولتر برادفورد كانّون (1871 -1945)، الذي يحرّر تنبيه العصب الودّي بحسبه وسيطين كيميائيين: الأدرينالين أو سابقه النورادرينالين. ويمثّل الأدرينالين، لدى الراشد، أكثر من أربعة أخماس كلّية الكاتيكولامينات الكظرية. إنه يتركّب انطلاقاً من التيروزين، الذي يعطي على التوالي: الدوبا، الدوبامين، النورادرينالين والأدرينالين. والتأثير الفيزيولوجي لهذا الكاتيكولامين يعارض الأسيتيلْكولين: إنه مادة مقلّدة للودّي لها مفعول فرط التوتّر، فرط سكّر الدم، ومقبّض الأوعية، على الدوران السطحي. إنها مادة تسرّع الإيقاع القلبي وتكفّ الأعضاء الملساء (المعوية والقصبية). وتُستخدم فجأة، بوصفها هرموناً إسعافياً، خلال شتى نماذج العدوان (حروق خطيرة، تدخّلات جراحية . . .) وفي كل أوضاع **الكَرْب**.

ويتدخّل الأدرينالين في عدد من الحالات الانفعالية وبخاصة في الغضب، حيث يظهر تأثيره باصفرار الوجه (ملاحظة يوضّحها التعبير التالي: «ممتقع اللون من الغيظ»)، وفي الخوف (فلدى المسافرين في طائرة تعاني صعوبة، لوحظ ازدياد شديد في نسبة الأدرينالين).

وفرط إدرينالية الدم موجود في بعض أمراض الإنسان: فرط التوتّر الشرياني الكلوي أو كلوي وعائي وفرط التوتر الاشتدادي الذي يمكنه أن ينجم، في بعض الحالات، عن ورم في الكظر (ورم خلايا الكرومافين القاتمة). (انظر في هذا المعجم: **الكاتيكولامين**، **مبحث الغدد الصمّ**، **الكرب**).

M.S.

أدلر (ألفريد) Adler (Alfred)

طبيب وعالم نفس نمساوي (فيينة، 1870– أبردين، إيقوس، 1937).

أقام أدلر، بعد أن نال شهادة الدكتوراه في الطب من جامعة فيينة (1895)، في هذا المدينة إقامة اختصاصي في طب العيون (1897)، ثم يتوجّه أدلر نحو الطب الداخلي قبل أن ينذر نفسه لعلم النفس والعلاج السيكولوجي للعصاب. ويلتقي أدلر، بوصفه يمارس عمله في المدينة التي يمارس فيها فرويد عمله، مؤسس التحليل النفسي (1899 -1900)، الذي يدافع أدلر عن أفكاره في الدوائر الطبية وأصبح تلميذه. ودعاه فرويد عام 1902إلى أن يشارك في المناقشات المنظّمة في أسباب الأعصبة، وسرعان ما اهتمّ، مع ويلهلم ستيكل (1868-1940)، بتحرير **مجلّة التحليل النفسي**. وألقى محاضرة عن الدوافع العدوانية خلال المؤتمر العالمي الأول للتحليل النفسي في زالسبورغ. انتُخب رئيساً لجماعة التحليل النفسي في فيينة. ولايشارك أدلر فرويد مع ذلك كل أفكاره. وإذا كان يقبل مبدأ لاشعور دينامي، فإنه يقلّل من دور الجنسية وعقدة أوديب في بناء الشخصية ونشوء الأعصبة. فهو يشدّد، بالعكس، على العلاقات بين الشخصية، والتنافس، وإرادة الكمال. ويؤكد أدلر، في نظريته التي تتوطّد مع نشر دراساته في الدونيّات العضوية، أن الموجود الإنساني يعاني بصورة مبكرة جداً الشعور بضعفه والحاجة إلى الأمن. وإذا كان الرضيع يجد الحماية وجوداً طبيعياً بالاتحاد الوثيق بأمه، حماية ضرورية لاستمرار حياته– وذلك وضع يرتسم فيه التضامن الإنساني ارتساماً أولّياً–، فإن على الطفل بسرعة كبيرة ألا يعتمد إلا على قواه الخاصة. ولهذا السبب يطمح إلى

أن يكتسب دائماً قوة أكبر؛ ويحلم أن يكون أقوى، وأن يتجاوز ذاته، ويبذّ الآخرين. فالفرد إذن في حالة من الجهد الدائم ليعوّض معاً دونياته الطبيعية (بل تشوّهاته) ويحتفظ بتوازنه. إن تصرّفه ينتظم بالتالي، دون أن يشعر، وطبعه يصاغ تبعاً لهذا الهدف، انطلاقاً من قدراته، وتربيته، وتأثيرات الوسط. ولايفوت الصعوبات مع ذلك أن تنبعث، وأولها الصعوبات الناجمة عن النقيضة بين الحسّ المتّحدي والميل إلى توطيد الذات. ويرى الفرد، إذ تبدو له بعض الصعوبات أنها غير ممكنة التجاوز، أن عاطفة قصوره تتفاقم؛ فتستقر عندئذ عقدة الدونية وتوتّر سيكولوجي مغال يمكنه أن يسبّب اضطرابات جسمية. ولكن المرض يمكنه أن يصبح ملجأً، ذلك أنه لايحرّر الفرد من مسؤولياته ويجنّبه الجرح النرجسي للإخفاق فحسب، بل يتيح له، عند الاقتضاء، أن يؤجّل اتخاذ القرارات ذات الأهمية، كاختيار مهنة أو زوج. والعصابي، في رأي أدلر، يمكنه أن يتوافق مع قيم عالمه بفضل الحوار مع معالجه السيكولوجي. ويبذل هذا المعالج السيكولوجي جهده ليقود المريض إلى موقف نقدي من أسلوبه الشخصي في الحياة ومن منظومة القيم الخاصة به. فكل مشكلات الوجود تابعة لمشكلات الحب والعمل والحياة في المجتمع. والسعادة الشخصية لايمكنها أن تُكتسب على حساب قريبه، ولكنها تُكتسب بفضله ومعه. ويكمن شرط التحرّر من الحصر الاجتماعي والاندماج في المتّحد الإنساني مجدّداً بصورة تامّة في تغيير مخطط حياته، وذلك أمر ممكن بفضل حرية الاختيار. والفكرة التي يصنعها أدلر لنفسه عن المعالج السيكولوجي هي فكرة مربّ (نشر عن هذا الموضوع مؤلّفاً عنوانه **الطبيب بصفته مربياً** عام 1904). ويجد المرء في تصوّراته تأثير إدوارد فون هارتمان (برلين، 1842 غروسّليشتيرفيلد، 1906) وتأثير ف. نيتشه، ولكنها تختلف كثيراً عن تصوّرات س. فرويد. فهو إذن مدفوع إلى أن ينفصل عن حركة التحليل النفسي. ويستقيل أدلر، حزيران 1911، من رابطة فيينة للتحليل النفسي؛ ويعلن بعد شهرين انفصاله في **مجلة التحليل النفسي** (آب 1911، مجلد 1، رقم 10 -11). ويباشر منذ عام 1912 نشر نظريته

باسم **علم النفس الفردي** . ويؤسس رابطته العلمية الخاصة ، وينظّم استشارات في علم النفس التربوي في مدارس فيينة عام 1912 ، ويعلّم في المعهد البيداغوجي لهذه المدينة (1924)، ثم في **جامعة كولومبية** (1927) وفي **كلية الطب بلونغ آيلاند** في الولايات المتحدة الأمريكية (1932) . مؤلفاته المكتوبة ذات أهمية : عدة مؤلفات منها تُرجمت إلى الفرنسية (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم : **التعويض** ، **عقدة الدونية**) .

N.S.

الإدمان على المخدرات السامة F: Toxicomanie

En: Toxicomania, Drud addiction

D: Süchtgift, Süchtigkeit

اشتهاء أو رغبة حادة في استهلاك منتجات سامة تولّد حالة من التبعية.

المدمن على المخدّرات تسوده الحاجة الملحة القاهرة إلى استخدام المواد ذات التأثير النفسي لغرض مفاده أن يؤمّن إحساسات مستساغة (غبطة، راحة بال، تنشيط الخيال...)؛ أن يحاول سدّ «نقص»، «فراغ فاعل» في تنظيم الشخصية؛ أن يحاول حلّ مشكلاته السيكولوجية بصورة متخيّلة أو أن يهرب، في أحلام اليقظة، من صعوباته الوجودية. إن المرء يدخل في الإدمان على المخدرات السامة، كان بال يقول، «من باب، الألم، من باب الشهوة ومن باب الحزن». والمدمن الحقيقي على المخدّرات مستهلك منتظم مادة سامة رئيسة، يكابد من أجلها رغبة لاتُقمع (**تبعية نفسية**). وتسبّب بعض المخدّرات حالة تكيّفية للعضوية يصاحبها ظهور اضطرابات جسمية حادّة عندما لايُستهلَك المخدر (**تبعية جسمية**)، بوصفه عاقبة هذه الحالة.

والإدمان على هذه المخدرات السامة، التي لم تكن ذات علاقة في القرن التاسع عشر إلا ببعض الكتّاب والفنانين، انتشر في الولايات المتحدة وأوروبة الغربية، نهاية الستينات من هذا القرن، في طبقات المجتمع كلّها، لاسيّما بين المراهقين ومن سن الثامنة عشرة إلى الثانية والعشرين. وكانت وزارة الداخلية تقدّر أن في بلدنا فرنسة، عام 1976، نحو 25 إلى 30000 مدمن (منهم 20000

مستهلك القنّب الهندي) ونحو 40000 عام 1978 . وعلى الرغم من أن معرفة عدد المدمنين على المخدّرات بدقّة أمر متعذّر، فإن بعض المؤشرات تتيح للمرء أن يكوّن فكرة عن تقدّم هذه الآفة الاجتماعية.

وباشرت السلطات العامة، في محاولة لمكافحة الإدمان على المخدرات السامة، عملاً واسعاً ينزع إلى تحسين البنيات على مستوى الوقاية (معرفة المخدّر ونشر الإعلام) والقمع، وعلاج المدمنين ودمجهم في المجتمع مجدّداً. وقانون 31 ديسمبر (كانون الأول) 1970، الذي يحلّ محل قانون 24 ديسمبر (كانون أول) 1953، يولي العمل الإجتماعي الطبي أهمية خاصة. ويقضي هذا القانون على وجه الخصوص أن تنزوي السلطة القضائية أمام السلطة الطبية وتُهمل، عند الاقتضاء، ممارسة العمل العام إذا كان ثمة علاج للتخلّص من الإدمان قد باشر به المحال إلى القضاء. وهذه البنود تمثل في مدوّنة الصحة العامة وليس في المدوّنة الجزائية، وذلك أمر يؤكّد سمتها الصحية.

والإدمان على المخدرات السامة ظاهرة معقّدة يفهمها الناس فهماً سيئاً. إن لها أسباباً عدّة، بينها تمثل أزمة المجتمع المعاصر (زعزعة البنيات الأساسية، كالأسرة والمدرسة والكنيسة؛ فقدان القيم التقليدية، الفردية التي سبّبت فقر التبادلات بين الشخصية)؛ نزاع الأجيال (يعي الشباب معاً قدرتهم وسمة العطوبة لديهم؛ إنهم قلقون ويعارضون مع ذلك أهلهم ومربيهم، الذين لايعرفون، هم، أي اتجاه يتبنّون)؛ البحث عن متّحد أخوي (المخدّر يصبح عنصر نمط من الحياة للشباب، على غرار الدرّاجة النارية الصغيرة أو «الموسيقى الشعبية»).

وإذا كان استهلاك المواد السامة نحواً من الاستخفاف بالمحرّمات الاجتماعية، فإنه ينزع أيضاً إلى أن يعيد خلق المتخيّل الذي تهاجمه السينما والتلفاز بعنف إذ يريانا كل شيء. وبين أسباب الإدمان الأخرى، نلاحظ القصور الوجداني، والقصور في السلطان والتثاقف (أطفال المهاجرين، المنقطعون عن ثقافتهم الأصلية، المقبولون قبولاً سيئاً من بلد التبني على الغالب، التائهون دون

مراقبة في الشوارع والميادين الغامضة، معرّضون على وجه الخصوص إلى إغراءات بائعي المخدرات الصغار الباحثين عن زبُن جُدُد).

ولا يطرح الإدمان على المخدّرات السامة مشكلاً إنسانياً خطيراً فحسب، بل يعرّض النظام الإجتماعي إلى الخطر. والواقع أن اضطرابات المجال العقلي، والانحطاط الجسمي التدريجي، والاكتئاب والخمول، التي تنجم عن استهلاك المخدرات الاعتيادي يستبعد المدمن من عالم العمل. والحال أن المدمن يبحث بحثاً دائماً عن المال. فالمصروف السنوي، عام 1978، لمدمن على الهيروين يستهلك غراماً واحداً في اليوم من السموم (سعر الغرام الواحد يتراوح بين 500و1200 فرنك فرنسي) كان يقدر بـ 180.000 فرنك على الأقل. وذلك يعني أن المدمن على المخدّرات سيبحث بكل الوسائل، حتى غير المشروعة، عن تأمين المال الضروري له، وأنه سيتحول من مستهلك إلى مهرّب.

وتجري معالجة الإدمان على المخدّرات السامة في المشافي على الأغلب أو في مراكز استقبال متخصِّصة. ويُنقص بعض الأطباء بالتدريج جرعات المخدر أو بديله (الميتادون، لمدمني الأفيون). وبعضهم الآخر يلغي المخدر كلياً، ولكنه يحرص على أن يخفّف مظاهر الفطام بدواء ملائم. فالعلاقة مع المعالج أساسية خلال العلاج. والواقع أن على المعالج أن يجعل المدمن على المخدرات، بصورة موازية للمعالجة الجسمية، يقبل الانقطاع عن وسطه المألوف، ويساعده على المحاولات الحتمية التي يكثر منها رفاقه القدماء حتى يندمج اندماجاً مجدّداً بجماعة المدمنين على المخدرات، و يثير لديه الرغبة في أن يغيّر نمط حياته. وإذا كان الفرد المدمن نفسه هو الذي طلب المعالجة، فإن حظوظ النجاح تبلغ 20 إلى 25 بالمئة. وإذا كانت السلطة القضائية هي التي ترغمه، فإن حظوظ النجاح تهبط إلى 10 أو 15 بالمئة، وإذا كان العلاج بأمر الأبوين، فلا تكاد تصل حظوظ النجاح 0,3 إلى 0,5 بالمئة. ويلي العلاج بالضرورة علاجٌ بعدي، في مركز متخصّص أو في متّحد من المدمنين القدماء على المخدّرات. ففي هذه الجماعات، القائمة على الانضباط الذاتي وخلق

جو حفيّ ، يحاول هؤلاء المدمنون القدماء على المخدرات أن يتكيّفوا مع الحياة الاجتماعية ، إذ ينجزون مختلف فاعليات الحياة اليومية (أعمال منزلية ، طبخ ، بستنة . . .) تُضاف إليها الأعمال الفنية كالرسم الزيتي والخزف أو النسيج . والمدمن القديم على المخدرات السامة يمكنه بعد العلاج البعدي أن يخضع لمتابعة فرقاء متخصّصين ، إما في المنزل وإما في مستوصفات حيث يفيدون من علاج نفسي ودعم طبّي اجتماعي قادرين على وجه الاحتمال أن يساعداه على أن يندمج في المجتمع مجدّداً .

العام	عدد			
	الأشخاص الذين استدعتهم المحكمة بسبب استعمال المخدرات	أحكام قاصرين من 13إلى 18سنة بسبب الاتجار بالمخدرات وتناولها	العلاجات التي أمرت بها المحكمة	الوفيات التالية للإفراط في تناول المخدر
1968	361			
1969	1200			
1970	1861			
1971	2592		352	
1972	3016	239	532	6
1973	2830	231	598	13
1974	3241	255	732	29
1975	3503	420	815	37
1976	4152	458	847	59
1977	4318			77
1978	6115			109
1982				164

N.S.

الارتباط– التعلّق

F: Attachement

En: Attachement

D: Anhänglichkeit

عاطفة توحّدنا بشخص آخر.

مصطلح **ارتباط**، في معناه العلمي، ظهر للمرة الأولى عام 1959في مقال المحلّل النفسي الانغليزي جون باولبي عنوانه: «الإثولوجيا وتطوّر العلاقات بالموضوعات». وفي نحوٍ من عشر سنين فيما بعد فقط إنما كان لابدّ له من أن يظهر في فرنسة. وفائدة هذا المفهوم الجديد تكمن في أنه يوضّح لنا أصول الوجدانية لدى الإنسان والحيوان على حدّ سواء؛ وتكمن أيضاً، على مستوى الأفكار، في أنه يُحدث ضرباً من القطيعة مع النظرية الكلاسيكية لنشوء الروابط الاجتماعية الأولى بالتعلّم، من جهة، ومع النظرية الليبيدية للروابط الأولى بالأم، من جهة ثانية. والواقع أن ما يوجد من أساسي في الاكتشاف الذي صاغه باولبي، إنما هو السمة الأولية (أي المستقلّة غير المشتقة من أي سمة أخرى) للميل إلى الارتباط، في حين أن الميل موضع البحث، في رأي منظّري التعلّم والمحلّلين النفسيين على حدّ سواء، ثانوي، مشتق. فالرابطة بالأم مشتقّة على هذا النحو من الحاجة إلى الغذاء، في رأي المحلّلين النفسيين؛ ونقول على نحو أدقّ إن إشباع الحاجة إلى الغذاء (تقليص توتّر) يرافقه إشباع ليبيدي ليس، في بداية الأمر، سوى «علاوة لذة». إنها نظرية الاعتماد أو نظرية الغذاء-- الحليب: فالإشباع الليبيدي يعتمد، ويستند، على إشباع الحاجة إلى الغذاء؛ ويتكوّن موضوع الحب بالتدريج انطلاقاً من آلية الاعتماد.

ويميّز باولبي إذن مفهوم الارتباط تمييزاً واضحاً، يُبرز المساهمة المحدِّدة لهذا المفهوم، من مفهوم العلاقة بالموضوع، ولكنه يميّزه أيضاً من مفهوم التبعية الانفعالية الكلاسيكي. والسبب في الواقع أن مفهوم التبعية الانفعالية، الأساسي في كل نظريات «التعلّم الاجتماعي»، يُعرّف أنه ميل ثانوي، نتيجة تقليص الدوافع الأولية؛ إنه خاص بحالة من عدم النضج ولايرتبط بعلاقة بشخص معيّن؛ وتلك هي العلاقة بالموضوع، المكتسبة هي ذاتها، التي تُعتبر أن الصفة الشخصية قد أُضيفت عليها. أما الارتباط، فإنه لاينطوي بالضرورة على عدم النضج. بل محفور في طبيعته أن يدوم. والارتباط، شأنه شأن العلاقة بالموضوع، صلة بين فرد وآخر. ولكنه أيضاً، وعلى وجه الخصوص، يفترض الميل الأصلي والدائم إلى البحث عن الاتصال بالغير.

وهذا المفهوم المحدّد على هذا النحو، مفهوم الارتباط، مآل تقليدين مديدين من البحث. فالأقدم هو تقليد علماء السلوك الحيواني العفوي، الذي ندين لهم باكتشاف مفهوم **البصمة الإدراكية أو التعلّم الخفي**. والثاني هو تقليد علماء النفس والمحلّلين النفسيين للطفولة الأولى، الذين انكبّوا منذ عام 1940، بعد ر. سبيتز، على دراسة المفعولات الناجمة عن فقدان الصلة بالأم. وهذا الدربان من البحث التقيا في الخمسينات من هذا القرن. ويتساءل علماء النفس عندئذ عن وجود ظاهرات لدى الطفل تماثل البصمة الإدراكية المكتشفة لدى العصافير، أي جمل فطرية من الاستجابة تؤمّن إقامة صلات بالأم أو بشبيه. إنهم قد أكّدوا ذاك بالفعل؛ ووضعوا جرداً بها. فغالبية آليات الارتباط (العناق، والصراخ، والإرضاع، والبحث عن الدفء) مشتركة بين الطفل والصغار من الحيوانات الثديية العليا (ولاسيما الماكاك الآسيوي الصغير القصير الذيل الذي لاحظه هارلو). وتبدو الابتسامة مع ذلك، الظاهرة الإنسانية على نحو نوعي- والمبكرة أكثر مما كان يعتقد بعضهم-، أنها، دون ريب، المحرك الرئيس الكفؤ لسلوكات الارتباط الحيوانية.

وفي حين يستعير علماء النفس من علماء السلوك الحيواني الفطري مفهوم الجملة الفطرية للاستجابة، يُجري علماء السلوك الحيواني العفوي تجريبهم على

الحيوان فيما يخص مفعولات فقدان الصلة بالأم أو غيابها، ويجدون مجدّداً، مع اختلافات يسيرة (مع قرود هارلو وجديان ليدل) ذلك التناذر الذي وصفه سبيتز لدى الطفل.

وأفضى هذا التلاحق من الملاحظات والتجريبات بين علماء النفس وعلماء السلوك الحيواني العفوي، عام 1958، إلى نشر مقالين حين ترتسم، دون أن يكون ثمة تشاور بين المؤلفين، نظرية الارتباط: مقال عالم السلوك الحيواني العفوي هـ. ف. هارلو («طبيعة الحب»)، حيث يبرهن المؤلف للمرة الأولى على أن إشباع حاجات الغذاء ليس له، في إقامة الصلات بين الأم والطفل، ذلك الدور الأساسي الذي يُعزى إليه عادة؛ ومقال باولبي («طبيعة رابطة الطفل بأمه»)، حيث يُجري المحلّل النفسي اللندني تحليلاً تاريخياً ونقدياً للقضايا الفرويدية الخاصة بطبيعة صلة الطفل بأمه. وهذان النصّان، اللذان يقودهما إرشاد الكشوف المؤكّدة بمتانة، أهملا التصوّرات التقليدية. وبعد عام واحد، كما كان قد قيل، إنما يعرض باولبي تصوّره الجديد على المؤتمر العالمي الواحد والعشرين للتحليل النفسي ويستخدم للمرة الأولى مصطلح الارتباط. ومنذ هذا التأريخ، أغنت نظرية الارتباط، بحركة من البحوث التي نمت بقوة مساوية في الولايات المتحدة الأمريكية وانغلترة، وقائع ومفهومات جديدة. وليست ارتكاسات الطفل هي التي حلّلها العلماء فحسب، بل حللوا أيضاً ارتكاسات الأم أو الشبيه، بحيث أن الارتباط مدرَك بوصفه إقامة منظومة بين شركاء: منظومة الأم – الطفل، منظومة الأب – الطفل، منظومة الطفل – الرفاق، إلخ (ولا سيّما أعمال هاولو وهاند وسويومي). ويحاول باولبي، في المنشورات الأخيرة، أن يقدم صياغة سيبرنطيقية لتنظيم هذه المنظومات. والمسألة تكمن أيضاً في أن نعرف كيف ينجز الطفل، الحيواني أو الإنساني، تحرّره، وكيف يحدث الانفصال بين الأم والطفل حدوثاً طبيعياً، ووفق أي الحاجات وبأي الآليات؛ وكيف يتدخّل الانفكاك دون أن تكون صلات الحب مع ذلك مقطوعة بالضرورة. وهنا أيضاً نجد أعمال هارلو، وهاند، وسويومي ومعاونيه.

ويظلّ مفهوم الارتباط مجهولاً مع ذلك من الناحية العملية في فرنسة حتى ظهور مقال ر. زازّو المنشور عام 1972. ويلاحظ المؤلف أن التصور الجديد، الذي يسجّل قطيعة مع الفلسفة السائدة حتئذ، فلسفة الإنسان المنعزل (الذي نجد من المناسب تسميتها **علم نفس الشخص الوحيد**)، يجد مجدّداً تقليداً عريقاً في القدم، تقليداً يكوّن تعليم جـ. م. بالدوين (1897) ذلك التعبير العلمي الأول له، وهو تعليم تلاحقَ عبر مؤلفات ب. جانه وهـ. والون: الإنسان، منذ ولادته، موجود اجتماعي؛ فللأنا والآخر أصل مشترك. ولكن الطبيعة الاجتماعية في هذا التقليد منسوبة إلى الإنسان وحده. والحال أن الفائدة الأساسية في اكتشاف علماء السلوك الحيواني العفوي تكمن في أنه أبان أن هذه الطبيعة الاجتماعية موجودة في العالم الحيواني أيضاً. وإذ كشفوا الغطاء عنها لدى الحيوان إنما أصبح البرهان على وجودها لدى الإنسان أمراً ممكناً. وثمة مع ذلك ضربان من الأخطاء ينبغي تجنّبهما: ردّ الاجتماعية الثقافية لدى الإنسان إلى قاعدة اجتماعية حيويةمشتركة مع الحيوان؛ ومن جهة أخرى، الالتباس، أقلّه على المستوى المصطلحي، الذي أحدثه المؤلفون الأنغلو ساكسون بين الصلة الاجتماعية بمعناها الدقيق والارتباط الانفعالي في العمر الأول. فالملاحظات والتجريبات تبرهن دون شك، على أن تصرّفات الارتباط تهيّء للتصرفات الاجتماعية (كما تهيّء من جهة أخرى للتصرفات الجنسية)، ولكنها تتميّز منها. واستُخدم هذا المقال لعام 1972 قاعدة نقاش في ندوة بالمراسلة (1974) اشترك فيها بعض علماء السلوك الحيوني العفوي (ر. شوفان، هـ. ف. هارلو، ك. لورنز) وبعض العلماء في علم نفس الطفل (ف. مالريو، ر. زازّو)، وطبيب أطفال (س. كوبرنيك)، ومحللون نفسيون من مدارس شتّى (د. أنزيو، جـ. باولبي، ف. دويكائرتز، س. لوبوفيشي، ر. أ. سبيتز، د. ودْلوشر). وناقش هؤلاء الاختصاصيون أهمية واقع لا ينازع فيه شخص؛ وفحصوا نتائجه ذات النسق النظري والعملي، بالنسبة للتحليل النفسي وتقدّم علم النفس التكويني. (انظر في هذا المعجم: **الاعتماد، علم السلوك الحيواني العفوي «الإثولوجيا»، السمة الإدراكية، العلاقة بالموضوع**).

R.Z.

F: Retournement sur la personne Propre **الارتداد على الذات**

En: Turning round upon the subject's own self

D: Wendung gegen die eigene Person

آلية دفاع للأنا تكمن في تحويل الفرد عواطف يعانيها إزاء فرد آخر على ذاته.

مثال ذلك أن الارتداد على الذات يظهر بالتشويه الذاتي أو حتى بالانتحار عندما يكون ما يعانيه الفرد تجاه الغير هي الدافع العدواني؛ وعندما يكون الحب، يظهر الارتداد على الذات بالغلمة الذاتية والنرجسية. (انظر في هذا المعجم: **آلية الدفاع**).

M.S.

ارتداء لباس الجنس الآخر

F: Travestisme ouTransves-tisme

En: Transvestism, travestism

D: Transvestitismus

استخدام مألوف لباس الجنس الآخر.

ارتداء لباس الجنس الآخر نجده لدى الرجال والنساء على حد سواء. والمرتدي ثياب النساء يشعر باللذة حين يرتدي لباس امرأة بل يمكنه أن يبلغ هزّة الجماع بفعل هذا العمل. ولابدّ من تمييزه من **المنتمي إلى جنس النساء**، الذي يعتبر نفسه امرأة ويرتدي ثياباً نسائية لأنها ذات علاقة بطبيعته الحقيقية، ومن **الجنسي المثلي** الذي يرتدي ثياب امرأة ليغوي الرجال. وفي رأي المحلّلين النفسيين، مع ذلك، أن كون المرء يرتدي ثياب الجنس الآخر أمر كاشف عن ميول جنسية مثلية كامنة على الأقلّ. (انظر في هذا المعجم: **الإيونية**).

M.S.

الارتكاس التجنّبي

F: Pathie

En: Pathy

D: Pathie

ارتكاس تجنّب لحيوان خاضع لإثارة خارجية يتعذّر أن يتحمّلها.

هذا السلوك، في رأي غاستون فيّو (1899 -1961)، الذي يهدف إلى تخليص العضوية من تهيّج يسبّبه عامل مثير للمرض، ذو سمة تكيّفية أساسية؛ فينبغي له إذن أن يتميّز من ارتكاسات التوجّه المكاني أو الانتحاءات، التي هي حركات موجّهة أو توجّهات «إجبارية». (انظر في هذا المعجم: **ارتكاس التوجّه المكاني، الانتحاء**).

N.S.

الارتكاس الدائري

F: Réaction circulaire

En: Circular reaction

D: Zirkulär reaktion

تكرار فعل يميل إلى تكرار مفعول.

مفهوم «الارتكاس الدائري» منسوب إلى جيمس مارك بالدوين (كولومبية، كارولينة الجنوبية، 1861- باريس، 1934)، واحد من مؤسسي علم النفس الأمريكي الذي يجعل منه سيرورة من سيرورات التكيّف الأساسية. إن تصرّفاً مفيداً يجد نفسه وقد عزّزه المفعول الذي يُحدثه وولّده مجدّداً تحريضه الخاص. فمناغاة رضيع تكوّن مثلاً جيّداً على هذه السيرورة: يُحدث طفل صغيرة بالمصادفة تنغيماً؛ وهذا الصوت يثير اهتمامه، ويبذل جهداً لتكراره. فالمقصود إذن كشف لإمكاناته وتمرينها، وبناء على ذلك، تعليم بتقليد نفسه. ويصبح الفعل بالتدريج أكثر إرهافاً، وينتهي الفرد إلى اكتساب المهارة في أصوات الكلام. وفي رأي جان بياجيه (1896 -1980) أن «الارتكاس الدائري ينبغي أن نتصوره وكأنه تركيب فاعل للتمثّل والمطابقة. إنه تمثّل من حيث أنه يكوّن تمريناً وظيفياً يطيل التمثّل المنعكس: فمصّ الطفل إبهامه أو لسانه إنما هو تماثل هذين الشيئين مع فاعلية المصّ. ولكن الارتكاس الدائري مطابقة من حيث أنه يحقّق تنسيقاً جديداً لاتقدّمه آلية المنعكس الوراثي» (1986، ص 60). ويميّز هذا المؤلف أربعة ضروب من الارتكاس الدائري: 1- الارتكاس الدائري الأولّي الذي يبدو بعد مرحلة تمرين المنعكسات البسيط ولكن قبل مرحلة القصدية؛ 2- الارتكاس الدائري الثانوي المتمحور على

النتيجة الحاصلة «وليس فقط على الفاعلية بوصفها فاعلية»؛ 3- الارتكاس الدائري الثالثي أو «تجربة بهدف المشاهدة»، «الذي لم يعد يكمن في تكرار نتيجة تثير الاهتمام فقط، بل في أن يجعل هذه النتيجة تتغيّر خلال التكرار نفسه» (1936، ص 228)؛ 4- الارتكاس الدائري المؤجل، الذي تتدخّل فيه الذاكرة لأنه يتكوّن من أفعال متقطّعة ثم يستأنف على وجه السرعة، على الرغم من غياب المنبّه المألوف. (انظر في هذا المعجم: **اللغة**).

N.S.

إرشاد الزوجين

F: Conseil conjugal

En: Conugal guidance

D: Eneberatung

عون سيكولوجي يقدّم إلى الثنائي الذي يعاني صعوبات، بغية تحسين العلاقات بين الزوجين.

الإرشاد الزوجي، الذي نشأ في البلدان الأنغلوساكسونية، نما في فرنسة بداية الستينات مع تأسيس الرابطة الفرنسية لمراكز الاستشارة الزوجية. فثمة رجال (15 بالمئة)، ونساء (60 بالمئة)، وضروب من الثنائي (23 بالمئة)، يتوجهون إلى المستشارين ليعرضوا مشكلاتهم ويتلقّوا، آملين، نصائح. والمسألة في الأغلب مسألة خلاف بين الزوجين، ناجم عن صعوبات التواصل بين الشخصي، عن جنسية مصابةبالخلل، عن جهل رغبات الآخر وحاجاته. وقد تكون المسألة أيضاً مسألة أشخاص مطلّقين أو على أهبة الطلاق يريدون أن يصونوا، إلى جانب حياتهم المشتركة وفي نطاق الممكن، الحجيرة الأسرية، بغية أن يجنّبوا الأطفال تلك الاضطرابات الأشد خطورة. ويمارس الإرشاد الزوجي أيضاً، في مراكز التخطيط الأسري، أشخاصٌ تلقّوا تكويناً سيكولوجياً خاصاً وهم ملزمون بأن يحسّنوا تكوينهم باستمرار. ولايكمن دورهم في إعطاء النصائح، بل قيادة طالبي النصيحة إلى أن يفكروا في صعوباتهم ويحلّلوا وضعهم دون انفعال. وعندما يكون الأمر ذا علاقة باضطرابات تثير خللاً خطيراً في الشخصية، كالعصاب أو الذهان، تقتصر مهمة المستشار على توجيه زبونه إلى اختصاصي في الأمراض العقلية. ويتنامى

نجوع العون النفسي الاجتماعي عندما يتوجّه هذا العون مباشرة إلى الثنائي بدلاً من أحد الزوجين. والواقع أن الاستشارة تتيح مباشرة الحوار أو تجديده بين الشريكين وقيادتهما إلى البحث معاً عن حل لمشكلهم.

والمستشارون مدعوّون أيضاً إلى أن يمارسوا التربية الجنسية للأطفال والمراهقين، إما بطلب من هيئات خاصة، وإما في مؤسسات التعليم العام. فقانون 28 كانون الأول (ديسمبر) 1967 أتاح لمستشار الزوجين، إذ قضى بإنشاء «مؤسسات إعلام، واستشارة أو إرشاد أسري»، أن يكثّفوا عملهم، الذي يمارسونه على حدّ سواء، من الآن فصاعداً، في مراكزهم الخاصة، مراكز الإرشاد الزوجي، وفي المراكز الاجتماعية العامة، ومستوصفات حماية الطفولة والأمومة، وفي دور رؤساء البلديات، وفي بيوت الأسرة والأمومة بالمشافي. (انظر في هذا المعجم: **منع الحمل، الطلاق، الأسرة**).

J.L.

الإرصان، الإعداد

F: Élaboration

En: Elaboration

D: Bearbeitung, Verabeltugh

الاشتقاق: من اللاتيني elaboratio، من elaborare، ومعنى المصطلح «الحصول على الشيء بالعمل».

مجموعة من العمليات العقلية التي تتحوّل بها عناصر بسيطة (إحساسات، رغبات أو مفاهيم، على سبيل المثال) إلى إدراكات، وصور، وذكريات أو أفكار.

يبين س. فرويد، في كتابه، **في الأحلام** (1900)، تلك الأساليب الكثيرة التي يستخدمها حالم ليعبّر، على شكل صور، عن أفكاره الكامنة: عمل **التكثيف** (عنصر واحد يتضمّن عدة دلالات)؛ وعمل **الانزياح** (الأساسي من فكر الحالم غير متمثّل في هذا الحلم، أو أن الإبراز ينزاح من عنصر هامّ إلى عنصر آخر لاأهمية له)، وعمل **التمثيل التشكيلي** (ترجمة الأفكار إلى صور، إلى أشكال رمزية). ويوجد، إضافة إلى ذلك، **إرصان ثانوي**، مهمته أن يسدّ الثغرات وينظّم المعطيات الأكثر مباشرة من الحلم في كل متماسك على وجه التقريب.

وينبغي، لتقييم كل الأهمية، أهمية هذه المفهومات، أن نعلم، يقول فرويد، «أن الآليات التي تشرف على عمل الإرصان هي النماذج الأصلية للآليات التي تنظّم إنتاج الأعراض العصابية» (1916 -1917، ص 201 من الترجمة). (انظر في هذا المعجم: **التكثيف**، **الانزياح**، **الحلم**، **الرمز**).

N.S.

الإرضاع من ثدي الأم

F: Allaitement maternel

En: Breast-feeding

D: Stulling

عمل تغذية طفل من الثدي.

يظلّ الإرضـاع من ثدي الأم أفضـل أسلوب لتغـذية الرضّع، على الرغم من تقدّم صناعة الحليب. والواقع أن حليب الأم متكيّف على نحو كامل مع حاجات الوليد. ولا يتغيّر تركيبه مع العمر فحسب، ولكنه يتغير أيضاً خلال النهار (إنه أغنى في الصباح من المساء) بل في أثناء الرضاع (إنه يحتوي في نهاية الرضاع كمية أكبر من الدهون، وذلك أمر يمنح الطفل القوي تغذية أكثر غنى أيضاً).

وتنشأ بين الأم والرضيع علاقة سيكولوجية فيزيولوجية تشرط إفراز الحليب. ويسبّب صراخ الجوع لدى الرضيع صعود الحليب، وشبعه ينضب الدرّ.

والإرضاع فعل معقّد يتجاوز مجرّد وظيفة التغذية. إنه يمثّل ضرباً من التكافل الحقيقي بين الأم والوليد، اللذين يعيشان في ذلك علاقة ذات امتياز تُبنى خلالها صلة سيكولوجية لابديل لها وحاسمة في تطوّر الطفل. فالرضيع الذي يرضع لايبتلع حليب الأم فحسب، بل صورة أمه التي لاتفارق نظره، ورائحتها، وحرارة جسمها. والثدي الذي يغذّيه يبدو له جزءاً من ذاته، شأنه شأن الرضيع الذي تعيشه الأم بوصفه جزءاً من ذاتها. وينبغي، حتى في الإرضاع الاصطناعي، أن نسعى إلى المحافظة على هذه الصلة، إذ نصون الاتصال الأكثر وثاقة مع الطفل، ونهدهده، ونبتسم له ونتكلّم إليه، ذلك أنه إنما يجد الأمن الضروري لتفتّحه في هذا المناخ الودّي.

ويتراجع الإرضاع من ثدي الأم، على الرغم من مزاياه، في البلدان الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية. ففي بريطانيا العظمى، انتقلت نسبة الرضّع الذين يتغذّون من ثدي الأم خلال **شهر على الأقل**، بين عام 1947 -1968، من 80 إلى 40 بالمئة. ولم يكن في السويد عام 1972 سوى 55 بالمئة من الأمهات اللواتي يرضعن رضيعهن خلال شهر، و 30 بالمئة خلال شهرين. وهاتان النسبتان كانتا، في بلجيكة عام 1972، 42,6 بالمئة و29,3 بالمئة على التوالي. وأسباب فقدان هذا الحنان كثيرة: عمل المرأة، نقص الإعلام والتهيئة السيكولوجية، الخشية من تشوّه صدر جميل، الخ.

ولايقبل الإرضاع، سواء أكان طبيعياً أم اصطناعياً، قواعد دقيقة آمرة. فتثبيت المواقيت والجرايات لايستجيب لحاجات الطفل، بل يمكنه أن يبدو ضاراً إذ يسبّب الخلل في العلاقة بين الطفل والأم، وهي تواصل بصورة أساسية. وهذا هو السبب الذي من أجله ينصح الأمهات علماءُ النفس، في أعقاب أعمال الباحثين، كأرنولد جيزيل (1961 -1880)، أن يبقين مستقبلات نداء رضّعهن دون أن يسيطر عليهن وسواس الساعة والكمية. وبعد فترة زمنية قصيرة من التموّج، يستقرّ ضرب من ضبط الإيقاع والحاجات الغذائية استقراراً عفوياً. وهذه المنظومة من الضبط الذاتي تستبعد مخاطر سوء التغذية أو الإفراط في التغذية ولكنها تلغي القلق على وجه الخصوص، الذي يغمر الرضع الجائعين الذي يُتركون لصراخهم لأن «ساعة الرضاع لم تحن». ويلاحظ في الغرب، منذ بعض السنين، تجديد لمصلحة الإرضاع من ثدي الأم ونظام «الإرضاع حسب الطلب» ولاسيما في الطبقات الاجتماعية الأكثر يسراً وفي أسر الطلاب. ويلحّ أطباء الأطفال، من جهتهم، على فوائد الإرضاع من الثدي، الوحيد القادر على أن يؤمّن للعضوية توازناً استقلابياً مرْضياً وحماية من الأمراض ونمواً وجدانياً سعيداً (انظر المصطلح التالي في هذا المعجم: **الأم**).

N.S.

الأرق

F: Insomnie ou Agripnie
En: Insomnia, Agripnia, Sleeplessness
D: Insomnie, Agripnie, Schlaflosigkeit

تعذّر النوم أو صعوبته.

الأرق يمكنه أن يظهر على ثلاثة أنحاء: 1- في بداية الليل، بصعوبات النعاس (**أرق بدئي**)؛ 2- في أثناء الليل، بأطوار من الاستيقاظ تقطع النوم (**أرق متقطّع**)؛ 3- نحو الصباح، باستيقاظ قبل الأوان (**أرق طرفي**). وقد يكون الأرق بالمصادفة، مرتبطاً بآفة مؤلمة (آلام العصب الوركي، مغص كلوي، الخ)، بهموم شخصية، بالإرهاق وإفراط في الطعام، إلخ، أو قد يكون مألوفاً. وفي هذه الحالة الأخيرة، يكون الأرق ذا علاقة على الغالب بنزاعات سيكولوجية (أسرية، زوجية، مهنية) أو بقواعد صحية في الحياة سيئة. وقد يقترن الأرق بحالات ذهانية (هوس، سوداوية)، بحالات خلط ذهني، بحالات خبلية، عصابية (عصاب الحصر، عصاب وسواسي، رهابي، رضّي، إلخ). والأرق لدى الطفل يمكنه أن يكون عاقبة أخطاء تربوية يرتكبها الأشخاص المحيطين به، عاقبة قلق الأم، عاقبة حالة من الإثارة أو الاكتئاب.

وعلاج الأرق تابع لأسبابه. ونقول، بصورة عامة، يقرّر المرء قواعد صحة أفضل في حياته: لا إرهاق، لاإفراط في الطعام، نزهة بعد الغداء، قراءة، حمّاماً فاتراً، تناول نقيع قبل النوم. وتُستخدم العقاقير، إذا كان ذلك ضرورياً على وجه الإطلاق، بجرعات معتدلة: العقاقير الباربيتورية منوّم جيّد، ولكنها خطرة (احتمال الادمان أو محاولات الانتحار). وللعقاقير البنزوديازيبين مزيّة أنها أقل سمّية. والعلاج النفسي يمكنه أن يكون مفيداً. (انظر في هذا المعجم: **النوم**).

M.S.

الإرهاق العصبي النفسي

F: Psychasthénie

En: Psychasthenia

D: Psychasthenie

الاشتقاق: من اليوناني Psukhê، أي «نفس»، و Astheneia، «نقص القوة».

مصطلح ابتكره بيير جانه (1903) للدلالة على آفة عصابية، ذات انتشار كبير، تتميّز بانخفاض التوتر العضلي الحيوي السوي.

المصاب بالإرهاق العصبي النفسي، الذي يعاني شعوراً بالنقص وعدم الرضى، يغذّي اهتمامات مرهقة، ووساوس، وميلاً إلى الشك وانعدام القرار؛ إنه قلق، شديد التدقيق في التفاصيل، شحيح، وجل، لاإرادة له. والتعب دائم وبخاصة التعب العقلي، ولكن بإمكانه أن يقلّ بل يزول بمناسبة أحداث مفرحة. ويميل المصاب بالإرهاق العصبي النفسي، بوصفه غير متكيّف مع الواقعي، إلى أن يلوذ بالمتخيّل ويكتفي بفاعلية فارغة (ءمرّة، ثرثرة). وهذه الحالة في رأي بيير جانه، جبلّية وتظهر على وجه العموم منذ الطفولة أو المراهقة. ويعترف جانه بوجود ممكن لضروب من الإرهاق العصبي النفسي مكتسب، يطرأ بمناسبة أمراض جسمية خطيرة أو بمناسبة تشوّش أخلاقي. ولكن هذا الشرح، الذي لايأخذ تأثير الوسط بالحسبان، ولاسيّما أحداث نفسية وجدانية طارئة منذ الطفولة الأولى، في نشوء الاضطرابات العصابية، موضع منازعة حالياً. فانخفاض «التوتر السيكولوجي»

يبدو، حسب تعبير بيير جانه، أنه بالحري نقص في الاستقرار الشخصي وصعوبة خاصة يعانيها الفرد في التكيف. إنه، بوصفه مفرط الحساسية ويخشى الرضوض التي يتكبّدها من العالم الخارجي، ينطوي على ذاته. ويبدو «توتّره السيكولوجي» على هذا النحو سيء التوجّه أكثر منه ضعف. ويحسّن المصاب بالإرهاق العصبي النفسي في الواقع إنجازاته بصورة محسوسة إذا وضع موضع ثقة، وحُرّض وشجّع. (انظر في هذا المعجم: **الاكتئاب، التعب، جانه، السوداوية**).

M.S.

الإسبات

F: Hibernation

En: Hibernation

D: Winterschlaf

خَدَر عميق يصيب الحيوان عند قدوم الفصل البارد.

الإسبات طريقة تكيّف يمكن أن تواجه العضوية بفضلها قسوة الشتاء. ويلاحظ الإسبات لدى بعض الثدييات، كالوطواط، والسنجاب، والدب، ولكنه موجود لدى بعض اللافقريات. والإسبات سيرورة فاعلة تسبقه مرحلة من الإعداد التي يكوّن فيها الفرد احتياطيات ويتوارى. فبعضها يتوارى في التربة أو في قواعد الأشجار، وبعضها الآخر يتكيّس في شرنقة، وينعزل الحلزون في قوقعته إذ يسدّ فتحتها بحاجز غشائي أو بـ«إفراز سادّ»، ويحبس المارموط نفسه في جحره. وللثدييات المسبتة نوم متقطّع باستيقاظات دورية (كل أربعة أيام بالنسبة للهمستر، كل سبعة أيام إلى خمسة عشر يوماً بالنسبة للمارموط) وإيقاع حيوي متباطىء جداً: لم تعد تأكل، وتكاد لاتتنفّس، وتنخفض حرارتها الداخلية تدريجياً إلى عشر درجات مئوية، بل إلى خمس. وتبقى مع ذلك آلية حرارية منظّمة، توقظها إذا أصبحت برودة الحرارة المحيطة شديدة. واستطاع عالم الكيمياء الحيوية الأمريكي أكْسيلْرود أن يستخرج من دماغ الحيوانات التي تنام نوماً إسباتياً مادة تثير إسبات ثدييات أخرى إذا حُقنت بها (جزء واحد من مليون من الغرام تكفي لتنويم هرّ خلال ثمانٍ وأربعين ساعة).

N.S.

استئصال الفصّ

F: Lobectomie

En: Lobectomy

D: Lobektomie

استئصال جراحي كامل على وجه التقريب لفصّ عضو.

المقصود، في الجراحة العصبية، تدخّل جراحي ينصبّ على فصّ دماغي، لاسيّما الفص الجبهي، بغية معالجة بعضٍ من الآفات العقلية. وكان استئصال الفص الجبهي الأمامي الأحادي الجانب موضع محاولة للمرة الأولى قام بها عام 1938 جرّاح الأعصاب السويسري فرونْسوا أودي (1896-1957) في حالة من الخَبَل المبكّر. وكان استئصال الفصّ الجبهي الأمامي من الجانبين، الذي يقوم على بتْر 100 إلى 200 غرام من المادة الدماغية من كل جانب، قد استُخدم في بعض أشكال الفصام. ولكن هذه الممارسات، التي تشوّه كثيراً وتترك عقابيل خطيرة تسبّب العجز، أُهملت من الآن فصاعداً. (انظر في هذا المعجم: **الجراحة النفسية**، **استئصال منطقة دماغية**).

J.MA.

استئصال منطقة دماغية **F: Topectomie**

En: Topectomy

D: Topektomie

عملية جراحية قوامها اقتطاع منطقة أو عدة مناطق من القشرة الدماغية.

التدخّل الجراحي الذي ينصبّ على الفصوص الجبهية بصورة عامة وقف على معالجة بعض الآفات العقلية. وثمة مع ذلك ضروب من الاستئصال الجبهي والجداري كان موضع محاولة لمكافحة بعض الآلام المستعصية، ولكن نتائجها لم تكن حاسمة. وكان ميتلر قد استخدم للمرة الأولى، عام 1948، مصطلح استئصال منطقة دماغية، ولكن ضروباً من بتر مناطق جبهية من الجانبين كان ويبر، هيث وبول قد أنجزوها عام 1946 أيضاً. فالتقنيات كانت مختلفة والتدخّلات الجراحية تناولت كل مناطق القشرة الجبهية، منطقة واحدة أو مجموعاً من منطقتين أو ثلاث. والتدخلات الجراحية الأكثر شهرة هيَ بتر ثنائي الجانب متناظر للمنطقتين 9 و 10 والمنطقة 46، منطقة برودمان؛ وبتر منطقتي 24 و 32 (الاستئصال الطوقي)؛ وبتر المناطق التالية 11 ,13 ,14 (الاستئصال المحجري)؛ وبتر منطقتي 11,10 (استئصال قطبي). (انظر في هذا المعجم: **الألم**، **استئصال الفصّ**، **الجراحة النفسية**).

J.MA.

الاستباق

F: Anticipation

En: Anticipation

D: Antizipation

حركة من حركات الفكر نتصوّر بها ما سيقع.

يتخيّل الإنسان مستقبله انطلاقاً من عناصر مستمدّة من وضعه الراهن وتجارب الماضي، ولكنه يتخيّله أيضاً تبعاً لرغباته ومخاوفه. والاستباق ماثل في كل مشروع، وكل بحث (على صورة فَرَض)، وكل إبداع؛ فالفخّاري الذي يصوغ صلصاله يعلم كيف سيبدو الشيء الذي يعمل فيه.

ويُلاحظ **ارتكاس الاستباق** في اختبارات قياس الأزمنة للارتكاسات أو في أوضاع الإشراط، عندما تسبق الاستجابة المنبّه ببعض الأجزاء من ألف من الثانية. ونجد الاستباق على كل مستويات المملكة الحيوانية بدءاً من الإنسان والدلفين (جون ليلّي) حتى الشقّار كمجوّفات البطن البحرية والمدوس (هنري بييرون، 1907)، بل لدى البرزويات (ميتالنيكوف، 1916). (انظر المصطلح التالي في هذا المعجم: **الصورة الفعّالة**).

N.S.

الاستبانة

F: Questionnaire

En: Questionaire, Questionary

D: Fragebogen

قائمة من الأسئلة تطرح شفهياً أو كتابة، تبتغي جمع معلومات أو آراء عن موضوع خاص.

تُستخدم الاستبانات في علم النفس الاجتماعي، خلال سبور الرأي أو دراسات السوق (استبانات الاتجاه)، وفي التوجيه المدرسي أو المهني (روائز معارف، استبانات اهتمامات، لسترون، لكورد)، وفي علم الطباع، وعلم النفس العيادي (جرْد مينيسوتا المتعدّد الوجوه للشخصية [M.M.P.I]، استبانات جـ. ب. غلْفورد، ر. ب. كاتْل، بيل...).

ويكون إعداد الاستبانة ووضعها بدقّة مهمة طويلة وحسّاسة، إذ تقتضي تعاون الباحثين والمستقصين. وصياغة الأسئلة ينبغي أن تكون بسيطة، واضحة، دقيقة، غير مغرضة.

ونميّز «الأسئلة المغلقة» التي ينبغي للفرد أن يجيب عنها بـ **نعم** أو **لا** (مثال ذلك: «هل أنت متزوج؟») أو بـ **صح** أو **خطأ** («يصيبني ألم في رأسي»)؛ و«الأسئلة المفتوحة» التي تترك كل الحرية للشخص الذي يُوجّه إليه السؤال «مارأيك بسياسة فرنسة في أفريقية السوداء؟» و«الأسئلة المسبقة التكوين» المسمّاة آنفاً «أسئلة المقهى» لأنها تقترح مجموعة من الإجابات وتترك إمكان ابتكار أسئلة أخرى منها (الأسئلة ذات الاختبار المتعدّد هي من هذا النموذج).

واللوم الموجّه إلى استبانات الشخصية يكمن في أنها تمنح الذاتية أفضلية ولا تقدّم سوى صورة خاطئة للشخص المراز. وتتّصف الاستبانات الأكثر استخداماً مع ذلك، كاستبانة M.M.P.I أو جرد المزاج لـ جـ. ب. غيلفورد (و) و. س. زيمومان، بصفات قياسية جيّدة، وصحتها مساوية على وجه التقريب لصحة روائز الذكاء. (انظر في هذا المعجم: **سلّم الاتجاهات، التقنية الإسقاطية، السبر**).

N.S.

الاستبطان

F: Introspection

En: Introspection

D: Introspektion, Selbstbeobachtung

طريقة الملاحظة الداخلية.

الاستبطان هو معاً الملاحظة الذاتية وتفكّر المرء في عوطفه الخاصة، وأفكاره وإدراكاته وأحلامه. وعلى الرغم من الصعوبة الماثلة في أن يكون المرء ملاحظ ذاته النزيه، فإن **الطريقة الذاتية** أو «سيكولوجيا الشخص الأول» تقدّم معلومات لابديل لها عن الحياة الداخلية للفرد الذي يستخدمها. إنها طريقة مستعملة كثيراً في علم النفس العيادي، على صورة محادثات، واستبانات، وتقييم ذاتي أو سيرة ذاتية.

الاستبطان المثار- الذي كان ألفريد بينه مؤسّسه، ولكن مدرسة ورزبورغ (ب. كوهلر، ن. أك، أو. كولْب، ك. مارب، إلخ) كانت قد طوّرته- طريقة استبطان تجريبي تكمن في إخضاع الفرد لمنبّه أو جعله ينفّذ عملاً محدّداً، والطلب إليه أن يروي، بأمانة ما أمكن ذلك، أفكاره وعواطفه. (انظر في هذا المعجم: **علم النفس العيادي**).

N.S.

الاستبعاد

F: Forclusion

En: Forclosure

D: Verwerfung

مصطلح أدخله في مفردات التحليل النفسي عام 1954 جاك لاكان (1901-1981) للدلالة على آلية دفاع نوعية تكون في منشأ الذهان؛ وتكمن في نبذ امتثال يصعب تحمّله ونبذ الحالة الوجدانية ذات العلاقة به خارج العالم الرمزي للفرد.

تتصرف الأنا كما لو أن الامتثال لم يكن قد بلغها، كما لوَ أنه لم يكن قطّ موجوداً؛ ولكن هذا الامتثال لم يفقد ديناميته مع ذلك وهو ينزع إلى أن يعود من الخارج، وبخاصة على شكل هلوسة، على الرغم من أنه منبوذ وملغىً من الداخل. وللاستبعاد سمات مشتركة مع نفي الواقع والكبت العصابي، ولكنه أكثر جذرية لأن «الدالاّت» المستبعدة (التي لم تُضف عليها الرمزية- القضيب على سبيل المثال بوصفه دالّ حصر الخصاء) لن تكون مندمجة في لاشعور الفرد. (انظر في هذا المعجم: **نفي الواقع أو إنكاره، الذهان، الكبت**).

N.S.

الاستجابة الحركية غير الموجّهة

F: Cinèse, Kinèse

En: Kinesis

D: Kinesis

ظاهرة تنشيط حركي (حركات جزئية، انتقال) تحدث استجابةً لمنبّه خارجي.

مثال ذلك أن زيادة الحركية (سير، طيران) لدى حشرة، استجابة لكون الشمس أضاءت مجالها الحيوي فجأة، يمكنها أن توصف أنها محصّلة ارتكاس **ضوئي حركي** وارتكاس **حراري حركي**. ونميّز، مقتفين أثر فرينكل وغَنّ، نمطين رئيسين من الاستجابة الحركية غير الموجهة: **زيادة سرعة الاستجابة الحركية أو الانتقال، زيادة التواتر في حركات الاتجاه**. والتأليف بين هذين النمطين يمكنه، حتى في غياب كل توجّه في اتجاه معيّن، أن يسهّل اكتشاف الشروط المناخية الدقيقة الأكثر مناسبة بصورة مؤقّتة؛ وعلى هذا النحو سيميل حمار قبّان (دويبة تعيش تحت الحجارة)، في تغيّر تدريجي متناقص للرطوبة في الهواء، إلى أن يمشي بصورة أسرع ويدور على الأغلب حيث الهواء جاف جداً أو رطب جداً أكثر مما هو في المنطقة التي **يفضّلها**. وفي كل مرة سيخرج بالمصادفة من منطقته، ستزيد من احتمال عودته إليها الحركةُ المتضافرة للرطوبة المرافقة لزيادة سرعة الاستجابة الحركية وللرطوبة المرافقة لزيادة التواتر في حركات الاتجاه. (انظر في هذا المعجم: **المجال الحيوي، التوجّه**).

J.ME.

الاستعارة

F: Métaphore

En: Metaphor

D: Metapher

تحويل معنى من كلمة إلى أخرى لايناسبها إلا بتشابه مضمر.

«نور الفكر»، «قشرة الماء»، هما تحالف كلمات مستعارة. وفي التعابير التالية: «هذا الأسد ينطلق»، «يسقط الذهب تحت الحديد»، «هذا السطح الهادىء»، هي، إذا قرأناها في سياقها، استعارات مأخوذة على التوالي من أخيل، والحصاد، والبحر. والاستعارة أشكال من الكلمات، أو المجاز، تكوّن، منذ أرسطو، موضوع البلاغة الغربية. فالبلاغة، التي أُهملت بعد مرحلة من المراحل، أعادت تقديرها الألسنية والتحليل النفسي (بتأثير جاك لاكان على وجه الخصوص) وصناعة الشعر المعاصر.

وتوسّع مفهوم الاستعارة هذه السنين الأخيرة توسعاً كبيراً مع إيفان فوناجي (الاستعارات في علم الأصوات، 1963)، ورولان بارث (في علم العلامات، خطاب من النموذج الاستعاري، 1964)، وجان ريكاردو (استعارة تُبَنْيِن سرداً وصفياً، 1971)، وجون كوهين (الوظيفة الاستعارية والتضمّن في الشعر، 1966)، وشارل مورون (النقد السيكولوجي والاستعارات المرهقة، 1963)، وأندره غيمبروتربيس (الذاتية بنية تضفي الاستعارة، دينامية ومنتهية، 1973). وفي عداد المحلّلين النفسيين، نذكر جاك لاكان (1957)، جان لابلانش وسيرج لوكلير

(1961)، الذين يرون أن اللاشعور متبنين كلغة، إذ شبّهوا بالاستعارة آلية **التكثيف** الذي يستخدمها الحلم، وبالكناية آلية **الانزياح**. وفي رأي فرانسيس باش (1969) أن الرمز اللفظي ليس هو الذي ينزاح أو يتكثّف؛ إن الفرد هو الذي يكثّف وينزاح في محاولة تسوية بين الرقابة والدافع. ويعتقد أن الكلمة لدى لاكان تحلّ محل دافع أو شيء. (انظر في هذا المعجم: **التكثيف**، **الانزياح**، **الكناية**).

P.C.

الاستعداد العقلي

F: Disposition mental

En: Mental Set

D: Seelisch- geistige, Einstellung

-حال الفكر اللاشعوري، التالية لتجربة سابقة، التي تجعلنا نتصدّى لأعمال جديدة من النوع نفسه تصدّياً يرافقه ضرب من القبلية.

إذا طلبنا من شخص أن يرفع شيئين متشابهين في الظاهر، واحداً بعد آخر، فهو يرفع الثاني بحيوية أكبر إذا كان أخفّ وزناً من الأول، ذلك أنه كان قد لاءم قوة حركته مع وزن الشيء الأول. فـ **النزوع** يوجّه إذن فكره وإدراكه (يتكلّم الألمان على Bewubetseinslage أو Bewubetseinzustand، أي «اتجاه الشعور»)؛ إنه يمارس تأثيراً من الاصطفاء بين المنبّهات ويحدّد بعض إجابات العضوية. وله أيضاً ضرب من مفعول التسهيل في أوضاع التعلّم (Learning Set). ومثال ذلك أنه يصعب علينا، عندما نلاحظ السماء المتلألئة بالنجوم للمرة الأولى، أن نكتشف فيها الكوكبات المختلفة، ولكنها تبدو لنا مباشرة عندما نكون قد حدّدنا مواقعها. إن **النزوع** ذو علاقة بتكيّف الجملة العصبية، بتغيّر في العضوية، يهيّؤها للارتكاس.
(انظر في هذا المعجم: **الاستباق، الاتجاه، المنبّه**).

N.S.

الاستعرائية

F: Exhibitionnisme

En: Exhibitionnism

D: Exhibitionismus

ميل مرضي إلى أن يُري المرء أعضاءه التناسلية أشخاصاً آخرين في أمكنة عامة.

تبدأ الاستعرائية على الغالب في المراهقة . وتُرى على وجه الخصوص لدى رجال راشدين وقلّما ترى لدى النساء. إنها على وجه العموم واقع أفراد مكفوفين، منطوين على أنفسهم وغير ناضجين بالفعل. إنهم في بعض الأحيان فاقدو التوازن، منحرفون، مصابون بالهذيان (خلال هبّات هاذية أو النوبات الهوسية على سبيل المثال)، فصاميون، مصابون بالخبل أو بالضعف العقلي وضعف الحس الأخلاقي لديهم كثيراً. وهؤلاء الاستعرائيون يختارون بصورة عامة نساء راشدات أو بنيّات أو صبياناً صغاراً «ضحايا» لعدوانهم. والواقع أن اللذة التي يستمتعون بها ترتبط بعرض الأعضاء التناسلية ذاته بقدر ما ترتبط بالارتكاسات التي يثيرونها (رعب، سخط، غضب. . .). والرغبة في عرض الأعضاء التناسلية يمكنها أن تصبح وسواساً- اندفاعاً يكافحه المرء بحصر. وأخيراً عندما يتحقق الانتقال إلى الفعل، يحدث ضرب حقيقي من الانفراج. وهذا التصرف، بالنسبة للمحلّل النفسي، سيكون مرتبطاً بحصر الخصاء، بالنظر إلى أن عرض المرء أعضاءه التناسلية والارتكاسات التي يثيرها تؤمّن له الوسيلة لأن يتأكد مجدّداً من ملكيته لها. ومن الممكن شفاء الاستعرائيين بفضل علاج نفسي من وحي التحليل النفسي

أو بالعلاج السلوكي (طريقة إزالة الإشراط). أما الاستعرائية لدى المرأة ، فإنها أكثر اتساعاً. إنها تظهر على وجه الخصوص بالرغبة في أن تجذب المرأة انتباه الناس إليها أو أن تكون متميّزة أو تبدو بالعناية التي توليها زينتها ولباسها. وتجد الاستعرائية لدى الجنسين ضرباً من درب التعبير أو التصعيد في مهن المسرح، مثل **التعري والتمثيل المسرحي والرقص**. فنرى عام 1972 على هذا النحو، في كاسل تحت غطاء الفن الحديث (**فن الجسد**)، مؤلفاً يُلبس قضيبه لباس لعبة، إذ يعتبره شخصاً مستقلاً، قبل أن يندس تحت سطح درج ليستمني (ن. ن. دراكوليده، 1974-75، **حوليات علم الجمال**، أثينة).

M.S.

الاستقبالي الداخلي

F: Proprioceptif

En: Proprioceptive

D: Propriozeptiv

صفة تصف المستقبلات الحسّية التي تخبرنا في كل لحظة عن حالة وضعاتنا الجسمية وسير حركاتنا الزماني والمكاني.

كتلنا العضلية، التمفصلات وأوتار الأعضاء العليا، مجهّزة على هذا النحو بمختلف نماذج المستقبلات التي تتيح لنا أن نحدّد، دون عون الرؤية، موقع الذراع، والساعد واليد. فتكامل المعطيات الاستقبالية مع المعطيات البصرية وتلك التي تصدر عن دهليز الأذن الداخلية تؤلف القاعدة الحسيّة لإعداد المخطط الجسمي. ودور الاستقبال الذاتي كبير على نحو واضح في رقابة الحركية: برمجة فاعلية الوضعات الجسمية والحركات؛ ضبط التوافقات الحركية الأكثر دقّة وجعلها آلية (ولاسيما الحركات المهنية)، إلخ. (انظر في هذا المعجم: **المخطط الجسمي**).

J.ME.

الاستجابة

F: Réponse

En: Response

D: Antwort, Reaktion, Reizantwort, Response

كل تغيّر فاعل في العضوية، يثيره تنبيه، قادر على أن يحقّق تكيّفها أو يظهر بسلوك معين.

مفهوم **الاستجابة** كان قد أُدخل في السيكولوجيا العلمية بداية القرن التاسع عشر، بالولايات المتحدة أول الأمر ثم بأوروبة. فمصدر هذا المفهوم، شأنه شأن مفهوم المنبّه، هو الدراسة الفيزيولوجية لقوس الانعكاس (جون ديوي، 1896). ولم يكن ثمة في بداية الأمر تعريف خاص (وليم جيمس، 1890) وظلّ زمناً طويلاً غير متميّز من مفهوم الارتكاس (هنري بيرون، 1927) الذي يجعله بعضهم مرادفاً للاستجابة على الغالب. ونجم عن ذلك التباسات عديدة، أقل مما حصل في حالة مصطلح المنبّه، ولكنها على وجه الخصوص مدركة في البحوث التي تتناول العلاقات بين «الاستجابة» و«السلوك» وتكيّف العضوية. وعلى هذا النحو إنما أكّد ب. واطسون، بعد أن جزم أن عالم النفس يُعنى أيضاً بـ«الارتكاسات البسيطة التي تدرسها الفيزيولوجيا والطب، كمنعكسي الرضفة أو أخمص القدمين»، أننا «نفهم عادة مصطلح استجابة أنه حركات العضوية أو ارتكارساتها الإجمالية: الأكل، الشرب، القتال، بناء البيوت، أو القيام بالأعمال». وأضاف أيضاً (1930) أن «للعضوية استجابة مباشرة لكل منبّه وجداني» وأن هدف عالم النفس أن «يكون

قادراً على أن يتوقّع الاستجابة إذا كان المنبه معروفاً أو يحدّد، أمام الاستجابة، ماكان المنبه».

وكون علم النفس أهمل دراسة الشعور لمصلحة دراسة السلوك، أمر وجّه البحث السيكولوجي نحو مفهوم الاستجابة، في إطار نظرية المنبه- الاستجابة، ولكن علماء النفس تجنّبوا، إذ جعلوا من مفهوم الاستجابة، كما يقول إدوين غ. بورنغ (1948) «ثاني وآخر حدث من الثنائي منبّه- استجابة»، أن يعرّفوا هذا المفهوم بذاته، إذ أرجعوه، كالمنبّه، إلى «خاصّة علائقية، لاقيمة لها إلا في علاقة (هولكوت، 1967). ولهذا السبب، فإن التفسيرات التي تُطلق عليها تنزع إما إلى تقييم نصيب الاستجابة في العلاقة منبّه- استجابة، وفق نظرية إدوارد تولمان الإجرائية (1951)، وإما إلى تعميق تحليل «السيرورات الوسيطة» بين حدّي هذه العلاقة، كما تطرح نفسها في العضوية طرحاً مشخّصاً (ودورث وشينان، 1964). وثمة اتفاق بصورة عامة على التماهي بين الاستجابة والسلوك، ولكن المناقشة تظل مفتوحة من جهة على صعوبات قياسها عندما يُعترف أن السلوك، بوصفه متغيّراً تابعاً، يمكنه في البحث السيكولوجي، أن يُقاس بتنوّع كبير من العمليات الموضوعية (لوغان، 1959)، كما يبرهن على ذلك موقف كلارك ل. هول؛ ومفتوحة من جهة ثانية على ضرورة أن تُعزى آلياتها إلى عمل مباشر للجملة العصبية المركزية. وساهم الميل اللاحق إلى «تعزيز» صيغة **المنبّه- الاستجابة** بصيغة **المنبه ← الاستجابة** بغية البيان أن للاستجابة أصلاً، على نحو من الأنحاء، في المنبّه على وجه الحصر (كمْبل، 1967)، وعلى وجه الخصوص الميل إلى اعتبار المنبه تغيراً جزئياً أو إجمالياً للعضوية، أقول ساهم هذان الميلان في تخصيص دلالة الاستجابة. وغالبية العلاقات التي يدرسها علم النفس، بالنسبة لمعظم المؤلفين، هي على وجه الخصوص علاقات بين استجابات، تحدث في لحظات مختلفة(ماركس وهيلّيكس، 1973)، فهي إذن علاقات استجابة- استجابة، كما في دراسة الشخصية (فيرجيليو لازّروني، 1972).

وبوسعنا أن نعتبر حالياً أن الاستجابة تغيّر فاعل، إجمالي، في العضوية، يتطابق مع السلوك ويتمايز من ارتكاس فيزيولوجي (إفراز دمعي على سبيل المثال، من حيث هو سيرورة محلية). فتصنيف الاستجابات يتبع إذن تصنيف السلوك. والاستجابات، كالسلوك، يمكنها أن تحلّل إلى أشكال فطرية، مكتسبة، خارجية (ظاهرة) أو داخلية (ضمنية)، أشكال تشمل كل السيرورات المعروفة باسم «حوادث الشعور» (بورنغ، 1948).

والاستجابة السيكولوجية، على خلاف فَرَض واطسون (1924) لإمكان اندماج الاستجابات البسيطة في استجابات معقّدة (غرائز وعادات)، ذات معنى متواطىء، في كل المستويات، بالنسبة لعلم النفس المعاصر، حتى ولو أنها تميّز آليات العمل للعضويات بهدف مدّ مبادىء السلوك على الأنواع الحيوانية كلها (هربرت س. جنّينغز، 1906). وبوسعنا أن نقول، بهذا المعنى، إن للاستجابة، تغيّرٍ فاعل وإجمالي لكل العضويات الحيوانية، من الأميبا إلى الإنسان، مستويات مختلفة من التنظيم: مستوى أوّلي، لدى الحيوانات ذات الخليّة الواحدة، بدائي، لدى الحشرات؛ ومتمايز لدى الفقاريات والإنسان. ولكل مستوى من هذه المستويات أشكال وآليات عمل خاصة، تجتمع في الانتحاءات في المستوى الأول والثاني وفي منعكسات في المستوى الثالث (لازّيروني، 1971). (انظر في هذا المعجم: **جماعة بالو ألتو، منبّه**).

V.L.

الاستدلال

F: Raisonnement

En: Reasoning

D: Vernünftiges Denken

فعل من أفعال الذهن يكمن في تسلسل منطقي للقضايا، بغية الوصول إلى نتيجة.

نميّز على وجه العموم شكلين من الاستدلال: **الاستنتاج**، الذي يمضي من المبادىء إلى النتائج («كل الناس فانون، خليل إنسان، إذن خليل فان»)، **الاستقراء**، الذي يمضي من الحوادث إلى القانون. فالاستدلال حركة الفكر التي تدعمها الوجدانية كلها. وتؤثر فيه العواطف (حب، كره)، والانفعالات (غضب)، والأهواء (غيرة) وتوجّهه. (انظر في هذا المعجم: **الفهم**، **الذكاء**، **التفسير**، **العملية**).

N.S.

الاستراتيجية

F: Stratégie

En: Strategy

D: Strategie

مجموعة من الأعمال المتناسقة تبتغي إنجاز مشروع محدّد جيّداً.

كانت هذه اللفظة تنتمي إلى المفردات العسكرية، ولكننا نجدها من الآن فصاعداً في كثير من المجالات الأخرى، بما فيها علم النفس الاجتماعي. فثمة إستراتيجية في لعبة الشطرنج، في مباراة كرة قدم؛ وتوضع استراتيجية لحلّ مشكل علمي أو لمكافحة المظاهر الأولى من وباء، إلخ. وفي العصور القديمة الإغريقية، كان رؤساء الجيش يُسمّون Stratêgos ، Stratêgêma. وتعني كلمة استراتيجية بصورة أساسية، كلمة نجد فيها معاً جانب «المعرفة العلمية» وجانب «المهارة»، «ابتكار أسوأ الشروط للعدو وأفضل الشروط لمن يضعها» أو تعني أيضاً «تأمين المنافع لبعضهم والخسائر لبعضهم الآخر». ويُقصَد حالياً على وجه العموم، بهذه التسمية، كل برنامج موضوع على نحو دقيق لبلوغ غاية محدّدة؛ وكل مخطّط موضوع لبلوغ هدف واضح، على الرغم من الشروط غير الثابتة على نحو خاص.

ومن الممكن مبدئياً، بحسب نظرية الألعاب، أن نمثّل وضعاً من أوضاع اللعب برسم بياني على شكل شجرة، مع «عقُد» تدلّ على صاحب «السهم» (أو «الطعنة»)، وفي كل عقدة عدداً من الأغصان بقدر ما يوجد من الطعنات الممكنة، وعلى الأغصان الأخيرة تتمثّل الأوضاع النهائية للأرباح أو الخسائر (فرانسوا بروسّون، ص، 285). فكل لاعب يعدّ عدة استراتيجيات. ومن الممكن، في مباراة لعب بين شخصين، أن نمثّل اللعبة بلوحة ذات مدخلين، إذ تمثّل الأعمدة

الاستراتيجيات الممكنة للاعب الأول والسطور تمثّل الاستراتيجيات التي يأخذها اللاعب الثاني بالحسبان. وفي خانات اللوحة، تَمثُل الخسائر والأرباح لكل لاعب (في الحالات التي تكون الاستراتيجيات المقابلة للأعمدة والسطور قد اختيرت).
وفي لعبة المبلغ المتعادل (حيث يربح أحدهما مايخسر الآخر)، عندما تكون الاختيارات مجازفة- لأن المعطيات معروفة بصورة غير تامة على سبيل المثال -، ربما يريد أحد اللاعبين أن يقلّص الخسائر: فيبحث في السطور عن السطر الذي ينطوي على قيد من مبلغ يمثّل الحدّ الأدنى من الحدود القصوى، إذ يطمئنّ على أنه، على هذا النحو، لن يدع خصمه، مهما فعل، أن يربح أكثر من هذه القيمة. وثمة استراتيجية أخرى، تسمّى **الحد الأقصى من الحدود الدنيا**، تكمن في الرغبة في الاطمئنان عن حدّ أدنى من الأرباح. فاللاعب يتوقّف، بعد أن بيّن في الأعمدة ذلك الربح الذي قد يطرأ في الحال الأقل مناسبة، عند الاختيار الذي ترتبط به القيمة الدنيا الأكثر ارتفاعاً؛ ويكون على هذا النحو واثقاً من أنه يربح ما هو مدوّن في هذه الخانة. وعندما تلتقي هاتان الاستراتيجيتان في حجيرة واحدة من مصفوفة القيد، ثمة بلوغ **نقطة توازن** تسمّى نقطة سرج الحصان. وهناك كثير من الإستراتيجيات الممكنة أيضاً، نقتصر على تعدادها: الإستراتيجية **الخليط**، توفيق **عشوائي** من التكتيكات؛ الاستراتيجية **السكونية**، حيث يظلّ التصرّف هو نفسه في مجموعة من الاختيارات المتكرّرة؛ الإستراتيجية **الشرطية**، المحدّدة نسبياً لبعض الجوانب من سلوك اللاعب، واختياراته ورغباته، وآماله، إلخ؛ **إستراتيجية المعاملة بالمثل**، وهي تعكس الاختيار السابق للشريك؛ إذا كان متعاوناً فإننا نتعاون أكثر؛ وإذا كان تنافسياً، نكون أكثر تنافساً. وثمة كلام على استراتيجية **ديناميكية** عندما تُستخدم استراتيجيتان أو عدة استراتيجيات في لعبة واحدة. فتمهيد للاستراتيجية الرئيسة أو فاصل هما من هذا الضرب، من حيث هما نمطان مرحليان من تغير الاستراتيجية. ويدرس علم النفس الاجتماعي التجريبي مختلف الاستراتيجيات تبعاً لمستويات التعاون. (انظر في هذا المعجم: **نظريات الألعاب**).

J.K (ترجمة J.S.T. إلى الفرنسية)

الاسترخاء

F: Relaxation

En: Relaxation

D: Relaxation, Entspannug

إرخاء إرادي للتوتر العضلي السويّ يرافقه إحساس بالراحة.

نتوصّل بتدريب منتظم إلى أن نبلغ استرخاءً عاماً للجسم، عضلياً وعقلياً، وإلى أن نعدّل المزاج. وثمة طرائق للاسترخاء مختلفة، مستخدمة في العلاج النفسي. ويمكنها، حسب ث. كاميرر (و) ر. دوران دو بوزنجن (ستراسبورغ) اللذين وصفاها وحدّداها وفق تقنيتها، وشروطها، وأهدافها، أن تُصنّف في ثلاث فئات: آ) الطريقة العضلية العصبية ذات الدافعية الفيزيولوجية لـ إ. جاكوبسون (شيكاغو). وهذه الطريقة ذات الاستخدام الضعيف في فرنسة لأنها مملّة تتجنّب كل إضفاء للصفة السيكولوجية وتبدو دفاعية بصورة أساسية؛ ب)الطرائق التي تستخدم التركيز الذاتي، والتنويم المغناطيسي الذاتي، والطريقة الرئيسة منها هي طريقة التدريب الذاتي المنشأ، طريقة جـ. هـ. شولتز؛ جـ) الطرائق المسمّاة إعادة التربية النفسية العضلية، التي تقارب التوتر العضلي في مظهره بوصفه ديالكتيكاً بين إنساني (أجورياغرّا ومساعدوه، سابير ومساعدوه).

التدريب الذاتي المنشأ هو الأكثر استخداماً والأكثر قدماً، إنه ينشد الحصول على حال شبيهة بالنوم المغناطيسي الخاص الذي يسمّيه شولتز «الحالة الذاتية المنشأ». ولايستخدم التحويل ولاالتفسير، بل يحاول أن يبلغ، في نحو ثلاثة أشهر، مفعولاً إجمالاً بتدريب منهجي يحتوي ستة تمارين- موضوع وصف دقيق-

متمحورة على جمل فيزيولوجية. ويحدث التحريض بتعليمات موجزة، متكرّرة، مقولبة. ويستمرّ التدريب في منزل الفرد بين الجلسات.

وتقنية جارّو وكولتز مشتقّة من هذه الطريقة، ولكنها مشتقة أيضاً من طرائق جاكوبسون وأجوريا غرآ. وتكمن هذه الطريقة بصورة أساسية، إذ ترفض كل تفسير تحليلي نفسي، في تمثّل للمقاومات العضلية يزداد دقة.

ولطريقة غـ. ألكسندر هدف مفاده الحصول على حالة مثلى من التوتر العضلي. إنها تعلّم المتدرّب أن يختزل مصروفات الطاقة إلى الحد الضروري الدقيق بالقياس إلى العمل. وهي طريقة قليلة الانتشار نسبياً، مع أنها غنية جداً من جوانب مختلفة، ذلك أنها تتطلب تدريباً طويلاً جداً.

وطريقة «إعادة التربية النفسية العضلية»، طريقة جـ. دو أجوريا غرآ ناشئة من أعمال مدهشة لهذا المؤلف تتناول التوتّر العضلي، مكوّناته فيزيولوجية وسيكولوجية معاً. ولهذه الطريقة قصد نكوصي؛ فهي تبحث في أن تقيم حواراً منشّطاً دون تحريض لفظي، يستخدم خلاله المعالج «أنا مساعدة». والمقصود طريقة مستوحاة من التحليل النفسي، قريبة من طريقة م. سابير.

وطريقة الاتجاه التحليلي النفسي (سابير ومساعدوه) المسمّاة أيضاً «طريقة التحريضات المتعدّدة» مستوحاة من طريقة شولتز وتحتفظ بالوظائف الرئيسة للتدريب الذاتي المنشأ. ولكن التحريضات تتّخذ، بدلاً من تعليمات موجزة مقولبة، مظهر خطاب حقيقي، يختلف من جلسة إلى أخرى ويبحث عن ايقاظ ضرب من تكوين الاستيهامات. وليس ثمة شيء مقنّن بصورة مسبقة. فالخطاب الذي ينبعث تابع للعلاقة بين المرشد والمريض، ولموقفهما، وتطوّر العلاج، ومحتوى الجلسة السابقة. واللغة تحتلّ المستوى الأول في هذه الطريقة، لغة لها مطمح نكوصي جداً. والكلام يسمّي العضو والوظيفة؛ إنه يصف حالات ويُوجد ضرباً من الفارق مع ما لايقال. وهذه الطريقة يمكنها أن تمارس على نحو فردي وفي جماعات محدودة الأعضاء.

إن توجيهات كل طريقة من هذه الطرائق عديدة، ولكن كل العلاجات مسبوقة بمقابلة، ذلك أنها ليست خالية من المجازفة (ولاسيما العلاجات المستوحاة من التحليل النفسي، التي تتيح للفرد أن يعيش النكوص بصورة حادّة جداً). وتحتلّ هذه الطرائق مكاناً ذا أهمية في العلاج النفسي ويمكنها أن تكمل التحليل النفسي أو تسبقه. ويتيح تمفصل الجسم واللغة «جهل» العديد من العلاقات التي، لولا ذلك، تفضي إلى ضرب من العقلنة التي تجعل العلاج النفسي لاينتهي. (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **التنويم المغناطيسي الذاتي**، **التدريب الذاتي المنشأ**).

M.SA.

الاستقرار الإدراكي

F: Constance Perceptive

En: Perceptual Constancy

D: Wahrnchmangskonstanz

ظاهرة سيكولوجية تؤمّن للأشياء المدركة ثباتاً كافياً يتيح للفرد أن يتكيّف مع المحيط.

لايبدو لنا شخص يبتعد أنه يصغر؛ والحلقة المعروضة من زوايا مختلفة لاتكفّ عن أن تبدو دائرية؛ واللوح الحجري في الشمس يُرى أسود دائماً، وصفحة من دفتر في الظل يراها الإنسان بيضاء دائماً، مع أن النور الذي يعكسه اللوح الحجري يكون أقوى من النور الذي تعكسه الصفحة؛ ويظلّ لحن منقول إلى نغمية أخرى هو اللحن ذاته، في حين أن كل النوطات كانت قد ارتفعت أو انخفضت درجة أو عدة درجات. وعلى الرغم من التغيرات الناجمة عن الابتعاد، عن تغيّرات الوضع أو الإنارة، فإننا مستمرّون في أن ندرك الأشياء إدراكاً صائباً. وهذا الاستقرار الإدراكي، «التجسيد المسبق لتخطيطيات الحفظ الإجرائية» (جـ. بياجيه)، هو نتيجة ضروب الضبط اللاشعورية، والتعويضات الفاعلة التي تبدأ في أن تتكوّن منذ الشهر السادس وتنمو حتى المراهقة على الأقل. ومثال ذلك أننا إذا عرضنا ساقي ريشةِ كتابة سوداوين، طول الواحدة منهما ١٠ سم، موضوعتين شاقولياً، إحداهما تبعَد متراً عن الفرد، والأخرى من ثلاثة أمتار إلى أربعة، فإننا نلاحظ أن الطفل ذا الخمس سنوات من العمر إلى سبع يقدّر الأكثر بعداً بأقل من قيمتها

الحقيقية؛ ونحو السابعة من العمر أو الثامنة، يميل الخطأ إلى أن يُلغى، ثم ينعكس، ويبالغ الراشد على وجه العموم في تلك الأكثر بعداً.

وهذه التجربة، الخاصة باستقرار المقادير، تبيّن أن ثمة، في قاعدة هذه الظاهرة، ضبطاً تعويضياً للفكر، الذي يُقدم على تصحيح صورة الشيء الشبكية، تبعاً للمبدأ التالي: إذا صغرت الصورة، ازداد البعد بين الفرد والموضوع، والعكس بالعكس.

واستقرار الأشكال في **نظرية الغشطالت** تابع لخاصيّتها، و«الشكل الحسن» يحتفظ بخصائصه الخاصة أياً كانت التغيّرات الناجمة عن العرض. (انظر المصطلحات التالية في هذا المعجم: **الشكل**، **الإدراك**، **كثافة الحضور**).

N.S.

استقصاءات هوثورن F: Hawthorne (enquetes)

En: Hawthorne- Experiment

Hawthorne inquires

D: Hawhtorne- Untersuchangen

مجموعة من الاستقصاءات أُجريت، في مجال علم النفس الصناعي، بهوثورن، قرب شيكاغو، في ورشات «الشركة الغربية الكهربائية».

هذا المشروع المكلّف بتغذية شركة الهواتف بلْ Bell بالمواد الهاتفية، كان يضمّ 29000 عامل عندما بدأت، عام 1927، تلك البحوث التي باشرها إلتون ميُو (1880-1949) ومعاونوه: و. جـ. روثليسبرجر، ت. ن. هوايتهيد وآخرون. فخلال المرحلة الأولى (**رائز الغرفة لتجميع المرحّلات الهاتفية**)، ستة عمّال، مهمتهم تجميع المرحلات الهاتفية، وُضعوا في ورشة خاصة، **رائز الغرفة**، بعد أن شُرح لهم موضوع التجربة ودعاهم المجرّبون إلى أن يستمرّوا في العمل بصورة طبيعية. وخلال هذه التجربة، التي دامت 23 شهراً، جرى تغيير الجو المحيط (إنارة، رطوبة، حرارة. . .) ومواقيت العمل؛ وأُدخلت بعض المزايا (راحة، وجبة طعام خفيفة)، ثم أُلغيت. وكان المفعول الرئيس لهذه الممارسة زيادة منتظمة في الإنتاج. فاستنتج المستقصون من ذلك أن الشروط المادية كانت ثانوية بالقياس على الشروط السيكولوجية. والواقع أن العاملات الميكانيكيات كنّ يظهرن مرتاحات وسعيدات في العمل معاً، ويتعاونّ بالتبادل، ويتحادثن أكثر، ويلتقين خارج الورشة؛ إنهن لم يكنّ عاملات منعزلات، بل عناصر فاعلة في متّحد كادح.

وحدّدت، المرحلة الثانية من الاستقصاء لنفسها غرضاً مفاده دراسة الاتجاهات في العمل وشروط التأطير التي يمكنها أن تؤثر في هذه الاتجاهات. واتخذ الاستقصاء شكل حملة واسعة من المقابلات (**برنامج المقابلات لجمهور العمال**) التي امتدّت على السنوات من 1928 إلى 1930 وتناولت مقابلة 21216 شخصاً وسُمع كل شخص منهم فردياً ودُعي إلى أن يتكلم بحرية على ما كان يحبه وما لايحبه في عمله، والمحيط، وعلاقاته بالرؤساء، وانصبّت المرحلة الثالثة، المسماة **البنك المزوّد لملاحظات الغرفة**، (تشرين الثاني [نوفمبر] 1931- إيار [مايو] 1932) على دراسة العلاقات بين الشخصية في كنف ورشة من 14 شخصاً (تسع عمّال كابلات، ثلاثة عمال لحام، مفتشيّن). وكانت مهمة العمال تكمن في تركيب الكابلات على لوحات. وكان الأجر محسوباً حسب المردود الفردي. وبدا سريعاً أن الربح لم يكن العنصر الحاسم في الإنتاج، ذلك أن العمال الأسرع كانوا يكبحون إيقاعهم كبحاً إرادياً، حتى لايتجاوزوا تركيب لوحتين. فكان للجماعة معاييرها في الإنتاج وكانت قد جعلتها محترمة، إذ استخدمت ضغوطاً من كل ضرب: انتقادات، سخريات، إزعاجات، إلخ. وفي داخل الورشة، كان بوسع المرء أن يميّز جماعتين فرعيتين (أو عصبتين [Cliques]، وفق مصطلح ف. جـ روثليسبرجر و و. جـ. ديكسون)، كانتا تتوازنان بدقة. وكانت المرحلة الثالثة من الاستقصاء قد أبانت وجود **جماعات غير رسمية**، في كنَف المشروع، وظيفتها كانت أن تصون، بمنظومة من الأعراف والجزاءات، نمطاً من السلوك الجماعي مهمّته حماية الأفراد من كل تغيّر يمكنه أن يُفرض عليهم من الأعلى دون أن يشاركوا فيه مشاركة ذهنية، ودون أن يفهموه ويوافقوا عليه. والخلاصة أن بوسعنا القول، مع جورج فريدمان، إن استقصاء هوثورن سجّل اكتشاف العامل الاجتماعي في المشروع، الذي لم يعد يمكن أن يتصوّره المرء بوصفه وحدة اقتصادية على وجه الدقّة، أعضاؤها يتحرّكون بفعل محرّض الربح على وجه الحصر. (انظر هذا المعجم: **الجماعة، التنظيم العلمي للعمل، العلاقات الإنسانية**).

A.L. (ترجمة **J.D.B.** إلى الفرنسية).

الاستمناء، العادة السرية

F: Masturbation

En: Masturbation

D: Masturbation

فاعلية جنسية هدفها تأمين إحساسات شهوانية وبلوغ هزة الجماع بإثارة الأعضاء التناسلية باليد.

الاستمناء، الذي يمارسه المرء على نفسه، يمكن أن يمارسه عدة أفراد على صورة استمناء متبادل. ويصادف الاستمناء عادة لدى الجنسين، بدءاً من الطفولة الأولى، ولدى المراهقين بتواتر مرتفع على وجه الخصوص. ثم نجد الاستمناء غالباً لدى الكهل والمرأة المتقدّمة في العمر. ويذكر جورج غروديك (1866-1934) أن الأم التي تغسل طفلها تستمتع بغسل جسمه، إذ تؤمّن للطفل لذائذ جنسية وتعلّمه على نحو من الأنحاء، الإشباع الذاتي. وهذا الإشباع الذاتي موجود حتى الموت، ذلك أن الموجود الإنساني يحبّ نفسه أول الأمر. إن 85 بالمئة من المراهقين في الخامسة عشرة من العمر يستمنون، في رأي شارل كنْسه (1894-1956) مقابل 20 إلى 25 بالمئة من الفتيات في هذا العمر؛ وترتفع هذه النسب المئوية بين 15-30 سنة من العمر إلى 95 بالمئة لدى الرجال و62 بالمئة لدى النساء. ولايزول الاستمناء بعد الزواج، لأن ثلث الرجال و45 بالمئةمن النساء يستمرّون في ممارسته. فالرجال ينكبّون عليه عندما لايكون لديهم شريكة جنسية، في حين أن عدداً من النساء يستعملن هذه المناورات الجنسية الذاتية ليؤمّن هزة الجماع التي لم يبلغنها خلال الجماع.

M.S.

الاستيهام

F: Fantasme ou Phantasm

En: Fantasy ou Phantasy

D: Phantasie

امتثال ذهني له سمات مشتركة مع الحلم أو أحلام اليقظة وتوحي الرغبة به أو الخشية.

ثمة استهامات شعورية وأخرى لاشعورية. فالأولى، التي تظهر في أحلام اليقظة والإبداعات الروائية أو الشعرية، وظيفتها أن تصحّح واقعاً غير مرْض: ضروب من النقص شخصية، خيبات أمل، ابتذال الحياة اليومية. ومثال ذلك أن هذا الشخص سيتخيّل نفسه غنياً وقوياً، وذاك الشخص عشيقة شريك مشهور، ولكن أياً منهما لن يكون مخدوعاً بأوهامه. والاستيهامات اللاشعورية لاتعرف إلا من خلال دراسة الأحلام، والأعراض و«فسائل اللاشعور» الأخرى، كتداعيات الأفكار الحرة أو التصرفات التي تتكرّر. ونصادف خلال جلسات التحليل النفسي، على نحو دائم على وجه التقريب، استيهامات خاصة: المشهد البدائي (جماع الأبوين)، مشاهد الخصاء أو الإغواء (كابد الفرد تمهيدات شخص آخر أو مناوراته الجنسية). وفي رأي فرويد أن وقائع من هذا النوع يمكنها أن تكون قد وقعت بالفعل في فجر الإنسانية، وأن ذكراها قد انتقلت مع إرث تطوّر النوع. فلا ينفكّ الطفل، إذن، وهو يخلق هذه الاستيهامات، يسدّ «ثغرات الحقيقة الفردية بمساعدة الحقيقة قبل التاريخية» (س. فرويد، 1916 -1917، ص. 399 من الترجمة). ويسمي

فرويد هذه الإنتاجات «الخيالات البدئية» أو «الاستيهامات الأصلية»، لأنها ذات ارتباط بالألغاز البدئية الكبرى: أصل الفرد (المشهد البدائي)، انبعاث الجنسية (مشهد الغواية)، فارق الجنسين (خصاء). والاستيهامات موجودة في أساس الإبداع الأدبي والفني وفي الأساطير الفردية والجماعية على حد سواء. (انظر في هذا المعجم: **الخيال، اللاشعور، الحلم**).

N.S.

الأسر

F: Captivité

En: Captivity

D: Gefangenschaft

حالة من يُحرم من حريته.

لكل حرب موكبه من السجناء. فهؤلاء الذين اقتُلعوا من جذورهم، وانفصلوا عن وسطهم النفسي الوجداني المألوف، وأصابهم الضعف بفعل تغذية ناقصة جداً، وذلّتهم الهزيمة، وخضعوا للإهانات، والخوف، والأشغال الجبرية، أي لمجموع من الشروط الرهيبة، يُظهرون على الغالب اضطرابات سيكولوجية يسود فيها القلق، والوهن، وحالات الاكتئاب، وتوهّم المرض. وهذه الاضطرابات لاتتوقّف أيضاً، على الغالب، مع نهاية الأسر وتمتدّ زمناً طويلاً بعد العودة إلى الحياة السويّة.

ولاتبدو المظاهر المرضية، في حالات عديدة، إلا في زمن متأخر جداً، بعد عشر سنوات أو خمس عشرة من التحرّر، ويُظهر السجناء القدماء، على المستوى الجسمي نسبة مرتفعة ارتفاعاً ذا دلالة، بالنسبة للسكان الذين يشكّلون الجماعة الضابطة، من القرحات المعدية المعوية، وأمراض القلب، وتظهر عليهم على وجه الخصوص علامات استنزاف جسمي تجمعها تسمية «الهرم قبل الأوان». ويُلاحظ خاصة، من الناحية العقلية، بطء في تكوين الأفكار وصعوبات في التذكّر، والنزق؛ وضرب من النهَك ونقص في الاستطاعة الجنسية. وكانت الملاحظات

نفسها قد سُجّلت في كل البلدان. وفي كل مكان، وأياً كانت مواقع الاعتقال، والمناخات وبلدان المنشأ، سبّب الأسر المديد أو الرهيب على وجه الخصوص مفعولات واحدة، يرافقها التواتر نفسه وزمن الكمون نفسه. وفيما يخصّ الشيخوخة قبل الأوان، كان الأستاذ شارل ريشه (باريس، 1882- باريس 1966)، الذي نُفي إلى بوشنولد ودرس علم أمراض النفي، قد شرح أن «كل فترة من الشقاء الشديد أو المديد يسبّب عقابيل لايمكنها إلا أن تفضي إلى هرم قبل الأوان»؛ أضف إلى ذلك «أن التعاسة الفيزيولوجية، شأنها شأن الشيخوخة، تسبّب ضرباً من الاستنزاف للأعضاء كلها، العاجزة من الآن فصاعداً عن تأدية وظائفها السويّة... النحول نفسه، وسرعة العطب العصبية العضلية ذاتها، واللامبالاة عينها؛ والخمول؛ وغياب الارتكاس؛ وقماشة الخلفية نفسها؛ والحزن».

N.S.

وللأسر، لدى الحيوانات أيضاً، مفعولات مؤذية. وذلك أمر مرئي عندما تُنقل حيوانات متوحشة، نقلاً مفاجئاً، إلى حديقة حيوانات وتُحبس في أقفاص. وهذه الحيوانات يمكنها أن تنتهي إلى الظهور بأنها «سَلِسة الانقياد»، بمعنى أنها لا تسعى إلى الهرب من الإنسان ما دام يظلّ خارج القفص، ولكن سلوكها يصيبه الخلل بعمق. ومثال ذلك أن بعض الحيوانات المتجانسة تشنّ، عندما تكون مجتمعة، معارك أكثر تواتراً بكثير مما لو كانت موجودة في الطبيعة معاً، وقد تكون عاقبة لمواجهات مميتة، وذلك أمر لا يحدث إلا بصورة استثنائية عندما تكون الحيوانات حرة. وتُظهر الحيوانات الأسيرة على الغالب تصرّفاً عُصابياً. فيراها المرء، على سبيل المثال، تذرع أرض مسكنها بخطواتها ذرعاً عصبياً، إذ ترسم شكل 8، أو أنها تتمايل في مكانها تمايلاً لا نهاية له. وتنتهي بعض هذه الحيوانات- تلك الحيوانات المحظوظة- إلى أن تتعلّم بعض المهارات الصغيرة، كالدوران حول

ذاتها (وذلك أمر قد يحدث إذا كانت تتوقّع مكافأة الزائرين عندما تستدير لتحصل على الغذاء الذي يُلقى على رأسها وتنهشه حيوانات أخرى). ولوحظ أن الحيوانات الأسيرة في صحة جيدة عندما تنكبّ على هذا النوع من الفاعليات. ومثل هذا التعلم يطوَّر أيضاً في بعض حدائق الحيوانات حيث لايوجد بمتناول المسؤولين أمكنة كبيرة ضرورية لتحسين الشروط السيكولوجية للأسرى. ووضع هذه البهائم يمكنه أيضاً أن يتغيّر تغيراً كلياً إذا سعى المسؤولون إلى إسلاس انقيادها. (انظر في هذا المعجم: **إسلاس الانقياد، تدجين، بعد الهرب**).

I.R.(ترجمة **J.WA.** إلى الفرنسية)

الأسرة

F: Famille

En: Family

D: Familie

الاشتقاق: من اللاتيني Familia، من Famulus، «خادم».

الأسرة في البداية جماعة من الخدم والعبيد يعيشون في سكن واحد، ثم هي مجموع الأشخاص الذين ينتمون لبيت واحد: نساء، أطفال، خدم، يخضعون لسلطة زعيم أسرة. والأسرة مجموعة من الأفراد تربطهم ببعضهم روابط الزواج، والدم أو التبنّي، يعيشون معاً تحت سقف واحد أو يعترفون، إن كانوا منفصلين، أن لهم منزلاً مشتركاً.

يبدو أن الأسرة وُجدت دائماً في كل المجتمعات الإنسانية. بل إن المرء يرى رسمها الأولي لدى بعض الحيوانات كالحمام، حيث الذكر والأنثى يوفّران غذاء صغارهما على قدم المساواة. ونجد دائماً، في أساس هذا التكوّن، مفهومات الغريزة الجنسية، والإنجاب، وميل الأمومة، وحماية الذرّية، والأمن.

واتخذت الأسرة، لدى الإنسان، مظاهر عديدة، منذ المتّحد الأسري والأسرة الواسعة، حيث يفيد كل فرد من زمن يوفّره له وجود عدة آباء، وأمهات، وإخوة، وأعمام وخالات، وجدود، إلخ، حتى الأسرة النووية، التي تقتصر على الأب والأم والأطفال. ويرتسم، منذ بعض العقود، تطوّر يميل إلى أن يجعل من هذا النموذج الضيّق نمط الأسرة الإنسانية العام. والمرور من شكل إلى آخر يحدث مع ذلك ببطء. وبوسعنا أن نلاحظ، في مجتمع واحد، وجود عدة منظومات

أسرية معاً. وعلى هذا النحو إنما تستمرّ الأسرة الواسعة، التي تمتدّ علاقات قرابة العصب والمصاهرة فيها إلى الحواشي، الموزّعين على ثلاثة أجيال أو أربعة، في البقاء على صورة روابط في نيجيرية، والسنغال، والكونغو، حيث الأسرة النووية تتأصل بقوة. وأعضاء هذه الأسرة الواسعة الذين يجتمعون شهرياً ولديهم نشاطات جماعية، ينذّون من نقودهم صندوقاً مشتركاً بل يتلقّون بطاقة انتساب. وفي عداد أهداف هذه الروابط يمثل العون إلى الأقارب الذين يعانون صعوبة، وصيانة البيت الأسري إن كان يوجد بيت أسري، وحتى تأسيس مشروعات جماعية. فروح الخدمة والتضامن، المصانة في الأسرة الواسعة، تمنحها نجوعاً كبيراً. حتى أن بوسعها أن تكون متفوّقة على أشكال العون الاجتماعي الرسمي، كما ظهر ذلك في ناكاراغوا، خلال الهزّة الأرضية التي أصابت ماناغا (ر. و. كاتز ومساعدوه، 1974).

والأسرة الغربية، المتكوّنة حول الأطفال، ذات منشأ حديث نسبياً. والاهتمام بالأطفال، الذي كان موجوداً من قبل في العصور الرومانية القديمة، تلاشى خلال العصور الوسطى ولم يظهر مجدداً في الطبقات العليا من المجتمع إلا نحو نهاية القرن السادس عشر. وانتشر بالتدريج في كل الأوساط ولكن فضائل الأسرة كانت، في بداية القرن الماضي أيضاً، نامية على وجه الخصوص في الطبقات الميسورة: الأرستوقراطية والبورجوازية اللتين كان لهما اسم وإرث تنقلانه. فوجب انتظار أن يُقهر الشقاء والجوع والأوبئة الكبيرة حتى يتعمّم المثال الأسري. ووضع الآباء، الذين أُنقذوا من الخوف أن يروا أطفالهم يموتون قبل الأوان، في المستوى الأول، شاغل منحهم تربية متينة وأن يؤمّنوا بذلك لهم مستقبلاً. وطرأ على الأسرة، بصورة متوازية مع هذا التطوّر السيكولوجي، تحت تأثير الشروط الاجتماعية الجديدة، تحوّل أساسي عدّل وضع كل فرد من أعضائها وأدواره تعديلاً كبيراً. وكان الأطفال، ما دامت الأسرة وحدة إنتاج، غناها الوحيد، وأملها الوحيد، وكان الأب يوزّع المهمّات، ويراقب الفاعليات وزمن كل فرد من الأسرة، ويحوز ثمرة العمل العام. فالعلاقات كانت صلبة، والانضباط نفسه يسود المنزل والعمل. ولكن الأسرة فقدت وظيفة الإنتاج في أعقاب التصنيع والتمدُّن.

فلم تعد إذن بحاجة إلى مثل هذه البنية التراتبية؛ وتحرّرت الزوجات من وصاية أزواجهم ووجد الأطفال أنفسهم وقد وُضعوا في مركز الاهتمامات الأسرية. وعلى مستوى الدول، اكتُشفت أيضاً أهمية الأطفال والأسرة، وبخاصة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأُقيمت سياسة أسرية في بلدان عديدة؛ ويرسم إعلان حقوق الإنسان، الذي صوّتت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في باريس 10 كانون الأول (ديسمبر) 1948، أن «الأسرة هي العنصر المادي والأساسي للمجتمع والدولة». والحقيقة، كما يلاحظ الاقتصادي الفرنسي ألفريد سوفي (مولود عام 1898)، أن «المجتمع عاجز عن أن يحلّ محل المنابع المترامية الأطراف والمجانية لحب الأم» وأن «تكلفة التنشئة، إذا كان أمراً لابدّ منه أن تحلّ العنايات المأجورة محل كل العنايات التي تغدقها الأم على أطفالها، كانت ستمتصّ جزءاً كبيراً جداً من الدخل الوطني» (1954، ص. 182-183).

وتؤدّي الأسرة، بوصفها وحدة اجتماعية، أربع وظائف كبرى: تكمن الوظيفة الأولى في تقنية الجنسية وضبطها بهدف الإنجاب، إذ تؤمّن على هذا النحو دوام النوع. وتنشد الوظيفة الثانية أن تكسب الموارد الضرورية ليكون بمقدورها أن تستجيب للمقتضيات الطبيعية، مقتضيات أعضاء الجماعة الأسرية، وتزوّدهم بالحد الأقصى من الرفاه المادي. وتسعى الوظيفة الثالثة، التي تكمل الوظيفة السابقة، إلى أن تشبع الحاجة الأساسية إلى الأمن الوجداني الذي يستشعره أعضاء الجماعة الأسرية، وأن تخلق حولهم المناخ السيكولوجي الذي يناسب تفتّحهم الشخصي. ومن المعلوم في الواقع أن غير المتكيّفين لا وجود لهم أبداً في الأسر المتحدة، حيث يسود الانسجام والتعاطف، وحيث يجتمع الأعضاء غالباً، وحيث المشورة يتبادلونها ويتعاضدون. وعدد غير المتكيّفين (مرضى عقليين، جانحين، مدمني مخدّرات) مرتفع نسبياً، على العكس، في الأسر المفكّكة أو المنفصلة التي يهرب فيها الفرد العضو أو يعارض، وحيث ينبغي لكل فرد أن يواجه صعوباته وحده. والوظيفة الرابعة للأسرة من النسق الاجتماعي الثقافي. إنها ذات علاقة باكتساب اللغة، المسماة بصورة منصفة لغة الأم، ونقل قيم الجماعة، وأعرافها،

وطقوسها، وتقاليدها. يُضاف إلى ذلك تعلّم الانضباط، وقمع الغرائز والإعداد لحياة الراشد. وتشغل الأسرة، لأنها تكوّن على نحو طبيعي عالم الطفل، عالمه الأولّي، وعالمه الوحيد على سبيل الحصر في السنتين أو الثلاث سنوات الأولى من حياته، موقعاً أساسياً وتؤدي دوراً رئيساً في السيرورة التربوية. ففي كَنَفها، وبحركة المحاكاة والتوحّد، إنما الطفل يتعلّم الأنس، أي الانتقال من الأنانية إلى الغيرية، وبتأثيرها إنما يصوغ طبعه في الجزء الأكبر منه. ومثال ذلك أن الآباء الضغيفين جداً، القلقين أو المبالغين في السلطوية، يجازفون بأن يثيروا لدى طفلهم عواطف انعدام الأمن والخشية أو التمرّد؛ والآباء القادرون، بالعكس، على أن يقيموا مع أبنائهم وبناتهم علاقات وثيقة قوية، ويبذلوا جهدهم في فهمهم، ومساعدتهم، وحثّهم، إذ يمنحونهم أكثر ما يمكن من المعلومات، يشجّعون نموّ فكرهم وتفتّح شخصيتهم.

ونشهد مع ذلك، في عصرنا، تقلّصاً كبيراً في دور الأسرة، بما في ذلك ما له علاقة بالتربية، من جرّاء التوسّع الكبير في المؤسسات وامتيازات الدولة. ومثال ذلك أنه يتعذّر على رئيس أسرة أن يقرّر التوجيه المدرسي لطفله دون أن يأخذ بالحسبان رأي المراجع الرسمية، أو أن يختار أيضاً المنشأة التي يمكنها أن تستقبل طفله المعوق، ذلك أن عبء هذا الاختيار يقع على عاتق اللجان الاقليمية للتربية الخاصة. والمجال الوحيد دون منازع الذي يبقى للأسرة في نهاية المطاف هو مجال الوجدانية. والواقع أن العلاقات بين الشخصية التي يمكن أن يقيمها الفرد في الحاضرات الجديدة ليس لها الرسوخ ولا الحدة اللتين للعلاقات التي كان يعقدها في الزمن الغابر في حيّه أو في قريته. والسكان، من الآن فصاعداً، متحرّكون والقاطنون في عمارة واحدة يمكنهم أن يتجاوروا دون أن يعرف بعضهم بعضاً. ومادام لكل أسرة ميل إلى أن تخلق عالمها الخاصّ، يصبح المنزل هو الملجأ وحقل الوجدانية المغلق. فتظهر فيه إلى النور حتماً توتّرات، ولو لم يكن إلا بسبب ضيق المسكن والقليل من الجاهزية التي تتركها الاهتمامات المهنية وشروط الحياة المدينية. ويعتزل كثير من الآباء المنهوكي القوى دورهم التربوي ويهربون من مسؤولياتهم.

وآخرون يقتضون من أطفالهم، الذين يحولّون عليهم آمالهم الخائبة، كثيراً من الأمور أو يخنقونهم بعنايتهم التي يكتنفها القلق. وينجم عن ذلك نزاعات وضروب من التمرّد؛ والمراهقون يستعجلون أن يصبحوا مستقلين ويغادرون أسرهم، آملين أن يجدوا في مكان آخر، وسط أقرانهم، تلك الحرية والحرارة الوجدانية اللتين يطمحان إليهما.

و«المتّحدات»، كما توجد في الولايات المتحدة الأمريكية، والسويد، والدانمارك، والبلدان المنخفضة، وألمانية، وفرنسة منذ عام 1968، التي تضمّ أربعة أعضاء إلى عشرة، ذات علاقة بالرغبة في أن يُخلق مجدّداً عالم ودّ، حيث يسود التعاطف، والصداقة، والحب. ولكنها لاتقاوم على وجه العموم اختبار الواقع ولايستمرّ بعضها إلا ربيع واحد أو صيف؛ وللمتحدات الأمتن مدّة وسطية من الحياة تبلغ سنتين.

وتظل الأسرة في نهاية المطاف، على الرغم من ضروب النقص والمحاذير (توتّرات، خصومات، الخ)، إحدى قيم العصر الراهن الرئيسة (الثالثة بعد السلام والحرية، بحسب استقصاء أجراه المعهد الفرنسي للرأي العام، عام 1963). ومعظم الشباب يريدون تأسيس أسرة ذلك أنها، كما يقول بصورة رائعة جون لاكروا (1974، ص. 165)، «بؤرة محبة، أي محل التبادلية الاجتماعية ذاته». (انظر في هذا المعجم: **السلطان**، **الطلاق**، **الأخوة**، **الزواج**، **الأم**، **النحن**، **الأب**، **تبادلية ضروب الشعور**).

N.S.

ليست الأسرة دائماً وسطاً مستقراً متناغماً. فالعديد من الأحداث كالمرض أو الموت، والهجرة، وبعد الأب لأسباب مهنية، ووضع الأطفال في المعاهد، إلخ، يمكنها أن تفككّها. وثمة نزاعات يمكنها أيضاً أن تبرز فيها، إذ تضع أفراد الأسرة في شبكة من التوتّرات الشاقة التي يحتمل أن تكون مؤذية. وإذ أبان التحليل النفسي أهمية العلاقات الوجدانية الأولى، وبخاصة مع الأم، في بناء الحياة النفسية

وإعداد الشخصية، فإن مؤلفين عديدين انكبّوا على أن يبرهنوا على وجود محتمل لصلات بين المرض العقلي والأسرة. وتبيّن الدراسات على وجه العموم أن الأسرة تؤدّي وظيفة حماية من الاضطرابات العقلية، ولكنها، في بعض الحالات الخاصّة، تبدو بالفعل أنها تسبّب المرض. وفي حين كان أندره غرين (1958) يضع رسماً لأسرة الفصاميّ، كان ر. ثم ث. ليدز يؤكّدان تأثير الانحرافات الأسرية (التفكّك، سوء التفاهم، الحالة العقلية غير السويّة لأحد الأبوين أو كليهما) في نشوء الفصام. ومنذ عام 1956، بذل ليمان ك. وين ومساعدوه من **معهد الصحة العقلية الوطني** في بيثسدا (ميرلند، الولايات المتحدة الأمريكية) جهودهم لوضع نظرية في أصل الذهانات الأسري، ومظهرها وعلاجها الأسريين. ويذكّرون، إذ يرجعون إلى هينز ويرنر الذي يرى أن كل سيرورة نموّ تنطلق من حالة إجمَالية لامتمايزة «وتنزع إلى حالة من التمايز المتنامي»، والتمفصل والاندماج التراتبي، بأن الموجود الإنساني، في نموّه السيكولوجي، يبدأ بتمييز الأنا من «اللاأنا»، ثم يتعرّف بالتدريج اندفاعاته، وعواطفه، وقدراته (الحركية، الإدراكية، التعبيرية، الألسنية)، ويميّز ما هو مشخّص أو حَرْفي مما هو مجرّد أو مجازي. وفي وقت واحد، تتجمّع العناصر التي يميّزها على هذا النحو، وتُنظّم، وتدمج بصورة تراتبية، ويرتسم ضرب من التمفصل بين الجزء والكل، والحدث وسياقه. وبفضل سيرورة الاندماج هذه، تتبنين صورة الذات، والزمنية، والتواصل. فالتمايز والاندماج إذن هما الجانبان المتكاملان من سيرورة واحدة. وينطلق وين، ليشرح اضطرابات الشعور في الذهان، والفصام بالأخصّ، من مفاهيم عرضناها سابقاً. فعندما يعاني أحد الأفراد اضطراباً في الاندماج، يكون فكره فوضوياً، مجزآً: إن التمايز قد حصل، وليس الاندماج مع ذلك. وفي هذا الحالة، يقول وين، نحن أمام فصاميّ «مجزآ». ويُبدي بعض المرضى اضطراباً في الفكر أكثر إجمالية، ذا علاقة بالتمايز والاندماج معاً؛ إنهم مشوّشون، مبهمون، منطوون على ذاتهم: فهم الفصاميون «غير المتبلّرين». وفي رأي وين أن انعدام «التبلّر» و«التجزّؤ» يدلان على فئتين من تفكّك التنظيم في الفكر تتيحان تصنيف الفصاميين وفق حالة الاضطراب العقلي التي يوجدون فيها، مع الإخبار في الوقت نفسه عن شكل الفكر

وأسلوبه. ولا يتوقّف وين هنا. إنه يحاول أن يبيّن العلاقات الموجودة بين بعض الأسر وبعض النماذج من الاضطراب الفكري. وهو، ليفعل ذلك، يستخدم التقنيات الإسقاطية، ويطبّقها على كل أعضاء الجماعات المعنيّة. ويدرس **الانتباه** على وجه الخصوص، المدرك بوصفه سجلا يستقبل التبادلات الأسرية ويعدّلها.

ويبدو هذا السجل غير موجّه، مرتبطاً بتفصيلات تغمره، وذلك أمر يسهّل انبعاث سيرورات أولّيّة (أي الانتقال من امتثال إلى آخر جرّاء انزلاق مستمرّ للمعنى)، وشذودات وغرابات والعلاقات والمسافات الوجدانية بين أعضاء أسرة واحدة تكون تارة في أقصى حدود الصلابة والتكافل (ارتباط وثيق يستمدّ منه كل شخص شيئاً من النفع)، وطوراً متموّجة، إذ يمكنها أن تمرّدون مرحلة انتقالية، من اللامبالاة إلى تحطيم الصميمية. والتبادلات الوجدانية فقيرة، تنقصها الاندفاعية، والتلقائية، والطاقة، و كل فرد يبدو أنه يعتقد أن من غير الممكن أن يكون له مع أهله تجارب وجدانية أخرى، متماسكة ومرْضية. فكل فرد في الأسرة يعيش مغلقاً في دور يبدو أنه عُيّن له مرة واحدة بصورة نهائية وأنه يكرّره بأسلوب مقولب. وتتبنّى الجماعة الأسرية بعض السلوكات التي يسمّيها وين «عدائية– زائفة» و«متبادلة– زائفة». ففي الحالة الأولى، يعلن الفرد كرهاً ونزاعات وهمية يكمن دورها الفعلي في أن تقنّعا القلق الذي لايمكنه أن يتخلّف عن البروز إذا لم يستسلم لصميمية أكبر، وفي أن تصونا دائماً بعضاً من المسافة بين الأشخاص. وفي الحالة الثانية، يكون المقصود، على العكس، رأياً قبلياً عن تفاهم جيّد وتناغم لايمكن أن يزعزعهما شيء، ولكنهما غير أصليين. ومثل هذا السلوك، يقول وين، يقود إلى فصل المحتوى عن المعنى، ثم إضفاء الشكلية على هذا المحتوى، وذلك أمر يصيب بالكفّ كل تلقائية. وتبدو الأسرة وكأنها محاطة بـ«سياج من الكاوتشوك» يسجنها، ولكنه لايمنحها رسوخاً ولاتماسكاً. ومن وجهة النظر هذه، يمكن لنوبة حادّة من الخلاف أن تكون ذات علاقة بمحاولة تعسة في أن يوطّد الفرد ذاته بوصفه فرداً، في حين أن الاستقرار في الإزمان قد يقابل تجديد «التبادلية المزيّفة». (انظر في هذا المعجم: **صلة مزدوجة، ذرائعية التواصل، الفصام**).

J.F.B.

الأسطورة

F: Mythe

En: Mythe

D: Mythe, Mythus

كانت الأسطورة حتى بداية هذا القرن، في انطلاقة الفلسفة الوضعية، تُعتبر إما ضرباً من الشرح المؤقت وغير الكامل (أ. كونت، ل. ليفي برول، م. مولر، ف. بارتيو) الذي ينبغي للعلم أن يحلّ محلّه حلولاً مفيداً، وإما، على العكس، تشويهاً شعبياً لقصة تاريخية إيجابية (مفهوم «بشرية الآلهة»). وكانت الأسطورة، خلال زمن طويلاً، موضع الانتقاص من قيمتها، مردودة إلى مستوى «قصة خرافية من منشأ شعبي وغير عقلاني» (أ. لالاند، 1926). وبالجهود المشتركة للأفكار السياسية لدى جورج سوريل (1908)، ولعلم الاجتماع الطوبولوجي لدى ماكس ويبر (1905)، ولعلم الجمال لدى نيتشه (1880)، ولفلسفة الأشكال الرمزية لدى إ. كاسيرر (1924)، ولنمو التحليل النفسي، على وجه الخصوص، لدى س. فرويد (1897)، وأوتو رانك (1904)، ثم لعلم نفس الأعماق لدى ك. غ. يونغ (1916)، إنما أُعيد تقييم مفهوم الأسطورة من الناحية الإبستيمولوجية. فتوطّد منذئذ هذا المفهوم، وبخاصة في أعمال الأنتروبولوجيين (علماء اللغة، مؤرخي الأديان، الإتنولوجيين، علماء نفس الأعماق، إلخ) كشارل بودوان، ر. كايوا، جـ. كازينوف، هـ. ديروش، ب. دييل، غ. دوموزيل، غ. دوران، م. إلياد، جـ هيلمان، ك. غ. يونغ، أ. لوروا- غورهان، كلود ليفي - شتراوس، ر. موشييلّي، غ. روهايم. . . وبوسع المرء، بفضل التلاقي الكبير أو

القليل لهذه الأعمال كلها، أن يُطلق تعريفاً إجرائياً في الوقت الراهن على الأسطورة يضع هذا المفهوم الأخير في قلب كل منظور أُنتروبولوجي حديث.

وتبدو الأسطورة كأنها قصّة (قول أسطوري) تمسرح شخوصاً، وأوضاعاً، وديكورات، غير طبيعية على وجه العموم (إلهية، طوباوية، فوق واقعية، إلخ) يمكن أن تُقطّع إلى تعاقبات أو وحدات دلالية أصغر (mythèmes)، يُوظَّف فيها بالضرورة اعتقاد- على عكس الخرافة أو القصة- يسمى «كثافة الحضور الرمزية» (إ. كاسيور). ويستخدم هذا السرد منطقاً يفلت من مبادىء المنطق الكلاسيكية للهوية. وتظهر الأسطورة بذلك جيداً «ما وراء لغة» (كلود ليفي- شتراوس)، لغة سابقة على العلامات حيث ينوب النظام الإشاري للطقوس، للسحر، مناب نحو اللغات الطبيعية ومفرداتها. فالأسطورة تبدو إذن قولاً أخيراً حيث يتكوّن- بعيداً عن مبدأ الثالث المرفوع- التوتر المعارض الأساسي لكل قول، أي لكل «نمو» للمعنى. إنه «التشتّت» بصورة مفارقة، التشتت التزمّني (جـ. ديريّدا) لتعاقبات أو وحدات دلالية أصغر، الذي يتيح التماسك التزامني للقول الأسطوري. وكان نيتشه قد أثبت على نحومبتكر- على عكس خليفتيه من ذوي النزعة الثقافية (ر. بينيديكيت، أ. كاردينار)- أن الأسطورة التي تؤسس الفكر المحضّر لدى اليونان هي سرد التعارض بين القوى «الأبولونية» (الامتثالية، الشكلية) والقوى «الديونيسية» (ذات النزعة الفردية، العدوانية). وسيفصل كلود ليفي شتراوس هذا السمة «الإحراجية» في القول الأسطوري. ويعرّف هذا القول الأسطوري- تعريفاً محدّداً بعض المحدودية- أنه «أداة منطقية» صائرة إلى أن توفّق أو تضفي التأليف على كيانات دلالية لايمكنها أن تتنضّد إلا على نحو تزامني في منظورات المنطق الكلاسيكي («في الوقت نفسه وفي ظل العلاقة نفسها»). ومثال ذلك أن التوترات والنزاعات التي تقصّها «أسطورة أوديب» المشهورة- فُسِّرت «على النمط الأمريكي» بالمقارنة مع أساطير بيبلو- تعبّر في نهاية المطاف عن «التعذّر الذي يجد نفسه فيه مجتمع يجاهر بالاعتقاد أن أصل الإنسان من الأرض التي يسكنها (كقول بوزيناس، XXIX,VIII: النبات نمط الإنسان)، تعذّر الانتقال من هذه النظرية إلى

الاعتراف بواقع مفاده أن كل فرد مولود من اتحاد الرجل وامرأة». وبعبارة أخرى، إن الجهاز الإحراجي لما وراء اللغة الأسطورية سيُطبّق تطبيقاً تفضيلياً على هذه المسائل الكبرى التي ليست بوسع العلم الوضعي أن يجيب عنها والتي كان من قبلُ قد صنّفها في عداد النظريات «النقيضية»: ماذا سنصبح بعد الموت؟ من أين أتينا؟ لماذا العالم ونظام العالم؟ ولماذا الإلزام الأخلاقي؟ إلخ. هذه السمة الإحراجية لـ«الاعتقاد» الأسطوري كانت موضع الاستشعار قبل نتائج الإتنولوجي الشهير (1955)، مثال ذلك في نظرية ماكس ويبر عن «تعدّد مصادر القيم» (أي أن قيم المنظومة القيمية لدى فرد أو مجتمع لا يستنبط بعضها من بعض، أو أن هذه المنظومة صيغت بصورة موازية لهذه القيم)؛ وينجم عن ذلك تقيّد «مفارق»، يُستخدم نقطة انطلاق لضروب من المنطق غير ثنائية من نموذج الضروب التي درسها س. لوباسكو، ب. فيّاس، م. بيغبيدر (المنطق «التنافسي» لدى س. لوباسكو، المنطق المتناقضي لدى ب. فيّاس، المنطق «النزاعي» لدى درّيدا، إلخ). وكانت أعمال خلفاء فرويد أيضاً- أعمال أوتو رانك وألفريد أدلر على وجه الخصوص- تتيح للمرء أن يحدس أن الليبيدو ليس وحده الموجود، بل عدة قوى متنافسة في تبنين الحياة النفسية. وكان غ. دوران قد بيّن (1959) أن المتخيّل- والصور الكبرى من النموذج البدئي-، حيث تضع الأسطورة ترسانتها الرمزية، يتكوّن هو ذاته من ثلاث مجموعات من التخطيطات البنيوية، كل مجموعة منها متماثلة الشكل وكلها لا يرتدّ بعضها لبعض. وكان عالم النفس إيف دوران (1964) قد برهن تجريبياً تعذّر الاختزال في الأنظمة البنيوية للصورة. فطرائق التحليل لمثل هذا القول «الإحراجي»، «التشتّي»، «المتناقضي»، ينبغي لها إذن أن تأخذ بالحسبان، بصورة إلزامية، هذا البعد المفارق للأسطورة وأن تعالج السرد الأسطوري من زاوية التزامنية التشتّية ومن زاوية التزامنية التركيبية (أو «الإطناب» لكلود ليفي شتراوس). إن ليفي شتراوس قد أدخل إدخالاً جيداً طريقة أكملها خلفاؤه (غ. دوران).

G.D.

الإسقاط

F: Projection

En: Projection

D: Projektion

آلية نفسية يعزو بها المرء أفكاره وعواطفه إلى الآخرين.

الإسقاط لدى الطفل الصغير، الذي لايميّز الأنا من «اللاأنا»، مبتذل. إنه ينسب بصورة طبيعية جداً رغباته، ومخاوفه، وانفعالاته، إلى رفاقه، رفاق اللعب، سواء كان رفاقه حيواناً أو لعبة أو شيئاً غير حيّ (**الإيحائية**). وهذه الذهنية موجودة لدى الراشد عندما يجهل الواقع، في الميثولوجيا، والمعتقدات، والخرافات، والأوهام التي تبرّرها الرغبة، على سبيل المثال؛ والإسقاط عامل أيضاً في الأمراض العقلية، ولاسيما في الهذيانات الهلوسية والبارانويا. فالمسألة، في جميع الأحوال، مسألة تحديد موضع خاطىء: إن الفرد يحدّد في الخارج موضع مايحدث في ذهنه. والإسقاط، في رأي المحلّلين النفسيين، آلية من آليات دفاع الأنا، قوامها أن تعزو الأنا إلى الغير لاشعورياً ميولها الخاصة، ورغباتها، ودوافعها، التي تمنع الأنا العليا أن تتعرّف عليها الأنا أنها خاصة بها. وإذ يتخلّى المرء عن ذاته، ويطرد ما هو مصدر الألم ويحوّله على شيء خارجي، فإنه يتحرّر من توتّراته ويكون مسوّغاً في اتجاهاته وسلوكاته. إن **عاطفة** الحقد يمكنها على هذا النحو أن تُعزى إلى شخص كان متوجّهاً ضده (القضية «أكرهه» تصبح «يكرهني»)، ولم يعد العدوان، والتمرّد، بل الجريمة، غير مشروعة. (انظر في هذا المعجم: **الهلوسة**، **الغيرة**، **آلية الدفاع**، **بارانويا**).

M.S.

إسلاس الانقياد

F: Apprivoisement

En: Taming

D: Zähmung

سيرورة نتوصل بها إلى أن نجعل حيواناً متوحشاً أقلّ شراسة.

إسلاس الانقياد ليس الأسر، حيث الحيوان جاهز دائماً ليستعيد حريته، ولا التدجين الذي يعني أن النوع ألف الإنسان كلياً، إلى حدّ يتكاثر في الوسط الذي أعدّه الإنسان له. ويحتفظ علماء الحيوان بمصطلح إسلاس الإنقياد للدلالة على المرحلة التي يكون فيها بُعد الهرب - أي البعد الذي يهرب بدءاً منه حيوان من العدو الذي يقترب - والبعد الحرج - أي البعد الذي يهاجم بدءاً منه العدو - قد تقلّصا إلى الحد الأدنى أمام الموجودات الإنسانية. وهذان البعدان يمكنهما أن يتقلّصا كلياً، إلى الحد الذي يستسلم فيه حيوان إلى اللمس دون أن يحاول الهرب أو الدفاع عن نفسه. فالصغار، التي تُنتزع منذ ولادتها من بين أمثالها، هي التي تكون أسلس انقياداً لأنها «موسومة» بالممارسات الإنسانية. ويُستخدم إسلاس الانقياد بغية الترويض أو التدجين، ذلك أن بعض الحيوانات (كفيل آسية على سبيل المثال) قادرة على أن تنجز أعمالاً محدّدة. (انظر المصطلحات التالية في هذا المعجم: **البعد الحرج، بعد الهرب، السمة الإدراكية أو التشرّب**).

I.R. (ترجمة **J.WA.**)

أسلوب الفاعلية

F: Activité (style d')

En: Style of activity

D: Activitätsstil

نسمي أسلوب إنسان، في حياته المهنية، المجموعة المنظّمة من السلوكات التي تعكس تصوره الشخصي للحياة في العمل.

يأتي اختيار هذا المفهوم من الفكرة التي مفادها أن الدلالة الشخصية التي يمنحها الإنسان عمله والأغراض التي ينشدها تؤثران على سلوكاته الأكثر دلالة وتقترح لها شرحاً متماسكاً. ومختلف الأساليب التي يتبنّاها أولئك الذين يشغلون وظيفة مهنية تتميّز انطلاقاً من عدد محدود (بعدين غالباً) من الأبعاد التي يقدّمها التحليل العاملي. ومثال ذلك أننا نميّز البعدين التاليين على وجه العموم بالنسبة للأطر أو المديرين: اهتمام بالإنتاج واهتمام بمجموعة المستخدمين؛ وتعني قيمة مرتفعة في البعد الأول أن عضو الأطر يتصوّر وظيفته بعبارات العون، والتنظيم، ومراقبة الإنتاج؛ والقيمة المرتفعة في البعد الثاني يبلغها رجال الأطر الذين يضفون قيمة كبيرة على دورهم الإنساني والاجتماعي. وإذ نقتصر على تقييم يقوم على +، 0، -، فإننا نحدّد خمسة أساليب رئيسة (+، -) إنتاج، (-، +) مجموعة المستخدمين، (-، -) عدم التزام، (0، 0) تسوية، (+، +) مشاركة وتوافق (بحسب بلاك وموتون). وثمة دراسات مماثلة تقدّم البعدين التاليين بالنسبة للمدرسين: اهتمام بالمنهاج، اهتمام بالتلاميذ. ومفهوم الأسلوب ذو أهمية في فاعليات شتى من إدارة مجموعة المستخدمين. وهكذا تكتسب امتحانات

المستخدمين كثيراً في معيار الصحة عندما تُنظَّم في طورين متتاليين: تحديد الأسلوب المحتمل للمفحوص أول الأمر، ثم فحص خاص بالأسلوب المكتشف؛ ويقال إن الأسلوب يؤدّي دور **المتغيّر المعدّل**. وفي التكوين لوظيفة من الوظائف، يُرهف حسّ كل فرد ليتعرّف على أسلوبه وأسلوب الآخرين. وأخيراً، ينبغي أن يُوجّه الانتباه، في تكوين الفرقاء أو جماعات العمل (جماعة البحث على سبيل المثال)، إلى الدور الذي تؤديه أساليب المشاركين في العمل المشترك.

J.M.F.

الأسيتيلكولين

F: Acétylcholine

En: Acetylcholine

D: Acetylcholin

مادة كيميائية منتشرة جداً في العضوية تؤمّن انتقال السيّالة العصبية إلى نهاية الأعصاب نظيرة الودّية والألياف قبل العقدية في الجملة الودّية.

إن الصيدلاني الألماني أوتّو لوي (فرانك- فور- على المان، 1873- نيويورك، 1961)، إنما حصل على مادة قادرة على أن تحدث المفعولات التي يحدثها التنبيه الكهربائي، حين نبّه العصب المبهم (أو الرئوي المعدي) تنبيهاً كهربائياً؛ فسمّاها «المادة المبهمة» وتحقّق بعد خمسة أعوام أنها الأسيتيلكولين.

ويجري تركيب الأسيتيلكولين، هذا الوسيط الكيميائي، في العصبون ذاته، انطلاقاً من الكولين والأسينيل الأنزيم المساعد A؛ والأنزيم النوعي، الذي لاغنى عنه لهذا لتفاعل، هو الكولين المشبع بالأسيتيل الذي نجده بكميات كبيرة في النهايات العصبية للأعصاب التي تفرز الكولين. والمرحلة الأخيرة من التركيب تحدث على وجه الاحتمال في الحويصلات المشبكية، الواقعة في نهاية الليف قبل المشبكي. ويجري التخزين على شكل أسيتيلكولين، محلول في محتوى الحويصلات. ويميّز بين ثلاثة أقسام من الأسيتيلكولين:

- الاحتياطي «الثابت» الذي لايمكن أن يحرّره أي تنبيه قبل عقدي؛

- الاحتياطي «المتحرك» الذي يقع الجزء الجاهز منه بصورة مباشرة في الحويصلات القريبة من الغشاء (23 بالمئة)، أما النسبة الباقية، 77 بالمئة، التي تحتويها الحويصلات الأكثر بعداً، فتمثّل الاحتياطي الثانوي الذي لايتدخّل إلا إذا استطال التنبيه؛

- الأسيتيلكولين المسمّى «الفائض».

وما إن يتحرّر الاسيتيلكولين في فراغ التشبيك بفعل وصول السيالة العصبية، حتى يتحول على وجه السرعة تحوّلاً كلياً إلى كولين وحمض اللبن، بتأثير الأنزيم محطّم الأسيتيلكولين، أنزيم نوعي موجود في فراغات التشبيك.

وللأسيتيلكولين مفعولات وظيفية من نموذجين:

- **المفعولات المسمّاة «مسكرينية»**، ذلك أنها تُنتج تأثير المسكرين، مادة مستخرجة من بعض الفطور كالفطر المسمى «Amanita muscaria» أو الفطر البرتقالي الكاذب. وبين المفعولات التي تتنوّع وفق العضو المنظور إليه، نذكر تباطؤ الإيقاع القلبي، تنبيه الجملة العضلية الملساء والإفرازات المعدية، وأخيراً تراخي العضلتين الصارّتين الملْساوين للأنبوب الهضمي والمثانة.

- **المفعولات المسمّاة «نيكوتينية»**، ذلك أنها تنتج تأثير النيكوتين بتركيز ضعيف. وهذا التأثير النيكوتيني للأسيتيلكولين يمكنه أن يتعزّز بفعل المضادّ لتحطيم الأسيتيلكولين أو أن يكفّه الكورار الذي يشلّ التركيب أو النيكوتين ذو الجرعة القوية.

ويتدخّل الأسيتيلكولين في آليات «القيادة» (اتصالات عضلية عصبية هي سبب استجابات الجملة نظيرة الودية) و«النقل». ويسترعى الانتباه إلى أهمية الأسيتيلكولين في الجملة العصبية المركزية حيث توزيع الأسيتيلكولين، والكولين المشبع بالأسيتيل، ومحطّم الكولين، غير متجانس. فبعض المناطق، كالقشرة الدماغية، والجسم الشفني، وتحت المهاد، والدماغ الشوكي، والنواة المذنّبة،

والمهاد، والشبكية، تحتوي على كمية كبيرة من الأسيتيلكولين. ويتساءل المرء إن لم يكن ثمة علاقة مباشرة بين درجة فاعلية الدماغ (من راحة النوم حتى التعلّم) وبين إنتاج الأسيتيلكولين. ولوحظ أن كمية هذه المادة التي يحتويها السائل الرأسي الصلبي يتناسب مع هذه الفاعلية. ولكن من العسير أن نحصل على اليقين في هذا المجال، ذلك أن الأسيتيلكولين لايبدو إلا بكميات ضئيلة دفعة واحدة ويدمّره على وجه السرعة الكبيرة محطم الكولين. (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **الوسيط الكيميائي، الاتصال**).

M.S.

الاشتراك اللفظي

F: Polysèmie

En: Polysemy

D: Vielwertigkeit

الاشتقاق: من اليوناني Polusémos «لفظ له عدة معان».

يقال عن وحدة ألسنية إنها متعدّدة المعاني عندما يكون لها مدلولات متمايزة.

الاشتراك اللفظي يقابل أحادية المعنى (ليس للوحدة الألسنية سوى معنى واحد محدّد جيّداً: Monosémie)، ولكنه يتميّز من **التجانس اللفظي** (الوحدة الألسنية تدلّ على أكثر من معنى: homonymie): نحتفظ في الواقع بمصطلح الاشتراك اللفظي في الحالات التي تكون فيهاللمدلولات المختلفة سمة واحدة أو عدة سمات مشتركة. فكلمة **الغابة** (تعني الأجمة التي طالت ولها أطراف مرتفعة باسقة، أو الأجمة فقط، وأجمة القصب، وغيضة ذات شجر كثير، والأجمة ذات الشجر المتكاثف لأنها تغيّب ما فيها، والغابة من الرماح أي ما طال منها وكان له أطراف تُرى كأطراف الأجمة، أو الرماح إذا اجتمعت) مشترك لفظي لأن لمدلولاته المختلفة سمة أو أكثر من سمة مشتركة كما نرى. ولكن ثمة تجانساً لفظياً بين كلمتي «ليث» بمعنى شجاع أو أسد و«ليث» بمعنى لسِن جدل، أو ضرب من العنكبوت. إنه لأمر حرِج جداً أن يرسم المرء حداً فاصلاً بين الاستعمال الاستعاري ووضع الاشتراك اللفظي: ويمكننا الكلام على اشتراك لفظي منذ أن تأسس الاستعارة باستعمال منتظم. وليس التجانس اللفظي مرتبطاً بالفارق في أصل الكلمة:

فالاستعمالات المختلفة لكلمة «دَسْت» الفارسية الأصل (في الفارسية بمعنى اليد والقوة، وفي العربية اللباس، وصدر المجلس) أو كلمة «ليث» العربية، ذات تجانس لفظي، وليس بينها أي سمة دلالية مشتركة. ونلاحظ أن الوحدات الألسنية الأكثر تواتراً هي على وجه العموم ذات اشتراك لفظي، بالنظر إلى أن الأحادية المعنى هي واقع وحدات ألسنية ذات استخدام محدود (انظر في هذا المعجم: **الاستعارة**).

C.MA.

ملاحظة: أدخلنا تعديلاً على هذا المقال إذ استخدمنا الأمثلة العربية لتوضيح المعنى والفارق بين الاشتراك اللفظي Polysémie والتجانس اللفظي Homonymie «م».

الإشراط

F: Conditionnement

En: Conditioning

D: Konditionier, Konditionierung

مجموعة من الإجراءات الترابطية نصل بواسطتها إلى إثارة سلوك جديد لدى الحيوان أو الإنسان.

إيفان بيتروفيتش (1849-1936)، عالم النفس الفيزيولوجي، اكتشف المنعكسات الشرطية عام 1902 وكرّس بقية حياته لدراستها. وتتّصف تجاربه الأولية بالرشاقة والبساطة: ثمة إشارة حيادية تسبق بثانية واحدة تقديم المنبّه غير الشرطي. ووصول مسحوق اللحم إلى فم الكلب يثير عملية اللعاب (ارتكاسي غير شرطي). والترابط المتكرر بين المنبّه الحيادي والإثارة غير المشروطة يجعل المنبّه فاعلاً كالغذاء بالمستوى نفسه، بحيث أننا إذا ألغينا تقديم التعزيز (مسحوق اللحم)، في محاولة واحدة، فإن المنعكس المثير للعاب يحدث مع ذلك. والشرط الأساسي حتى يتوطّد ارتكاس شرطي هو **الاقتران في الزمان** بين «الإشارة» والمنبّه الأصلي، إذ المنبه الأصلي يلي الإشارة دائماً. و**التكرار** ضروري أيضاً، ذلك أن من النادر أن يكفي ترابط وحيد لإيجاد رابطة بين المنبهين. **وليست قوة الحاجة** غير ذات أهمية: فالحيوان الجائع يُظهر منعكسات غذائية (عملية اللعاب) أشدّ قوة، والمنعكس الشرطي يستقرّ لديه بسهولة أكثر. وتؤدي **شدّة المنبّه الحيادي** أيضاً ضرباً من الدور: فإذا كان ضعيفاً جداً، فإنه سيكون أمراً صعباً تحويله إلى منبه شرطي. ومن المهم، أخيراً، ألا يُقْدم شيء على إلهاء الفرد موضوع التجربة خلال تقديم المنبه الحيادي.

فكل ضجة، حركة، أو ذبذبة، يمكنها أن تجذب انتباهه وتضعف الارتكاس الشرطي. وهذا المفعول يسمّيه بافلوف «الكفّ الخارجي»، لأن التوقّف، سواء أكان جزئياً أم مؤقتاً، ناجم عن تغيّر في الوسط الخارجي. وثمة منعكسات عديدة كانت مشروطة، بدءاً من الإفرازات المعدية وإلغاء البول حتى إيقاع القلب، بل فاعلية الدماغ الكهربائية. ومنذ عام 1922، كان ش. كازون قد أفلح في أن يجعل تقلّص الحدقة مشروطاً، إذ قرن رنين جرس بإنارة العين. وعلّم س.ف. هودجانز بعد أحد عشر عاماً من تجربة كازون أفراده الذين يجرّب عليهم أن يراقبوا منعكسات الحدقة، منطلقاً من التجربة السابقة ومستخدماً مقياس قوى: فعلى الفرد أن يضغط على الجهاز حين يُأمر بـ «التقليص»، في حين أن النور كان ينبعث، إذ يثير تقلّص الحدقتين. ويأمر المجرّب، بعد ثلاث ثوان أو أربع برفع الضغط عن الجهاز وتوقيف المنبه الضوئي. وفي المرحلة التالية، إنما يعطي الفرد نفسه هذه الأوامر. والحدقتان كانتا تطيعان في نهاية الأمر، بعد أقلّ من مئتي محاولة، تلك الأوامر اللفظية التي يدمدم بها الفرد.

ويبدو مجال المنعكسات الشرطية لامتناهياً. وقد استطاع بعضهم، بطريقة الإشراط، تعليم الأسماك الحمراء أن تجوب متاهات قليلة التعقيد، والأواليات (نقاعيات هدبية) أن تهرب من النور الذي لاتبالي به بصورة طبيعية. بل إن مقاومة العضوية للجراثيم منعكس يمكنه أن يكون مشروطاً (س. ماتلينيكوف، 1928). والواقع أننا إذا لقّحنا كلباً بالمستضدات الجرثومية القليلة الخطر، فإن عضويته ترتكس بإنتاج الأجسام المضادّة. وإذا جعلنا التلقيح مسبوقاً بإشارة حيادية، فإن هذه الإشارة تتكفّل بقدرة المستضِدّات الجرثومية وتكفي لإثارة ظهور الأجسام المضادّة.

فالإشراط تقنية تعلّم بالترابط تُستخدم استخداماً شائعاً في تقنية العلاج بالطب النفسي، لعلاج بعض الأعصبة، وتخليص الكحوليين من التسمّم الكحولي، وشفاء الأطفال من الخوف، واللجلجة، أو من القلق. إنه كامن في

الكحولي، وشفاء الأطفال من الخوف، واللجلجة، أو من القلق. إنّه كامن في أساس التدريب العسكري، وفي كل تربية تنشد أن ينوب سلوك آلي منضبط مناب المخيّلة والتلقائية. وتستند طريقة الولادة الطبيعية التي أوصى بها الانغليزي غرانتلي ديك ريد (1933) وطريقة الولادة الوقائية النفسية، التي ندين بها للسوفييتي فيلكوفسكي (1949)، اللتان تطمحان إلى إلغاء الخوف من المخاض وألمه بإعداد جسمي وسيكولوجي، أقول تستندان إلى الإشراط. والدعاية، التي تحاول أن تعدّل الآراء والسلوكات في اتجاه محدّد، تستلهم الإشراط أيضاً. وإذا كان فن الإقناع يجد حدوده بسرعة، مع ذلك، فإن حدود نظرية الإشراط أكثر ضيقاً فيما يخصّ التصرّف الإنساني. (انظر المصطلحات التالية في هذا المعجم: **إشراط الاتجاهات، الإبداعية، التربية، التعميم، الحرية، التوسّط، التعزيز**).

G.G.S.

F: Conditionnement des attitudes إشراط الاتجاهات

En: Attitude Conditioning

D: Einstellungen Lernen(Attituden)

يعرّف الاتجاه، بالنسبة للنظرية السيكولوجية السلوكية، أنه تكوّن عادة (صلة، ارتباط، اقتران) بين منبّه (يُسمى «منبه الاتجاه») وإجابة انفعالية (تُسمى «إجابة الاتجاه»). وتعتبر هذه النظرية أن غالبية الإجابات الانفعالية، إذا استثنينا بعض الإجابات الانفعالية غير المشروطة على منبّهات غير شرطية (كالغذاء في الفم أو تنبيه لمسي حادّ)، مكتسبة وفق سيرورة الإشراط البافلوفي: الاستجابات الانفعالية الإيجابية يثيرها منبه غير حيادي، لأنه كان قد اقترن عدداً كافياً من المرات بمكافأة (تعزيز إيجابي)؛ والاستجابات الانفعالية السلبية يثيرها منبّه يقترن بتجربة غير مستساغة (تعزيز سلبي أو عقاب).

وتستند المقاربة بالإشراط الكلاسيكي لتحليل الاتجاهات إلى بحوث اختبارية عديدة. وتذكر هذه البحوث كلها أن تأسيس الاستجابات الانفعالية أو تعديلها يتبعان المبادئ الأساسية نفسها في تعلّم النماذج الأخرى من الاستجابة. وتصبح الاتجاهات، حسب العمل الرائد الذي أنجزه جـ. هـ. س. رازران (1940 -1938)، أكثر إيجابية بعد أن تكون منبهات الاتجاه قد اقترنت بتجربة مستساغة (مثال ذلك وجبة شهيّة) وأكثر سلبية بعد تجربة غير مستساغة (رائحة مقزّزة على سبيل المثال). ويقدّم ب. س. إسمان (1955)أ. ستاس (و) ك. ستاتس (1958)، ر. ك. رادك (1967)، في عداد علماء آخرين، أدلة أخرى. وبيّن ألبير (و) ب. إ. لوت (1968)

أن واقع تلقّي شخص تعزيزاً إيجابياً مستمراً يكفي بالنسبة لنا لنجعله متعاطفاً. فيكون إذن ممكناً، حسب نظرية الإشراط، أن نعدّل الاتجاهات بسهولة في الاتجاه المنشود، إذ نقرن منبهات الاتجاهات بتجارب مستساغة أو غير مستساغة. ومثل هذا التصور موجود في قاعدة الإعلان، والدعاية، وشتى تقنيات العلاج بالإشراط.
(انظر في هذا المعجم: **علاج بالسلوك**).

S.KA. (ترجمة. **D.J.V**)

الإشراط الأداتي أو الفعّال

F: Conditionnement instrumental ou opèrant

En: Instrumental condioning, operant conditioning

D: Instrumentales konditionieren, operant Konditionieren

شكل من الإشراط يُنتج فيه الحيوان الفاعل نفسُه (وليس السلبي كما في الإشراط البافلوفي) مكافأته أو يتجنّب عقوبة.

طريقة الإشراط الأداتي (مصطلح فرنسي مأخوذ من إ. ر. هيلغارد (و) د. غ. ماركي) كان عالما النفس البولونيان ستيفان ميلر وجيرزي كونورسكي (-1973 1903) قد وصفاها للمرة الأولى عام 1928 باسم «إشراط من النموذج II» وطوّر هذه الطريقة فيما بعد ب. ف. سكينر (مولود عام 1904) في ظل تسمية هي «الإشراط **الفعال**». وهذه التقنية تشبه الشروط الطبيعية بمعنى أن الحيوان حرّ في التأثير في وسطه. فلم تعد له استجابة مثارة، بل له فقط أفعال تلقائية يليها تعزيز إيجابي (مكافأة) وتعزيز سلبي (عقوبة). إنها، على نحو من الأنحاء، ضرب من الاستطالة لأعمال إ. ل. ثورندايك (1874 -1949) على الهررة المسجونة في «أقفاص ذات فتحة غير مرئية». وكانت هذه الحيوانات قد تعلّمت بالمحاولات والأخطاء أن تخرج من علبتها وتحصل على الحليب (مكافأة). والتعزيز في تجارب سكينر على الفئران كريّةٌ من الغذاء تنفصل آلياً بفعل عمل على رافعة. ويُساق الحيوان عرَضياً، خلال سبره قفصه، إلى أن يخفض هذه الرافعة فتسقط الكرية،

يرافقها صوت الفصّالة، في المعلف. والفأر يكافأ كلّما عملت هذه الآلية. ويعلم الحيوان بسرعة كيف يتصرف للحصول على غذائه؛ فارتكاسه مشروط من الآن فصاعداً. ولن تكون المسألة، في تجارب أخرى، مسألة مكافأة بل عقوبة: ومثال ذلك أن قرداً سيتجنّب صدمة كهربائية (تعزيز سلبي) بالضغط على زرّ كل تسع عشرة ثانية. والإشراط الأداتي يُحضّر دائماً بدءاً من وجود حاجة، كالجوع، أو العطش، أو تجنّب الألم. وهذه الحاجة ليست مشبعة إلا بمقدار مايحدث الارتكاس المناسب. وفي ذلك تختلف هذه الطريقة عن الإشراط البافلوفي الكلاسيكي، حيث يُقدَّم التعزيز دائماً (منبه أصلي أو شرطي) في حال وجود استجابة أو عدمها. ويشرح نمط الإشراط الأداتي سلوكات تكيّفية عديدة جداً، يكتسبها الفرد بالاتصال بوسطه. (انظر في هذا المعجم: **التعلّم بالمحاولات والأخطاء، الإشراط، إشراط التجنّب، التعزيز**).

G.G.S

إشراط التجنّب

F: Conditionnement d'évitement

En: Avoidance Conditioning

D: Vermeidung konditionieren

تعلّمٌ يتلافى به الموجود الحيّ وضعاً غير مستساغ أو مؤلماً.

تخشى كل العضويات الحيّة بعض المنبهّات أو لديها نفور فطري منها؛ إنها تهرب منها أو تتجنّبها. وتخيّل علماء النفس، انطلاقاً من هذه المعاينة، مختلف الأوضاع التجريبية التي يتعلّم فيها فردٌ محدّد، بالإشراط الأداتي، أن يتملّص من وضع كريه قبل أن يمثل هذا الوضع. ومثال ذلك أن يتلقّى كلب مربوط بعدّة وطوق صدمة كهربائية؛ ولكن لديه إمكان تجنّبها حين يرفع قائمته عند سماع صوت يحدث قبل مرور التيّار بثانيتين. فالألم يباغت الحيوان الذي يهتاج؛ وسرعان ماتبدأ الإثارة عندما تحدث الإشارة الصوتية ولكن الكلب يرفع قائمته، بعد بعضٍ من عشرات التكرارات، منذ أن يرنّ الجرس ويضعها على الأرض عندما تكون الصدمة قد مرّت. فاستجابته المشروطة تسمى «إشراط التجنّب» لأنها تتيح له أن يتجنب الألم. ولو أنها كانت لاتحدث إلا لحظة الصدمة الكهربائية، لقلنا إن المسألة مسألة ارتكاس إفلات من الصدمة.

وارتكاس التجنّب سريعُ تعلّمه، ويستمرّ دون تعزيز. وأصدر جيرزي كونورسكي (1903 -1973)، ن. إ. ميلر (1948)، أو. هـ. مورر (1960)، فَرَضاً مفاده أن إشراط التجنّب كان يستند إلى سيرورة مزدوجة: ينمو أول الأمر ارتكاس خوف (لوحظ ملاحظة موضوعية بواسطة تسارع الإيقاع القلبي)، ذو علاقة

بالصوت الذي يعلن الصدمة المؤلمة؛ والعضوية المتحفّزة، ثانياً، تعدّ الاستجابة الحركية القادرة على أن تتجنّب هذا الخوف. ومن اللافت للنظر أن ارتكاس التجنّب لايظهر إلا بدءاً من ضرب من الإيقاع القلبي (نحو 110 ضربة في الدقيقة، في رأي س. سولتيزيك، م. كوالسكا، 1906، ص162).

ونرى إلى أي حدّ تكون الاستجابة بسيطة في الظاهر معقّدة في الواقع. (انظر في هذا المعجم: **الإشراط**).

G.G.S.

الأصالة

F: Originalité
En: Originality
D: Originilatitat

سمة من يملك علامته الخاصة.

تظهر الأصالة، من وجهة النظر الفكرية، بإنتاج الأفكار المبتكرة والاستجابات النادرة (في رائز رور شاخ على سبيل المثال). وهذه القابلية العقلية هي، مع المرونة والسيولة (سرعة الفكر)، إحدى الخصائص الثلاث للفكر المتنوّع؛ إنها تمنح الإبداعية سمتها الشخصية الفريدة.

وتظهر أزمة الأصالة الشبيبية، لدى المراهقين، التي وصفها موريس دوبيس (1937)، بسلوكات تباهٍ غريبة الأطوار ليس لها هدف سوى تأكيد شخصية المعنيين. وإذ ينصرفون عن النماذج الأبوية التي جرّدوها من كل نفوذ، فإنهم يعلنون استقلالهم مكوّنين تكتّلاً ضد الراشدين؛ معجبين على نحو مغال بنجوم الغناء والسينما الذين يتعرّفون على أنفسهم فيهم؛ متبنّين اتجاهات استفزازية (استخدام المخدّرات، الكحول، الحشيش... اللباس، إلخ)؛ نابذين عادات وسطهم وأعرافه ليبدعوا عادات وأعراف جديدة. والانفكاك السويّ من هذه الأزمة يحدث ببلوغ وضع أكثر أهمية، ناضج ورزين، وبلوغ فكر أكثر شخصية. وفي حصة أولئك الذي لايتوصّلون إلى هذا الوضع، نجد «غير الامتثاليين» كلهم، ونجد غير الراضين، وغير المتكيّفين، بقدر مانجد شخصيات الفنانين والشعراء وبعض المخترعين، تلك الشخصيات الغنيّة (انظر في هذا المعجم: **الإبداعية**، **الفكر المنفرج**).

N.S.

الاصطفاء

F: Sélection

En: Selection

D: Selektion

فرز آلي أو اختيار عقلاني، قائم على مقاييس موضوعة مسبقاً هدفها أن تحتفظ بما له قيمة خاصة من موجودات حيّة أو أشياء.

الاصطفاء قانون الطبيعة. فشارل داروين (1809 -1882)، في كتابة **أصل الأنواع بواسطة الاصطفاء الطبيعي** (1859، فصل IV، فقرةI)، يصف الفرز الذي تجريه الطبيعة بين الأقوياء والضعفاء ويلاحظ أن الأكثر قوة، والأكثر مقاومة، والأفضل تكيّفاً، هو وحده الذي يظلّ حياً، خلال التغيرات في البيئة أو التنامي الكبير جداً في السكان. وأدخل الإنسان الاصطفاء، مستلهماً النمط الذي تقدّمه الطبيعة، في التنظيم الاجتماعي، وأعني بالاصطفاء مجموعة من العمليات قوامها اختيار أولئك الذين، من عدد معيّن من الأشخاص، يبدون، بفعل قدراتهم ودافعياتهم، أكثر جدارة للقيام ببعض الأعمال وتأدية بعض الوظائف، لاحتلال بعض المراكز، للنجاح في دراسات أو مهن خاصة، إلخ. فالاصطفاء ضرورة اجتماعية. ولايبالي المجتمع أن يكون هذا الشخص بدلاً من شخص آخر هو الذي يشغل المكان، شريطة أن يؤدّي وظائفه على نحو مناسب.

وفكرة **الاصطفاء المهني** منشأها تقسيم العمل. إن إميل دوركهايم (-1917 1858) يلفت الانتباه، في أطروحته للدكتوراه، المخصّصة لتقسيم العمل الاجتماعي (1893)، إلى تنوّع الأعمال الذي بلغ حدوده القصوى في المجتمع

الحديث وإلى ضرورة أن يتخصّص العمال دائماً تخصّصاً أكبر. «إذا نحن تخصّصنا، كتب يقول، فذلك ليس لننتج إنتاجاً أكبر، بل الهدف أن يكون بمقدورنا العيش في شروط جديدة من الوجود صُنعت لنا». والتخصّص، في رأيه، ذو علاقة بحلّ سلمي للصراع من أجل الحياة. فبوسع كل إنسان وعليه، بوصفه مختلفاً عن الآخر، أن يشغل الوضع الذي يناسبه على نحو أفضل، آخذاً بالحسبان قدراته ورغباته. وكان دوركهايم، الذي كان يضع نفسه في التيّار الفكري نفسه، تيار مهندسي ورؤساء مشروع عصره، يعبّر عن رؤيتهم المشتركة لمجتمع منظّم ومتراتب، انطلاقاً من مفهومي **التكيّف والقابلية**.

أما هوغو مونسستيربرغ (1863 -1916)، الذي نذر نفسه للمشكلات الإنسانية في المشروع، فإنه كان يعتبر أن تلاؤم الإنسان مع عمله أساسي ووجّه جهوده نحو حلّ هذا المشكل. وكانت بحوثه في قابليات العامل وتكيّفه المهني تستجيب لشاغل مزدوج، ذي نزعة واقعية ومثالية، وذي نزعة إنسانية؛ وكانت بحوثه تنشد، من جهة، زيادة الإنتاجية بفعل توزيع أفضل للأعمال وتحسين شروط العمل، وتنشد، من جهة ثانية، أن تمنح العمال الحدّ الأقصى من الرضى المهني، لأن كلاً منهم ينبغي له أن يحتلّ الموقع ذي العلاقة بقدراته. وكان مثاله أن يخلق الفرح بالانسجام.

والاصطفاء المهني وقائي بمعنى أنه يجنّب الإنسان، إذ يُختار الواجب اختياره لعمل معيّن، تبعاً لخصائصه السيكولوجية والفيزيولوجية التي يقتضيها العمل الواجب إنجازه، ضروب الاستياء، بل بعض الكوارث. والواقع أن العامل يغرق في عَوَز مادي ويشعر أنه فاقد الحظوة، كلّما يبين أنه غير أهل لعمله فيفقد وظيفته، في حين أن لدى المستخدم، من جانبه انطباعاً بتبديد الزمن والمال. ويبين فقدان القابلية في بعض الأحيان خلال الحوادث التي تسبّب خسارة الحيوات الإنسانية (عندما ينصبّ الحديث على سائقي القطارات والحافلات على سبيل المثال). فبعض ضروب القصور الحسيّة، العقلية أو الحركية، يمكنها أن تكون مجهولة من الأفراد

أنفسهم. تلك هي الحال بالنسبة للدالتونية التي تكوّن منعاً مطلقاً لممارسة كل المهن التي تقتضي رؤية جيدة للألوان (كربابنة الطائرة، وسائقي القطارات، إلخ).

وأتاح علم النفس، إذ أدخل **طريقة الروائز** في الحياة المهنية، أن يميّز بين الأفراد ويختار أولئك الذين يظهرون أنهم أكثر أهلاً ليشغلوا بعض الوظائف. ويكوّن عالم النفس، بعد أن يدرس دراسة مفصّلة وظيفة العمل (مهمة مطلوب إنجازها؛ شروط الممارسة، التقنية والإنسانية؛ الأجر)، بطارية من الروائز تقابل المقتضيات الحسية الحركية، والعقلية، والطبعية، تلك المقتضيات الخاصة بالوظيفة المأخوذة بالحسبان. وتتضمّن إجراءات الاصطفاء دراسة منهج السيرة للمرشحين (التعلّم والتجارب السابقة)، ودراسة الإجابات عن استبانة تحليلية (معيّرة حسب ارتكاسات المستخدمين الذين ينتمون إلى المهنة نفسها)، والنتائج السيكولوجية التقنية. وسيكون لدى عالم النفس، في نهاية هذا الفحص الطويل، معرفة بالمرشحين كاملة بقدر الإمكان. ولكن بعض الأفراد «المتوسطين» يؤلفون «حالات» مربكة، ذلك أن بوسعهم على نحو جيّد جداً أن يعوّضوا حالتهم المتوسطة بسمات من الشخصية وطبع كريم، كدافعية عميقة، والاهتمام بالعمل، والمثابرة والوجدان المهني، وحسّ المسؤولية، إلخ.

نجوع الاصطفاء المهني أمر لاشك فيه. وكان لتطبيق تقنيات علم النفس التقني مفعول مفاده زيادة الإنتاجية وخفض تكاليف التعلّم وعدد الحوادث، في الوقت نفسه. فسوزان باكو نجحت، في فرنسة على سبيل المثال، في إنقاص أخطاء المستخدمين في S.N.C.F بنسبة 58 بالمئة، بعد أربع سنوات فقط من الاصطفاء المهني. وانخفض المتوسط السنوي للحوادث بالنسبة للسائق الواحد، في النقل العام للمنطقة الباريسية، من 1,5 إلى 0.6 بين عامي1923 و1936 . وكان هذا المتوسط قد انخفض عام 1952 بما يعادل 5/4 على وجه التقريب، على الرغم من أن عدد المركبات المستخدمة للنقل ازداد خمسة أضعاف والسرعة القصوى

للحافلات ازدادت 80 بالمئة. وبيّن م. س. فيتول (1949)، من جهته، أن الاصطفاء المهني جعل النسبة المتوسطة السنوية للأخطاء، التي ارتكبها سائقو الحافلات، تهبط من 36 عام 1926 إلى 5 عام 1937. ولايترك المشرّع من جهة أخرى للمستخدم أمر الاختيار فيما يخص مسألة الأمن. فثمة، على سبيل المثال، وضع لوائح خاصة بقيادة أجهزة الغسيل ونقل البضائع وتفريغها، لوائح تلزم المستخدم باتخاذ بعض الا-حتياطات خلال اختيار جهاز المستخدمين المكلّف بقيادة سيارات الجسور النقّالة أو العربات ذات المحركات. إن عالم النفس هو الذي، على وجه العموم، يُعهد إليه تسليم «بطاقة- رخصة القيادة» التي تسمح بقيادة هذه الأجهزة الآلية، بعد أن يكون قد أجرى الفحص السيكولوجي التقني للمرشّح وأخذ رأي الطبيب. وبفضل هذا الاصطفاء، أصبحت الحوادث الناجمة عن السائقين نادرة جداً (وعلى هذا النحو إنما لم يعد يُحصى، في مشروع يضم مئتين وأربعين جسراً متحركاً وحامل غسّالات كبيرة، سوى حادث واحد منذ خمس عشرة سنة). ويتيح الاصطفاء الطبيعي أيضاً تقليص الإخفاقات المهنية. ولاحظ فيتول (1949)، إذ قارن بين التنبؤات الموضوعة انطلاقاً من الروائز ونسبة المستبعدين من التدريب، أن 4 بالمئة فقط استُبعدوا من 21474 مرشحاً رُؤي أنهم أهل للقيادة (طائرة، سفينة، سيّارة، إلخ)، في حين أن نسبة الاستبعاد كانت قد ارتفعت إلى 77 بالمئة بين 904 مرشحاً رؤي أنهم غير أهل. ولوحظ في فرنسة، في إطار تكوين الراشدين المهني (F.P.A) أن نسبة الذين تركوا، من أصل66 متمرّناً قُبلوا دون اصطفاء، بلغت 77 بالمئة، في حين أن نسبة الإخفاق بين 439 مرشحاً استمروا كانت 5 بالمئة. وبيّن ميشيل مولان (1970)، مستنداً إلى تجربة استمرّت أكثر من عشر سنوات وتناولت 5500 مفحوصاً، أن حظوظ النجاح لمرشح نال البكالوريا، مأخوذ على سبيل المصادفة، تبلغ نحو 15 بالمئة في مهنة عامل معلوماتية، في حين أن هذا الحظوظ تساوي 80 بالمئة عندما ينجح المرشح في الفحص السيكولوجي التقني.

فمزايا الاصطفاء المهني واضحة إذن. ولاتُحسب بالربح الزمني والمالي فحسب، ولكنها تُحسب أيضاً بإنقاص الآلام الجسمية والمعنوية (حوادث، خيبات أمل، إلخ). ولاينبغي للاصطفاء المهني مع ذلك، لتعديل القليل مما يوجد فيه من إفقاد الصفة الإنسانية، أن يكتفي بالاحتفاظ بالأفراد القادرين على أن يشغلوا وظيفة معيّنة، بل أن يسعى جهده إلى أن يوجّه المرشّحين ذوي الحظ العاثر نحو أعمال تناسبهم على النحو الأفضل، أي أن يرافقه التوجيه المهني. فتنوّع الأعمال في مشروع كبير يوفّر مروحة واسعة من الإمكانات الكافية حتى يكون بالمستطاع أن يتحقّق فيه اندماج كل مرشّح للعمل على نحو مناسب بقدر مايمكن. وسيقترح عالم النفس، إذا حدث أن تخفيفاً من أعباء وظيفة يكون أمراً ضرورياً، على الإدارة تعديلات يراها مفيدة. ويترتّب على تخفيف أعباء الوظائف، يلفت النظر إلى ذلك غ. رابو (1971)، أن عالم النفس «ينفذ سريعاً إلى التنظيم الإداري ويشارك، على سبيل النصيحة، في إعادة تبنين الخدمات». فهو لايساعد فحسب في إعادة تصنيف جهاز المستخدمين في حال التغيير أو إلغاء وظائف، ساعياً جهده إلى أن يجد مكاناً ملائماً لكل منهم، ولكنه يشارك أيضاً في البحث عن المستخدمين الذين يمكنهم أن يفيدوا من ارتقاءٍ بعد اكتسابهم تأهيلاً مهنياً عالياً. ويطمح عالم النفس إلى أن يشبع معاً حاجات المشروع وحاجات جهاز المستخدمين، ذلك أنه مقتنع أن بوسعه على الأقلّ، إن لم يكن بوسعه أن يؤمّن حلاً مثالياً لهذا المشكل العسير على نحو الخصوص، مشكل التوافق بين الحاجات والرغبات المتبادلة، أن يقترب من هذا الحلّ عن كثب بفضل البحث المستمرّ عن المعلومات وإقامة حوار دائم بين المعنيّين. والواقع أن العمل الوظائفي المتناغم في «نظام الناس- الآلات» ليس تابعاً فحسب للكشف عن قابليات خاصة ضرورية لإنجاز بعض الأعمال، ولكنه مشروط أيضاً، وعلى وجه الخصوص، برضى العمال في وظيفتهم. (انظر في هذا المعجم: **التوجيه**).

N.S.

اصطفاء الأطر

F: Sélection des Cadres

En: Selection of executives

D: Kaderaus wahl

إذا ظلّت أسباب نجاح الأطر في مشروع من المشروعات خفيّة بصورة جزئية، فإن أسباب الإخفاق، على العكس أسهل مقاربة. إنها ترتبط على الغالب بالعقبات التي يثيرها اندماج هؤلاء المرشحين بوسط جديد اجتماعي مهني أكثر من ارتباطها بضروب أوّلية وجوهرية من قصور هؤلاء المرشحين. وينبغي البحث عن هذه العقبات، في كثير من الحالات، على مستوى سيرورات التفاعل التي تميّز التفاوض واتخاذ القرار وطور الاندماج، وليس فيما يتّصف به فردياً كل فرد من الشركاء في وضع الاختيار. فالعقبات التي يصطدم بها الاندماج منشأها على وجه الخصوص أن جزءاً من محدّدات قرار الاستخدام لايدركها إدراكاً صائباً أولئك الذين يتّخذونه؛ وأن العوامل التي يمكنها أن تعوق الاندماج لايفهمها كل المعنيّين على نحو مماثل؛ وأن المقاييس التي كانت المرجع في قرار الاستخدام ليست هي المقاييس التي يُرجع إليها فيما بعد عندما يتعلّق الأمر بالحكم على النجاح الفعلي للمرشّح المستخدم. وهذه الأخطاء في الإدراك، وهذه الضروب من سوء الفهم، تبدو في كثير من الحالات أن لها سبباً عميقاً في وسط المشروعات: الخشية المنتشرة من أن يوضع كل فرد وكل شيء موضع التساؤل الذي يُحتمل أن يسبّبه الاندماج الناجع لمعاون جديد. وتظهر هذه الخشية التي يندر التعبير عنها بارتكاسات دفاعية ضد كل تغيير.

كل هذه الوقائع تحضّنا إذن على أن **نتجاوز علم النفس التقني**. فالعوامل المسؤولة عن نجاح فرد من الأطر ترتبط، عبر القابليات وسمات الشخصية التي يمكنها أن تُقاس بالروائز، بالنحو الذي يجري عليه اندماجه في الجماعة المستقبلة. ويبدو إذن معقولاً أن نفكّر بأن كل استعداد خاص لأن تتوضّح، لدى المرشح والجماعة المستقبلة على حدّ سواء، الأغراض، والدافعيات، والتصورات، وأن تُيسّر التواصلات، عند الإعداد لقرار الاستخدام، يمكنه أن يُسهم في تقليص العقبات التي يُحتمل أن تعارض الاندماج المتناغم للمرشح في المشروع. فتدخّل سيكولوجي ينبثق عن هذه الفروض سيكون إذن موضع الفهم بصفته برنامج عمل وليس بصفته برنامج تشخيص وتنبّؤ. ونقول بعبارة أخرى إنه لاينشد التشخيص وحده ولكنه ينشد التشخيص والعلاج في وقت واحد.

ومراحل هذه العمل الثلاث هي التالية:

1- تدخّل على مستوى الجماعة المستقبلة لتحديد الأغراض الفعلية الواجب بلوغها، وتوضيح الدافعيات، وإطلاق تعريف واضح على الوظيفة موضع الاستخدام ونتائجها النفسية الاجتماعية على مستوى الجماعة؛

2- تدخّل على مستوى المرشح، ينشد أن يتيح له أفضل إدراك لمجموع المشكلات التي قد يطرحها ارتقاؤه المحتمل مركز الإطار الذي يسعى إليه؛ وأن يكون لديه معلومات عن نفسه وعن الوضع الذي يجد نفسه أنه يواجهه، إذ أن روائز علم النفس التقني ليست مقترحة هنا إلا بقصد الزيادة في كمية الإعلام التي يمكنها أن تكون بمتناوله وهي وحدها التي يصل إليها؛

3- تدخّل على مستوى المفاوضة البادئة. ولهذا الحضور، حضور عالم النفس، هدف مفاده أن ييسّر التبادلات، إذ يقلّص التفاوتات في التواصل على وجه الخصوص (انظر في هذا المعجم: **الاصطفاء**).

G.M.

الاصطناعية، سلوك مصطنع

F: Maniérisme

En: Mannerism

D: Maniertheit

سلوك يتميّز بمظهر زائف ومصطنع.

كل التعبير موسوم بغياب الطبيعي والبساطة: للإيمائية والحركات مظهر متحذلق، متأنّق، مبالغ في بعض الأحيان، مضحك أو منفرّ؛ معقدّ، متكلّف، مبهم على الغالب؛ الكتابة مشوّهة، إلخ. ومثل هذا الاتجاه متواتر لدى الأفراد المغرورين الذين يستخدمونه استخدام لعبة. والقصد اللعبي نفسه يدفع المصابين بالهوس إلى تبنّي هذا السلوك. إنه يعبّر لدى الهسيتيري جيداً عن سمة قابلة للتأثر، سمة شخصية لاقوام لها، تبحث عن أن تنسخ المظاهر الأكثر مبالغة من الدُرجة الأخيرة (الموضعة). ولكن الاصطناعية تتّخذ مدلولها الواسع في الفصام؛ فهي تمثّل عندئذ جانباً من الجوانب الأكثر ثباتاً من اتجاه نشاز، أياً كان الشكل السريري للذهان (ذهان البارانويا أو فصام المراهقة الكاتاتوني). (انظر في هذا المعجم: **فصام المراهقة**).

J.MA.

F: Glucides (Trouble du métabolisme des) **اضطراب استقلاب الغلوسيد**

En: Glucid's metabolism dysfunctions

D: Zuckerbynthese, Dysfunktionen

آفات مرتبطة بغياب– أو قصور– تدخّل أنزيم (خميرة) في تحلّل الغلوسيدات (سكر) وبتراكم منتجات غير مستقْلَبة في الخلايا أيضاً.

لهذه الأمراض سمة وراثية، متنحيّة على الأغلب.

وجود سكر اللبن في الدم، الجبلّي، ناجم عن عدم تحوّل سكر الحليب إلى غولوكوز بسبب النقص في الخميرة التي تنقل سكر الحليب. وأعراض هذا الاضطراب الأول مبكّرة جداً: اصفرار، اضطرابات هضمية، تشنّجات. ويليها ضعف عقلي قاسٍ قليلاً أو كثيراً يمكن تجنّبه مع ذلك باستخدام نظامٍ، منذ الولادة، خالٍ كلياً من الحليب والأغذية التي تحتوي سكر الحليب وبشيره سكر اللبن.

وتحتوي زمرة **العديدات السكريد المخاطية** عدة آفات كانت تُصنّف خلال زمن طويل في الشحام العصبي ذلك أنها تتميّز بوِقر من الخلايا من المادة الشحمية (الشحوم المتراصّة) ومن الغلوسيدات (العديدات السكريد المخاطية) في وقت واحد، وعليها يبدو أن الاضطراب الأساسي يرتكز. وأشهر هذه الآفات هي **داء الميزاب**، مرض وصفه عام 1920 طبيب الأطفال الألماني جيرترود هورلر. إنه يظهر نحو الثانية أو الثالثة من العمر ويصيب الصبيان على وجه الخصوص الذين يتخذون

سيماء خاصة : رأساً ضخماً، أنفاً مسطحاً، شفتين سميكتين، عينين جاحظتين متباعدتين تذكّر بالميزاب القوطي (من هنا نشأ اسم داء الميزاب). وثمة بعض الشذوذات الأخرى التي تصيب الجذع والأطراف : احديداب، بطن بارز، قصر الرقبة والأطراف؛ وصيوان الأذن يصبح كثيفاً؛ ولاينمو الذكاء. ويطرأ الموت على وجه العموم قبل البلوغ بسبب القصور القلبي.

ولاينطوي مرض شارك هونتر، الشبيه جداً بداء الميزاب، على إصابة في صيوان الأذن. ونقول أخيراً إن هناك عدة آفات مماثلة، كالخَثَل العظمي الأسري، المرض الذي اكتشفه لويس موركيو (1867 -1935)؛ إنه مرض لايسبّب عجزاً عقلياً. ولايتوافق أي من هذه الأمراض مع علاج شافٍ أو واقٍ.

J.MA.

اضطرابات الشُّحام العصبي

F: Neurolipidose ou Dys-lipoïdose

En: Neurolipidosis

D: Neurolipidose

آفة مرتبطة بتراكم مادة شحمية (شحوم)في خلايا العضوية، لم تُطرد كلياً بسبب غياب أنزيم (خميرة) أو عدم كفايته.

يسبّب الشحام العصبي، الذي يتطوّر تطوراً تدريجياً، اضطرابات نفسية عصبية خطيرة جداً على الغالب. وللشحام العصبي سمة وراثية (ينتقل بصورة عامة على نمط متنحٍ)، وله، بالنسبة لبعض الناس، غلبة إتنية.

وهذه المجموعة من الأمراض التي تتعدّل تعديلاً مستمراً، عددها في الوقت الراهن سبعة وعشرون مرضاً، نادرة بالنسبة لغالبيتها، يتعذّر علينا أن نصنّفها تصنيفاً مرْضياً على نحو كلي. فكل مرض منها يقابل اضطراباً أنزيمياً وتراكماً في مادة من المواد ليست معروفة دائماً. وظهور هذه الأمراض السريري متغيّر هو أيضاً: فبعض الأشكال يبدو منذ الأشهر الأولى من الحياة ويسبّب تخريباً عقلياً سريعاً جداً، واضطرابات عصبية رئيسة، عمى (كُمة) في بعض الأحيان، والموت في مهلة سنتين أو ثلاث سنوات. وبعض الأشكال الأخرى أكثر تأخّراً، تصيب المراهق أو الراشد، والإصابة النفسية العصبية، أكثر ندرة عندئذ.

والأشكال المعروفة على نحو أفضل هي **مرض تي - ساكس**، الناجم عن وقر في مادة «غانغليوزيد GM2»، **مرض نيمان بيك**، الناجم عن وقر في مادة

«سفانغوميلين»، مرضان لهما الغلبة الإتنية، **ومرض غوشر** الذي يصيب الرضّع، الناجم عن وقِر في مادة «غلوكو سيربروزيد».

والشحام العصبي لايقبل في الوقت الراهن أي علاج. وبوسعنا، على سبيل الوقاية، إجراء كشف يسبق الولادة، بتقدير الفاعلية الأنزيمية على مستوي خلايا الجنين، التي تُسحب ببذل الجيب الأمينيوسي («جيب المياه») بين الشهر الثالث والرابع من الحمْل. ويسوّغ التشخيص الإيجابي إجهاضاً علاجياً.

J.MA.

اضطراب القراءة

F: Paralexie

En: Paralexia

D: Paralexie

اضطراب القراءة الجهورة التي تتميّز بإنابة كلمات خالية من المعنى مناب كلمات النّص المقروء.

ونجد أيضاً إنابة حروف أو مقاطع في الألفاظ مناب حروف أو مقاطع أخرى: **حسيب بدلاً من جيب، بعبوب بدلاً من أنبوب**(*)، إلخ. وهذه الآفة، التي وصفها الطبيب الألماني أدولف كوسمول (غرابن، قرب كارسروه، 1822- هيدلبورغ، 1902)، تكوّن إحدى أشكال العمه اللفظي وتشكّل جزءاً من تناذر حُبْسة فرنيك. (انظر في هذا المعجم: **العجز القرائي، العمه البصري**).

N.S.

(*) - استغنينا عن المثال المضروب في النص بمثال يماثله في اللسان العربي «م».

الاضطرابات المرضية التعليمية المنشأ (ديداكتوجينيا)-F: Didactog enie

En: Didactogeny

D: Didaktogenie

مجموعة من الاضطرابات المرضية التي تصيب شخصية التلاميذ، مرتبطة بسيرورة التعليم.

هذا المفهوم الجديد مشتقّ من مفهوم «الاضطرابات المرضية الطبية المنشأ»، الذي نجد ذكره الواضح في مقال الطبيب النفسي الألماني أو. بومك (1925) عن «الطبيب بوصفه عامل اضطرابات نفسية». ومصطلح «الاضطرابات المرضية الطبية المنشأ» تشمل في الوقت الراهن تلك الاضطرابات الجسمية والنفسية أو النفسية التي يثيرها لدى المريض طبيبه. وهذا المصطلح، بمعناه الواسع، كان موضوع كتاب أمريكي، عام 1963، قدّمه ديفيد ب. سْبان ومعاونوه. وخصّص الأستاذ شيبكوونسكي (صوفية، بلغارية)، بعد سنتين، دراسة أحادية للموضوع نفسه، من وجهة نظر الطب النفسي، وبالتعميم، يضمّ مفهوم «الاضطرابات المرضية التعليمية المنشأ»، الذي اقترح استعماله من قبلُ العالمان السوفييتيان إ. س. كاتوكوف (1938)، ك. ك. بلاتونوف (1937-1947)، وعالم النفس البلغاري ل. غانتسشيف (1962)، مجموع الاضطرابات النفسية (أو الجسمية النفسية) التي يثيرها لدى التلاميذ مدرّسوهم (معلمو المدرسة الابتدائية، والثانوية، وحتى الجامعة). وهذه الاضطرابات ناجمة عن أخطاء تربوية كبيرة، وعن الرعونات، والشتائم،

والتهديدات أو الإهانات التي يوجّهها المربون إلى التلاميذ (أمام الصف كله في بعض الأحيان)؛ إنها اضطرابات يمكنها أن تستقرّ، بحسب الحالات، استقراراً مباشراً في أجل طويل قليلاً أو كثيراً. وتكون الاضطرابات المرضية التعليمية المنشأ في بعض الأحيان صنع مدرسين ذوي نزعة إلى الكمال، يرهقون تلاميذهم ويحضّونهم لبذل جهود تتجاوزالوسائل الواقعية الموجودة لديهم. وتمضي الاضطرابات الملاحظة من الإرهاق الجسمي إلى الوهن النفسي، إلى الاكتئاب المؤكد قليلاً أو كثيراً، إلى ارتكاسات بكماء، وإلى الرهاب المدرسي (لدى التلاميذ الصغار على وجه الخصوص)، وإلى ارتكاسات الانتحار على نحو أكثر ندرة. ويلفت النظر ن. شيبكوونسكي إلى مضارّ الاضطرابات المرضية التعليمية المنشأ، إذ يلاحظ أن المقصود في الغالب معلمون يحتقرون مهنتهم وتلاميذهم. ويدرس الطبيب النفسي الألماني للأطفال هـ. ستوت (1970)، في مقال عن «الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التي منشأها المربي»، مظاهر تماثل الاضطرابات التي يصفها الأستاذ ن. شيبكوونسكي. ويذكر أن هذا المصطلح منسوب إلى طبيبين نفسيين للأطفال: د. أرن فان كروفولين هولندة، (1964) ثم ك. إ. هيرنينغ (الولايات المتحدة الأمريكية، 1966). (انظر في هذا المعجم: **ارتكاسات مرضية منشأها المربي، الاضطرابات المرضية الطبية المنشأ، فرط التنبيه في الارتكاسات المرضية التي منشأها المربي**).

M.SC.

اضطرابات مرضية منشأها المربي(ديداسكا لوجينيا) F: Didas-calogénie

En: Didascalogeny

D: Didaskalogenie

الاشتقاق: من اليوناني Didascalo أي «معلم»، genesis أي «إنتاج» و«منشأ».

ارتكاسات مرضية في الشخصية يثيرها بعض المعلمين أو الأساتذة لدى التلاميذ خلال تعليمهم.

ينبغي أن نفهم من المصطلح الواسع كل الاضطربات ذات المنشأ النفسي التي يُحدثها المربي، من أي نوع كان، للأشخاص الذين عُهد إليه أمر تكوينهم (عمال، جنود متدرّبين، على سبيل المثال). وعندما يؤدي الآباء أنفسهم دور المعلم، يمكنهم إحداث اضطرابات ديداسكالوجينية لدى أطفالهم.

والمدرسون الجديرون باسم المدرس يستلهمون دائماً محبّة مخلصة وعميقة إزاء تلاميذهم. ويثير المربي الحقيقي لدى تلميذه، منذ اللقاء الأول، نمواً في شخصيته هو ما هو عليه بحيث سيشارك هذا التلميذ في حياة الأسرة والمجتمع مشاركة بنّاءة. وذلك أمر سيتيح له أن يسهم إسهاماً شخصياً في الازدهار وفي الحياة الروحية لكلا الأسرة والمجتمع. أضف إلى ذلك أن المعلم الحقيقي يشقّ الدرب للتلميذ نحو حياة رشيدة، نحو السيطرة على صعوبات سيرورة الإبداع، ونحو الفرح بالعمل المنجز أيضاً. ولكن ثمة مربين يسلكون سلوك «المعلم الزائف»، ومعلمين يجعلون تلاميذهم عصابيين. وتتميّز الديداسكالوجينيا القمعية من

الديداسكالوجينيا المفرطة في التنبيه بأصلها، ولكن مفعولات كليهما على صحة التلاميذ النفسية مدمّرة كذلك.

وكان عالما التربية السوفييتيان، ك.ك. بلاتونوف (1937 - 1946)، إ. س. كاتكوف (1938)، قد وصفا الديداسكالوجينيا القمعية باسم ديداكتوجينيا. وبيّن عالم النفس البلغاري ل. غانتشيف، هو أيضاً، دور المربي، دوره الضارّ، على التلاميذ. ونحن نؤثر أن نتبنّى مصطلح ديداسكالوجينيا، ذلك أن مصطلح ديداكتوجينيا المشتق من اليوناني Didaskein أي «علّم»، يشمل كل العواقب الضارة على صحة التلاميذ النفسية والجسمية، التي تسبّبها سيرورة التعلم العامة بفعل اكتظاظ مناهج الدراسة، والزيادة المستمرّة في المقتضيات المطروحة على العقل، والذاكرة، والانفعالية، والإرادة. وليس اتجاه المدرسين المناسب قادراً على أن يصون كلية التلاميذ من التأثير الضار لتضخّم المناهج، ولا سيّما في التعليم الثانوي. ومثل هذا الاتّساع يفترض قدرات كلية استثنائية بشتّى مجالات العلوم المعاصرة. وتختلف قابليات غالبية الناس واهتماماتهم اختلافاً كبيراً: فبعضهم يفضّل العلوم الإنسانية، وآخرون البيولوجية، أو الكيمياء، أو الفيزياء، أو الرياضيات. وتقتضي المعالجة الوقائية للتربية تأسيس أربعة أنواع من المدارس التجهيزية ذات توجّهات مختلفة (بدلاً من ثلاث أو اثنتين على الأقل): للدراسات الإنسانية والعلوم على سبيل المثال. وتصبح الديداكتوجينيا (الاضطرابات التعليمية المنشأ)، دون إصلاح من هذا النوع، أمراً حتمياً بالنسبة لجزء كبير من التلاميذ.

وترتبط الديداسكالوجينيا (اضطرابات منشأها المربي)، على العكس، بسلوك «المعلمين الزائفين». وتظهر الديداسكالوجينيا القمعية بعدوانية مقنّعة قليلاً أو كثيراً، عدوانية المربين إزاء التلاميذ أو ذويهم. وهذه العدوانية تستمدّ منشأها من عواطف سلبية مختلفة (كره، ضغينة، غيرة، غضب، عقدة الدونية). ولا ينبغي لنا أن نبحث عن جذور العدوانية في الطبيعة السادية «للمعلمين الزائفين»، ذلك أن السادية ليست إلا انحرافاً جنسياً يتجلّى بالانتعاظ الذي تسبّبه إثارة الألم أو حتى

موت موجود إنساني أو حيوان. وليس بوسعنا أن نعتبر أن السادية تشتمل كل أنواع اللذات المنحرفة الناجمة عن التعذيب الجسدي أو النفسي المفروض على الغير. ومن الممكن وجود معلمين ساديين بالمعنى الحقيقي للكلمة. ولكنني، شخصياً، لم أصادف ولم أكتشف حالات مشابهة في الأعمال العلمية أو الأدبية.

وبين المعلمين الايداسكالوجينيين، يوجد أولئك الذين يكرهون، من حيث المبدأ، كل موجود إنساني ويوجّهون عدوانيتهم إلى التلاميذ جميعهم على وجه التقريب. وبوسعنا أن نأخذ الأستاذ إونرات، شخصية رئيسة في رواية هنريك مان (1871 - 1950) تحمل هذا العنوان «**إونرات**»، أنموذجاً أصلياً. إن كرهه متمحور على لوهمان، أكثر تلاميذه كفاءة وجرأة. ومثل هؤلاء المعلمين الديداسكالوجينيين لم يعد لهم وجود في المجتمع المعاصر. إنهم سيُعزلون مباشرة من وظائفهم. ويمكننا مع ذلك أن نلاحظ بعضهم أيضاً في الوقت الراهن، على صورة مقنّعة، وعددهم لا يُستهان به على الإطلاق. وثمة نوع آخر من المربين الديداسكالوجينيين يمثّلهم الذين يغمرهم احتقار مهنتهم ويحولّون هذا الكره على التلاميذ. إنهم يتحرّرون من توترهم الداخلي وهم يعذّبونهم. والضرب الثالث يضمّ الذين يتخيّلون أنفسهم أنهم يعرفون كل شيء أفضل من أي شخص آخر. فإجابات أفضل التلاميذ، بالنسبة لهم، غير مرْضية، ويبذلون ما في وسعهم للبرهان على ذلك. ويباشر عدّة مدرسين منهم دروسه مباشرة يرافقها الاقتناع أن المادة التي يعلّمونها تتجاوز امكانات التلاميذ العقلية. ولا يتضايق بعضهم من أن يقولوا ذلك لهم ومن أن يعاملوهم معاملة البلهاء، والجهلة، والعتهاء، إلخ.

ويقتصر المعلمون الديداسكالوجينيين اللانظيين، على وجه العموم، على أن يهاجموا بالشتائم. ولكن بعضهم يستخدم أيضاً عقوبات جسدية. فالعدواني الصامت يضرب دون أن ينطق كلمة. والديداسكالوجيني الغضوب ينزعج عندما يطرح عليه التلاميذ أسئلة عن المادة موضوع التعليم؛ إنه ينفجر صراخاً ويتهمهم بالبلاهة. إن هؤلاء المعلمين إنما يعوّضون عقدة الدونية لديهم بهذا النحو. ومثل هذا الموقف يكبح مبادرة التلاميذ؛ إنهم لم يعودوا يطرحون أسئلة، ولكنهم

يتوقّفون في الوقت نفسه عن الاهتمام بالمادة التي يعلّمها هؤلاء المعلمون. وهكذا يحوّلون على هذه المادة سلبيتهم إزاء المعلم. ويقتضي الديداسكالوجيني المتشدّد من تلاميذه أن يراعوا مراعاة دقيقة أوامره حتى، وبما فيه، شكل الدفاتر وأبعادها، بل الأوامر الخاصة بالنشّافة. وإذا الأمر لم يُطع، فإن العصاة يحاكمون أمام مجلس الانضباط ليُعاقبوا. ولا تستنفد الأمثلة التي أتينا على تعدادها قطّ شتّى أشكال التحذلق في المؤسّسات التربوية. ويصف كتاب بل كوفمان، **من أعلى إلى أسفل درجات السلّم**، وصفاً لا مثيل له، وجه متحذلق معاصر، مدير مدرسة التجهيز جيمس د. إ. ماك هاب. فالديداسكالوجيني الساخر لا يستخدم الشتائم، بل التهكّمات التي لا تجرح جرحاً أقلّ عمقاً حساسية التلميذ. والديداسكالوجيني الصامت يصغي إلى إجابات التلميذ حتى النهاية إصغاء ترافقه ابتسامة مثلّجة، دون أن يدلي بأوهى تصويب، أو اعتراض أو تشجيع. ولا يعلم، بهذا الأسلوب، أيّ من الذين تُوجّه إليهم الأسئلة إن كان جوابه أو عرضه صحيحين. والفاحص الظالم يتّهم المرشّحين بالغش، باستخدام نصوص تتضمنّ حلّ المشكلات المطروحة، على سبيل المثال. والديداسكالوجيني ذو المقارنات يجرح إحساس التلميذ بالموازنة بين عجزه وقدرات أحد زملائه الأكثر نباهة. إنه لأمر مكدّر على وجه الخصوص أن يرى المرء آباء يتصرّفون تصرفاً مشابهاً مع أطفالهم. فالبكر من مجموعة أخوة، في أحد ملاحظاتي، قتل أخاه الصغير إذ أسخطه تقريع أبويه. ويخفي الديداسكالوجيني الخادع كرهه بستار من الرفق الكاذب، وهو يضع في الوقت نفسه علامات منخفضة على واجبات تلاميذه. وهذا النموذج من المربين يشبه الديداسكالوجيني التفضيلي، الذي يركّز عدوانيته على عدد صغير من التلاميذ، وحتى على واحد منهم. ويختار الضحايا إما بسبب الوضع الاجتماعي لآبائهم، وإما بسبب النفور الشخصي الذي يُوحون به للمدرس. وهناك عدد معيّن من نماذج الديداسكالوجينيين كان العالم البيداغوجي البلغاري م. ت. بتكوف قد ذكرهم لي. والديداسكالوجينيون المعاونون مرعبون على وجه الخصوص. والمقصود بعض المدرسين الذين يعذّبون ضحية واحدة لبواعث شتّى. فالمفعولات المؤذية يمكنها أن

تمضي حتى تشجيع بروز الفصام، كما كانت هي الحال بالنسبة لأحد مرضاي.
وقسم كبير من «المدرسين الزائفين» سيكوباتيون أو عصابيون. إن للسيكوباتيين منهم والعصابيين طرازاً من السلوك الديداسكالوجيني. ويوجد، إلى جانبهم، مربون ينفجرون بتفريغات ديداسكالوجينية أحياناً بسبب ضروب من السخط يثيرها أشخاص آخرون. وينبغي لنا أن نعترف أننا لا يمكننا أن نقتضي من أفضل المربين ألا يكون قد سبّب قط صدمات نفسية ديداسكالوجينية مثلما أننا لا يمكننا أن نقتضي من الطبيب ألا يكون قد ارتكب قط أخطاء ذات منشأ طبي.

وليس اتّساع مدى الديداسكالوجينيا مدروساً على وجه التقريب. إن أ. بوجانوف وحده درس وبائيتها. وبيّن هذا المؤلف أن ثمة ارتباط العلة بالمعلول بين أعصبة المربين وارتكاسات التلاميذ الديداسكالوجينية. واستخدم الطرائق الشخصية للقيام بهذه الدراسة: محادثة مقنّنة مع 166 مدرّساً (منهم 135 امرأة) واستقصاء غفلاً لدى عدد من التلاميذ بلغ 1302 (منهم 760 فتاة). وكانت نسبة الأمراض العصابية، النسبة العامة، 14,8 بالمئة، نصفها على وجه التقريب ناجم عن مجموع السيرورة التربوية (ديداكتوجيني). وبلغ التأثير الديداسكالوجيني 10 بالمئة من الأعصبة الديداكتوجينية. ويمكننا أن نسلّم أن الديداكتوجينيا والديداسكالوجينيا موجودتان في غالبية البلدان وبنسب مماثلة. وتظهر الارتكاسات المرضية ذات المنشأ الديداسكالوجيني على شكل عصاب حصر أو سوداوية ارتكاسية. وتتجلّى الحالة الأولى من الحالتين لدى التلميذ، عصاب الحصر، بشعور من تعريض قيمته الشخصية للخطر. وهذه الحالة تقابل الشكل الثالث من عصاب الحصر في تصنيف شيبكوونسكي. والسوداوية الارتكاسية قد تؤدي إلى الانتحار. ويمثّل مبحث أسباب الارتكاسات ذات المنشأ الديداسكالوجيني حقل قوة يباشر فيه التأثير المشؤوم للمعلم الزائف وتلقّي التلميذ تفاعلات متضافرة أو متضاربة. وكلما كان التلميذ سريع العطب، تعاظم خطر عصاب الحصر والسوداوية الارتكاسية. ويتحقّق علاج هاتين الحالتين بطرائق العلاج النفسي المحرّر. (انظر في هذا المعجم: **العلاج النفسي المحرر، فرط التنبيه في الديداسكالوجينيا**).

N.SC.

الاضطهاد

F: Persécution

En: Persecution

D:Verfolgung

معاملة ظالمة وقاسية، قد تمضي إلى حدّ تسبّب الموت، يتكبّدها بعض الأشخاص بحجة اختلافهم عن مضطهديهم بالعرق، أو الدين، أو الانتماء الاجتماعي، أو الإيديولوجيا السياسية.

الاضطهاد نتيجة عدم التسامح والتعصّب، ولكنه أيضاً نتيجة نزعة التمركز على الإتنية التي تقود إلى تفضيل المرء تلك الجماعة التي ينتمي إليها وتفضي إلى أفكار مقولبة وآراء مسبقة. إنه التعبير المباشر عن توتّر عدواني يبحث عن حلّ إذ يتوجّه نحو «كبش ضحية». ويُلاحَظ، في علم النفس المرضي، أن أفكار الاضطهاد يمكنها أن تبدو لدى أشخاص يختلف بعضهم عن بعض بطباعهم، بمستوى ذكائهم وموقعهم الاجتماعي. وتُلاحظ أول الأمر تغيّرات في المزاج، و«عسر يتعذّر تحديده» (شارل لازيغ)، ثم الاعتقاد بالاضطهاد، الذي تسبّبه على وجه الاحتمال تلك الحاجة إلى تقديم شرح لهذا الانطباع المرضي.

N.S.

ونميّز فئتين من أفكار الاضطهاد: أفكار **الأذية** وأفكار **التأثير**. ففي الحالة الأولى، يشكو الأفراد من أنهم يتكبّدون أضراراً مادية (سلب ممتلكات أو

تدميرها)، أخلاقية (الطعن بالشرف أو الوضع)، جسمية (بجعلهم بعض الناس يموتون جوعاً، على سبيل المثال)؛ وفي الحالة الثانية، يزعمون أنهم تحت سيطرة تأثير غريب، ولم يعودوا أحراراً في أفعالهم، وكلامهم، وأفكارهم (يغيّر بعضهم عن بعد مجرى هذا الأفكار بتأثير التخاطر أو التنويم المغناطيسي). وهذه الأفكار يمكنها أن تنبعث، منعزلة، شبيهة بحدس سيوجّه كل التفسيرات، أو، على العكس، تكون مدعومة بهلوسات. وتكون في بعض الأحيان مرتبطة بموضوعات أخرى هاذية كجنون العظمة (الفرد مضطهَد بسبب مزاياه الكبيرة) أو الدناءة (ويكون الفرد مستحقاً للعقوبة عندئذ). وبعد زمن من التردّد، يلجأ الفرد بشيء من السرعة إلى تحديد مضطهديه: فهم تارة فئة اجتماعية (الحاخامات، الخوارنة، البورجوازيون، الشيوعيون. . .)، وطوراً شخص معيّن، وبوسعه أن يتصرّف إذ يرتج بابه، يظلّ محتجزاً في منزله، يغيّر باستمرار مسكنه (**مضطهَد مهاجر**)، يرفع شكوى إلى الشرطة، ينكبّ على أفعال إذلال أو يعتدي مباشرة على المضطهِد المزعوم (ونتكلّم في هذه الحال على **مضطهَد مضطهِد**).

وأفكار الاضطهاد يمكنها أن تصادَف في أمراض عقلية شتّى: في **السوداوية** الهاذية، حيث الفرد يكابد باستسلام عذابه الذي يعتبره مسوَّغاً؛ في **خبل الشيخوخة**، حيث يكون ظهور عاطفة الأذية علامة على الغالب من العلامات الأولى للضعف العقلي؛ في **الذهانات الهلوسية المزمنة**؛ في **الشكل الفصامي الشبيه بالبارانويا**، حيث تكون أفكار الاضطهاد غارقة في مجموعة غير متماسكة؛ في **الذهانات البارانوية** حيث تكون غالباً، على العكس، في مركز بناء منظّم، منطقي وصارم. (انظر في هذا المعجم: **العدوان**، **الهلوسة**، **البارانويا أو الذهان الهذائي**، **الحكم القبلي**، **الذهانات الهلوسية المزمنة**، **الفصام**، **المقولب**).

J.MA.

إعادة التكيّف النفسي الاجتماعي F: Réadaptaion Psycho-sociale

En: Psycho-social rehabiliton

D:Psychosoziale rehabilitation

فاعلية علاجية تنشد أن تتيح للمرضى الذين فقدوا استقلالهم أن يجدوا مجدّداً حياة اجتماعية ومهنية سوية بقدر ما يمكن ذلك.

مفهوم إعادة التكيّف النفسي الاجتماعي في الطب النفسي عانى عاقبة تطوّر الأفكار وتقنيات العلاج. فالمؤسسات أصابها التعديل، وتغيّر الموقع النفسي الاجتماعي للمريض العقلي، حتى الفئة السكانية لمرضى الطب النفسي طرأ عليها التحوّل. ولم تكن إعادة التكيّف النفسي الاجتماعي تُعتبر في البدء فعلاً طبياً؛ إنها بدأت عندما كان العلاج قد حقّق واحداً من أهدافه: جعل المريض قادراً على أن يباشر عملاً. واتخذت إعادة التكيّف كل أهميتها مع اكتشاف العقاقير المؤثّرة في الحياة النفسية، ولا سيّما مهدّئات الأعصاب. وكان المرضى، الذين يمكن أن يؤُمل في إعادة تكيّفهم النفسي الاجتماعي الجيّدة، يجدون أنفسهم مختلطين بالمرضى المزمنين الذين كان تطورّهم أقلّ إيجابية. ولكن البلدان المتطوّرة، كلها على وجه التقريب، أسّست خدمات خاصّة لإعادة التكييف، جيّدة التجهيز ومتبنينة. وثمة في البداية شيء من التردّد في الأفكار، وذلك أمر جعل المسؤولين يقبلون أن مكان عمل المريض السائر في درب إعادة التكيّف أمكنه أن يكون مكان إقامته. والمسلّم به الآن مفاده أن هؤلاء ينبغي أن يُميّزوا وأن الانتقال من نظام إلى آخر ينبغي له أن يتحقّق بالتدريج، بفضل شبكة متكاملة من الخدمات المتكيّفة مع كل مريض. فبين

وضع المريض المزمن، حيث انعدام الاندماج الاجتماعي يبلغ ذروته، وبين وضع الشخص الذي يتمتّع بصحة جيّدة، والمندمج اجتماعياً ومهنياً على نحو كامل، ينبغي أن يكون هناك مستويات حيث المريض يمكنه أن يجد المناخ العام الملائم له. وبعضهم يمكنه أن يفيد من إجراءات إعادة التكيّف النفسي الاجتماعي من مستوى مرتفع إلى درجة محسوسة، في حين أن آخرين يمكنهم أن ينكصوا إلى مستويات أدنى. وتلحّ أغلبية المؤلفين على التمييز، الذي يجدون من المناسب مراعاته، بين المشكلات الاجتماعية المهنية وجهاز إعادة التكيّف الاجتماعي الطبي والسيكولوجي. وهذا الجهاز يشتمل على أماكن إقامة، **وأماكن عمل**، ونوادي أوقات الفراغ. إن **أماكن الإقامة** هي: مشفى الليل الذي يستقبل المريض مساءً، والمنزل أو الشقّة المحميّة، التي تستقبل بعض المرضى في حياة داخلية كاملة. وأماكن العمل مؤلفة من ورشات إعادة التكيّف، الواقعة دائماً خارج مكان الإقامة المحميّة، وينشّطها رؤساء الورشات ومرشدون. ويُقبل فيها المرضى لأنهم قادرون على العمل وليس بوصفهم مرضى. وليس لهم علاقة بجهاز وظيفي علاجي، والاعتبارات الطبية غير موجودة في اللوائح الداخلية. فبنية الورشة، وورشة إعادة التكيّف، هي بنية مشروع عادي. ولا ينضمّ إليها المريض إلا إذا كان قادراً على الامتثال لشروطها. وكان ممكناً من قبلُ أن يمرّ المريض بورشات إعداد أو «ورشات محميّة»، حيث تستمرّ عناية الطب النفسي وتُنظّم العلاقات بين الإنسانية، في منظور لمجموع العمل. أما نوادي أوقات الفراغ، فإنها تقدّم للمرضى المنعزلين أو المصابين إصابة كبيرة بالتكيّف إمكان التلاقي مع أشخاص آخرين يمكنهم أن يقيموا معهم تبادلات وفاعليات مشتركة. وهذه النوادي، التي يديرها مرضى قدماء على وجه العموم، تعمل عملها الوظائفي بمساعدة مربين يؤمّنون تنشيطها. فإعادة التكيّف هي إذن عمل نفسي اجتماعي معقّد لم يعد ينشد أن يعيد للمريض قدرته على العمل فحسب، بل أن يتيح له أن يجد مجدّداً توازنه في المجتمع. (انظر في هذا المعجم: **ورشة محميّة، مركز العون بالعمل، القطاع**).

M. Bu.

الاعتقـاد

F: Croyance

En: Bilief

D: Glauben

موقف شخص من حادث يعتبره واقعياً.

مفهوم الاعتقاد، غير المتواطىء على الإطلاق، يراكم المعاني. وذلك أمر مصدره أنه يُستخدم في مجالات مختلفة اختلاف العواطف والإدراكات، والدين، إلخ، وينطوي على درجات من اليقين تمضي من الشك إلى الاقتناع الصميمي. فهذا المفهوم يشمل إذن حقلاً دلالياً واسعاً، حجارة تحديد التخوم هي الرأي، من جهة، والإيمان من جهة أخرى. إنه أتاح لكانْت (1781)، بموقعه المركزي، ألا يحدّد الرأي والإيمان فحسب، ولكنه أنار أيضاً مصطلحات العلوم، ومصطلحي الاقتناع واليقين. فالاعتقاد هو أن يمنح المرء تصديقه قضية يعتبرها صحيحة، منحاً على نحو غير مباشر، في نهاية تفكير، أو، على العكس، منحاً مباشراً غير استدلالي. وكان بيير جانه (1859 - 1947)، في مؤلفه **من الحصر إلى الوجد** (28 - 1927) يميّز أيضاً بين الاعتقادات العقلانية والتجريبية، والاعتقادات الشخصية والعاطفية، التي يتدخّل فيها العنصر العقلاني قليلاً أو لا يتدخل على الإطلاق. لننظرْ في القضية التالية: «أعتقد أن الشمس ستشرق غداً وفي النُهُر التالية». إن الإيمان الديني يدعم اعتقادي في الحالة الأولى؛ والملاحظة اليومية والمعلومات العلمية هما اللتان تؤكّدانه في الحالة الثانية. فقوة الاعتقاد، المتغيّرة وفق الأفراد، ووفق لحظات الوجود لدى شخص واحد، تابعة أيضاً للموضوع ذي العلاقة بهذا

الاعتقاد. وعندما أقول: «بإمكاننا أن نذهب في نزهة، ذلك أنني أعتقد أنها لن تمطر على الرغم من الغيوم»، أعبّر عن أمنية أكثر مما أعبر عن توقّع؛ كذلك عندما أصرّح: «أعتقد أن بائعنا سيكون شريفاً». فالعنصر العقلاني والتجربة لا يؤدّيان سوى دور ضعيف في هاتين القضيتين الأخيرتين؛ بل، على العكس، إن العنصر اللاعقلاني، الوجداني، هو الذي يكون حاسماً هنا. وهذه الظاهرة تؤدّي، إذا نظرنا فيها جيداً، دوراً أساسياً في كل اعتقاد؛ والعيادة السيكولوجية والسيكولوجية المرضية تقدّم لنا أدلّة وافرة: سذاجة الأطفال الصغار، سرعة التصديق لدى الأشخاص البسطاء، قابلية الإيحاء لدى المصابين بالضعف العقلي... ومما لا ريب فيه أن عدم النضج السيكولوجي، وانعدام الثقافة، والقصور العقلي، تشجّع قابلية التصديق، في حين أن النضج العقلي والثقافة يضعفانها. وإذا كان الاستدلال، من جهة أخرى، غالباً في الاعتقاد، فإن الاعتقاد سيكون أكثر مرونة، وذلك على وجه الضبط لأنه يخضع لشروط أخرى، غير عقلانية، وجدانية، ولأن بوسعه أن يقاوم الواقعي بحزم. والرأي يمكنه أن يتغيّر بسهولة لأنه، وعلى وجه الخصوص، موافقة الفكر. ولكن الاعتقاد، كما كان يلاحظ ذلك من قبل جان دو لافونتين، تغذّيه الأمنيات والقلق: «وكل فرد يعتقد بيسر كبير بما يخشاه أو يرغب فيه». (الحكاية الرمزية XI، 6).

والاعتقاد، شأنه شأن الأسطورة التي يشبهها، يقوم بوظيفة مفيدة. مثال ذلك أنه يتّخذ، عندما يرجع إلى المصير ويميل إلى أن يختلط بالإيمان، سمة آمرة، ويصبح دليل الحياة، ونمطاً تربوياً أو كابحاً اجتماعياً. ونقول، بهذا المعنى، إن الاعتقاد تكيّفي، لأنه يسهّل الاندماج ويوجّه الإنسان في عالمه الطبيعي، ويجعل هذا العالم له ممكن التحمّل في الخصومة، ويتيح له أن يسوده؛ وهو كذلك أيضاً عندما يساعده على أن يدافع عن نفسه ضدّ الحصر. فنحن نعلم أن الصيّاد الأسكيمو لا يصيبه الصيد الرديء باليأس، ذلك أن الفقمة التي لم يقتلها لا يمكنها، في اعتقاده، أن تنوته في الموعد التالي. ويرى الأسكيمو الفرد أن الفقمة نفسها هي التي تمنحه دائماً جثتها؛ فإذا لم تبن الفقمة، فالسبب أنها لم تكن راضية من

«الرعايات التي يمنحها الصيّاد روحها»؛ ينبغي إذن لهذا الصياد أن يعود إلى كوخه الثلجي لينجز واجباته. فالاعتقاد تكييفي، ذلك أنه يتيح أفضل اندماج اجتماعي. إن «الإنسان، يشرح د. كريش، ر. س. كروتشفيلد، يمنح نفسه اعتقادات ليستجيب لأوضاع إشكالية ويمكنها، بمقدار ما تفلح في تكوين تنظيمات معرفية دائماً، أن تظلّ لديه، جاهزة لتساعده في جهوده التي يبذلها لحلّ عدد كبير من المشكلات المختلفة. وهكذا فإن واقع أن يكون لدى المرء اعتقادات تتناول النظريات العلمية، والكنيسة الكاثوليكية، والناس الملوّنين، إلخ، أمر يتيح للراشد أن يستخدمها لإشباع حاجات كونه مقبولاً من جماعته، وأن يحلّ المشكلات العملية، ويوطّد وضعه الاجتماعي» (ص. 230). فلكل تجمّع اعتقاداته الخاصة، وإيديولوجيته المشحونة بالانفعالات بقوة. وهذه الأفكار مرتبطة بالعواطف التي تثيرها أهداف الجماعة؛ إنها نوعية بالنسبة لها، وكل مشارك ينضمّ إليها، وذلك أمر يؤمّن له سنداً ويطمئنه. وتشبع الاعتقادات المشتركة والدائمة للجماعة حاجات الانتماء وامتثال الأشخاص، وذلك أمر يشرح مقاومة التغيّر التي نلاحظها في المجتمعات المتبنينة بقوة. إن د. أوتسولا (1973) عرض المأزق الذي تطرحه على الأطباء النفسين، الذين يمارسون مهنتهم في بعض المناطق الأفريقية، هذه الظاهرات الجماعية، ولا سيّما دوام الاعتقادات بالعرافة والسحر. وهذه الاعتقادات، مصدر الأمن بالنسبة للمريض وأسرته، تتداخل مع العلاج الطبي؛ وهذا هو السبب الذي من أجله بنيغي للطبيب أن يفهم فائدتها ويأخذها بالحسبان عندما يسعى إلى شفاء مريضه أو تحسين حالته. ولكن الاعتقاد يمكنه أيضاً أن يسبّب الضياع عندما يصبح على سبيل المثال اقتناعاً هاذياً: «إنني ملك الأنكا» أو «السحرة يضطهدونني». فكل الاستدلالات التي تُساق ضد مثل هذا اليقين عبث، ذلك أنه لا يتزعزع؛ وأي نقد لا يمكنه أن يمسّه. وإذا حدث أن المريض لم يعد يذكر اقتناعه، يائساً من أن الذين يحيطون به لن يفهموه أخيراً، فذلك لا يعني أنه تخلّى عنه؛ بل، على العكس، إن هذا الصمت لا ينفكّ على الغالب يتّهم اللاتواصل الجذري المؤلم، الذي يستشعره، بين وجوده الصميمي والغير. والحقيقة أن الاعتقاد، كونه

خفيّاً أو مموّهاً، يظلّ مع ذلك ماثلاً ومطلقاً. ولكننا لن نرفض للاعتقاد وظيفته المفيدة، حتى في هذه الحالات المرضية وعلى الرغم من سمة هذا الاقتناع التي تسبّب الضياع. والواقع أن الممارسة السيكولوجية المرضية تبيّن أن ذهاناً بعينه يمكن أن يكون له غائية. فأحد مرضانا استطاع، في نهاية علاج نفسي يستند إلى التحليل النفسي، ذي مدة طويلة، أن يشرح لنا بأي سيرورة ولأي سبب كان قد توصّل إلى أن يهذي. فحياته، منذ مدرسة التجهيز، لم تكن سوى سلسلة من الإخفاقات وكان يائساً. وبعد الهروب في الكحول والمخدّرات، فكّر في الانتحار ولكنه، يقول لنا: «الحياة أقصر من أن يضع المرء حداً لها بالانتحار...». إنه، إذ أصبح ملك الأنكا، كان قد محا كل الإخفاقات وحكم ملكاً في مجاله المتخيّل. وبهذا المعنى، يمكننا أن نقول إذن إن لاعتقاد هاذ وظيفة تكييفية. (انظر في هذا المعجم: **المرض المبدع، الرأي**).

N.S.

الاعتلال الجنيني

F: Embryopathie

En: Embryopathie

D: Embrypathie

تشوّه ناجم عن إصابة نتاج الحمْل في طوره التطوّري الأكثر حساسية، الذي يُسمّى «تكوين الجنين»، تبدو خلاله البدايات الأولى للأعضاء الأساسية.

هذه المرحلة تمتدّ من الإخصاب إلى الشهر الثالث، فترة يصبح فيها الجنين مضغة. والطفل في الرحم يعاني عواقب آفات تعانيها الأم، وقد تصيب عوامل عديدة نموه بالخلل: أشعة X، أمراض معدية (داء المقوّسات، الحميراء. . .)، نتاجات سميّة، (كحول، عقاقير. . .)، نقص التغذية، إلخ. ويختلف تأثير عامل مشوّه باختلاف جبلّة الأفراد (ذلك أمر يجعلنا نلمح دور النمط الجيني في ظهور التشوّهات) والفترة الزمنية التي يمارس فيها تأثيره. والعامل الضارّ نفسه يمكنه في الواقع أن يحدّد اعتلالات جنينية شتّى: شفة أرنب في الأسبوع السادس، صَمَماً في التاسع، إلخ. فالمشيمة حاجز بالنسبة للمكروبات، ولكنه حاجز ذو مسامّ، يتيح للسموم البكتيرية، وبعض المواد الكيميائية السميّة والفيروسات، ولا سيّما فيروس الحميراء، أن تمرّ. ولهذه الآفة، غير الخطرة بالنسبة للأم، مفعولات كارثية على الجنين عندما تكون الإصابة بها في البداية الأولى من الحمْل: فعندما تطرأ الإصابة قبل الأسبوع التاسع، تثير تشوّهات قلبية، ودماغية، وبصرية (الساد)، إلخ. ولهذا السبب تُنصح النساء الصبايا، التي يمكنهن وضع طفل، بالتلقيح،

عندما لا يكنّ قد أُصبن بهذا المرض. كذلك يوصين بأن يتجنّبن، بقدر الإمكان، استخدام العقاقير في أثناء حملْهن، ولا سيّما عندما تكون العقاقير التي يتناولنها جديدة، ليست معروفة تمام المعرفة وما أمكن تقييم كل مفعولاتها الثانوية. ونتذكّر الدراما التي أثارها التاليدوميد، في بداية الستينات، الذي كان مسؤولاً عن تشوّهات خطيرة لدى نحو عشرة آلاف طفل وُلدوا قابلين للحياة.

M.S.

F: Embryopathie de la rubéole **اعتلال جنيني حميري**

En: Rubela embryopathy

D: Röten - Embryopathie german Measles embryopathy

مجموعة من الآفات التي يسبّبها فيروس الحميراء الذي يصيب جنيناً خلال الأشهر الأولى من الحمْل.

برهن على عواقب مثل هذا التأثير ووصفه ن. ماك أليستر غريغ (1945، **الصحيفة الطبية الأوسترالية**، 1، 331). وتنصبّ التشوّهات بصورة خاصة على الجملة البصرية (ساد، آفات شبكية)، السمعية (صمم)، القلبية (دوام ناقلات غير سوية)، العصبية (صغر الرأس، تخلّف عقلي يمضي من الضعف العقلي الخفيف إلى العُته). واحتمال التشوّهات يبلغ حدّه الأقصى عندما تطرأ العدوى في أثناء الأشهر الثلاثة الأولى من الحمْل (لوحظت عندئذ نسبة 30 بالمئة من العقابيل)، ولكنها لا وجود لها بدءاً من الشهر الخامس، ما عدا، ربما، الجملة العصبية التي يمكنها أن تُصاب إصابة خطيرة قليلاً أو كثيراً.

ويتيح تحديد جرعات الأضداد النوعية في الدم، منذ بعض السنين، أن يعيّن إن كانت إحدى النساء محصّنة ضد الحميراء (نسبة مساوية أو أعلى من 40/1). وأخيراً، يتيح التركيز الأحدث للقاح ناجع أن يجنّب كل النساء غير المحصّنات ضد الحميراء من هذه الآفة، ويجنّب على نحو سيصبح مطلقاً كل الفتيات قبل البلوغ. وبوسع المرء على هذا النحو أن يأمل زوال الاعتلال الحميري.

J.MA.

الاعتلال الدماغي

F: Encéphalopathie

En: Encéphalopathy

D: Enzephalopathie

مصطلح يدلّ، من الناحية الاشتقاقية، على مجموعة من الإصابات المرضية للدماغ، أياً كانت طبيعتها وتطوّرها.

استخدام هذا المصطلح، من الناحية العملية، أكثر تقييداً، ويشمل مجموعة من الحالات دون تجانس حقيقي. ويُستخدم على وجه الخصوص، لدى الأطفال، للدلالة على العقابيل العصبية النفسية لآفات الدماغ أياً كان تأريخ الآفة البدئية (سابقة على الولادة أو لاحقة، أو حول مرحلة الولادة) وطبيعتها؛ ومنشأ هذه الآفة على الأغلب منشأ خمجي، ولكنها قد تكون أيضاً طفيلية (داء المقوّسات)، استقلابية (عَوَز الأوكسجين الوليدي على سبيل المثال) أو سمّي (تنافر في زمرة ريزوس أو ابتلاع الأم بعض العقاقير، إلخ). وهذه العقابيل التي لاتنعكس والعنيفة عادة، تتضمّن دائماً قصوراً عقلياً خطيراً قليلاً أو كثيراً واضطرابات عصبية (شللاً، انعدام التناسق، صرعاً، ضروباً من القصور الحسي، الخ). وتحديد منشأها، تحديده **البعدي**، عسير على الغالب. ويدلّ هذا المصطلح، لدى الراشد، على آفات الدماغ بصورة أساسية ذات المنشأ غير الالتهابي (التهاب الدماغ والسحايا). ونجد فيها تناذرات ذات منشأ سمّي (رصاص، أوكسيد الكربون، عقاقير)، رضّي (اعتلال دماغي بعد الرضّي)، وعائي (اعتلال دماغي اكتشفه بنسونجر)،

استقلابي (اعتلال دماغي بابي أجوفي بفعل فرط الأمونيمية، أو بفعل زيادة نسبة الأمونياك في الدم)، عوزي على وجه الخصوص (عوز الفيتامين، ولاسيّما في الكحولية: اعتلال دماغي من اكتشاف غييّيه- فرنيك، من اكتشاف ماركيافا فابليغنامي، تناذر كورساكوف). والجداول السريرية والتطور متغيرتان جداً وفقاً للسبب (انظر في هذا المعجم: **تناذر كورساكوف**).

J.MA.

اعتلال الذاكرة

F: Paramnésie

En: Paramnesia

D: Paramnesie

خداع الذاكرة الذي يعتقد فيه الفرد أنه يتذكّر أوضاعاً لم تحدث قط، أو تكون بعض العناصر منها صحيحة ولكنها ليست من الزمن ولا المكان اللذين تُحدّد هذه الأوضاع فيهما.

نصادف هذا الاضطراب على الأغلب في تناذر كورساكوف أو في تناذر ضروب الصرع الصدغي. ويتجلّى على وجه الخصوص بضرب من التلفيق وظيفتُه أن يحلّ محل الذكرى المتخلّفة، أو بـ «أخطاء التعرّف». (انظر في هذا المعجم: **خطأ التعرّف أو وهم المرئي سابقاً**).

N.S.

الاعتمــاد

F: Étayage

En: Anaclisis

D: Anlehnung

مصطلح استخدمه فرويد للدلالة على العلاقة الوثيقة الموجودة في البدء بين الدافع الجنسي وبعض الوظائف الفيزيولوجية الكبيرة الأساسية للحياة.

هذه العلاقة بارزة على وجه الخصوص في فاعلية المصّ لدى الطفل الصغير. يبدو جيداً، يقول فرويد، أن الطفل الذي يمصّ إبهامه، لسانه أو أي جزء آخر من جسمه، يبحث مجدّداً عن لذّة كان قد خبرها من قبلُ: لذة الرضاع. فشفتا الطفل وفمه أدّيا دور المنطقة التي تثير الغلمة، نبّهها سيل الحليب الساخِن. «في البداية، كان إشباع المنطقة المثيرة للغلمة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتسكين الجوع. فالفاعلية الجنسية اعتمدت في البداية على وظيفة تُستخدم للمحافظة على الحياة، ولم تصبح مستقلّة عنها إلا فيما بعد» (س. فرويد، 1905، ص. 86 من الترجمة). والمنطقة الشرجية هي أيضاً صالحة لتدعم الجنسية في وظيفة أخرى فيزيولوجية.

N.S.

الإعـلان

F: Publicité

En: Publicity, Advertising

D: Publizität, Werbung, Reklame

مجموعة من التقنيات تُستخدم للتعريف بسلعة وتأمين انتشار تجاري واسع لها.

الإعلان حاضر كل مكان في حياتنا اليومية. فالمرء يصادفه في الصحف، والإذاعة، والتلفاز، والسينما، والشارع، وعلى طول الطريق، وحتى في السماء. وكل الوسائل تبدو صالحة لجذب انتباه المستهلكين، بدءاً من الملصقات الإعلانية، واللافتات المضيئة، والإعلانات في الصحف أو الإذاعة، حتى الأفلام والطائرات الإعلانية. بل إن المرء يرى قوارب شراعية تشارك في رحلة حول العالم تموّل أحدها شركة تبغ، ويموّل الثاني صانع آلات كاتبة، والثالث معمل جعة. وتُصرف في كل عام مبالغ طائلة على الإعلان. ومثال ذلك أن الفرنسيين كانوا قد خصّصوا للإعلان عام 1972، مبلغ 1660 مليوناً من الدولارات (أي 0,76 بالمئة من الناتج القومي الخام)، والانغليز 1734,6 مليون دولار (أي 1,14 بالمئة من الناتج القومي الخام)، والألمان 2,339,7 مليون دولار (أي 0,80 بالمئة من الناتج القومي الخام).

ودَوْر الإعلان إعلام المستهلكين عن السلع المعروضة، ولكن هذا الإعلان متحيّز حتماً بما أن هدفه على وجه الخصوص أن يبيعها، وحديثه يستند إلى عناصر جزئية رُفعت إلى مستوى الكلية. ومثال ذلك أن إعلاناً لخمر مشهور سيمجّد

صفات العنب والأرض التي يُزرع فيها، ويُري القطاف والبراميل، ولكن لن يذكر أبداً تلك المعالجة الكيميائية التي يُعالج بها هذا المشروب. فالإعلان، الذي يسعى إلى الغواية، بائع حلم. إنه يعرض عالماً حيث الرغبة يمكنها أخيراً أن تُشبع دون قسر الواقع؛ ويقترح السعادة، حياة سهلة جميلة عبر استهلاك الأشياء الأكثر اختلافاً، التي تُحاط بهالة من المدهش: ضربة واحدة من إسفنجة تمنح الألق موقد الطبخ، كأس من الماء المعدني في كل وجبة تضمن الصحة، بعض قطرات من العطر يجعلك لا تُقاوَم. وهكذا دواليك. فكل فن الإعلان يكمن في إيجاد اللغة، لغة ليست صادقة ولا كاذبة، التي ستسبّب قبول الجمهور. وتفلح بعض هذه اللغات في ذلك إلى حدّ نتوصّل إلى عدم تمييز بين اسم علامة والشيء ذاته: فنستخدم في لغة الحديث لدينا اسم العلامة وليس اسم الشيء نفسه.

ولإيقاظ اهتمام السكان بسلعة من السلع ودعم هذا الاهتمام، لم يعد ممكناً تفويض الأمر إلى الفنانين كما كانت هي الحال في بداية القرن العشرين. إننا نلجأ من الآن فصاعداً إلى معطيات السيكولوجيا العلمية، الخاصة بالإدراك، والحاجات، والدافعيات العميقة، والاتجاهات والآراء. فالقيمة الإعلانية لتعبئة سلعة، على سبيل المثال، ستكون موضع دراسة تجريبياً بواسطة المبصار، بغية تحديد اللون، والحجم، والشكل، التي ستلاقي أكبر نجاح لدى المستهلكين. ويُستخدم المميّز الدلالي أيضاً لشارل إجيرتون أوزغود (مولود عام 1916) لاختيار الألفاظ، من عدة ألفاظ مقترحة، التي تنطبق أفضل انطباق على الشيء موضع الروز. وعلى هذا النحو، يُرسم الخطّ البياني المثالي للسلعة، الذي تبذل دوائر التسويق التجاري جهدها لتقترب منه ما يمكن ذلك. ومثال ذلك أن الإعلان سيحوّل تسمية «ماء الزينة»، إذا بدا أن الرجال كانوا يتردّدون في شرائها لأن التسمية ليست ذات صفة رجولية، إلى «غسيل الوجه بعد الحلاقة».

وبالنظر إلى أن الإعلان يستند في جزء كبير منه إلى دافعيات الأشخاص اللاشعورية، فإن كثيراً منهم يخشون أن يصبحوا أداة تلاعب واغتراب. ولهذا

السبب، فإن الإعلان مقنّن في العديد من البلدان. ففي بريطانية عُهد إلى **جمعية معيار الإعلان** أن تسهر بصورة خاصة على نزاهة الإعلان وصدقه. والرقابة المسبقة على أقوال الإعلان عُهد إلى **قسم مراقبة الإعلان**. ويمنع قانون 2 (يوليو) 1963، في فرنسة، كل إعلان كاذب. ويقتضي القانون صراحة، في ألمانية، أن تكون كل التأكيدات صحيحة في الإعلان.

والإعلان مفيد على الرغم من بعض المبالغات. إنه يؤدّي دور إعلام ضروري يفيد منه كل المستهلكين، ذلك أنه يتيح، إذ يشجّع أن تنتشر السلعة انتشاراً كبيراً، انخفاض سعرها، ولو كان صحيحاً أن لتكاليف الإعلان انعكاسات على سعر بيع السلع (من 1 إلى 2 بالمئة على السيارات، من 3 إلى 5 بالمئة على الأجهزة المنزلية، 15 بالمئة على السلع الكمالية كالعطور). والإعلان، من جهة ثانية، يرغم رجال الصناعة، إذ يشجّع التنافس، على تحسين نوعية سلعهم. فقد برهنت التجربة، في الواقع، على أن الإعلان لا يمكنه أن يجعل سلعة سيئة النوعية تُباع. (انظر في هذا المعجم: **دراسة السوق، علم النفس الجهري**).

N.S.

الاعتيـاد

F: Accoutumance

En: Tolerancc, habit

D: Gewöhnung

ظاهرة بيولوجية من تكيّف العضوية التدريجي مع بعض شروط الوجود الجديدة.

تقدّم الطبيعة أمثلة عديدة على هذه السيرورة التكيّفية التي لا غنى عنها للبقاء. ومثال ذلك أن الذباب كان قد بدا، منذ عام 1947، أي ثلاث سنوات بعد الاستعمال الكثيف لمبيد الحشرات د. د. ت، مقاوماً لهذا المنتج وكان أمراً لا بدّ منه أن يستعمل الإنسان لقتلها جرعات أقوى بألف مرة، بعد مرور عشرين سنة. إن هذه الحشرات كانت قد اعتادت على هذا المبيد إذ طوّرت دفاعات حيوية كيميائية، وكانت الحصانة المكتسبة قد نُقلت نقلاً وراثياً. وبوسعنا أن نذكر مثلاً آخر على الاعتياد المثُار بصورة مصطنعة، مثال سمكة الماء العذب، الشبوط التي أفلح بعضهم في جعلها تعيش في ماء البحر بعد خمسة أشهر من التجربة، عُدِّلت خلالها نسبة الملوحة في وسطها بالتدريج. وأبدى الإنسان تلك المرونة نفسها، مرونة يمكنه بفضلها أن يظلّ حياً في الأقاليم الأكثر برودة والمناخات ذات الحرارة الشديدة، وأن يسافر في الفضاء ويعمل في أعماق المحيطات، ويستهلك منتجات سامة (الأمفيتامين، العقاقير الباربيتورية، الكحول، إلخ) بكميات يمكنها أن تكون قاتلة لو لم تكن العضوية قد تدرّبت عليها.

ولفظة الاعتياد، في علم النفس الصيدلاني، كانت منظمة الصحة العالمية (1957) قد عرّفتها أنها حالة فرد يستهلك على نحو معتاد عقّاراً (منتجاً ساماً في الحدّ الأدنى على وجه العموم، كالمنتجات الباربيتورية، والأمفيتامين أو كلورال). إنه يرغب في أن يتناولها مجدّداً بسبب الراحة التي يشعر بها، ولكنه لا يشعر بأنه مرغم على أن يتناولها وليس لديه الرغبة في أن يزيد جرعاتها؛ وإذا كان في حالة من التبعية النفسية بصددها، فإنه لا يُبدي أية تبعية جسمية، ذلك أنه يمكنه أن يوقف استهلاكها دون أن تبدو الاضطرابات الجسمية والنفسية التي تكوّن «تناذر الامتناع». ولكنه مصطلح ينبغي له أن يُحذف من مفردات الإدمان على السموم لأنه مبهم. (انظر في هذا المعجم ما يلي: **التعوّد**، **العادة**، **الإدمان على السموم**).

N.S.

الأعمى

F: Aveugle

En: Blind

D: Blind

الأعمى، وفق التشريع الفرنسي، كل شخص حدّة بصره أدنى من 20/1 بالنسبة لأفضل عين، دون إمكان التحسّن بحمل زجاجات مصحّحة.

عدد العميان في فرنسة يقارب خمسين ألفاً، أي نحو 1000/1 من السكان. والمشكل الذي يطرحونه مشكل من النسق السيكولوجي والبيداغوجي والاجتماعي معاً. وللطفل الأعمى من العمر قبل المدرسي، على وجه العموم، نمو نفسي حركي قليل الاختلاف عن نمو المبصر، ما عدا ما يخصّ التنسيق الحركي والسير، المتخلّف بعض التخلّف (بين ثمانية عشر شهراً وأربع سنوات)؛ وتدوم الثغثغة زمناً أطول بقليل، جرّاء اللذة الشفهية التي تؤمّنها. وهذا الطفل يُظهر غالباً، على المستوى الوجداني، علامات انعدام الأمن وميلاً إلى الانعزال؛ إنه حالم، يتواصل قليلاً مع الآخرين، تابع لأمه على الغالب. وفيما عدا بعض الاستثناءات النادرة، لا تستقبل مدارس الحضانة فاقدي البصر الصغار، ولا وجود إلا لبعض المدارس المتخصّصة التي لديها صفوف حضانة. وتأخذ هيئات الأمن الاجتماعي، منذ عام 1971، على عاتقها التكلفة التي تسبّبها مدة الدراسة في هذه المنشآت. وليس ارتياد المدرسة إلزامياً مع ذلك. ويتمّ بنظام داخلي لأسباب جغرافية، وليس ثمة سوى ألفي طفل أعمى يرتادون المدارس؛ ويبلغ بعضهم التعليم العالي. ونلاحظ لدى الأطفال تأخراً مدرسياً متوسطه من سنتين إلى ثلاث سنوات، ناجماً بصورة خاصة عن

دخول متأخرّ إلى المدرسة (يتردّد الآباء في إدخالهم الحياة الداخلية)، عن صنحة سريعة العطب، عن استخدام كتابة براي. ويتحقّق اندماجهم المهني بسهولة في المجال الموسيقي (عزف، تأليف، أستذة، صناعة . . .)، وفي التعليم؛ وعلاج جهاز الدعم والجهاز الحركي، والهاتف، والضرب على الآلة الكاتبة، والكتابة الفونوغرامية، والبستنة . . . والأكثر إصابة بالإعاقة منهم (المصابون بالقصور العقلي، الصمّ البكم . . .) تستقبلهم مراكز المساعدة بالعمل. ولدى العميان تضامن يظهر بتأليف رابطات، شتّى كرابطة فالنتان ـ هوي (تنظّم في باريس دروساً منزلية أو تجمع المثقفين العميان). ولكن جهود الاندماج الاجتماعي لا يمكنها أن تنجح إلا إذا كان عالم المبصرين مطّلعاً على الإمكانات الفعلية للمصابين بالإعاقة البصرية. وفي سبيل هذا الهدف، إنما يجوب **مكتب الاستخدام في الولايات المتحدة الأمريكية** البلاد ليعرض على الصناعيين، وتجمّع أرباب العمل، وأطباء ومفتشي العمل، دراسات قامت على المقارنة بين العمال الأسوياء وغير المبصرين، انصبّت على الغياب عن العمل، والاستقرار المهني، والإنتاجية، وحوادث العمل. وليست النتيجة بالنسبة لهؤلاء الجوّابين غير ملائمة إطلاقاً، على عكس الآراء المسبقة الراسخة ذات الانتشار الواسع. ونحن نضيف، لنبيّن عيوب فكرة أخرى خاطئة، أن عدداً من رياضات أوقات الفراغ، باستثناء تحذير طبي، سهلة المنال لغير المبصرين، بدءاً من السباحة، والنزهات على الأقدام، حتى التسلّق، والتزحلق على الثلج، والجودو، والفروسية، والركوب على الدرّاجة الهوائية، وتجديف الفريق. (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **براي**، **العمى**).

N.S.

الأغلوطة

F: Parlogisme

En: Paralogism

D: Paralogismus, Fehlschuss

استدلال كاذب.

الاستدلال عملية فكرية تكمن في تسلسل الأحكام واستخلاص نتيجة منها. وقيمته تابعة معاً لمقدماته (نقطة الانطلاق) وطبيعة البراهين وتنظيمها.

فكل فكرة مسبقة، وكل تحيّز، وكل حكم قبلي، يسبّب استدلالاً كاذباً. وكذلك الأمر بالنسبة للأحكام السريعة والسطحية التي لا تأخذ بالحسبان سوى جانب واحد من مسألة معقّدة. مثال ذلك، قد يكون خطأ أن نقول إن تلميذاً ينقصه الذكاء لأنه لا ينجح في دراساته. وقد يكون مغلوطاً أيضاً أن نعمّم انطلاقاً من بعض الوقائع ونقول، على سبيل المثال، بما أننا لاحظنا لدى بعض الأشخاص المجرمين ذوي القامة الطويلة وجود صبغيٍّ y زائد عن العدد المقرّر، فإن كل الأشخاص ذوي القامة الطويلة ولديهم هذا الشذوذ الصبغي هم مجرمون بالقوة.

ونقول، أخيراً، تقديم ما ليس سوى تكرار (تحصيل حاصل) بوصفه برهاناً، أو الانزلاق من مسألة إلى أخرى معتقدين أننا عالجنا الأولى، هما عيبان شائعان جداً في الاستدلال، من المناسب أن نتجنّبهما.

N.S.

إفراغ الرغبات المكبوتة

En: Acting out
D: Agieren

مصطلح مستخدم بصورة شائعة في الأوساط السيكولوجية والتحليلية النفسية للدلالة على التصرف غير المتوقّع وغير المتكيّف لمريض خلال علاج بتقنيات العلاج النفسي أو التحليل النفسي.

وهذا السلوك يشبه الفعل الطارىء الطائش، ويشبه في الوقت نفسه ما يسمّيه الأطباء النفسيون «الانتقال إلى الفعل» ذا السمة الاندفاعية، والتنفيس، و«الهفوة»، بانبعاث عواطف مكبوتة ينطوي عليها، انبعاث غير متوقّع. ويكشف **إفراغ الرغبات المكبوتة** عن الرغبة أو الاستيهام؛ إن مصدره اللاشعور، وعلينا بالضرورة، لنفهمه، أن نرجع إلى تاريخ الفرد، إلى نزاعاته الأكثر عمقاً، ذلك أن بعض دوافعه هي التي تجد في هذه الوضع وسيلة الإشباع. فالمريض ينقل إلى مجال الفعل تلك الاستيهامات التي يعيشها عيشاً شديداً بمقدار ما يكون مصدرها خفياً. وكون المريض يتصرّف بدلاً من الاقتصار على التعبير عن رغباته وعواطفه في أثناء العلاج، وبخاصّة عندما يحدث ذلك خارج جلسات التحليل، أمر يكوّن، بالنسبة للمحلّلين النفسيين، مظهراً من مظاهر مقاومة المريض للعلاج. والواقع أن المريض يفلت من رقابة المحلّل، إذ يفعل ذلك، إن لم يفلت من التفسير. ومن المناسب، بالنسبة لمورينو (ج. ل.)، أن نميّز **إفراغ الرغبات المكبوتة** «اللاعقلاني» الذي ينبعث في حياة المريض وقد يكون محفوفاً بالخطر لنفسه ولمحيطه - ما يسمّيه الأطباء النفسيون «الانتقال إلى الفعل» -، من **إفراغ الرغبات المكبوتة** العلاجي الذي يطرأ

خلال العلاج النفسي بالتمثيل . وهذا العلاج مفيد بصفتين ، ذلك أن استخراج العواطف المكبوتة بعمق ، غير المتوقّع ، يرغمه على احتياز الشعور بعواطف مكبوتة حتى ذلك الحين ؛ فالمريض يعيش مجدداً حالاته الانفعالية ؛ ويتجاوز تجاوزاً واسعاً حدود اللعبة لأنه يذرف الدموع بغزارة فجأة أو يغضب . وقد يكون لـ **إفراغ الرغبات المكبوتة** وظيفة تعلّم وتهيئة للحياة الواقعية . فالمريض يتعلّم على المسرح أن يعرف نفسه معرفة أفضل ؛ ويكتشف انفعالات وارتكاسات غير عقلانية تتّضح بفضل التحليل الذي مورس عليها . فبوسعنا إذن أن نأمل أن يتصرف تصرّفاً أكثر تكيّفاً عندما يواجه وضعاً يطابق أو يماثل الوضع الذي أثار ارتكاسه غير المتوقّع . .

L.S.

الأفيــون

F: Opium

En: Opium

D: Opium

سائل أبيض بلون الحليب نحصل عليه بشقّ عُلبة الخشخاش قبل نضجها.

الأفيـون، الذي منشـأه بلاد ما بين الـنهرين، معـروف منذ العـصور القـديمة بخصائصه المسكّنة والمنوّمة. ونجده مذكوراً في ورقة من أوراق البردي يعود تأريخها إلى عـام 1550 قبل المسيح، وكان أبوقراط (460 - 377 ق.م) يوصي به في عـلاج آفات شتّى. وكانت انغلترا أحد البلدان الأولى الأوروبية التي تعرف هذا المخدّر الذي جلبه من الهند تجّارٌ إنغليز في بداية القرن التاسع عشر. فانتشر الأفيون عندئذ في الأوسـاط المثـقّفة ووصف مـفعـولاته كتّـابٌ كتـوماس دو كـوانسي (**اعترافات انغليزي مـستهلك الأفـيون**، 1821)، أو جـون كـوكـتـو، الأقـرب في الزمن إلينا (**الأفيون، يوميات ضرب من زوال الانسجام، 1930**). ويُزرع **الخشخاش المنوّم** على وجه الخـصوص، أيامنا هذه، في الهند وإيران والصين، ولكن يوغـوسلافية وبلغارية واليونان تنتج الخشخاش أيضاً، ويُستخلص من الأفيون نحو خمس عشرة مادّة شبه قلوية، أكثرها استخداماً هي المورفين، الكودئين، الخشخـاش، الثيبيين، والناركوتين. وينبغي تنقية الأفيون وتجفيفه حتى يكون قابلاً للاستهلاك. ويُستخدم النتـاج الحـاصل على صـورة مـشروب مغلَّى، حقن، قـرص لابتـلاعـه أو لفـائف للتدخين. إنه يثير أول الأمر حالة من الغبطة فيها الخيال مُثار والذكاء يبدو متنامياً.

فهو «بلسم مسكنٌ، يقول توماس دو كوانسي، للجروح التي لا تندمل أبداً». ولكن الاستهلاك المنتظم للأفيون يسبّب انحطاطاً في القوى العقلية والجسمية، واضطرابات هضمية، وقصوراً كبدياً يقود الفرد شيئاً فشيئاً إلى السقام. وابتلاع هذه المخدّر على شكل أقراص يُنتج المفعولات نفسها، ولكن على نحو أسرع. وعدد المدمنين على الأفيون في تناقص بارز خلال أيامنا هذه، ذلك أن النتاج مرتفع الثمن ويصعب وجوده. (انظر في هذا المعجم: **المخدّر**، **الهيروين**، **الإدمان على المخدّرات السامة**).

N.S.

الإقليـم

F: Territoire

En: Territory

D: Reuier

قطعة من الأرض متّسعة قليلاً أو كثيراً من مجال حيوي لحيوان أو لجماعة من الحيوانات، يُدافع عنها ضدّ تعدّيات الحيوانات المماثلة، وليس ضدّ تعديات الأنواع الحيوانية الأخرى.

إقليم جماعةٍ أسريةٍ من أفراس النهر، على سبيل المثال، تتضمّن ملجأ مائياً ومنطقة رعي على ضفة نهرٍ. وهذه المنطقة محدّدة بفضل **رسم شمّي** من الأدغال والأشجار، يستخدم الذكر من أفراس النهر غائطه من أجلها (هيدجر، 1930). ويُلاحظ السلوك على الغالب على وجه الخصوص لدى الأسماك والعصافير والثدييات. ويرتبط هذا السلوك على الغالب بفاعلية التكاثر، الجنسية والأسرية. (انظر في هذا المعجم: **المجال الحيوي**).

J.ME.

الاكتئاب

F: Dépression

En: Depression

D: Depression

حالة عقلية مرضية، دائمة على وجه التقريب، تتميّز بنقص في التوتر العضلي والنفسي.

الفرد المكتئب، النكد المزاج، المصاب بالتعب ووهن العزيمة، عاجز عن مواجهة الصعوبات اليومية. ويظلّ غير فاعل ويهرب من كل مبادرة، بفعل القلق، وغياب الإرادة والاهتمام. نومه مصاب بالخَلَل (أرق أو فرط أرق)؛ إنه لا يرغب في شيء، ويفقد الشهيّة، ويبدو أن ديناميته الحيوية منهكة. ويعيش مع الشعور اليائس أن قدراته العقلية، وذاكرته، وقدرته على الانتباه، متقهقرة وأنه ارتدّ إلى حالة العجز. وهذا هو السبب الذي من أجله لا يكون نادراً أن يفكر في الانتحار.

وإلى جانب الاكتئابية التكوينية (ذهان الهوس الاكتئابي، سوداوية)، نميّز الاكتئابات الارتكاسية على صعوبات الحياة (عزلة، حداد، انتقال، نزاع من رئيس تراتبي، مع زوج، مع الأطفال، إلخ). والإرهاق الفكري لدى المديرين، المثقلين بالمسؤوليات، ونظام غذائي قاس جداً، واقتراب الإياس، والاستعمال المسرف للعقاقير الباربيتورية، يمكنها أيضاً أن تكون مسؤولة عن هذه الحالة القابلة للانعكاس على وجه العموم. ولكن الاكتئاب قد يكون أيضاً عرضاً من أعراض بعض الذهانات (الفصام...) أو إصابات عضوية في الدماغ (كحولية مزمنة،

خبل شيخوخة). والعلاجات بالمياه المعدنية الحارة وبالراحة، والعلاج النفسي (استرخاء...)، هما مقترنان على الأغلب بالعلاج الكيميائي بالنسبة لمعالجة الحالات الاكتئابية. وفي بعض الحالات (السوداوية بصورة أساسية)، تُستعمل الصدمات الكهربائية أيضاً. (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **علاج الحالات الاكتئابية خارج المشفى**، **النَهَك العصبي** [نوراستينيا]).

N.S.

F: Anaclitique (Dépression) **الاكتئاب الاعتمادي**

En: Anaclitic dépression

D: Anlchnungsdepression

مجموعة من الاضطرابات الجسمية والنفسية التي تطرأ بالتدريج لدى طفل فصلناه عن أمه، بعد أن كان له معها علاقة مرْضية خلال الأشهر الستة الأولى من حياته على الأقل.

إننا ندين بالمصطلح لعالم النفس الأمريكي رونه أ. سبيتز (1887 - 1974)، الذي لاحظ، خلال دراسة باشرها مع مساعدة هي كاترين م. ولف (1946) على 170 طفلاً، أن 34 منهم، المحرومين من سندهم (الأم) ولم يجدوا بديلاً مرْضياً، كانوا يُظهرون اللوحة العيادية نفسها التي تذكّر بالاكتئاب لدى الراشد. فالأطفال، خلال الشهر الأول من فصلهم عن الأم، يبكون دون سبب، وهم حزينون ويتعلّقون بالملاحظ. ويُلاحظ خلال الشهر الثاني توقّف النمو وضرباً من فقدان وزن ويرفضون الاتصال في الشهر الثالث، ويظلّون في أغلب الوقت ممدّدين على بطنهم في أسرّتهم، ولديهم أرق، ويصابون بالأمراض على نحو سهل؛ ويتعمّم التأخر النفسي الحركي ويستمرّ انخفاض الوزن. ويتخثّر الوجه في تعبير من الحزن بعد الشهر الثالث، وتكون النظرة غائبة ويتوقّف البكاء وتحلّ محله ضروب نادرة من الأنين النائح. و«يزداد التأخّر ويصبح نُواماً». وقد توجد فوارق فردية في ارتكاسات الأطفال، لكن اللوحة العامة ثابتة إلى حدّ كافٍ. والشفاء سريع إذا وجد الطفل أمه مجدّداً (أو مرضعة عطوف) قبل أن تنقضي مرحلة حرجة تقع بين نهاية الشهر الثالث. (انظر في هذا المعجم: **القصور العاطفي، الأم، الحاضنة**).

N.S.

ألان (إميل أوغوست شارتيه المسّمى ألان) Alain (Émile Au-gusteCHARTIER, dit)

فيلسوف وبيداغوجي فرنسي (مورتان ـ أو ـ برش، أورن، 1868 ـ لوفيزنيه، 1951).

آلان معروف على وجه الخصوص بـ **أحاديثه** (أكثر من ثلاثة آلاف حديث)، المنشورة بدءاً من عام 1906 في **رسالة روان**، ثم في **المجلة الفرنسية الجديدة**، وجُمعت في كتب: **المواطن ضد السلطات** (1926)، **الأفكار والأعمار** (1927)، **أحاديث عن السعادة** (1928)، **أحاديث عن التربية** (1932)، **أحاديث أدب** (1934)، **أحاديث عن الفلاسفة** (كتاب منشور بعد موته، 1961)، إلخ. ففكره القوي المناضل يتجلّى في أسلوب قارص، موجز، يمسّ شعور الإنسان ولكنه لا يقنع دائماً. وقد أراد لنفسه، بوصفه بيداغوجياً، أن يكون مربياً وبحث في التلميذ عن الإنسان الذي ينبغي تكوينه وإخضاعه للانضباط، لا في «فكر عقيم للقيادة والطاعة»، بل، على العكس، في قبول إرادي، تابع للحكم النقدي، الوسيلة الوحيدة لتجنّب الاستبداد. والطريقة التي يوصي بها قاسية؛ إنها ترتكز على الصعوبة والجهد. فكل سهولة مستبعدة من منظومته البيداغوجية الصلبة الباردة، حيث يبدو معنى الاهتمام موضع ظنّ. والأهمية لتمرين الإرادة وانتصار الذات وحدهما. ولهذا السبب ستكون ميول الطفل موضع معاكسة وسينصرف عما يجذب اهتمامه وسيكون المعلم لامبالياً. وليست مهمة المربي أن يقدّم العون، بل أن يدرّج الاختبارات. وسيتعلّم التلميذ الخاضع لهذا الانضباط القاسي مراقبة نفسه

ويقـوّي طبـعـه . والواقـع أن مـبـادىء من هذا النوع يمكنهـا أن تناسب المراهقين . فالصرامة لا تنفّرهم ؛ ويروق لـهم بذل الجهد لأنه وسيلة توطيد الذات وتجاوزها . ولكن الطريقـة لا تبـدو لنا ممكنة التطبيق على الأطفـال : فـالصـعـوبة لا تبـدو لهم جذّابة ، ويبذلون جهدهم ليحسنوا صنعاً في الفاعليات التي تثير اهتمامهم فقط (انظر في هذا المعجم مصطلح **المدرسة الفعّالة**) .

N.S.

ألزهايمر (مرض)

F: Alzheimer (Moladie)

En: Alzheimer's disease

D: Alzheimersche Krankheit

شكل من أشكال الخَبَل وصفه عالِم الأعصاب الألماني ألوا ألزهايمر (1864 - 1915)، يتميّز بظهوره المبكّر (بين أربعين وستين سنة من العمر) وترافقه اضطرابات اللغة (حُبسة)، وصعوبات في تنفيذ حركات متناسقة (عَمَه حركي) وفي التعرّف الإدراكي (عمه الادراك).

هذا المرض يتيمّز، من الناحية التشريحية، بضمور منتشر في البنيات الدماغية، سائد في المناطق الجدارية القذالية، وتمدّد البطين، ووجود لويحات شيخوخة على القشرة الدماغية؛ ويتميّز، من الناحية المجهرية، بنقص بارز في حجم الخلايا العصبية واستطالاتها لا سيّما في القشرة الدماغية. ويظهر، من الناحية العيادية، بفقدان الذاكرة والتوجّه المكاني، إذ يبقى التوجّه الزماني سوياً خلال زمن أطول. وتُصاب، في طور الحالة، كل الوظائف العقلية؛ ويكون المزاج مرحاً على وجه العموم، واكتئابياً في بعض الأحيان. وثمة أفكار هاذية من الاضطهاد والغيرة، أو أفكار أخرى، يعبّر عنها المريض، وكذلك هلوسات. والاضطرابات في اللغة دائمة: تكرار جملة (المصاداة اللفظية)، تكرار آخر كلمة من الجملة أو تكرار مقطع واحد أيضاً. فوجود ترديدات مقطع واحد علامة مرضية تميّز مرض الألزهايمر. ويمكن أن تظهر لدى الفرد المصاب أيضاً بُحبسه فيرنيك،

التي تفضي إلى اللَيْغ (تشوّه الكلمات، تغيير مكان المقاطع)، حيث تكون اللغة غير مفهومه كلياً، ليغٍ يقترن على الأغلب بعجز قرائي (عدم فهم الكتابة) وبعجز كتابي (عجز عن التعبير بالكتابة). وتكون الاضطرابات في تنسيق الحركات هي الخبل (عجز عن ارتداء الثياب، والرسم، عن تنفيذ أمر بسيط. . .). أما بالنسبة لضروب عمه الإدراك، الملاحظة على الأغلب، هي عمه الإدراك البصري. وقد يقترن مرض الألزهايمر بنوبات صرع. إنه يتطوّر، خلال فترة تمتدّ من أربع سنوات إلى عشر، نحو الدنَف الخبلي النهائي.

M.S.

الألسنية

F: Linguistique

En: Linguistics

D: Linguistik, Sprachwissenschaft

الدراسة العلمية للغة.

علمي يقابل هنا معياري: فليس المقصود أن نقول **كيف ينبغي لنا أن نتكلّم** (كما يفعل النحويون والنقائيون [المحافظة على نقاء اللغة])، بل أن نصف وصفاً موضوعياً كيف تعمل اللغة عملها الوظائفي. ويبقى أن نتفاهم حول ما سنسمّيه اللغة: المسألة، بالنسبة للألسني، تقتصر على الألسن الطبيعية (الألماني، الروسي، الباسكي، البيكاردي، لهجة قرية، إلخ). أما الوسائل الأخرى أو المنظومات الأخرى من التواصل بين الناس: رموز الطريق، الرسم الإعلاني، الرسم الزيتي، السينما، وربما الموسيقى، فهي من ميدان علم آخر، علم العلامات.

اختارت الألسنية منذ البدء، نحو عام 1800، أن تدرس دراسة علمية كيف تتغيّر الألسنة مع الزمن: تطوّرها. وكان هذا البحث دون ريب ضرباً من خطأ في الطريقة، على الرغم من أنه بحث مشروع. فمن الأفضل أن نبدأ بوصف شكلِ موضوعٍ من الموضوعات، وبنيته، وعمله الوظائفي، بدلاً من أن نعيد رسم تاريخه. والألسنيّة لا تشذّ عن هذه القاعدة. إن غالبيتنا لا تحتاج، ولا الأطفال، إلى أن تعرف من أين جاءت كلمة من الكلمات، وكيف تطورّت، حتى تستخدمها

استخداماً صائباً(*). فهذا البحث التاريخي، الذي نسمّيه الألسنية التزامّنية، المثير للاهتمام في ذاته، لم يكن يمكنه أن يجيب عن الأسئلة التي كانت تُطرح عليه عن طبيعة اللغة.

وتدرس الألسنية التزامنية، على العكس، المولودة من تعليم فرديناند دو سوسّور (1857 - 1913) عمل اللغة الوظائفي هنا والآن، بصرف النظر عن تاريخها. وتنقسم الألسنية إلى عدة فروع: علم وظائف الأصوات، التي تبحث في الأصوات الدنيا من لسان من الألسنة؛ وعلم المفردات، الذي يحصي الوحدات الدّالة وأساليب تكوين المفردات (البادئة، اللاحقة، التركيب)؛ وعلم الصرف، الذي يدرس التغيّرات التي تطرأ على شكل هذه الوحدات (إعراب، تصريف)؛ وعلم النحو، الذي يدرس قواعد تركيب الوحدات الدّالة في جمل.

ويهتم علم الدلالة حصراً بالبحث في تنظيم الدلالات (كيف نبني مدلول كلمة من الكلمات؟ كيف نبيّن العلاقات بين المدلولات المترادفة؟، إلخ)؛ أما الأسلوبية، فإنها تسبر الميزات الخاصة التي تجعل من جملة أو مجموعة جمل موضوعاً أدبياً: رواية أو قصيدة.

إن علم وظائف الأصوات، بتحليلاته، هو في أساس نموّ الألسنية البنيوية الراهنة. وبيّن علم وظائف الأصوات أن أصوات اللغة ليست وحدات معزولة، بل يرتبط بعضها ببعض إذ تؤلّف منظومة أو بنية: فالأحرف الأجنبية الفرنسية على سبيل، P، b، m، هي تصويتات (فونيمات) لأنها تكفي لتمييز الدالات التالية: Pas، bas، ma أو pot، beau، maux، أو pu، bu، mu، إلخ. وبوسعها أن تفعل ذلك لأنها، على الرغم من وجود سمة مشتركة بينها (كلها شفوية [تلفظها الشفتان])، تتعارض بسمة أخرى: P صامت مهموس، b صامت مجهور، m صامت أنفي. وعلى الرغم من أن m، n، (gn) أنفية كلها، فهي تتعارض في

(*) - اختصرنا المثال الذي ضربه كاتب المقال على أصل كلمة فرنسية وكيف تطوّر استعمالها تاريخياً حتى بلغت الاستعمال الراهن «م».

الفرنسي بسمة مميّزة: الأول شفوي، الثاني سنيّ، الثالث حنكيّ، وذلك أمر يتيح تمييز الكلمات التي تحتويها. ومثل هذه التقابلات هي التي تكوّن المنظومة الفونولوجية، المنظومة التي تتيح بناء كلمات يتميّز بعضها من بعض بشكلها ومعناها. والسمات التي تكوّن كل تصويت (فونيم) هي بنيته الخاصة. فعلم وظائف الأصوات أوضح أن كل سمات صوت لا تُستخدم في جعل التصويتات متقابلة في وظيفتها التمييزية. ومثال ذلك أن r مهموس تارة ومجهور تارة أخرى في الفرنسي (كلمة Bar عند باريسي أو فرنسي عائد إلى وطنه من الجزائر احتفظ باللهجة المحلية الجزائرية للفرنسي)، ولكن هذه السمة ليست مميّزة: إنها لا تُستخدم أبداً في التقابل بين كلمتين فرنسيتين تختلفان فقط بحضور r مهموس، r مجهور، في المحلّ نفسه. فالجَهْوَرية لـ r في الفرنسي ليست إذن سمة وثيقة الصلة بالموضوع. وهذا المفهوم أساسي في الألسنية كما نرى. وما هو وثيق الصلة بالموضوع هو ما له وظيفة- كلمة رئيسة أخرى أكثر من كلمة بنية- في التواصل. فالبنية، ووثاقة الصلة بالموضوع، والوظيفة، هذه المفاهيم الثلاثة في علم وظائف الأصوات أمكن لها أن تمتدّ على كل التحليلات الألسنية، بما في ذلك علم النحو.

(انظر في هذا المعجم: **التواصل، اللغة، علم الدلالة**).

G.M.

الألسنية الاجتماعية النفسية

F: Socio - Psycho - linguis-tique

En : Social Psycholinguistics

D: Sozial - Psycholinguistik
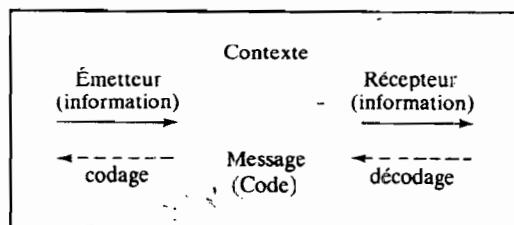
فرع علمي جديد يستخدم على نحو مترافق مع إسهامات علم النفس، وعلم الاجتماع والألسنية.

منشأ الألسنية الاجتماعية النفسية أزمة أصابت علم النفس الألسني عندما تبيّن أن دراسة الرسائل المعزولة عن سياقها وعن سياق التواصل على وجه العموم كانت تئود إلى ضرب من الردْب. فإلى جانب علم النفس الألسني المستوحى من السلوكية وعلم النفس الألسني المبنيّ على النحو التوليدي والتحويلي، ثمة علم نفس اجتماعي للغة أو ألسنية اجتماعية نفسية، ممثّلوه الأوائل هم كولان فرازر (1971)، جان بروشا (1972)، ر. رومتغيت (1967) وتاتيانا سلاما - كازاكو (1961). وهذا الفرع الجديد يقترح بصورة أساسية أن يدرس الجوانب الاجتماعية دراسة كثيفة للغة ويدمج بحوث علم النفس الألسني في سياقها الاجتماعي. وعلى الرغم من أننا من أوائل المؤلفين الذين استخدموا مصطلح الألسنية الاجتماعية النفسية، فإنه يبدو لنا أنه أصبح لغواً بالنسبة لمصطلح علم النفس الألسني، من حيث أننا لا نرجع إلى علم نفس للشخص الأول (انطباعية، فرادنية أو تمحور على الذات) ولا إلى علم نفس للشخص الثالث (سلوكية ميكانيكية، ولو أنها معدّلة ومعروضة في ظلّ مظاهر سلوكية جديدة)، وكلاهما عاجزان حقاً عن أن يشرحا تعقّد الظاهرات الإنسانية التي تسود في اكتساب اللغة واستخدامها المبدع. ويبدو،

في هذا المعنى، أن تخصيص فرع من علم النفس الألسني من أجل الحكم لصالح التأثيرات الاجتماعية السيكولوجية وأخذ التقيّدية الاجتماعية بالحسبان أمر غير ذي جدوى. فأخذ سياق اللغة الاجتماعي وسياق التواصل بعين الاعتبار شرط أساسي من شروط علم النفس الألسني. وفي هذا التصور، الذي ندعمه من جهتنا ونجاهر به منذ زمن طويل، تنطوي دراسة الرسالة (موضوع علم النفس الألسني، موضوعه ذاته) انطواء بوصفه نقطة الانطلاق، على الوضع الواقعي للتواصل، أي على العلاقة الدينامية التي تخلقها التبادلات بين المرسلين والمستقبلين، تبادلات تحدّدها بدورها السياقات المختلفة. ففي التخطيطتين التاليتين، نجد ممثَّلاً تلك العناصر المستخدمة في التواصل من جهة (انظر الشكل رقم 1)، والسياقات المختلفة التي يقع فيها التواصل من جهة ثانية (انظر الشكل رقم 2).

والسياق الاجتماعي للتواصل يمكنه أن يحلَّل من وجهات نظر متعدّدة: شركاء في التواصل (علاقة المرسل – المستقبل)؛ النظام الرمزي الألسني النظري، منظومة المرسل الألسنية الفردية؛ تأثير الرسالة؛ المتّحد الاجتماعي الخاص (الجماعة الصغيرة)، الجو الاجتماعي للمرحلة، الوسط المهني؛ المرحلة الاجتماعية التاريخية؛ المجتمع. ويتدخّل كل عامل من هذه العوامل، وفق الأوضاع والظروف، بقوة كبيرة قليلاً أو كثيراً، وتأثيرها يكوّن أحدى النقاط الأساسية للالتقاء بين علم النفسي الألسني وعلم النفس الاجتماعي. فأي دراسة سيكولوجية ألسنية هي دراسة سيكولوجية اجتماعية على نحو ضمني. ومن الممكن حتى في الحوار الذاتي إظهار تحديدات اجتماعية، ولو لم تكن إلا بصياغة ما يقوله المرء لنفسه. ومثال ذلك أن أمريكياً، تعوّد على أن يتناول البيرة بعلبة، ربما سيرغب، إن كان في حالة ظمأ، في **علبة من البيرة**، في حين أن فرنسياً سيفكر بالحري بـ «**نصف**» (المقصود قنينة سعة نصف ليتر «م») وبافارياً بـ **ربعية** (كأس من البيرة يحتوي ربع ليتر «م»). ولا ينظر علم النفس الألسني إلا في الرسالات وليس في الآليات السيكولوجية التي يؤثّر بها المجتمع على السلوك اللفظي، آليات هي من ميدان علم النفس الاجتماعي. أضف إلى ذلك أن علم النفس الألسني لا تشغله المتحدات

الألسنية، و«التنضيدات الاجتماعية» ومفعولاتها على اللغة، وفئات السكان ذات الاتصال الألسني (مثال ذلك الكنديون الناطقون باللغة الفرنسية واللغة الانغليزية)، وابتكار لغات علاقة، لغات وُلدت من الحاجة إلى التواصل التي عانتها جماعة من أصول مختلفة، كاللغة الفرنسية المحكيّة في هاييتي، والصبير في مغرب الاستعمار (مزيج من لغات مختلفة عربية وفرنسية وإيطالية وإسبانية «م»)، والبيدجن Pidgin (صبير من أصل انغليزي)، التي تندرج كلها في حقل البحوث الخاصة بعلم الاجتماع الألسني. ومع ذلك فإن كل بحث لعلم الاجتماع الألسني لا يأخذ بالحسبان مظاهر سيكولوجية مشخّصة من مفاهيم مثل «فئات السكان ذات الاتصال الألسني» أو «متّحد ألسني» سيكون مصطنعاً إن لم يكن فارغاً من المعنى. والواقع أن مثل هذه الدراسة لا يمكنها أن تكشف عن حوادث الواقع العملي، وستبطل المواجهة مع هذا الواقع العملي نتائجها؛ إنها لن تقدّم معرفة صحيحة للعلاقة بين المحدّدات الاجتماعية والوقائع الألسنية. وعلم الاجتماع الألسني سيأخذ المحدّدات الاجتماعية لهذه الرسالة. وفي مثل هذا التصوّر يصبح علم النفس الألسني بالتأكيد علماً واسعاً ومعقداً، ولكنه سيمكنه أن يتطوّر ويزدهر على نحو أفضل بقدر ما يلتمس مساهمة اختصاصيين مختلفين، إذ ينسّق جهودهم في بحوث مشتركة. (انظر في هذا المعجم: **التواصل**، **اللغة**، **علم النفس الألسني**).

الشكل 1: السياق؛ المرسل (إعلام)؛ المستقبل (إعلام)؛
فكّ الترميز؛ رسالة (رموز)؛ الترميز.
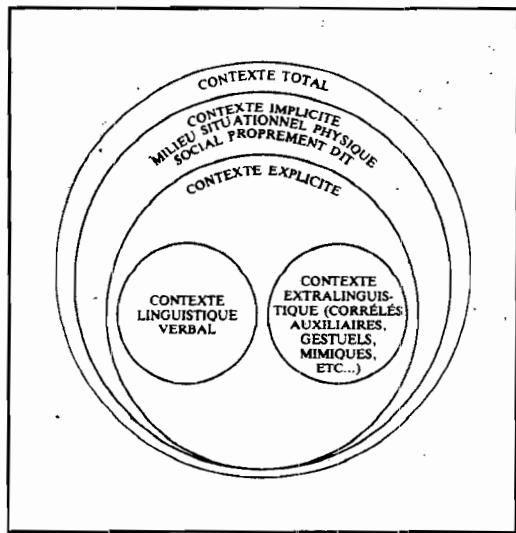
الشكل 2: السياق الكلي؛ السياق الضمني، الوسط المادي الاجتماعي بحصر المعنى ذو العلاقة بالوضع؛ السياق الظاهر: السياق اللغوي اللفظي، السياق فوق اللغوي (ملازمات مساعدة: حركية، إيمائية، إلخ. . .).

T.S.C.

F: Annulation rétroaetive — الإلغاء الارتجاعي

En: Undoing

D: Ungeschehenmachen

آلية سيكولوجية يسعى جهده شخص إلى أن يلغي بواسطتها، إلغاء سحرياً، فكرة، كلاماً، أو فعلاً، إذ يتخيّل أوينجز عملاً معاكساً.

إنه يبدأ مجدّداً، على سبيل المثال، بيده اليسرى ماكان قد فعله باليمنى، أو يكرّر الفعل نفسه مانحاً إياه دلالة عكسية. وعلى هذا النحو إنما يمضي شخص، يلوم نفسه على شراء شيء غالي الثمن، فيشتري الشيء نفسه أو يقدّم هبة مقدارها المبلغ نفسه من المال، بدلاً من أن يطلب إعادة الشيء واسترجاع ثمنه. فالإلغاء الارتجاعي سلوك يميّز العصاب الوسواسي. إنه ذو علاقة بآلية دفاع من آليات الأنا، صائرة إلى أن تطرد بالتعزيم ذلك الحصر الذي يسبّبه ظهور عواطف أو أفكار يرى الفرد الواعي أنها غير مقبولة. فغسيل اليدين القسري على سبيل المثال، لدى مصاب بالعصاب الوسواسي، يمكنه أن يهدف إلى إلغاء الرغبات في الاستمناء أو أفعال الاستمناء. (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **الحصر، الوسواس**).

M.S.

الألغوريتم

F: Algorithme

En: Algorithm

D: Algorithmus

المصطلح الأجنبي مشتق من اسم الخوارزمي (محمد بن موسى)، عالم رياضيات عربيّ عاش في نهاية القرن الثامن الميلادي وبداية القرن التاسع، رياضي ندين له بنظام العدّ العشري وأولى قواعد الحساب الجبري. ويعني المصطلح مجموعة من القواعد الخاصة بالعمليات الحسابية.

نفهم من هذا المصطلح، بصورة عامة، أنه إجراء يتيح الوصول، إذا اتبعه المرء خطوة خطوة، إلى نتيجة منشودة بكل يقين (إلى الأمثل غالباً). فالقواعد الخاصة بالحساب (مثال ذلك استخراج الجذر المربع) هي من هذا النوع.

ونضع في الاعتبار، في مجال علم النفس، إجراءات قواعدية أخرى، تُسمّى **كشفية** أو **تنقيبية** قوامها أن تدفع إلى البحث عن حلّ ولكنها لاتقود بالضرورة إلى النتيجة المنشودة. فالتصرّفات الإنسانية هي من هذه الطبيعة غالباً.

وأحد موضوعات الدراسة في علم النفس خاص بشرح هذه الإجراءات الكشفية، المستخدمة عندما يجد عالم النفس نفسه في أوضاع معقدة وغير يقينية. ونذكر مثالاً على ذلك دراسة القواعد الكشفية التي يستخدمها لاعب الشطرنج.

J.M.F.

الألم

F: Douleur

En: Pain

D: Schmers

إحساس شاقّ، ذو مصدر جسمي أو نفسي، يسبّب استجابة إجمالية للعضوية تظهر على وجه العموم بتصرّف التجنّب.

يشكّل الألم جزءاً من وجودنا منذ الولادة التي تسمها الصرخة. إنه الواقعي وحده، يقول شوبنهور (1788-1860)، وليست اللذة سوى غيابه المؤقت. ويصرخ الرضيع تحت وخز الحاجة، والضيق أو الألم، وهذا المعيش الجسمي اليومي ينتهي عالمه إلى أن يتحوّل إلى عالم من الدلالات سرعان ماستكون مدركة على نحو مباشر وستُستخدم أساساً لسلوكاته. فلسنا بحاجة إلى أن نفكّر حتى نبتعد عن نار شديدة الاشتعال أو نقترب من مصدر حرارة عندما يكون الجو بارداً. ولكن مسلكنا ليس عفوياً إلا لأنه يرتكز على تعلّم طويل حيث الألم يقوم بوظيفة المعلم. ولهذا الألم قيمة بيولوجية وحياتية. فوظيفته الأولى، بوصفه في آن واحد إشارة إنذار ووسيلة حماية العضوية من كل مايمكنه أن يتعدّى على كمالها، تكمن في أن يوقف الإثارة المؤذية وأن يعيد التوازن الذي أوقعت فيه الخلل (إذ تبدأ هذه السيرورة الفيزيولوجية عملها حتى قبل أن يصبح الألم شعورياً). إنه وقائي وتربوي أيضاً، ذلك أنه يعلّمنا أن نميّز الضار من غير الضار ويتيح لنا أن نتجنّب مايمكنه أن يكون محفوفاً بالخطر؛ ومثال ذلك أن طفلاً سيخشى أن يلعب بالنار إذ حرقته من قبل أعواد الثقاب.

وللألم مظاهر كثيرة تميّزها وفق مركزها، وشدّتها، ونوعيتها. فبعض الآلام داخلية ومنتشرة، وبعضها الآخر جلدية ومحدّدة؛ بعضها حادّ وبعضها الآخر غير حادّ؛ وثمة إحساسات ألم من حكّة، وحرق، ووخز، وضغط، إلخ. ويسبّب الألم من الناحية الجسمية تمدّد حدقتي العينين، وانهمار الدموع، وتسارع النبض والإيقاع التنفّسي، وزيادة الضغط الشرياني والتعرّق. وشكّلت آلياته العصبية الفيزيولوجية موضوع بحوث عديدة، منذ بحوث ماغنوس ز. بليكس (1883) في السويد، و أ. غولد شيدر (1885) في ألمانيا، و هـ. دونالدسون (1885) في الولايات المتحدة الأمريكية. ولايزال الألم مع ذلك غير معروف بصورة كاملة، والاتفاق بصدده غير متحقّق على الإطلاق. فثمة نظريتان رئيستان تتواجهان: نظرية نوعية الألم، الذي له في رأيها دروبه العصبية ومستقبلاته الخاصة، والنظرية التي تجعل الألم تابعاً لشدّة المنبّه أو إلحاح إثارات ضعيفة ولكنها متكرّرة.

واعتقد ماكس فون فري (1894) من ألمانية، في القرن التاسع عشر، أنه وجد على سطح الجلد «نقاط الألم» التي وضع توزّعها، بل قيّم كثافتها (التي تتغيّر من خمسين إلى مئتين بالسنتمتر المربّع، بحسب مناطق الجسم). ولكن هذا الاكتشاف لم تؤكّده الدراسات التشريحية العصبية اللاحقة، وليست الجسيمات الخاصة بالألم معروفة دائماً. بل، على العكس، إن باحثين، مثل أ. غولد سيدر (1926) وشارل ريشه (باريس، 1850- باريس، 1935)، لفتوا النظر إلى أن كل مستقبل جلدي نوعي (مستقبل حرارة، برودة، ضغط) يمكنه أن ينقل إشارة ألم، بدءاً من عتبة معيّنة من شدّة المنبّة: فالإحساس بالبرودة يصبح مؤلماً، في العادة، تحت درجة 3مئوية، ويظهر الألم الحراري على وجه العموم بدءاً من 52 درجة مئوية (تقع عتبة تشوّه البروتين عند 45 درجة مئوية). ولم يعد صوت من الأصوات أيضاً، أو نور، ممكناً تحمّله إذا تجاوز شدّة معيّنة. فيبدو إذن أن الألم الجسمي يولد من آفة أو يولد عندما يكون محتملاً أن تحدث هذه الآفة على نحو وشيك الوقوع. فالرسالة المؤلمة تعبّر عن سمة طبيعية ومؤذية للإثارة. ونقلها، يلاحظ رونه لوريش (روان، 1879- كاسّي، 1955)، يتمّ بالدروب الطبيعية للحساسية، ومن غير المجدي أن

نصادر على وجود جملة تشريحية خاصة بالألم. وهذا الرأي لايشارك فيه كل علماء علم النفس الفيزيولوجي. فمنذ بداية الثلاثينات من هذا القرن، كان بعض المؤلفين، مثل إي. زوتيّرمان وهنري بيرون (1881-1964) يسلّمون أن ثمة أليافاً عصبية تنقل الإحساسات المؤلمة (سمّاها رونه كولان «حاملة الألم»). ولكن نتائج البحوث كانت، هنا أيضاً، متناقضة خلال زمن طويل. ومثال ذلك أن و. هـ. سويت بيّن عام (1950) أن الإثارة الكهربائية للحزمة الشوكية المهادية الجانبية، المؤلفة من 60 بالمئة من الألياف الدقيقة من 2 ميكرون أو أقلّ، التي من المفروض أنها تؤمّن نقل الرسائل المؤلمة، كانت تظهر، وفق شدة التنبيه، إحساسات برودة، حرارة أو ألم. وبرهنت السيدة ويت (1963)، من جانبها، بالتجريب على هرّ، أن ليف C غير النخاعي (المتخصّص من الناحية النظرية بنقل الألم) كان يرتكس أيضاً على تنبيهات، الحرارة والبرودة والضغط. ولكن أعمالاً أحدث (أ. فاليبو (و)ر. د. هالان؛ جـ. فان هيس (و) جـ. جيبلز) بيّنت لدى الإنسان أن ألياف C وحدها كانت تنقل جيداً الإحساسات المؤلمة. ولايبدو، على مستوى القشرة الدماغية، أن هناك منطقة إسقاطات ألم نوعية. وبيّن ويلسمان (1969) لدى حيوان (هرّ يحمل ستة وثلاثين مسرى كهربائياً دقيقاً مزروعة في القشرة الدماغية) أن تنبيهاً مؤلماً للناب كان يحدّد فروقاً في الطاقة يمكن تسجيلها، دالّة على وصول الرسالة الحسّية إلى القشرة الدماغية، في كلية رداء القشرة الدماغية، وذلك أمر لايحدث في حال منبّه نوعي-صوت، على سبيل المثال، يتحدّد استقباله في منطقة معيّنة من الإسقاط. وتفرز العضوية، لتحمي نفسها من الألم، مسكّناتها الخاصة: المورفين العضوي (انظر بند «المورفين العضوي» في هذا المعجم).

ويندرج الألم في عدة مستويات من الجملة العصبية المركزية: مستوى النخاع الشوكي، (نظرية **بوّابة المراقبة** لـ ر. ميلزاك و ب. د. واب، 1965، إذ يستخدمان فَرَض «باب نخاعي اصطفائي»)، ثم على مستوى الدماغ المتوسط. وهذا التكوّن، المؤلف من الفصوص البصرية والحدبات المربّعة التوائم، يشكّل الجملة الأولى للتيقّظ، جملة وسيطها الكيميائي هو الأدرينالين بصورة أساسية. إن الدماغ

المتوسط يشرع في عمله الوظائفي بكثافة، منذ أن يصل إليه الإعلام المؤلم، إذ ينذر الجملة العصبية كلها ويجنّد الارتكاسات الدفاعية للعضوية (ارتكاسات غدّية عصبية وعصبية إنباتية)؛ وينقل الرسالة في الوقت نفسه إلى المستويات العليا من التيقّظ (الحسّاسة على وجه الخصوص للأسيتيلكولين والسيروتونين)؛ وهذه المستويات العليا هي: الدماغ الأنفي (المؤلف من الفصوص الكمّثرية الشكل، وقرن أمون، واللوزة)، والمهاد، حيث تلتقي كل الحساسيات، والقشرة الدماغية. فالألم، الذي أصبح شعورياً، يمكن أن تُحدّد هويته عندئذ، وفق طبيعته، ومصدره، وشدّته، ومدّته، وبوسع الفرد أن يكون له مسلك متكيّف ليوقف الإثارة المؤلمة. وعندما لاتكون الإثارة كبيرة جداً، يكفي الانسحاب والتجنّب ليضمنا للفرد ألا تصيبه أضرار أكثر خطورة. ولكن قد يحدث أن يكون ذلك متعذراً والعذاب يصبح غير ممكن تحمّله؛ فالسلوك، في الحالات القصوى، يُصاب بالخَلَل (الذعر)، والشخصية برمّتها هي المصابة. ومن الممكن مع ذلك مراقبة الألم، جراء اندماجه بالمستويات العليا من التيقّظ. والواقع أن القشرة الدماغية تمارس رقابة بالمقابل على الإعلام المؤلم. ووجود هذه الرقابة الصادرة، التي كان ك. إ. هاغبارس (و) ف. و. كير (1954) قد برهنا عليها للمرة الأولى، يتحقّق على نحو أساسي بواسطة الدرب الهرمي (إ. فيتز) ويتحقّق على وجه الاحتمال أيضاً بدروب أخرى غير مباشرة (شبكي - شوكي).

ولكل ألم جانبان: جسمي ونفسي؛ إنه في آن واحد ارتكاس فيزيولوجي وحادث شعوري. ويتّخذ الألم، بوصفه إحساساً مركّباً، تلوينه الوجداني بدءاً من وضع مدرك بصورة ذاتية، تبعاً للعلاقة التي يقيمها الفرد معه ومع معيشه الشخصي، وتجاربه الماضية أيضاً. فالألم إذن استجابة سلوكية لوضع مثقل بالدلالة أكثر مما هو ارتكاس نوعي على منبّه يصعب تحمّله. وهذا مايشرح على وجه الاحتمال تلك التغيّرات الفردية الكبيرة في الارتكاس على الألم. فمن المعلوم أن بعض الأشخاص ذوي حساسية مفرطة (للأفراد المتعبين أو القلقين قابلية كبيرة للارتكاس على الألم، في حين أن بعضهم الآخر يتحمّلون المحن الأكثر ألماً بجَلَد، هادئي الأعصاب. ولنذكر، على سبيل المثال، هنود السهول الذين يتعلّمون احتقار

الألم، أو الذين يمارسون اليوغا من زهّاد الهنود، المستغرقين في التأمّل). وبيّن علماء النفس أيضاً أن الألم يتحمّله الفرد عندما يكون بين جماعة أفضل من تحمّله عندما يكون وحيداً. ويتدرّب المرء على مراقبة الألم كما في حالة «الولادة دون ألم»، بل من الممكن أن يمنح الإحساس المؤلم انطباعاً وجدانياً عاماً مستساغاً، كما برهن على ذلك إ. بافلوف (1849 ـ 1936). فبافلوف، الذي استخدم الألم منبّها شرطياً لدى كلب، عوّد الحيوان على أن يتلقّى غذاءه بعد أن يجعله يعاني حرقاً شديداً في ذنبه. وكان الكلب يرتكس على الألم، عندما استقرّ الإشراط، إذ يُظهر كل علامات الرضى. وثمة مع ذلك حالات من الألم المديد الذي لايُقهر (آلام عصبية جبهية لمثلث التوائم، وآلام المهاد) تسبّب الأرق وانهيار المقاومات النفسية وتقود إلى اليأس، بل إلى الانتحار. ويستخدم علاج الألم طرائق تمضي من استعمال المسكّنات، والمنوّمات، والمهدّئات العصبية، إلى التنبيه الكهربائي للنخاع الشوكي (تطبيق نظرية ميلزاك ووال)؛ ولجأ العلاج أيضاً إلى التنويم المغناطيسي والبذل والجراحة. ولكن الجراحة خطرة إلى الحدّ الأقصى، وغير نادر أن يرى المرء ظهور آلام جديدة حيث كان على التدخّل الجراحي أن يلغي الآلام القديمة؛ ولهذا السبب، فإنه وقف على الحالات الميؤوس منها، على الآلام السرطانية، على سبيل المثال، التي تعالج بقطع الحبل (عملية تتألف من قطع جراحي للحزمات الشوكية، الوحيدة الجانب أو الثنائية الجانب، تُمارس على مستوى النخاع الشوكي). وستكون أعمال عديدة ضرورية أيضاً قبل أن نحيط بمسألة آليات الألم. وتأسّست في بعض البلدان، كالولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانية العظمى، وكندة، واليابان، مراكز متعدّدة الاختصاصات، لتنسيق البحوث، حيث تتضافر جهود الاختصاصيين في علم النفس الصيدلاني، وعلم النفس الفيزيولوجي، وعلم النفس العصبي، وعلم النفس التشريحي، واختصاصات أخرى، كيما نفهم على نحو أفضل هذه الظاهرة ونتوصّل إلى تسكين ألم الناس. (انظر في هذا المعجم: **العضو الحسّاس للألم، العضو الشبح، الوسيط الكيميائي، السوداوية، العذاب**).

N.S.

الألم النفسي

F: Psychalgie

En: Psychalgia

D: Psychalgie

ألم يخمّن المرء أن منشأه نفسي، ذلك أنه لايمكنه أن يتعرّف له على سبب عضوي أو عصبي فيزيولوجي.

يعتبره المرء على الأغلب ظاهرة تحوّل هستيري، ولكن المسألة في كثير من الحالات مسألة عَرَض بالحري يعبّر عن اكتئاب مقنّع، إن لم يكن حالة سوداوية. وتصيب الآلام النفسية على الغالب رأس الإنسان والمنطقة الواقعة أمام القلب، ولكنها ليست دائماً متموضعة في منطقة محدّدة من الجسم، ويمكنها أن تنتقل وأن تتغيّر شدتها. وتختفي هذه الآلام «المتخيّلة» على الأغلب (التي تجعل الفرد يتألم مع ذلك) عندما يظهر تناذر عضوي مؤلم، ذلك أن هذا التناذر يُستخدم موضوع تثبيت لقلق المريض. (انظر في هذا المعجم: **الألم**).

M.S.

آلية الدفاع

F: Mécanisme de défence

En: Defence mechanism

D: Abwehrmechanismus

آلية سيكولوجية لاشعورية يستخدمها الفرد لإضعاف الحصر الناجم عن نزاعات داخلية بين المقتضيات الغريزية والقوانين الأخلاقية والاجتماعية.

تستخدم **الأنا**، لتكافح الدوافع، آليات دفاع تؤمّن لها الحماية. فثمة، في رأي فونيكل (1897-1946)، ضربان من الدفاعات: الدفاعات التي تنجح (**التصعيد** على سبيل المثال، الذي يغيّر موضوع الدافع ويحوله نحو هدف غير جنسي)، والدفاعات التي تخفق. وهذه الدفاعات الأخيرة تثير المرض لأنها تجنّد كثيراً من الطاقة العصبية وتقتضي باستمرار أن تُصان لقاء جهد كبير. وهناك العديد من آليات دفاع الأنا. وبوسعنا أن نذكر منها، بناءً على ماذكرته أنّا فرويد (1895-1982): الإلغاء الارتجاعي، التكوين الارتكاسي، الاجتياف (الاستدماج)، العزل، الإسقاط، الكبت، النكوص، التحوّل (الانقلاب) إلى الضدّ، الارتداد على الذات، التصعيد. ولكن كثيراً من آليات الدفاع الأخرى يمكنها أن توصف: التكوين الإنابي، المخيّلة، الانزياح، التحوّل، التعويض، نفي الواقع، التوحّد بالمعتدي، التقشّف (الزهد)، الفكرنة، انكماش الأنا، العقلنة، إلخ. (انظر في هذا المعجم: **الحصر**، **النظرية العامة الحيوية للعلامات**، **الهو**، **النزاع النفسي**، **الأنا**، **الأنا العليا**).

M.S.

الأم

F: Mère

En: Mother

D: Mutter

المرأة التي وضعت طفلاً أو عدة أطفال.

دور الأم كان دائماً موضع اعتراف في المجتمعات كلّها بوصفه دوراً أساسياً. ويتنوّع تصوّره مع ذلك تنوّعاً كبيراً مع العصور، والحضارات والشعوب. وعلى هذا النحو لم ينبعث مفهوم الحب الأموي، كما نتصوره نحن، إلا في القرن الثامن عشر. فبعد أن كانت موضع تمجيد في القرن التالي، كانت الأم معروضة في جو أكثر قتامة بكثير، عرضها عدة مؤلفين، كفرانسوا مورياك **(الولادة)**، وهرْفه بازان (**الأفعى السامة الجاهزة للانقضاض**)، أو جان بول سارتر (**عصر العقل**). وساهم التحليل النفسي في فضح الأوهام، إذ أوضح النرجسية والعدوانية في تصرّف الأم إلى جانب الإيثار والتضحية، نرجسية وعدوانية ليست المبالغة في حماية الطفل على الغالب إلا قناعهما القلِق. والحقيقة أن من الصعوبة على المرأة في العالم الحديث أن توفّق بين الأدوار التالية: دور الزوجة، ودور العاملة والمواطنة، ودور الاهتمام بمنزلها وتربية أطفالها، باحثة في الوقت نفسه عن تحقيق إمكانات أخرى وأن يكون لها تأثير في العالم مماثل لتأثير الرجل. فقدوم طفل يرغم المرأة على أن تختار، ويشقّ على بعض النساء أن يتخلّين عن الفاعليات الثقافية أو الاجتماعية التي تهمهن جداً.

والعلاقة بالأم علاقة جوهرية بالنسبة للطفل؛ وبفضل هذه الصلة إنما يمكنه أن ينمو جسمياً ويصوغ طبعه ويسوّي شخصيته. والواقع أن الوليد عاجز عن الاستمرار في الحياة بوسائله الخاصّة؛ إنه تابع بصورة كلية للذين يحيطون به، وبأمه في المستوى الأول (أو بديلها). وإذ يعيش في حالة من الاتحاد الوثيق بهذه الأم، التي لايتمايز منها إلا فيما بعد، فإنه يتواصل معها بمنظومة من الإشارات لاتظهر للمشاهد؛ ويدرك بكل وجوده الرسائل الصادرة عن أمه، حتى تلك التي لاتشعر بها، ولاسيّما تلك التي تكون ذات علاقة بتغيّراتها الانفعالية. ولايتخلّى هذا التواصل البدئي عن مكانه، إلا بعد بضعة شهور، إلى منظومة أكثر عقلانية تحتلّ اللغة فيها مكاناً يتعاظم رجحانه. وتعرف الأم أيضاً، من جهتها، حالة من الحساسية الخاصة التي تنمو في الأشهر الثلاثة الأخيرة من حملها وتستمرّ خلال بعض الأسابيع بعد الولادة. إنها تجد على هذا النحو مجدّداً في العلاقة بطفلها شكل التواصل التي كانت قد عرفته بأمها الخاصّة وفقدت حتى ذكراه. ففي ضرب من الذاكرة الكامنة إذن إنما يمكنها أن تفهم حاجات رضيعها والاستجابات لإشباعها. ولم يعد يوجد، في هذا المستوى من العلاقة، موجودان متمايزان، بل **اثنينية** الأم-الطفل التي لها حالها من العمل الوظائفي النفسي الوجداني. وليست هذه الحالة شبه الانصهارية دائمة، ذلك أن الرضيع يبدأ بسرعة في أن يتمايز عن أمه، وأمه، التي تستعيدها فاعلياتها المألوفة، تستجيب لرغباته استجابة ليست كاملة؛ وعليها أن تنتظر إشارة، صراخاً على وجه العموم، لتظهر له. فالإحباطات الأولى تفرضها الأم على طفلها على هذا النحو، ولكنها إحباطات ضرورية له، ذلك أنه إنما يتوصّل بهذا الشكل إلى أن يميّزها من نفسه وأن يتصوّرها، في نهاية المطاف، بوصفها شخصاً مستقلاً. وستكون عواطفه تجاه أمه، ملتبسة، مجبولة بالحب، عندما تُشبع رغباته، والخشية جرّاء الإحباطات والضغوطات التي تفرضها عليه. وبوسعنا أن نرى مفعول هذه الثنائية المشاعر الأصلية في بعض التصورات الجماعية لصورة الأم: فالأم، المؤلّهة في العالم الإغريقي الروماني بسمات سيبيل(*)،

(*) سيبيل (Cybèle): إلهة الخصوبة في آسيا الوسطى. انتشرت عبادتها (القرن الثالث ق. م) في العالم الإغريقي الروماني وأفسحت المجال لحفلات العربدة «م».

وموضوع عبادة في شخص مريم لدى الكاثوليك، مرموز إليها أيضاً في القصص الشعبية على صورة سعلاء وساحرة.

وتوجّه الأم نمو طفلها وفق شخصيته واهتماماته الخاصة، إذ تثمّن جانباً معيّناً من تصرّفه وتهمل الجوانب الأخرى. وإذ تستقبل باستحسان بعض السلوكات وتستجيب لها استجابة فاعلة، فإنها تعززّها، في حين أن تلك التي لاتثير لديها أي ارتكاس خاص يهملها الطفل سريعاً.

وليست علاقة الأم الطفل علاقة سعيدة دائماً **وبعض الاضطرابات الجسمية** يمكنها أن تكون أعراض تشوّه في هذه الصلة. فقد بيّن عالم النفس الأمريكي رونه أ. سبيتز (1887-1974) أن ثمة ارتباطاً بين بعض السلوكات لدى الأمهات وبعض الآفات لدى الأطفال الرضّع. مثال ذلك أن المغص لدى الرضيع يُلاحظ لدى أفراد ذوي إفراط في التوتر أمهاتهم قلقات، يستجبن استجابة منتظمة لصراخهم إذ يرضعنهم. ولكن الوقر الغذائي يثير ضرباً من تهيّج الأمعاء، ولذلك عاقبة مفادها ازدياد البكاء. وهذا الشكل من المغص يتوقّف عادة، توقّفاً تلقائياً نحو الشهر الثالث من العمر عندما تتّسع تشكيلة الفعاليات لدى الطفل ولأن الأم أيضاً تنتهي ولا ريب إلى أن تميّز دلالة صراخه. وينبغي لأكزيما الرضيع أن تكون ذات علاقة أيضاً بتصرّف قلق، يختبىء خلفه بعض من العداوة: وإذا كان لدى الرضيع حساسيّة جلدية أكثر شدّة من المعتاد، فإنه يرتكس بضرب من المرض الجلدي على الإشارات الملتبسة الصادرة عن الأم. فسلوك هؤلاء الأمهات ينتقل من التدليل المفرط إلى رفض لمس الطفل، بحجة أنه سريع العطب وأنهن يخشين أن يجرحنه. ويعبّر مثل هذا الاتجاه، على الغالب، عن نبذ ضارّ دائماً بالنسبة للطفل. وعندما يكون هذا النبذ كلياً، منذ الحمل أو الولادة، لايستمرّ الطفل في الحياة، إلا إذا ناب أحدهم مناب الأم. فنبذ الطفل غير ظاهر دائماً، ولا حتى شعوري، ولكن الطفل، نفسه، لاينخدع، بذلك، وعلى هذا الاتجاه إنما يرتكس، على سبيل المثال، باضطرابات في التغذية كفقدان الشهية. (انظر في هذا المعجم: **القصور العاطفي، الأسرة، السمة الإدراكية، الميل الأمومي، الأب**).

M.C.

حاول بعض المؤلفين أن يوضّحوا وجود سمات طبع خاصة لدى أمهات الفصاميين. وبحسب دراسة أجراها إرجو ألانين (1968)، 12 بالمئة منهن كنّ ذهنيات على نحو ظاهر، 11 بالمائة منهن يظهرن أنهن في **الحالة الحدّية** من المرض، لهن حال من التفكير غير الواقعي وأنا ضعيفة؛ وغالبيتهن (40 بالمئة) كن يعانين ضرباً خطيراً من عصاب الطبع مع غلبة السمات نظيرة الفصامية. فهذا «الطبع الذهاني» (أ. غرين)، ذو المراقبة الجيّدة في العلاقات الاجتماعية، كان يظهر ظهوراً انتقائياً في العلاقات الثنائية. و 21 بالمائة منهن كنّ يبدين حالات عصابية وفقراً انفعالياً. وثمة أخيراً 16 بالمائة منهن فقط يظهرن سليمات من الاضطرابات العقلية. ويبدو أن شخصية هؤلاء الأمهات تنتظّم حول قطبين متناقضين: فلهن، من جهة، سلوك شاذّ، قليل التكيّف مع الواقعي، مع حياة الجماعة، من النموذج نظير الفصامي؛ إنهن يعانين انعدام الأمن والقلق؛ حياتهن الانفعالية فقيرة وباردة؛ وهنّ سلبيات ومتباعدات. وهنّ، من جهة ثانية، مسيطرات مع الأشخاص الذين يحيطون بهن، بل عدوانيات، محبّات للخصام ولديهن نزعة التدخّل. وعندما يُسألن عن ماضيهن، يمنحن الشعور بأنهن كنّ محبطات بقسوة في طفولتهن، وعانين نقصاً في الدعم الأسري وغياب نمط أبوي كان بوسعهن أن يتوحدن به. ولم يتح لهن زواجهن أن يتفتّحن كما كنّ يأملن؛ وجنسية الثنائي متقلّصة وفقيرة. وعلى الرغم من ضرب عميق من فقدان الانسجام، فإنهن لاينظرن مع ذلك في تغيير حياتهن (تُلاحظ نُدرة ذات دلالة من حالات الطلاق). ولا يستبعد سوء التفاهم الزوجي تبعية زوج للزوج الآخر، بل لايستبعد «استراتيجية» يحتلّ فيها الطفل مكاناً رئيساً. وهن، أخيراً، يعرضن زواجهن، من الخارج، في جو من الإطراء، أنه ذو انسجام كبير.

ويبيّن ديفيد ليفي، في أعماله من عام 1938 إلى 1942، كيف أن هؤلاء الأمهات يحمين طفلهن حماية يبالغن فيها. وعلاقتهن القوية بهذا الطفل، المجبولة بحضور دائم قربه، بعناية لاتنقطع، بأخطاء تربوية كالخطأ الكامن في مشاركته الفراش حتى المراهقة، لايمكنها إلا أن تكون مثيرة للمرض. فهؤلاء الأمهات يعقن

كل سلوك مستقلّ؛ إنهن يتدخّلن تدخلاً فاعلاً في علاقات الطفل مع رفاقه ويقلّصنها، إذ يساهمن على هذا النحو في إفقار اتصالاته الاجتماعية.

ودرس جـ. كاسّانان، إ. نايت، ب. ساج (1934)، من جهتهم، ظاهرة شبيهة: تسويغ الحماية المفرطة التي تفرضها الأم على طفلها. فالباعث الذريعة هو سرعة العطب الجسمية للطفل وحاجته إلى الحماية. ويترتّب على ذلك أن كل محاولاته في الاستقلال تُصاب بالإحباط، وتصبح الأم ضامن الأمن في حقل تحدّده، هي. ويجد س. ريشارد و ك. تيلمان (1950)، إذ انطلقا من لوازم ضروب من العلاج النفسي للأطفال، تلك الحماية المغالية نفسها، ولكنهما يكتشفان النبذ خلف هذا «التكوين الارتكاسي المحتمل ضد العداوة». وهذا النبذ، في بعض الحالات، ظاهر (**نبذ الأمهات صراحة**): الأمهات قاسيات، تنقصهن الحرارة، عدائيات بصراحة في بعض الأحيان، بل ساديات. والنبذ، على وجه العموم، مقنّع (**نبذ الأمهات على نحو مقنّع**) ويحتجب خلف سلوك ودّي في الظاهر. وفي رأي ت. تريتز (1949) أن شخصية الأم ليست هي التي توضع موضع الاتهام في الذهان بقدر ماهو نمط علاقتها بالطفل والأسرة. ويشرح جون باولنبي (1951) أن الحصر يولد لدى الموجود الإنسان عندما لايلاقي اندفاع دافعي استجابة مرْضية لدى الآخر. وهذا الاندفاع يتوجّه صوب الأم في عمر مبكّر، وغياب الاستجابة أمر محيّر إلى الحدّ الأقصى. وإذا كان فكّ شيفرة الرسالة أمراً صعباً، وإذا كانت ابتسامة الأم متشنّجة على سبيل المثال، فإن طلب الطفل لن يكون إلا أقوى وثنائي المشاعر. ويرى إرجو ألانين (1958) في الحماية الأمومية المفرطة عدوانية مقنّاة في آليات وسواسية، وفي صلة «الحب الشرطي» تسوية بالنسبة للأم بين عدوانيتها وحاجتها إلى التملك. وتمكّن إرجو من أن يقيم ارتباطاً بين قرب الاتصال الأمومي والظهور المبكّر للذهان، بين جنس الطفل واتجاه الأم، الذي يبدو عدائياً بصورة أكثر من المعتاد مع فتاة، وأكثر حبّاً للتملك مع صبيّ (انظر في هذا المعجم: **الصلة المزدوجة**، **جماعة بالو ألتو**، **الفصام**).

J.F.B.

F: Représentation **الامتثال**

En: Idea, Presentation

D: Vorstellung

عمل مفاده أن يجعل واقعاً ماثلاً أمام الفكر.

ليس الامتثال مجرد صورة للواقع، إنه ضرب من البناء تبنيه فاعليتنا الفكرية. ويميّز برونر (1966) ثلاثة مصادر للامتثال: الاتصال بالشيء (الامتثال الفاعل)؛ الصورة التي لدينا لهذا الشيء (الامتثال بالصورة)؛ اللغة والرموز (امتثال رمزي). وللامتثال الفاعل شأن ضعيف نسبياً، ذلك أننا نعرف الأشخاص والأحداث والأشياء، على الأغلب، من خلال الكتب، والصحافة، والإذاعة، والتلفزيون، والسينما، والشائعة، أكثر مما نعرفها بالاتصال المباشر. أضف إلى ذلك أن الامتثالات بالصورة والامتثالات الرمزية كثيفة الحضور جداً، ذلك أن عدداً كبيراً من الأشخاص يشاركون فيها (تعزيز متبادل). ويؤدي الامتثال وظيفة أساسية: إنه يضبط تصرّف الفرد. وقابلية امتثال الأشياء تُكتسب نحو الشهر العشرين (جان بياجه)؛ ويبدو مع ذلك أن هذا القابلية تكون مبكّرة على المستوى الوجداني. (انظر في هذا المعجم: **الإيديولوجيا، الصورة، الإدراك**).

N.S.

F: Iatrogénie **الأمراض الطبية المنشأ (إياتروجينيا)**

En: Iatrogeny, Iatrogenecity

D: Iatrogenie

الاشتقاق: من اليوناني iatros أي «طبيب»، و genesis أي «منشأ».

مفهوم يشمل، في معناه الأوسع، كل الأعمال المثيرة للمرض، التي لايمارسها الأطباء، بما فيهم الشفاة من كل ضرب، على المرضى فحسب، ولكن على الأشخاص السليمين أيضاً.

يتدخّل طبع الأطباء في الأسلوب الذي يقيمون به العلاقات مع مرضاهم (وينشأ من ذلك كثير من الاضطرابات السيكولوجية أو ضروب الخلل النفسية الجسمية لدى المرضى). فبعضهم ينقل التشخيص بسرعة، والآخرون يميلون إلى التشاؤم، إلى العدمية العلاجية أو إلى ارتكاب الأخطاء؛ وبعض الأطباء، غير الواثقين من أنفسهم والمتردّدين، يوقظون الشك لدى المريض؛ والأطباء المخوّفون يثيرون الذعر لدى مرضاهم ولدى الذي يحيطون بهم، إلخ. فعلى الطبيب إذن أن يسعى جهده لمعرفة نفسه وأن يتجنّب الاتجاهات الضارّة، ذات المنشأ الطبي، في ممارسة فنّه. وليس ثمة على وجه الاحتمال طبيب واحد لم يرتكب أخطاء تجاه مرضاه (أخطاء تشخيص، أخطاء علاجية لامسوّغ لها، انذارات مرضية خاطئة، إلخ) ولكننا لايمكننا أن نأخذ عليهم مأخذاً مادام فنهم صعباً. ونقول عن طبيب ممارس إنه يثير الاضطرابات والأمراض ذات المنشأ الطبي عندما يكون أسلوب تصرفه ضاراً. والجشع محرك قوي للاضطراب والأمراض ذات المنشأ الطبي. إنه

(الجشع) خاصة كل المشعوذين على وجه التقريب- الشفاة المزعومين، ولكن عدد الأطباء الذين استلهموا نموذجهم، ولايزالون يستلهمونه، عدد لايُستهان به.
والأضرار ذات المنشأ الطبي يسبّبها أيضاً غير المهنيين الذي يؤدّون دور الطبيب: إنهم يشخصّون، ويصفون علاجات، ويُصدرون إنذارات مرضية. والأعمال الضارة على وجه الخصوص هي أعمال الوالدين المثيرة للمرض- وبخاصة أعمال الأم التي تكتشف، في حالات من التوعّك غير المهمة، تلك الأمراض الأكثر خطراً لدى أطفالها وتنقل إلى هؤلاء قلقها. والأمراض ذات المنشأ الطبي، كما الأشكال الأخرى من الأمراض السيكولوجية المنشأ من جهة أخرى، ناجمة عن التأثير المتبادل بين عوامل الوسط وشخصية المرضى. والأكثر عرضة تنقصهم الثقة بنفسهم، مصابون بالهلع، قلقون على العمل الوظائفي لأعضائهم، قابلون للإيحاء، يتمتّعون بخيال قوي، فيكتشفون لديهم أمراضاً لاوجود لها في حالة بذل جهود لبعض وظائفهم الجسمية (ضربات القلب، صعوبات تنفّس ناشئة عن الركض، توعكّات هضمية ناجمة عن أخطاء غذائية، إلخ) أو عندما يبلغهم خبر عن وجود أمراض مميتة لدى أشخاص من معارفهم، أو، أخيراً، عندما يقرأون أو يسمعون محاضرات طبية تُفسَّر تفسيراً سيئاً. ومثل هؤلاء الأفراد يؤدّون دور الطبيب لأنفسهم إذ يعزون لأنفسهم أمراضاً متخيّلة. ولكن السبب الحاسم في الأمراض الطبية المنشأ، في أغلب الحالات، هو الطبيب (أو الشافي المزعوم) نفسه.
والقدرة على إثارة الأمراض الطبية المنشأ تسبّب الأمراض الأكثر تنّوعاً، ولكن المسألة في الأغلب تكمن في ارتكاسات مرضية للشخصية: عصاب الحصر (رهاب المرض، تهديد بالنسبة للقيمة الاجتماعية)، هستيريا، سوداوية ارتكاسية، بارانويا، توهّم المرض، إلخ. والنتيجة هي الشفاء على الأغلب. وليس من النادر مع ذلك أن تدوم الآلام أشهراً بل سنوات، يفاقمها عجز عن العمل كليٌّ أو جزئي.
وثمة حالات ذات منشأ طبي تُلاحظ لدى الناس الأكثر ثقافة وليس لدى الناس البدائيين فقط. (انظر في هذا المعجم: **العلاج النفسي المحرّر**).

N.S C.

الأمن

F: Sécurité

En: Security

D: Sicherheit

راحة بال ذهنية ناشئة من اليقين أن المرء لايتعرّض لأي خطر.

الأمن ضروري؛ بل إنه شرط العمل الخصب. فدليل الجبل لايشرع في نزهة دون أن يكون على علم بالشروط الجدية ،ودون أن يتحقّق من تجهيزاته. ويمنح تقويم دقيق للصعوبات ووسائل التغلّب عليها نفس المرء ثقة كبرى ويزيد حظوظ نجاح المشروع. فالشجاعة والجرأة لاتستبعدان الأمن، والإنسان يمكنه أن يحبّ المجازفة دون أن يتعرّض للخطر دون جدوى. وتقود الأفراد كثيراً شروطُ الرفاهية، شروطها الراهنة، وتكاثر شركات التأمين (ضد المرض، والحوادث، والسرقة، والحريق، والكوارث الطبيعية. . .)، و«العاطفة الناجمة عنها غالباً ذات حماية خانقة في حالة لاتاريخ لها» (ميشيل بويّه)، إلى أن يتورّطوا في فاعليات محفوفة بالخطر. وذلك أمر واضح للعيان لدى الشباب الذين ينتشون بالسرعة على الطرق ويقصّون فيما بعد كيف تدبّروا أمر منعطف متقارب على نحو خاص. والسبب أن جرعة معيّنة من اللاأمن ضرورية ليشعر الإنسان أنه موجود.

N.S.

أمن الطرق

F: Sécurité routière

En: Road trafic Safety

D: Strassenverkehrssicherheit

علاقة بين الأضرار التي تسبّبها حوادث السير ومعطيات أخرى كالمسافة المقطوعة، عدد المركبات أو السكان.

مجموعة الفاعليات التي تنشد تقليص عدد هذه الحوادث وخطورتها (إذن زيادة الأمن على الطرق) يُسمّى **الوقاية الطرقية** أيضاً. ولجزء كبير من هذه الفاعليات هدف مفاده تحسين السلوك لدى مستعملي هذه الطرق. فهي إذن فاعليات من ميدان علم النفس التطبيقي. وبحوث علم النفس في هذا المجال يمكنها أن تُصنَّف في عدة فئات، تبعاً للتطبيقات المأخوذة بالحسبان: انتقاء السائقين، تعلّم السياقة، مراقبة المرور، تكييف المركبات وشبكات الطرق مع القدرات الإنسانية.

انتقاء السائقين هو ولاريب التطبيق الذي أفسح المجال للأعمال الأقدم والأكثر عدداً. وساد الاعتقاد، خلال زمن طويل، أن بالإمكان تحديد استعداد مسبق للحوادث ينطوي على بعض من الدوام ويمكنه أن يُقاس ببطاريات من الروائز. والواقع أن الخصائص الإنسانية التي هي عوامل الحوادث مختلفة جداً وضعيفة الثبات، والارتباطات الحاصلة بين نتائج الروائز وتواتر الحوادث هي أيضاً ضعيفة جداً وإمكان استخدامها ضعيف، إلا إذا كان الأمر ذا علاقة باصطفاء سائق محدّد جيداً لوظيفة وأن جماعة طالبي الوظيفة متجانسة (وتلك هي الحال في بعض

الأحيان بالنسبة لاصطفاء سائقين مهنيين). وبالمقابل، ثمة اختبارات سيكولوجية يمكنها أن تساعد في التشخيص عندما يظهر شخص من الأشخاص عدم تكيّفه مع السياقة. والخصائص الوحيدة لدى السائقين التي تتغيّر على نحو مؤكّد مع تواتر الحوادث هي استهلاك الكحول، العمر، وكذلك نوعية التكوين ومستواه.

إن نسبة الكحول في الدم (وزن الكحول الصافي بالغرام الذي يحتويه ليتر من الدم) التي تبلغ 0,80 تضاعف احتمال الحادث الجسمي بمقدار 3,3، واحتمال الحادث المميت بمقدار 4,4؛ ونسبة 1,20 تضاعف الاحتمالين نفسيهما بمقدار 6,1 و9,3 على التوالي؛ والنسبتان أمران كان البرهان عليهما قد تمّ. فالتسمّم الكحولي يؤثّر معاً في القدرات الإدراكية الحركية وقبول المجازفات.

ويرتكب السائقون من عمر أقل من خمس وعشرين سنة وأكثر من خمس وستين نحو ضعفي عدد الحوادث التي يرتكبها السائقون من عمر يقع بين هذين العمرين؛ والتواتر المرتفع للحوادث لدى الأكثر عمراً يشرحه ضرب من النقص في قدراتهم؛ والتواتر الذي نلاحظه لدى الأصغر عمراً (وله انعكاس ثقيل على عدد الحوادث الكلي) يرتبط دون شك بتكوين غير كاف ارتباطاً جزئياً.

وثمة دراسات كانت قد أجريت على **تكوين السائقين** الذي لايزال باقياً ذا علاقة قوية بالخبرة. وكانت طرائق بيداغوجية (تدرّج، ووسائل سمعية بصرية، تعليم مبرمج) قد ارتُضيت. وكان فحص الحصول على شهادة السياقة قد جُدّد تجديداً عميقاً باختبار بصري أعدّه بعض علماء النفس. وكان إعلام مستعملي الطرق بوسائل الانتشار الواسع (تلفاز، إذاعة، صحافة) قد تحسّن كلما استند إلى معرفة موضوعية بشروط نجوعه.

وتبقى **مراقبة المرور** على الأغلب أيضاً قمعية على نحو صرف؛ وتقترح مع ذلك طرائق أكثر تكيّفاً، طرائق لم يعد تعتبر أخطاء مستعملي الطرق مجرّد شكل من أشكال الجنوح. ومن الممكن أيضاً إنقاص تواتر هذه الأخطاء وخطورتها، إذ تتعدّل الطرق والمركبات على نحو يكون مأخوذاً بالحسبان جيداً قدرات الإنسان.

وذلك إنما هو مجال من مجالات **علم العمل وقوانينه** . ويُبحث عن الاحتفاظ بمستوى أمثل ليقظة السائقين بعد أن بُحثت العوامل التي تؤثر في هذه اليقظة .

وانعكاس النتائج التي حصل عليها علماء النفس الذين يكرّسون أنفسهم لأمن الطرق يتّضح اتضاحاً متزايداً . وتظلّ مع ذلك أيضاً أشياء كثيرة تتطلّب الإنجاز لتقليص خطورة الحوادث التي سبّبت، في فرنسة عام 1981 ,428 12 قتيلاً و334289 جريحاً .

M.R.

F: Sécurité dans le Travail الأمن في العمل

الأمن شاغل من الشواغل الرئيسة في عالم العمل. وتدرس مصالح الوقاية أجهزة العمل وتعدّ قواعد هدفها تجنّب الاختلالات في العمل الوظائفي التي تنتهي على وجه العموم إلى حوادث وتعرّض الإنتاج إلى الأذى. ونميّز بصورة كلاسيكية جزأين أساسيين في تنظيم صناعي: 1- وظيفة الإنتاج التي تنشد أن تغذّي سيرورة الصناعة تغذية مستمرّة، بغية صيانة التوازن العام؛ 2- وظيفة الوقاية التي تنزع إلى أن تتجنّب ضروب الخلل في سيرورة الإنتاج. وتنشد الإجراءات المتّخذة لضمان الأمن في العمل أن تقلّل نصيب المصادفة في الحوادث، ولكن احتمال ظهور حوادث من هذا النوع يبدو للعمال أنه من الضعف بحيث أن هؤلاء يعتمدون في الأغلب على الحظّ حتى لايكونوا ضحاياها.

وتبدو وظيفتا الإنتاج والوقاية للوهلة الأولى أن كلاً منهما غريبة عن الأخرى كلياً. فثمة مع ذلك حالات من التطابق الكامل بين الفاعليات التي تقابل كلاً منهما: مثال ذلك الأداة أو الحركة الأكثر نجوعاً (والأكثر اقتصاداً) وربما تكون أيضاً الأقلّ خطراً. ولنذكر القفّازات الممغنطة المستخدمة للتعامل مع الصفائح المعدنية: إنها تحمي أيدي العمال وتيّسر مسك الصفيحة.

ويظهر البحث عن الأمن غالباً بانطواء الفرد على ذاته، الذي يأمل على هذا النحو في حماية نفسه من الآخرين ومن عدوانيتهم. ولكن الأمن الحاصل وهمي على الغالب، ذلك أن الانطواء يمكنه أن يكون محفوفاً بالخطر- في عمل مسلسل على سبيل المثال. والأمن من شأن الجماعة أيضاً: فكل فرد، في فريق جيّد، يحمي

الآخرين ويتجنّب خلق أوضاع خطرة. إن ثمة أمناً جماعياً في العمل، ولوحظ أن نسبة الحوادث ضعيفة في الفرقاء التي كان اختيار أعضائها حراً. ولهذا السبب ترفض بعض المشروعات أن تعتبر الأمن في العمل وظيفة منعزلة. فكل مشكلات الأمن، في رأيها، ينبغي أن ننظر إليها بصورة مشتركة وأن يحلّلها مجموع المستخدمين والمنظّمين. فيصبح الأمن عندئذ قضية كل فرد في المشروع، ولم يعد ثمة وجود لدائرة متخصّصة يُعهد إليها هذا القطاع. (انظر في هذا المعجم: **الحادث، الرسم البياني الاجتماعي**).

Y.B.

الأنا

F: Moi

En: Ego, Self

D: Ich, Selbst

فردية واعية بذاتها وموطّدة.

مفهوم الأنا وحدودها ضبابيان إلى الحدّ الأقصى. وأنا شخص، بالنسبة لشعوب بدائية عديدة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما يملك؛ وهذا التصوّر منتشر بيننا جداً. فأنا فرد، كتب عالم النفس الأمريكي وليم جيمس (1842- 1910)، «هي مجموع كل مايمكنه أن يسمّيه خاصتّه، ليس جسمه وقدرته النفسية فحسب، بل ثيابه وبيته، زوجته وأطفاله، جدوده وأصدقاءه، شهرته ومؤلفاته، أرضه وأحصنته، يخته وحسابه المصرفي» (1890، المجلّد الأول، ص. 291). وحدود الأنا، في رأي بعض المؤلفين، هي حدود الوعي، والعقل والحكمة. وكارل غوستاف يونغ جعلها الجزء المركزي من حقل الوعي، موضوع الوعي. ويميّز هانز هارتمان، إ. و. م. كريس، ر. لوفنشتاين، كيونغ، الأنا من الذات، ولكن الذات هي الشخص في كليته، في رأيهم، والأنا مرجع نفسي تحدّده وظائفه. والأنا، في رأي رينه سبيتز (1887-1974) كما في رأي س. فرويد، لاتوجد دفعة واحدة ولكنها تتكوّن خلال النمو الشخصي، خلال صراعات الحياة على نحو أكثر دقّة. فالوليد يتلقّى تنبيهات العالم الخارجي وانطباعاته الحسية دون أن يكون قادراً على أن يتخلّص منها أو يتعامل معها. ولذته وانعدام اللذة لديه يتعلّقان بالموجودات التي تحدّدهما، ولاسيّما الأم، التي تقوم بدور «الأنا الخارجية». وبفعل حركة الوظائف الحيوية،

ولا سيّما الوظائف الغذائية والهضمية، وتحت تأثير الإحساسات الجسمية، والإدراكات والفاعليات الحسية الحركية، ترتسم نحو السنة الثالثة من العمر مضغة أنا ستتوطّد مع اكتشاف الطفل جسمه الخاص وخلال الفطام، المرحلة التي يفرض التمييز نفسه فيها بين الأنا و«اللاأنا». وتنمو استقلالية الطفل مع النمو. ولن يتردّد الطفل، الذي أصبح نحو الثالثة من عمره قادراً على استخدام **الأنا الشخصي** (je) **والأنا** (moi)، في أن يعارض أعضاء محيطه، لمجرد اللذة على الغالب في أن يعبّر عن توطيد أناه ويجعل الآخرين يعترفون به شخصاً. ويصبح في المرحلة ذاتها أيضاً شخصية قادرة على أن تفسّر الدور الذي عُيِّن لها، وستتكيّف أناه، التي تنمو في منظومة من العلاقات بين الإنسانية، مع مسلكه. فالأنا هي في وقت واحد مركز ومجموع الدافعيات، إدراكات الوعي، وأعمال الفرد، التي تشرط تكيّفها مع الواقع. إنها ليست كياناً نفسياً بل سيرورة تشمل الوعي وهي أيضاً لاشعورية في جزء كبير منها. فهي، يقول المحلّلون النفسيون، جزء من «الهو» (القوى الدافعية) تمايز بالاتصال مع الواقع. ويمكنها، إذ أصبحت مختلفة عن الدوافع الأولية ومستقلّة بالنسبة لهذه الدوافع، أن تفرض عليها رقابتها على النحو الذي يمكن أن يحتفظ به شخص بشيء من الاستقلالية بالنسبة لوسطه ويراقبه. فالأنا بنية تحتية للشخصية وظيفتها الأساسية أن تضبط علاقات الفرد بالعالم الخارجي إذ تشبع في الوقت نفسه حاجاته الأكثر عمقاً مع الأخذ بالحسبان مقتضيات «الأنا العليا»، مقتضياتها الأخلاقية. إن لها إذن دور الوسيط في مواجهة قوى متناقضة. وهذه الوظيفة تتمّ، في أفعال الحياة الجارية، **بصورة شعورية**، بفضل السيرورات العقلية (تفكير، استدلال، حكم)، **وبصورة لاشعورية** حين تستخدم آليات دفاع (مثال ذلك، ميل مستهجن سيكون مكبوتاً أو مصعّداً). فالأنا السويّة مرنة، قادرة علي التكيّف؛ وليس لديها آليات دفاع صارمة. والأنا العصابية ضعيفة، خائفة أمام قوى الدوافع أو قسوة الأنا العليا؛ إنها عاجزة عن أن تحلّ نزاعات الشخص الداخلية، وذلك أمر يصيبه بالحصر ويقوده إلى أن يتبنّى كل الضروب من التصرّفات غير المناسبة، المفارقة، كالطقوس الوسواسية أو الانتحار. ونحن نحتاج إلى الآخرين

لنصون أنانا مستقلّة وسليمة؛ ولانحتاج إلى حنانهم وحبهم فحسب، ولكننا نحتاج أيضاً إلى حضورهم، ورأيهم، وذكرياتهم، ذلك أن «الأنا هي محل توحّدات الفرد المتخيّلة» (سيرج لوكلير)، ونتعرّض إلى خطر التفتّت إذا فقدنا دعامتها المشخّصة. وذلكم، ربما، هو السبب الذي يجعلنا نختار روابط الزواج الاجتماعية، والصداقة، وكل ما «يضمن هذا **المثال** المألوف (الأبوي، الأمومي) من التنبيهات المختلفة التي نحتاجها بوصفها غذاء لبنيات مختلفة من أنانا وأنانا العليا (البنيات التي، على سبيل المثال، توحي بقيمنا وإيديولوجياتنا)»

N.S.

الأنا، بوصفها مرجع ضبط، تؤمّن، في منظومة زوندي، حلّ النزاعات الدافعية، وتوجّه المصالحة بين الدافعي والاجتماعي، والمذكّر والمؤنث، وانطباعات حالة اليقظة وانطباعات الحلم والمخيّلة. وتنطوي وظيفة الأنا على استعدادات عامة: التعالي، أي تحويل الانطباعات والانفعالات من مستوى إلى آخر؛ التكامل، أي بناء جديد لكلٍ غير مجزأ؛ المشاركة، أي نفوذ أفكار الآخر وانفعالاته. وتتحدّد الأنا بالميول الأولية إلى الضبط الدافعي. ويصف زوندي أربعة ميول ضبط للأنا: فنحن، بـ **الإسقاط**، إذ نعزو رغباتنا الخاصة أو مخاوفنا إلى الآخر، نشاركه وجوده؛ وفي **التضخّم**، تمتدّ الأنا إلى أن يضمّ الشعور تناقضات دافعية لايمكن التوفيق بينها في كوكبات أخرى؛ وتندمج الأنا بـ **الاجتياف** بكل القيم الممكنة؛ و**النفي**، أخيراً، هو الميل إلى الرفض الذي يتّخذ شكل الكبت، والقمع أو الكفّ. وهذه الميول الأربعة تقابل الإمكانات الأربعة التي يقدّمها شعاعا الاتجاه في الرائز: الاختيار السلبي لصور المصابين بالذهان الهذائي (-p) يوضّح الميل إلى الإسقاط؛ الاختيار الإيجابي (+P) ذو علاقة بالميل إلى التضخّم؛ والاختيار الإيجابي للمصابين بالكاتاتونيا (+K) يميّز الاجتياف؛ والاختيار السلبي في هذا العامل (-K) يكشف عن الميل إلى النفي. (انظر في هذا المعجم: **تحليل القدر**، **مثال الأنا**، **آلية الدفاع**، **الجهاز النفسي**، **زوندي**).

F.M.

الأنا المثالية

F: Moi idéal

En: Idéal ego, Ideal self

D: Idealich

تكوّن لاشعوري، نرجسي بصورة أساسية، يعرّفه بعض المؤلفين أنه مثال القوة الكلية الشخصية.

أسـاس هذا التكوين، في رأي دانيل لاغـاش (1903-1972) لن يكون النرجسية الأولية للطفل فحسب، ولكنه هو أيضاً توحّد هذا الطفل بأمه، توحد مشحون بالقوة الكلية. وستكون، فيما بعد، شخصيات الماضي أو الحاضر ذات الاعتبار هي التي ستثير لديه عواطف الإعجاب الأكثر شدّة وستصبح موضوعات التوحّد لديه. (انظر في هذا المعجم: **مثال الأنا، التوحّد، النرجسية**).

N.S.

الأنا العليا

F: Sur-moi ou Surmoi

En: Superego

D: Ülber - Ich

الأنا العليا، في نظرية التحليل النفسي، هي أحد مراجع الشخصية الثلاثة، تتألف من مجموعة من المحرّمات الأخلاقية المستدخلة (المجتافة)، وظيفتها أن تجعل الفرد متوافقاً مع المحيطين به.

هذا التكوّن **اللاشعوري** يتلو، في رأي سيغموند فرويد (1856-1939)، توحّد الطفل بأبويه اللذين أضفى عليهما الصفة المثالية أو توحّده ببديليهما - ونقول على نحو أكثر دقّة توحده بالمرجع الأبوي، أي بصورة الأنا العليا لأبويه وليس بالأبوين. وتمارس الأنا العليا، كما وصفها فرويد في نظرية الجهاز النفسي الثانية (1923)، وظيفة سلطة ورقابة أخلاقية، ترغم الفرد على أن يتخلّى عن بعض إشباعاته الغريزية تحت طائلة فقدان الحب واستحسان من يحيطون به.

وتُعتبر الأنا العليا، كلاسيكياً، ذات علاقة بحالة التبعية الطفلية وعقدة أوديب: إن على الطفل أن يتخلّى عن رغباته الأوديبية (العاشقة والعدائية) لأن التحريم سرى عليها؛ وهو يفلح في ذلك إذ يحوّل التوظيف للأبوين إلى توحّد بهما، ويجتاف التحريم الذي فُرض عليه. وإلى هذه السيرورة تُضاف كل التعليمات التربوية والأخلاق والدين. ويرى س. فرويد في الوجدان الأخلاقي، والنقد الذاتي، وتكوّن المثُل، وظائف الأنا العليا. ولكن بعض المؤلفين، كفرانز ألكسندر (1891-1964)، يؤثرون أن يحتفظوا للمقتضيات اللاشعورية بمصطلح الأنا العليا وأن يجمعوا تحت تسمية **مثال الأنا** تطلّعات الفرد الشعورية.

ويبدأ إعداد الأنا العليا، يقول رونه سبيتز (1887-1974)، مبكّراً جداً، منذ أن يفهم الطفل أن عليه أن يفعل ماتنتظر أمه منه، بل بدءاً من اللحظة التي تفرض عليه خلالها بعض الفاعليات الجسمية وتمنعه القيام بفاعليات أخرى. ويعود تكوّن الأنا العليا أيضاً، في رأي سندور فورنزي (1873-1933)، إلى بدايات التربية، وإلى تعلّم النظافة على وجه الخصوص. أما ميلاني كلاين، (1882-1960)، فإنها ترى أصل الأنا العليا منذ المرحلة الفمية، عصر تتكوّن خلاله باجتياف الموضوعات «الصالحة» والموضوعات «السيئة» (إنها صور مشوّهة على نحو استيهامي للأم والثدي، إلخ).

وليست الأنا العليا القاسية بالضرورة عاقبة معاملات يعانيها الطفل أو قواعد تربوية يطبّقهما الأبوان والمربون؛ ويمكنها أن تكون بكل بساطة مرتبطة بحاجة كبيرة إلى الأمن، إلى الرغبة في الاحتفاظ بحب من يحيطون به، إلى تجنّب كل وضع يثير الحصر. فطاعة الأوامر، واحترام القواعد والأعراف والتقاليد، يقدّمان في الواقع إشباعات أخلاقية لها قيمة، بالنسبة لبعضهم، أكبر من لذة يحصلون عليها مباشرة.

N.S.

إذا نظرنا في النمو النفسي السويّ من وجهة نظر الصبي، نلاحظ أن الأنا العليا للطفل تتكوّن، حتى سن السادسة- السابعة، انطلاقاً من محرّمات ناجمة عن الأبوين- من الأب على وجه الخصوص - من حيث أنه يشكّل عائقاً لرغبة الطفل الأوديبية في أمه. وعلى هذه الأنا العليا «الأولية» (الطفلية، التحريمية، الأبوية) أن تخلي المكان بالتدريج، بين السنة السابعة والثانية عشرة أي خلال مرحلة الكمون، لأنا عليا «ثانية» (راشدة، أخلاقية، شخصية): وهكذا يتوحّد الفرد بالأب ويبلغ، بتوحيد جنسيته وشخصيته، حالة من النضج والاستقلال.

وهذه السيرورة قد يصيبها الخلل، وعلى وجه الخصوص إذا كانت سلطة أبوية مغالية توقف التحرّر الشخصي. فالفرد عاجز عندئذ عن أن يسمو إلى أنا عليا راشدة بعد أوديبية، تتيح للأنا الشعورية أن تضطلع بمسؤولية الدوافع التي تصدر عن الهو. إنها تظلّ مثبّتة على الأنا العليا الأولية التي ليست سوى أنا عليا شبه شخصية والتي تتعزّز وتتضخّم، ولا تفقد سمتها المطلقة على الإطلاق، إلى أن تصبح ساحقة. وتنتهي إلى أن تقطع الاتصال بين الأنا الشعورية، التي تعمل وفق الحسّ السليم، والمرتبطة بالواقع، وبين الأنا اللاشعورية، وتعوق إنجاز الرغبات الغريزية، حتى تلك التي تقبلها الأنا الشعورية. فيظلّ الفرد تابعاً لأبويه، ويحدّد البلوغ، الذي لايساعده على التحرّر إطلاقاً، قلقاً كبيراً يدافع عن نفسه حياله باستخدام ارتكاسات سلبية. إنه يبدو وجلاً، مترعاً بالشكوك والوساوس، إذ لايجرؤ على أن يوطّد ذاته في الحياة الاجتماعية، ويتبنّى إزاء العالم الخارجي ذلك الاتجاه الخاضع، اتجاه الامّحاء الذي تتبنّاه الأنا اللاشعورية لديه إزاء أناه العليا الأولية الصلبة. وهكذا تنشأ شخصية عصابية ضيّقة، يلازمها الحصر والإثمية، إذ تخشى كل عقوبة وتحرّم على نفسها كل إشباع غريزي. فالفرد، بالنظر إلى أن أناه تظلّ ضعيفة جداً، يكابد الحاجة إلى سلطة استبدادية تنوب مناب أناه القاصرة وتحميه من حصر انعدام القيمة، وتجد جنسيته نفسها مكفوفة، إلخ. ولكن غياب أنا عليا شخصية بصورة فعلية يمكنه أن يقود إلى نتائج معاكسة ويسبّب سلوكاً فوضوياً ومتمرّداً. والفرد عاجز في كل الأحوال عن بلوغ القيم المستقلّة، والحرية، والحب. فالوضع العصابي، الذي يظلّ فيه الفرد الإنساني مثبّتاً على أناه العليا «الأولية» الطفالية بدلاً من أن يرتفع إلى الأنا العليا «الثانية» الراشدة، كان قد وصفه ن. ن. دراكوليده (1953) باسم تثبيت على «الأنا العليا».

N.D.

الإنابة

F: Substitution

En: Substitution, Replacement

D: Substitution, Eratz

سيرورة قوامها الانصراف عن الهدف البدئي وإيثار شيء أو عمل بديل، يمكنهما تقليص التوتّر المتراكم، على أشياء أو أعمال أخرى أكثر إرضاء ولكنها ليست سهلة المنال أو يتعذّر تحقيقها.

بيّن كورت لوفن وعلماء النفس من مدرسته (بلومازيغارنيك، م. أوفسيانكينا) أن عملاً غير مكتمل كان يولّد التوتّر. ودرس بعدهم ك. لسنر، و. مهْلر وآخرون **الإنابة**، إي قيمة إحلال فاعلية محلّ فاعلية أخرى. ولاحظ لسنر (1933) أن الأطفال كانوا، عندما تكون الفاعلية البديلة أكثر صعوبة (زمن التنفيذ أطول)، يستأنفون عملهم غير المكتمل في أحيان قليلة. أما مهْلر، فإنه كان يطلب من الأفراد، ، بدلاً من أن يقترح عليهم عملاً جديداً بعد توقّف العمل الأول (بناء بيت بمكعّبات)، أن يكملوا البناء إما بـ**رسم** الجزء الباقي وإما بأن يقصّ الطفل كيف كان يتصوّر أن ينهيه، وقد يقترح عليهم أيضاً أن **يفكروا** في إكماله. ويبدو أن للرسم القيمة البديلة الكبرى، والحلّ العقلي على نحو صرف هو الأضعف (86 بالمئة من الأفراد يشعرون بالحاجة إلى استئناف البناء). وإحلال فاعلية محل فاعلية أخرى يمكنه أن يرتبط بقدرة الجذب للفاعلية البديلة، ولكن الفاعليات البديلة ليس له بالضرورة ضرب من قيمة الإرضاء. (انظر في هذا المعجم: **الانزياح، التكوّن البديل، الحاجة المشتقّة، مفعول زيغارنيك**).

N.S.

الإنارة

F: Éclairage

En: Lighting, illumination

D: Beleuchtung

أسلوب استخدام النور لإضاءة محل أو إبراز شيء.

للنور على العضوية مفعول يتجاوز إطار الرؤية. ويسبّب غيابه التكاسل والحزن؛ وعودته تسبّب الإثارة والفرح. وثمة حرص على أن تكون الإنارة جيّدة النوعية في المنازل، والمدارس، والمكاتب، والورشات. وحتى يعمل العامل عملاً ناجعاً، عليه أن يفيد من شروط التنوير المثلى، التي تتيح له أن يرى مخطّط العمل بوضوح. وينبغي أن يكون المحل منيراً تبعاً للأعمال التي تُنجز فيه. وإذا كانت، على سبيل المثال، 80 إلى 125 شمعة يمكنها أن تكفي بالنسبة للأعمال الخشنة (حدادة، توضيب، أوشحن)، فإن أعمال المكاتب (الأعمال الكتابية، الضرب على الآلة الكاتبة) تتطلّب من 250 إلى 500 شمعة، وتقتضي أعمال التدقيق من 500 إلى 1000 شمعة، والأعمال ذات الدقة الكبيرة (صناعات الساعات) من 1000 إلى 2000 شمعة. وينبغي للإنارة الجيّدة ألا تأخذ بالحسبان بُعْد التفصيلات الواجب تمييزها فحسب، ولكن عليها أيضاً أن تأخذ الظلال بالحسبان وتباينات اللمعان بين الشيء والخلفية. فالشيء اللمّاع (وليس من الضروري أن يكون مضاء جداً) يبهر. ويُحرص على تقنيع المصادر المنيرة، لإلغاء المضايقة الناجمة عن الإبهار، ويُتجنّب أن يكون النور الساقط على مخطط العمل منعكساً في اتّجاه

عيني العامل. وتُستخدم، لتخفيف الظلال، إنارة عامة تُعزّز في بعض النقاط المحدّدة بإنارة موضوعية. وبيّنت تجارب كثيرة أهمية الإنارة ومفعولاتها على مردود اليد العاملة، وعلى إنقاص عدد الحوادث في العمل أيضاً. ويضرب ر. إ. سمبسون (ذكره جـ. فريدمان، ص 91) مثالاً على معمل أمريكي يستخدم نحو ألف عامل قَبِل زيادة في مصروفات الإنارة لديه (ارتفعت من 1900 دولار إلى 4700 دولار). ونجم عن هذه الزيادة نقصاً مذهلاً في عدد الحوادث التي هبطت من 425 إلى 170. (انظر في هذا المعجم: **الجو المحيط، اللون، المحيط**).

N.S.

الانبساط- الانطواء

F: Extraversion- Introversion
En: Extraversion- Introversion
D: Extraversion- Introversion

مصطلحان مستخدمان منذ مئة عام ويدلان على نموذجين من الشخصية يتجهان قليلاً أو كثيراً نحو العالم الخارجي أو نحو عالمهما الداخلي.

مصطلحان أصبحا مألوفين بفضل أعمال الطبيب النفسي السويسري كارل غوستاف يونغ. إنهما جزء من تخطيطية معقدّة جداً، في رأيه، تشمل جوانب الشخصية الأربعة: الفكر، العاطفة، الإحساس والحدس، كلٌ منها يمكنه أن يكون انبساطياً أو انطوائياً، وذلك أمر يعطي ثمانية نماذج بالمجموع. وعقّد يونغ أيضاً منظومته إذ قابل، بالنسبة لكل فرد، بين نموذج «شعوري» ونموذج «لاشعوري». فهذا التعقيد وغياب وسائل القياس، قياس هذه السمات للشخصية، جعلا أن أي عالم نفس لايمكنه، من الناحية العملية، أن يستخدم هذه المفهومات، فتوجّه الاهتمام إذن بالحري إلى التحليل الوصفي للسلوك بعبارات سمتي الانبساط والانطواء، إذ أُهملت تعقيدات التخطيطيات التي اعتمدها علم النفس التحليلي اليونغي.

وبيّنت الدراسات ذات المستوى الواسع، التي انصبّت على النمط المقدّم في موضوع «الشخصية» أن **الانبساطي النموذجي** اجتماعي، ويحبّ الاجتماعات ولديه أصدقاء كثيرون، وبحاجة إلى أن يتكلّم، ولايحب القراءة والدراسة وحده. إنه يغني الانفعالات القوية، ويقبل المخاطر بل يبحث عنها، إذ يتصرّف دون أن يمنح نفسه مهلة التفكير. إنه، حين تتكلّم على وجه العموم، اندفاعي. ويحب المزاح السهل، وهو حاضر الجواب، شره للتغيّر، غير مبال، مسترخٍ، متفائل؛ ويحب الضحك والتسلية، ويفضّل الحركة والعمل، ويميل إلى أن يكون عدوانياً

غضوباً؛ ولايبحث عن أن يضبط ذاته وليس جديراً بالثقة دائماً. أما **الانبساطي النموذجي**، فإنه، على العكس، فرد هادئ، قليل الانفتاح، يفضّل الكتب على الناس؛ وهو متحفّظ ومتباعد، إلا مع أصدقائه. ويميل إلى التوقّع، ويفكّر قبل أن يعمل ويحذر من الاندفاعات الآنية. ولايحبّ الهياج، ويأخذ الأحداث اليومية على محمل الجدّ الذي يناسب ويقيّم نمطاً من الحياة منتظماً جداً. ويراقب عواطفه، ويسلك نادراً على نحو عدواني ولايغضب بسهولة. إنه واثق من نفسه، متشائم بالحري، مرتبط كثيراً بالقيم الأخلاقية.

وليس الفرد بالضرورة انطوائياً أو انبساطياً؛ والبعد، انبساط- انطواء، هو في الواقع مجموعة اتصالية تحتوي قليلاً من الحالات القصوى وكثيراً من الحالات الوسطى. ومع ذلك ينزع غالبية الناس نحو هذا القطب أو ذاك، وبوسعنا قياس درجة انبساطهم أو انطوائهم ببعض من الدقة بالاستبانات، والملاحظات المباشرة أو بروائز المخبر. وتبيّن البحوث في التوائم أن لهذا البعد، بعد الشخصية، أصلاً وراثياً وله علاقة وثيقة بالبنية والعمل الوظائفي الفيزيولوجي للعضوية، ومثال ذلك أن للانطوائيين والانبساطيين، في تخطيط الدماغ الكهربائي، نماذج من شكل الموجات المختلفة. وتنجم عن اقتران الانبساط بدرجة مرتفعة من «الاهتياج النفسي العصبي» شخصية هستيرية، أو سيكوباتية، أو جانحة (نجد كثيراً من هذه الشخصيات لدى المجرمين الذين ثبت إجرامهم). ويمنح الانطواء المقترن باهتياج نفسي عصبي قوي شخصية عُصابية حيث يسود، على وجه العموم، القلق والسمات الرهابية والوسواسية- القسرية. وللانطوائيين نجاح مدرسي ممتاز وينجح الانبساطيون نجاحاً جيّداً في الفاعليات الرياضية والجيش (ولاسيّما بوصفهم مظليين ومغاوير). وليس ثمة ارتباط بين هذا البعد للشخصية واختيار الشريك في الزواج؛ فالانبساطيون من الشخصيات لايتزوجون شخصيات انبساطية أكثر مما يتزوجون شخصيات انطوائية، ولكنهم ميّالون إلى الطلاق على الأغلب أكثر مما يميل إليه الأفراد الذين ينتمون إلى فئة الانطوائيين. (انظر في هذا المعجم: **الاهتياج النفسي العصبي، الشخصية، السمة**).

H.J.E. (ترجمه .D.J.V إلى الفرنسية)

الانبساطي (نموذج) **F: Extraverti ou Extroverti**

En: Extravert

D: Extraverter Typus

نموذج سيكولوجي حدّده كارل غوستاف يونغ (1875-1961) تكمن سمته الأساسية في انفتاح على العالم الخارجي.

الشخص الانبساطي أنيس؛ إنه يبحث عن الاتصالات الإنسانية ويعبّر عن نفسه بسهولة. ويميّز يونغ في نمذجته أربع فئات من الأشخاص بين الانبساطيين: 1- فئات الأشخاص الذين يسودهم **الفكر** (الملاحظة والعقل يقودان عملهم)؛ 2-فئات الأشخاص الذين توجّههم **العاطفة** (قابلية الإيحاء؛ إنهم ينفعلون انفعالاً يتفّق مع الأشخاص الذين يحيطون بهم)؛ 3- فئات الأشخاص الذين يسودهم **الإحساس** (بحث عن المتع الحسّية)؛ 4- فئات الأشخاص الذين يخضعون لـ **حدسهم** (ضعيفي التنظيم، تجذبهم المغامرة، يصعب عليهم التركيز).

N.S.

الانبناء، التمفصل Articulation

En: Articulation

D: Artikulation

النحو الذي ترتبط عليه أجزاء مجموع فيما بينها (إننا، بهذا المعنى، نتكلّم على انبناء العصبونات وانبناء اللغة على حدّ سواء).

يتفّق الألسنيّون، منذ فرديناند سوسّور (1857-1913)، على أن يروا في الألسن الطبيعية منظومات علامات وأن هذه العلامات تظهر على شكل شفوي أو كتابي. وليست كل منظومة من العلامات لساناً مع ذلك. فللألسن في الواقع خاصّة لاتشارك الإنتاجات الحيوانية فيها ولامنظومات كإشارات المرور أو الملصقات الإعلانية. وهذه الخاصة التي أوضحها أندره مارتينه، هي **الانبناء المزدوج للغة**، المشترك بين لغات الأقوام كلها. ففي رأي هذا المؤلف (1965) أن «ثمة حادثة لسان عندما ننتقل من تجربة متجانسة غير محلّلة إلى ردّها إلى الأجزاء الصوتية المعيّنة». ويذكر، مثالاً على ذلك، حالة تجربة ينبغي نقلها، وهي، والحال هذه، ألم جسمي: فالارتكاس الصوتي يمكنه أن يكون مجرّد صراخ أو، إذا أردنا أن نكون أكثر بياناً، قولاً مثل: «أنا أعاني ألماً في رأسي». ففي هذا القول، يستعمل المتكلّم أجزاء يمكنها، أن تُستعمل، كل منها على حدة، استعمالاً جديداً في سياقات مختلفة، بغية نقل تجارب أخرى. وهذا التفكيك إلى وحدات معنى، يسمّيها مارتينه **المونيمات** ويسمّيها الأمريكيون **المورفيمات**، يكوّن الانبناء الأول للغة. فالمونيم (أو المورفيم)، في الألسنية، هو الوحدة الدلالية الدنيا أو هو أيضاً

«أصغر جزء من القول يمكننا أن نعزو إليه معنى (مارتينه، 1965). وكل مونيم يمكنه، بدوره، أن يُبنى من وحدات متتالية ليست ذات معنى هذه المرة، ولكنها فارقة، نسمّيها **تصويتات** (فونيمات). إننا نجد في المثال الذي ضربناه ثلاثة تصويتات في المونيم (أو الفونيم) ألم (أ/ ل/ م)، واثنين في في (ف/ ي)، إلخ. ويكوّن تجمّع التصويتات في المونيمات انبناء اللغة الثاني (أو تمفصلها أو نطقها). وليس لهذه الأجزاء الجديدة أي معنى في ذاتها، ولكن اختيارها والترتيب الذي تظهر بحسبه في المونيم يميّزان هذا المونيم ويؤمّنان هويته. فعدد المونينات غير محدود مبدئياً؛ ويمكننا أن نبتكر عدداً منه للحاجات الجديدة، حاجات التجربة. أما التصويتات (الفونيمات)، فعددها محدود على العكس (بعض العشرات وسطياً) وثابت على وجه التقريب بالنسبة لكل لسان، في مرحلة معيّنة على الأقل آخذين بالحسبان الاقتباسات. ووحدات انبناء اللغة الأول والثاني هي إذن وحدات يمكننا تكرارها، وحدات تمثّل عامل اقتصاد لاغنى عنه لعمل اللغة الإنسانية الوظائفي. والواقع أن بوسعنا، بفضل وحدات الانبناء الأول، أن نكوّن رسائل مختلفة لانهائية. أما وحدات الانبناء الثاني، فإنها تسهم في اقتصاد متّمم كبير لأن بعض العشرات من التصويتات فقط، بواسطة توافيقها الملائمة، تتيح بناء كل المونيمات (أو المورفيمات) الضرورية للتواصل الإنساني.

N.M.

الانتباه

F: Attention

En: Attention

D: Aufmerksamkeit

تركيز الشعور على موضوع.

الانتباه يهيّء الإدراك ويوجّهه. إنه يجنّد الفكر ويثبّته على واقع، على حدث أو فكرة. وينطوي على نزوع نحو هدف، على انتقاء المعلومات، على تقليص ساحة الشعور. ومثال ذلك أن الانتباه الذي نوجهّه إلى المحادثة يحول بيننا وبين الإصغاء إلى الموسيقى؛ ولايعير الصيّاد المتربّص انتباهاً إلى تنوّع النباتات أو إلى ألوان الطبيعة. وعندما نثبّت انتباهنا على موضوع، يتعدّل جسمنا وشعورنا. وأعضاء الحواس متيقّظة (توجه العينين، مطابقة الجسم البلّوري، تقلّص حدقة العين)، والتوتّر العضلي متنامٍ، والكهرباء ذات المنشأ الحيوي في القشرة الدماغية تفقد تزامنها (موجات سريعة، ذات سعة ضعيفة، غير منتظمة). ويتجلّى الانتباه، على مستوى البنيات العصبية الفيزيولوجية، بفرز العلامات، وتحليلها، وتقليص حدّة بعضها وتضخّم بعضها الآخر. فنفترض إذن أن ثلاث آليات مختلفة مستخدمة معاً: الأولى تسبّب إضفاء السهولة على الرسائل التي تحمل معنى محدّداً، ذلك المعنى الأكبر أهمية بالنسبة للفرد مؤقتاً؛ والثانية تعوق الإشارات التي ليس لها هذا المعنى إعاقة جزئية. والآلية الثالثة تستمرّ في بقاء الفرد مطلّعاً على مايحدث في حقله الإدراكي. ومثال ذلك أن الهر الذي يترصّد فأراً ويتهيأ للقفز

سيهرب فجأة إذا ظهر كلب بغتة. ويبدو أن ثمة منظومة عصبية سيكولوجية تضبط سيرورة تمايز المنبهات وانتقائها تبعاً للدلالة التي تتّخذها بالنسبة للعضوية.

ونميّز بعد ثيوديل ريبو (1839 -1916) بين **الانتباه الإرادي**، الذي يتطلّب جهداً ويرتبط بدافعيات (حاجات، اهتمامات)، **والانتباه اللاإرادي** ذي العلاقة بالتنظيم الإدراكي للوسط الخارجي (مثال ذلك يَحْمور يقفز على مرج مغطّى بالثلج). فالانتباه الإرادي هو انتباه الأستاذ الذي يبذل جهداً ليجعل عرضه واضحاً ما أمكن ذلك؛ والانتباه اللاإرادي أو العفوي هو انتباه التلميذ الذي لايفلت منه شيء مما يحدث حوله. فالذبابة التي تطير، والفراشة التي تحطّ، والورقة التي تهتزّ، وربطة العنق الجديدة، ربطة الأستاذ، وعرّة الجار، كل شيء يسجلّه دون جهد. ويقال عن الانتباه الإرادي إنه «مركّز» عندما يكون مثبتاً في عمل أو شيء واضح، محدّد. ويقال عنه «منتشر» عندما يشمل حقلاً إدراكياً واسعاً ويكون موزّعاً على عملين أو عدّة أعمال متزامنة؛ ويقتضي، في هذه الحال، تحليلاً وضبطاً للسلوك شبه آلين.

والانتباه عرضة للتقلّبات التي تُلاحظ على سبيل المثال عندما نصغي إلى تكتكة ساعة (تبدو الضجة أنها تختفي وتظهر مجدّداً في فواصل زمنية منتظمة) أو ننظر إلى شكلين لهما كثافة حضور متساوية (الإمكانان الإدراكيان يبدوان بالتناوب المنتظم ذاته). وتموّجات الانتباه هذه ناجمة عن سيرورة فيزيولوجية من إشباع القشرة الدماغية، إذ تسبّب كفّاً مؤقتاً للإثارة العصبية. فالأعمال الرتيبة، التي تقتضي توتراً ذهنياً، توهن الانتباه. فالأخطاء تبدو بعد عشرين دقيقة من مراقبة شاشة رادار (نحو ثلث الشاشة يهملها جدّياً غالبية العمال الميكانيكيين)، وينبغي استبدال العامل الآلي.

وقدرات الانتباه تتغيّر مع العمر، والمستوى الفكري، وحالة العضوية. فالطفل الذي لم يكمل نضجه العصبي يعاني صعوبة في صون انتباهه مثبّتاً على عمل معين أكثر من المراهق؛ والإنسان المرهق لايفلح في ذلك أكثر مما يفلح الطفل.

وتسبّب بعض الآفات الذهنية ضروباً خطيرة من خلل الانتباه. ففي حالات الإثارة الهوسية، على سبيل المثال، تتابع الأفكار تتابعاً هو من السرعة بحيث لايفلح الانتباه في أن يثبت على شيء. وفي الحالات السوداوية أو الهاذية (ولاسيما في الهذيان المسمّى «ذا الفكرة الغالبة»)، ثمة، على العكس، فكرة واحدة، «فكرة ثابتة»، تشغل كل ساحة الشعور (**أحادية الفكرة**)، إذ تمنع كل فكرة أخرى من الظهور. ويمكننا تقييم قدرات الانتباه لدى فرد بالروائز العقلية. وأبسطها، الذي يستخدمه بنجامان بوردون (1860 -1943)، يكمن في أن نجعل الفرد يشطب بعض الحروف في نص ّمطبوع. وأكثرها استخداماً هو «رائز الستين» لرونه زازّو (1947)، المشتق ّمن الرائز الذي وضعه إدوار تولوز وهنري بيّرون. (انظر المصطلحات التالية في هذا المعجم: **رائز السدّ**، **الشعور**، **كثافة الحضور**).

N.S.

F: Attention flottante الانتباه العائم

En: Suspended attention, poised attention

D: Aufmerksamkeit

مصطلح منسوب إلى سيغموند فرويد ويدلّ على اتجاه المحلّل النفسي الذي يصغي إلى حديث مريضه.

يوصي فرويد، في نصّه **نصائح إلى الأطباء خاصة بعلاج التحليل النفسي** (1912)، أن نوقف كل مايمكنه أن يوجّه انتباه المعالج في اتجاه معيّن (اهتمامات شخصية، آراء مسبقة، قيم أخلاقية)، و«يعاكس الإصغاء» إلى المريض. وكما أن من المطلوب إلى هذا الأخير أن يقول مايخطر بباله دون أن يُجري اختياراً، كذلك يُنصح المحلّل أن يستقبل **أيضاً** كل الأفكار المعلن عنها دون أن ينجز أي اختيار و«دون أن يهتمّ بمعرفة ماإذا كان سيحتفظ بشيء منها». والمعالج يمكنه، بفضل هذا الاتجاه، أن يخزن في ذاكرته كمية كبيرة من العناصر التي تبدو أنها ليست ذات دلالة ولكن معناها سيبدو له لاحقاً.

N.S.

الانتحاء

F: Tropisme

En: Tropism

D: Tropismus

توجّه بالنسبة لمنبّه خارجي (ضوء، ثقالة، غاز الكربون، إلخ) يتحقّق بانحناء لدى النباتات ولدى بعض الحيوانات المثبّتة (الحيوانات الطحلبية على سبيل المثال).

الانحناء في الانتحاءات ناجم عن **نمو فرقي** من الجهة المعرّضة للتنبيه والجهة المقابلة: فعندما يكون النمو أبطأ في الجهة المعرّضة للتنبيه، يحدث الانحناء صوب مصدر التنبيه (انتحاء **إيجابي**)؛ والعضوية تنتحني صوب الجهة المقابلة للتنبيه، في الحالة العكسية (انتحاء **سلبي**). وندلّ على مختلف الانتحاءات بالإحالة إلى المنبّه السببي: انتحاء ضوئي للجذور؛ انتحاء مائي، انتحاء أرضي وانتحاء كيميائي للجذور، إلخ. وسمّى الاختصاصيون خلال زمن طويل، بالتوسّع بعد جـ. لووب، (و) غ. فيّو على نحو أحدث، «انتحاءات حيوانية» ارتكاسات الانحناء وحركات التوجّه الأخرى التي تراقبها الجملة العصبية وتنجزها التقلّصات العضلية الملائمة. أما في أيامنا هذه، فإن مصطلح «توجّهات» هو المصطلح الموقوف على هذا النمط من الاستجابات. (انظر في هذا المعجم: **التنبيه، التوجّه**).

J.ME.

الانتحار

F: Suicide

En: Suicide

D: Selbstmord

عدوان على الذات، شعوري وإرادي، يسبّب الموت.

الانتحار أكثر تواتراً لدى الرجال منه لدى النساء (أكثر بمرتين إلى ثلاث)، ولكن محاولات الانتحار منتشرة لدى النساء أكثر من الرجال بمرتين. ويزداد عدد حوادث الانتحار مع العمر (لثلثي ضحايا الانتحار عمر يزيد عن خمسة وأربعين عاماً)، ولكن محاولات الانتحار تُنجز على الأغلب قبل الأربعين عاماً. ويمثّل الانتحار في فرنسة 16 بالمئة من مجموع وفيات المراهقين من خمسة عشر عاماً من العمر إلى عشرين (مقابل 1, 65 بالمئة لدى الراشدين)، وثمة، في رأي ف. دافيد سون وب. أنجل (1978)، نحو أربعين ألف شاب يعتدون على حياتهم سنوياً. أما أسباب الانتحار فمعقّدة ولاتزال غير معروفة بصورة كاملة. ونجد على الغالب، لدى الشباب، إخفاقاً مدرسياً أو عاطفياً، والانعزال الوجداني (طلاب، متدرّبون، انتقلوا إلى مدن كبيرة)، وغياب التواصل، والإرهاق، وانشغال البال بالمستقبل والصعوبات المادية. والعدوى الذهنية، والمحاكاة، يمكنهما أن يؤدّيا دوراً في الانتحار. والواقع أننا نسجّل في بعض الأحيان أوبئة حقيقية من الموت الإرادي في بعض الأماكن المعيّنة (بركان، سكة قطار، إلخ) بحيث أن السلطات المحلية مرغمة على حراستها. وسلوكات التدمير الذاتي يمكن أن يحرّضها مؤلّف فلسفي أو فني أو أدبي مثل **آلام فرتر** لغوته (1774)، أو **الباب الضيّق** (1909)، لأندره جيد. أما

عوامل الانتحار لدى الأكبر عمراً فهي التدهور الجسمي والعاهات، والوحدة، والصعوبات المادية، والشعور بعدم الجدوى، بل الاستبعاد من الجماعة الاجتماعية. والصورة النموذج «للمرشح» إلى الانتحار في الولايات المتحدة الأمريكية هي صورة رجل (75 بالمئة من المنتحرين) من عمر معيّن، من العرق الأبيض (عدد المنتحرين من البيض خمسة أضعاف عددهم من السود)، أرمل أو مطلّق، يعيش وحده، مريض ودون عمل. وعدد المنتحرين يظلّ مرتفعاً في فرنسة لدى سكان الأرياف والأطر العليا. وينقص عدد المنتحرين في زمن الحرب، ولكنه يزداد خلال مراحل «الازدهار» الاقتصادي. ويبدو أيضاً أن الشروط الجغرافية وشروط التغيرات الجوية تؤدّي دوراً في هذه الظاهرة، ذلك أن انخفاضات الضغط الجوي المفاجئة يرافقها ازدياد حوادث الانتحار، وهي أكثر تواتراً في الشتاء منها في الصيف، في الوديان وعلى طول الشاطئ أكثر منها في الجبال وبلدان الغابات. وبين عوامل الانتحار الأخرى الممكنة، يمكننا أن نلاحظ ضرباً من الاستعداد الأسري المسبق، المرتبط بوراثة مثقلة (ذهان الهوس الاكتئابي على الأغلب).

وكوّنت العلاقات بين الانتحار والاضطرابات النفسية موضوع مناقشات محمومة. والمقبول في الوقت الراهن أن للمرضى العقليين نزوعاً إلى التدمير الذاتي أقوى من نزوع الأفراد الأسوياء. فالفعل يمكنه أن يكون اندفاعياً أو، على العكس، موضع تأمل طويل. والموت الإرادي متواتر بصورة خاصة لدى السوداويين، حتى لدى أولئك الذين يبدون في مرحلة خمود، وغير نادر أن يرى المرء هؤلاء المرضى يسبّبون الموت لدى بعض أعضاء محيطهم. ونلاحظ بخاصة لدى المكتئبين، غير السوداويين، محاولات انتحار. وفعل تدمير الذات، لدى الفصاميين، طارئ اندفاعي، ترافقه تشويهات في بعض الأحيان، وبتر أعضاء يتحقّق دون انفعال ولا ألم ظاهر. والانتحار نادر لدى المصابين بالهذيان المزمن. إن له عندئذ دلالة الهروب بالنسبة إلى «مضطهد»؛ والتضحية بالنسبة لهاذٍ صوفي؛ وقرارٍ بطولي لدى المصاب بالذهان الهذائي. وتظلّ أفكار الانتحار لدى المصابين بالعصاب الوسواسي على الأغلب في مرحلة الفكرة الثابتة المرهقة. ونواجه عادة لدى الهستيريين

محاولات انتحار مشهدية، ولكنها يمكنها أيضاً أن تؤدّي بهم إلى الموت. ومحاولات التدمير الذاتي لدى المصابين بعدم التوازن في الطبع متواترة، اندفاعية دائماً على وجه التقريب. ونقول أخيراً إن الارتكاسات الانتحارية متوافرة إلى حدّ كاف في حالات السكر الكحولي ولدى المصابين بالصرع.

ويؤكد إميل دوركهايم، في دراسته الانتحار (1897)، إذ قارن تواتر الموت الإرادي في مختلف الجماعات الإنسانية، أن هذا التواتر يزداد طرداً مع تراخي الروابط الاجتماعية.

والسلوكات الانتحارية يمكنها أن تكون ذات وظائف مختلفة ثلاث: فالانتحار، بالنسبة لبعض الأفراد، يكوّن وسيلة تجنّب، الهروب من وضع هم عاجزون عن قبوله. وهو، بالنسبة لآخرين، يقابل الارتداد ضد الذات، ارتداد دافع عدواني لم يكن يمكنه أن يُوجّه ضد الغير. إنهم يعتدون مع ذلك على من يحيطون بهم حين يعتدون على حياتهم هم، ذلك أن على من يحيطون بهم أن يواجهوا الحزن، بل تأنيب الضمير. والانتحار بالنسبة للكثيرين، أخيراً، رسالة يائسة تعبرّ عن ضروب اللوم الموجهة إلى الغير على اللامبالاة، كما تعبّر في الوقت نفسه عن العجز عن الاضطلاع بوضع صعب. ويعاني كثير من المنتحرين عاطفة العزلة والنبذ. وهذا هو السبب الذي من أجله تكوّنت هيئات الوقاية من الانتحار، في كل أنحاء العالم على وجه التقريب، بدءاً من الأربعينات من هذا القرن، وحدّدت لنفسها مهمة مفادها أن تستجيب لكل نداء هاتفي، في النهار والليل، وتصغي دون أن تطلق حكماً، وتسكّن حصر صاحب النداء، وتبذل جهدها في نقل بعضٍ من الدفء الإنساني إلى المتحدّثين المغفلين، وتعيد إليهم شيئاً من الأمل. وأشهر هذه التنظيمات هما تنظيم «S.O.S للصداقة» يُعنى بالإصغاء الهاتفي المغفل وتنظيم «بحث ولقاء» لاستقبال الذين يشعرون بالعزلة (انظر في هذا المعجم: **الأنوميا، التماسك**).

J.MA.

الأنتروبولوجيا

F: Anthroplogie

En: Anthropology

D: Anthropologie

علم الإنسان، بوصفه موجوداً اجتماعياً، وأعماله، بدءاً من الأشياء المصنوعة حتى المؤسسات الاجتماعية، إلى أساطيره ومعتقداته.

تبحث الأنتروبولوجيا في إظهار الخلفية المشتركة بين الناس جميعهم، كما تتجلّى في الثقافات المختلفة، وفي صياغة منظومة يمكنها أن تنطبق معاً على «البدائي» في أصغر قبيلة ماليزية وعلى ساكن مدننا الكبيرة. إنها تجمع كل النهوج التفسيرية للإتنولوجيا وتستخدم معطيات علم الآثار، وعلم الإحاثة، والتاريخ، بغية إعداد تأليفها. فثمة إذن بين الأنتربولوجيا والإتنولوجيا تلك العلاقة نفسها بين الإتنولوجيا والإتنوغرافيا. والواقع أن الحدود ليست واضحة بقدر كبير، بحيث أن الأنغلوساكسونيين يميلون إلى أن يجعلوا الأنتربولوجيا تكافئ الإتنولوجيا، وإلى أن يهملوا هذا المصطلح الأخير.

ويُشار في فرنسة بصورة عامة، على العكس، عندما يتكلّمون على الأنتروبولوجيا، دون أن تتبعها صفة، إلى **الأنتربولوجيا الجسمية**، أي إلى هذا الفرع من المعرفة الذي يتفرّد بدراسة الخصائص الجسمية، المورفولوجية، الوراثية والفيزيولوجية، لشتّى النماذج العرقية، ومثال ذلك أشكال الرؤوس والجماجم، والزمر الدموية، والفروق في رؤية الألوان، إلخ. وطرائقها هي طرائق العلوم الطبيعية بصورة رئيسية، وهي أقرب إلى البيولوجيا منها إلى العلوم الاجتماعية،

مع أنها تقيم مع العلوم الاجتماعية علاقات وثيقة. والواقع أن الأنتروبولوجيا الجسمية، يلاحظ كلود ليفي شتراوس (مولود عام 1908)، تؤول، بقدر كبير جداً، إلى «دراسة التحوّلات التشريحية والفيزيولوجية الناجمة، بالنسبة لنوع حيّ من الأنواع، عن ظهور الحياة الاجتماعية، واللغة، ومنظومة قيم، أو عن الثقافة إذا تكلّمنا بصورة عامة (1958، ص386). وفي البلدان الأنغلوساكسونية، ثمة تفضيل لاستخدام واحد من المصطلحين التاليين: **الأنتربولوجيا الاجتماعية** (في إنغلترة)، **الأنتربولوجيا الثقافية** (في الولايات المتحدة الأمريكية). وكل واحد من هذين المصطلحين ليس مرادفاً للآخر مع ذلك.

إن لـ **الأنتروبولوجيا الاجتماعية** توجّها سوسيولوجيا بارزاً، كما يلفت الانتباه إلى ذلك واحد من روّادها، إدوار إيفانز- بريتشار (المولود عام 1902). فموضوع دراستها، يقول، ليس الثقافة بل «السلوك الاجتماعي في أشكاله التي أُضفيت عليها الصفة المؤسساتية، كالأسرة، والتنظيم السياسي، والقواعد الحقوقية، إلخ، والعلاقات بين هذه المؤسسات» (1951، ترجمة 1969)، ذلك أن كل جوانب الحياة الاجتماعية تكوّن مجموعاً ذا دلالة، وليس ممكناً فهم أحد هذه الجوانب دون أن يرتبط بالجوانب الأخرى.

أما **الأنتروبولوجيا الثقافية**، فهي قائمة على الاقتناع بأن الثقافة هي التي تؤمّن توازن مجتمع من المجتمعات وتناغمه وعن معرفتها تنجم معرفة الناس. والممثلان الأولان لهذه المدرسة هما فرانز بوا (1858 -1942) وإدوار سابير (لوانبيرغ، حالياً شلذويغ- هولشتاين، 1884- نيو هافن، الولايات المتحدة الأمريكية، 1939). وينكبّ باحثون آخرون، محوروا أعمالهم على علاقات الثقافة مع الشخصية، على دراسة المتغيّرات السيكولوجية بالنسبة للتأثيرات الاجتماعية الثقافية أو يسعون على نحو أكثر ندرة إلى أن يكتشفوا الأسس النفسية لشتّى الطقوس، والمعتقدات، والأعراف أو المؤسسات. وفي عداد الممثلين الأكثر شهرة لهذا الفرع من الأنتروبولوجيا، المسمى «الأنتربولوجيا السيكولوجية»، تمثل مارغريت ميد

(1901 -1978)، روث بينيديكت (1887 -1948)، رالف لانتون (1893 -1953)، والمحلّل النفسي الأمريكي جيزا رورهايم (1891 -1953).

إن حقل الأنتروبولوجيا واسع، ويصعب توضيح حدوده. فـ«قدماها، إذا جاز لنا أن نقول، في العلوم الطبيعية؛ وتتكئ على العلوم الإنسانية؛ وتنظر نحو العلوم الاجتماعية» (كلود ليفي شتراوس، ص395). إنها تستخدم طرائق مقتبسة من فروع من المعرفة قريبة، ولكن طرائقها الخاصة هي الملاحظة المشاركة، ملاحظة هي اتّصال مديد مع الحياة اليومية للجماعة موضع الملاحظة، والاغتراب، ضامن الموضوعية، اغتراب ينطوي على الاعتراف بأن الآخر مختلف. وتُعنى الأنتروبولوجيا في أيامنا هذه، التي درست المجتمعات البدائية على وجه الخصوص في الماضي، بالمجتمعات الحديثة، بظاهرات لقاء الحضارات الراهنة، بالمثاقفة والتغيّر. إنها أثّرت في علم النفس المرضي، لابوصفه علماً خاصاً بل، بالحري، بوصفه نظرية سيكولوجية؛ وكان لها فضلٌ مفاده أنها جعلتنا ندرك نسبية معنيي «مرضي» و«سوي»، اللذين يختلفان بحسب الثقافات، وكشفت عن غياب الأمراض العقلية في بعض الجماعات البدائية، إذ فتحت الأبواب على هذا النحو للطب النفسي الإتْني. (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **الإتنولوجيا**، **الطب النفسي الإتني**).

N.S.

الانتقالي (الشيء) F: Transitionnel (object)

En: Trnsitional object

D: übergangsobjekt

شيء مادي له، بالنسبة للرضيع والطفل الصغير، قيمة وواقع خاصان، وله بالنسبة لهما حضور ورفاهية، ويتيح لهما إجراء الانتقال بين العلاقة الأولى بالأم والعلاقة بالأشياء الأخرى من محيطه.

يعيش الطفل، خلال الأسابيع الأولى التي تلي الولادة، حالة من «القوة الكلية» السحرية. إنه يتلقّى ثدي أمه في اللحظة التي يرغبها، وذلك أمر يمنحه وهم أنه هو الذي خلقه. فعليه، لكي يتخلّى عن هذه القدرة الكلية ويعترف بوجود واقع خارجي متميّز من عالمه الداخلي، أن يدرك بين الاثنين منطقة وسيطة لاتنتمي لأحدهما. والشيء الانتقالي يؤدي، في هذه السيروة، دوراً ذا أهمية. والمقصود به على وجه العموم شيء طري (مخدّة، حيوان من المخمل، محرمة...)، له تركيب معيّن، قادر على أن يمنح بعضاً من الحرارة. ولكن الشيء الانتقالي، يوضّح وينّيكوت، هو الاستخدام الذي يستخدمه الطفل به أكثر مما هو قطعة القماش أو الدب المخملي اللذين يستعملهما. ويبدو الشيء الانتقالي على وجه العموم بين الشهر الرابع والشهر الثاني عشر، في المرحلة التي تبدأ خلالها الأم، التي استعادتها مشاغلها، في أن تبتعد عن طفلها بعض الابتعاد. والشيء الانتقالي، سواء أكان زاوية غطاء سرير أو لحاف أم الإبهام الذي يمصّه لينام، يساعد الطفل على أن يستعيد الاستمرارية التي يهدّدها الانفصال وأن يتمايز من العالم

المحيط به. والشيء الانتقالي، الموظّف معاً بليبيدو الأنا (الوجدانية)، الذي يوجّه الفرد نحو نفسه، وبليبيدو الموضوع، الذي يوجّهه نحو الآخرين والأشياء، يشقّ الدرب للفرد إلى الألعاب وغريزة الاجتماع.

ويلخّص وينّيكوت، في كتابه في الألعاب والواقع (1971)، تلك المراحل التي يمر بها الطفل في علاقاته بالموضوع الانتقالي، تلخيصاً على النحو التالي:

1- يدّعي أول الأمر بحقوق عليه، ويدلّله، ويسيء معاملته، ويشوّهه، ويحبّه بشغف؛ 2- يتوقّع أن ينجو الشيء من عدوانيته ولايتغيّر؛ 3- يسحب منه بالتدريج دلالته الوجدانية وينبذه في حالة من الغموض، وذلك لايعني أنه يكبته أو ينساه. ولكن الشيء أصبح فقط منتشراً وانتشر «على كل المنطقة الوسيطة التي تفصل الواقع النفسي الداخلي» عن «العالم الخارجي في إدراك مشترك بين شخصين»، أي أنه يغطّي كل مجال الثقافة (وينّيكوت، 1951، ص. 114 من الترجمة). ويبدو الشيء الانتقالي، من وجه نظرنا، أنه آتٍ من الخارج، ولكنه بالنسبة للطفل آت معاً من الخارج والداخل: إن الطفل الصغير هو الذي «**يخلق الشيء، ولكن الشيء كان هناك، منتظراً أن يُخلق ويصبح شيئاً موظّفاً**». (انظر في هذا المعجم: **وينّيكوت [دونالد]**).

M.C.

الانتماء إلى الجنس المقابل

F: Transsexualisme

En: Transsexualism

D: Transsexualismus

عاطفة حادّة من الانتماء إلى الجنس المقابل.

ثمة، في الانتماء إلى الجنس المقابل، قلب حقيقي لتوحّد المرء بجنسه، المذكّر أو المؤنث، يسبّب في بعض الأحيان جنسية مثلية، ويسبّب أيضاً تبنّي سلوكات اجتماعية وارتداء ثياب الجنس الآخر. ويمسّ الانتماء إلى الجنس المقابل شخصاً من خمسين ألفاً وهو أكثر تواتراً لدى الرجال منه لدى النساء بأربعة أضعاف. ولايُعرف له أي سبب وراثي، جسمي أو هرموني، ويظلّ، في الوقت الراهن، ظاهرة لاشرح لها. وفي رأي جـ.ر. ستولر (1970)، يظهر الصبي الصغير، الذي ينتمي إلى الجنس الآخر، أنوثته بدءاً من الثانية أو الثالثة: إنه يرغب في أن يكون بنتاً، يرتدي ويسلك بوصفه كذلك، ويلعب بلعبة الدمية ويشعر أن الصبيان يجذبونه أكثر من البنات، إن أمه رغبت هي نفسها رغبة قوية في أن تكون صبياً عندما كانت في مرحلة الكمون، بدءاً من السابعة أو الثامنة؛ ورغبتها في الذكورة اختفت عند البلوغ، ثم تزوجت، لكن استيهامات الانتماء إلى الجنس المقابل بدت مجدّداً بمناسبة ولادتها صبياً، أصبح قضيبها المتخيّل. فكل طفل، بالنسبة للأم، مكافئ عضو ذكر، ولكن الطفل الذكر يتخذ قيمة خارقة بالنسبة للأمهات اللواتي رغبن رغبة شديدة في أن يكنّ، هن أنفسهن، رجالاً.

إن الدكتورين ل. أوفيسي (و) إ. بارسون من **جامعة كولومبية** يصنّفان الذين ينتمون إلى الجنس المقابل في فئتين: 1- عشرون بالمئة من الأفراد المعنيين حياديّون من الناحية الجنسية أول الأمر، يصبحون فيما بعد إما متنكرّين بلباس الجنس الآخر، وإما جنسيين مثليين. إنهم يعيشون ذكورتهم رعباً ويمقتون عضو الذكر لديهم، عضواً يتمنّون التخلّص منه. وإذ يشعرون بأنهم نساء، فإنهم يعيشون بوصفهم كذلك ويجذبهم الرجال جنسياً. وليس ارتداؤهم لباس النساء أمراً فيتيشياً: وإذا كانوا يرتدون ثياب النساء، فذلك لأنهم يعتبرون هذه الثياب مطابقة لطبيعتهم الحقيقية. إنهم مرشّحون بشوق لعملية جراحية تحوّلهم إلى مايرون أنها طبيعتهم؛ 2- المنتمون إلى الجنس المقابل الثانويون (70 بالمئة من الأفراد) يصلون إلى حالتهم هذه بعد مراحل طويلة من الجنسية المثلية (50 بالمئة من الحالات) أو من ارتداء ثياب الجنس الآخر (20 بالمئة). والمنتمون إلى الجنس المقابل المتنكّرون بلباس النساء أشدّ تمسكاً برجولتهم من أن يغيّروا نمط حياتهم. إنهم متعلقون بعضو الذكر لديهم وتنكرهم بثياب النساء أمر فيتيشي (إنهم يشعرون باللذة في أن يرتدوا كامرأة). أما المنتمون إلى الجنس المقابل الجنسيون المثليون، فهم مخنّثون، انفعاليون، ولتنكرّهم بثياب النساء، غير الفيتيشي، هدف مفاده إغواء الرجال.

ولايريد المنتمون الحقيقيون إلى الجنس المقابل أن يكونوا على وجه الخصوص في التباس مع الجنسيين المثليين الذي يعلّقون أهمية كبيرة على أعضائهم التناسلية. ففي حين أن الجنسي المثلي رجل يعتبر نفسه رجلاً، ولكنه يحبّ رجلاً آخر ويرغب في أن يحبّه الرجل الآخر، ينكر المنتمي إلى الجنس المقابل، هو ذاته، أن يكون رجلاً؛ إنه يشعر بعمق أنه امرأة، وكونه على علاقة جنسية بامرأة أمر يبدو له من طبيعة جنسية مثلية. وعضو الذكر لديه يظهر له ذا بشاعة فائقة، ولن يكفّ حتى يفلح في إلغائه ويجد مجدداً تكوّنه «الحقيقي». وهذا هو السبب الذي من أجله يطلب بإلحاح أن يخضع لتحوّل جسمي بتدخّل جراحي. والعمر الوسطي للأفراد الذين يصوغون طلباً من هذا النوع اثنتان وعشرون سنة. وهذا التدخّل الجراحي يشمل، لدى الرجل، استئصال عضو الذكر، خصاء، وإيجاد فرج مزيّف.

ويشمل، لدى المرأة، بتر الثديين وصناعة عضو ذكر بواسطة زرع عظمي ذاتي يتألف من الضلع السابع. وتُمارس هذه العمليات الجراحية، التي لاتزال ممنوعة في فرنسة عام 1980، وفي المغرب، والدانمارك، وانغلترة، وفي بلدان المشرق والولايات المتحدة الأمريكية. وكانت تغيّرات الجنس التشريحية البالغة نحو ألف حالة، خلال عشر سنوات على وجه التقريب، قد مورست في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي فرنسة إنما مُنحت الموافقة عام 1978 للمرة الأولى منتمين إلى الجنس المقابل على تغيير حالتهم المدنية. وثمة مثال مشهور لتغيير الجنس والحالة المدنية هو مثال الكاتب الانغليزي جيمس موريّس، الذي أصبح جان موريّ، وقصّ تجربته الشخصية في كتابه **اللغز** (باريس، غاليمار، 1974) وكان يتطلّع، منذ السادسة من عمره، إلى أن يكون بنتاً، ويصلّي كل مساء للسماء كي تخلّصه من أعضائه الجنسية التي لم تكن تناسبه. وكان مع ذلك قد تزوّج، وصمّم في النهاية، على الرغم من أنه أب لخمسة أطفال، أن يغيّر جنسه. وتناول هرمونات أنثوية من الثامنة والثلاثين من عمره حتى السادسة والأربعين، ثم خضع لعملية في الدار البيضاء عام 1972. ومنذ ذلك الزمن، سكنت نفسه وشعر أنه حرّكونه يعيش وفق طبيعته العميقة. وروى ر. جـ. ستولر (1968) حالة رجل مكتئب، قريب من الوقوع في حالة الذهان، أصبح، بعد تحوّل جنسي مماثل، صبيّة جميلة، سعيدة، جيّدة التكيّف. وعندما يرفض الجراح الذي استشير، على العكس، أن يجري التحوّل المورفولوجي المأمول، يحدث أن يلجأ المنتمي إلى الجنس المقابل إلى تناول الإستروجين ليخلق ضرباً من حالة التشدّي. ويمكنه، في بعض الحالات، أن يخصي نفسه، أي أن ينتحر.

M.S.

الإنجاز، الأداء

F: Performance

En: Performance

D: Leistung

استخدام قابلية ونتيجة هذا الاستخدام، اللذان يمكننا انطلاقاً منهما أن نستنتج إمكانات فرد في مجال خاص.

مفهوم الإنجاز أو الأداء، في القياس السيكولوجي، يُطبّق على روائز الذكاء غير اللفظية، التي تتيح تقييم الوظائف العقلية المستخدمة في عدد معيّن من الأوضاع المشخّصة، كدمج الأشكال الهندسية أو إعادة بناء موزاييك. وبوسعنا، على هذا النحو، أن نكون مطّلعين على قدرات الانتباه، والملاحظة، والتحليل والتركيب، والتنظيم الإدراكي للشخص المفحوص، وعلى حسّه العملي أيضاً. وميزة هذه الاختبارات ترتبط بواقع مفاده أنها ممكنة التطبيق أيضاً، على حدّ سواء، على أفراد أسوياء مثقفين وعلى أشخاص معوقين لفظياً: صمّ-بكم، أجانب، أميين، إلخ. وفي عداد الأكثر شهرة من هذه الاختبارات تمثُل مكعّبات كوس، سلّم غراس أرثور، سلم ألكسندر، والجزء غير اللفظي من سلالم ويشلر.

ويُسمّى «إنجازاً» أو أداء، في نظرية ن. شومسكي الألسنية (المولود عام 1928) مجموع الآليات المستخدمة في الكلام (للتعبير عن فكرة المرء وفهم فكرة الغير). وينطوي هذا المفهوم بالضرورة على مفهوم **الكفاية**، أي على معرفة ألسنية يتعذّر لولاها استعمال اللسان. ولكن الإنجاز لا يرتدّ إلى انتقال الكفاية من القوة

إلى الفعل؛ وحتى أنه لايعكسها إلا على نحو جزئي جداً وبصورة غير كاملة، والسبب بصورة جزئية أن الكفاية تبتكر، ابتكاراً مستمراً، أشكالاً جديدة من التعبير، وأن الإنجاز يصيبه على وجه الخصوص تأثير شروط سيكولوجية عديدة: تغيّرات الانتباه، عيوب التذكّر، الانفعالات، إلخ، التي تظهر، على مستوى الكلام، بهفوات وزلات لسان، وضروب السهو، ببناء جمل معيبة، وهكذا دواليك. فكل هذه التصرّفات تهمّ عالم النفس، ذلك أن عن دراستها تنجم معلومات ذات أهمية، ليس بالنسبة لقدرات الفرد اللفظية وذكائه فحسب، ولكن بالنسبة أيضاً لحالة العمل الوظائفي لجملته العصبية السيكولوجية وحتى بالنسبة لوجدانيته. (انظر في هذا المعجم: **القابلية، الكفاية، الذكاء، زلة اللسان أو هفوة**).

N.S.

الانجذاب الجنسي نحو الأطفال

F: Pédophile

En: Pedophilia

D: Padophilie

الاشتقاق: من اليوناني pais، paidos أي طفل، و philos بمعنى صديق.

انجذاب جنسي لراشد نحو الأطفال.

هذا الانحراف الجنسي نجده في الجنسين، ولكنه أغلب لدى الرجال منه لدى النساء، وهو أكثر تواتراً لدى الجنسيين المثليين. ويذكر مانيان حالة امرأة في التاسعة والعشرين من عمرها كانت تكابد حاجة عنيفة إلى العلاقات الجنسية مع أحد أبناء أخيها ذي خمس سنوات من عمره؛ وكانت تبلغ هزّة الجماع بمجرّد تأمّل هذا الطفل. ويتردّد بعض الذين يعانون الانجذاب الجنسي نحو الأطفال إلى الحدائق العامة لينظروا إلى الأطفال يلعبون؛ ويجذبونهم في بعض الأحيان إذ يقدّمون لهم السكاكر أو الهدايا الصغيرة ليشبعوا رغبتهم. والجذب الجنسي الذي يمارسه الطفل على الراشد يمكنه، عندما يكون لاشعورياً وأفلاطونياً، أن يظهر باختيار بعض المهن البيداغوجية. ويقود في بعض الأحيان إلى العلاقة الجنسية مع الطفل أو المراهق. ويرتبط الانجذاب الجنسي نحو الطفل بعدم النضج الوجداني للفرد وتشرحه عاطفة من الدونية. والمنجذب جنسياً نحو الأطفال، العاجز عن أن يواجه شريكاً راشداً، يكتفي بالأطفال الذين يكونون بمستواه.

M.S.

F: Déviance ou deviation sociale الانحراف الاجتماعي

En: Déviance

D: Deviation

تصرف شخص أو جماعة يبتعد عن الحدود التي يضعها المجتمع.

يحدّد كل مجتمع معايير اجتماعية وإطار التغيرّات الفردية المقبولة. والمنحرف هو من لايحترم هذا الإطار وهو، إذ يفعل ذلك، يهاجم **الإجماع** القائم هجوماً بعنف. ويفيد في بعض الأحيان مع ذلك من تساهل مواطنيه المازح (كما في حالة شخص غريب التصرف، في مدينة بالغرب الأمريكي، كان يقدّم الزهور إلى عليّة القوم بمناسبة رأس السنة، ويتلقّى منهم هدايا ويرسل القائمة بالثمن مع بائع الزهور)، ولكنه يُعامل بتسامح غير مستساغ ويثير عدوانيّة الذين يحيطون به. ويخلق وجود «منحرف» في جماعة ضروباً من التوتّر. فكل فرد يبذل جهده، في البداية، للتأثير فيه بغية ردّه إلى المعيار، ثم ينتهي الأمر بالجماعة، في حال الفشل، إلى إهماله، ويُنبذ إذا كانت الجماعة شديدة التماسك. وربما يكون الانحراف، عندما لايكون نادراً على وجه الدّقة بل تشارك فيه جماعة كاملة من الأشخاص (كالهيبيين على سبيل المثال) أو فئة اجتماعية كاملة (كالمراهقين)، كاشفاً عن عسر عميق ويطرح مشكل قدرة البنيات القائمة على حلّ بعض المسائل الاجتماعية، كالحرية الجنسية وابتكار نمط من الحياة جديد. (انظر في هذا المعجم: **الأنوميا**، **السلوك**، **جماعة بالو ألتو**).

N.S.

الانحراف الإحصائي

F: Écart, Déviation

En: Deviation, Range, Variation

D: Abweichung

بُعد يفصل عنصراً عن عنصر إحالة يمثّل مجموعاً.

نحتاج في الإحصاء إلى أن نعرف تشتّت مجموعة من القياسات أو الملاحظات، يمكن أن تقيّمه شتى المؤشرات المسماة «انحرافات» بالإضافة إلى أن نعرف النزعة المركزية لها.

نسمّي **الانحراف المتوسط بالنسبة للوسيط** المتوسط الحسابي لمربعات القيم الفردية (مأخوذة بالقيمة المطلقة) بالنسبة لوسيط التجمّع الذي تنتمي إليه.

الانحراف المتوسط المطلق أو **الانحراف الحسابي** هو المتوسط لانحرافات المعطيات الإحصائية (مأخوذة بالقيمة المطلقة) بالنسبة إلى وسطها الحسابي.

الانحراف المحتمل أو **المتكافئ الاحتمال**، الذي يُسمّى **الوسيط** أيضاً، هو، في توزيع طبيعي (المقابل لمنحنى الجرس، منحنى لابلاس- غوس)، البعد المتناظر بالنسبة للوسط الذي يحدّد منطقة تحتوي 50بالمئة من عناصر المجموعة الإحصائية:
وهذا البعد يساوي= σ 0,67 =σ 3/2

المدى أو المسافة لمجموعة إحصائية هو الانحراف بين القيم القصوى لسمة (شدّة، وزن، حاصل ذكاء، إلخ) في مجموع إحصائي أو عينة.

الانحراف الرُبْعي أو نصف الربيعي يساوي نصف الفارق بين الرُبَع الأول والربيع الثالث =

$$\frac{\text{الربيع 3 – الربيع الأول}}{2}$$

الانحراف المعياري يُعرّف أنه الجذر المربع للتباين، أي الوسط الحسابي لمربعات الانحرافات الفردية بالنسبة للمتوسط :

$$\text{ع}\ (\sigma) = \sqrt{\frac{\text{مجـ}(\text{س} - \text{سَ})^2}{\text{ن}}}$$

حيث سَ الوسط الحسابي، ن عدد القيم، س رمز يدلّ على المتغير موضوع التحليل ويتخذ عدة قيم س١، س٢، س٣. . . س ن.

وينطوي التباين (أي الوسط الحسابي لمربعات الانحرافات الفردية بالنسبة للمتوسط) على مزية بالنسبة للانحراف المعياري أنه أسهل استعمالاً في الحسابات من الانحراف المعياري، ولكن دلالة الانحراف المعياري أسهل إدراكاً، ذلك أنه ذو طبيعة المتغيّر نفسه : حاصلات الذكاء في مجموعات من المستويات العقلية، الغرامات بالنسبة لمجموعات الوزن، إلخ. وتتوزّع القيم، في توزيع طبيعي، توزعاً متناظراً حول الوسط. والانحراف المعياري، من ناحية التمثيل البياني، هو البعد الذي يفصل نقطة انثناء منحنى الجرس عن محور التناظر. فبين -1 و +1 انحراف معياري (أو **سيغما**)، توجد نسبة من الفئة السكانية في التوزيع الطبيعي الممثلة على الجرس تبلغ 8,2 بالمئة؛ وبين -2 و +2 سيغما، توجد نسبة 95,4 بالمئة من الفئة السكانية، وتوجد نسبة 99,8 بالمئة منها -3 و +3 سيغما.

الانحراف المختزل أو **المتغيّر المتمركز المختزل**، المسمّى في علم النفس التقني «وضع العلامة بالسيغما»، هو حاصل الانحراف الفردي بالنسبة للمتوسط على الانحراف المعيار.

ويتخّذ الانحراف المختزل، على خلاف الانحرافات السابقة التي يكمن موضوعها في تمييز توزيع إحصائي، قيمة خاصة بالنسبة لكل عنصر من المجموع.

N.S.

الانحــراف الجنسي

F: Perversion

En: Perversion

D: Perversion

ابتعـاد الغرائز عن السواء.

لم يكنِ الانحراف يُعزى، بمعنى الفساد أو ضدّ الطبيعة، إلى الانحرافات الجنسية إلا على نحو متأخّر جداً، وبفعل مسيرة مرّت بالاجتهاد القضائي. ففي **كـارولينة** (1532)، خليط من الحـقـوق الكنسيـة والرومـانيـة والألمانيـة، تبـدو الانحرافات الجنسية، بوصفها جرائم شنيعة، تصدم العقل والأخلاق. ويعرضها رجل القانون الألماني بينيديكت كارنبرو (ويتنبرغ، 1595 - لايبزغ، 1966) بمعنى مماثل: من يمارس لواط الذكور في العلاقات الجنسية المثلية أو البهيمية يتعرّض إلى خطر الانتهاء في المحرقة؛ والجماع الشرجي في العلاقات الجنسية الغيرية، كذلك، «الأوضاع غير المشروعة»، يسبّب «فقط» حكم الإعدام. وكتب الطبيب الألماني مـارتان شـوريغ، في بداية القـرن الثـامن عشـر، أول مـؤلف في علم الأمـراض الجنسية، عنوانه على التوالي: **مبحث المنيّ** (1720)، **أعضاء التناسل لدى المرأة** (1729)، **علم أمراض النساء** (1730). ويستأنف هذا المؤلف لحسابه مصطلحات ب. كاربزو، التي يكملها مضيفاً إليها اشتهاء الموتى والجماع الذي يُمارس مع الأشياء غير الحيّة. ولم يعتبر الانحرافات الجنسية ظاهرات مرضية إلا فيما بعد. إن الجماع الناقص على وجه الخصوص هو الذي يشغل بال رجال الفن في القرن التاسع عشر (الجماع الناقص مصطلح ندين به للطبيب الانغليزي بيكّرز). ويشبّه

بيكرز الجماع الناقص (نشوء، **38**، 9)، المتأثّر بالطهرية الانغليزية في القرن السابع عشر وبـ **المطوّل لمكافحة الدنس** (1707) لمؤلفه الراعي والكاتب الأخلاقي السويسري فريديريك أوستيرفال (نيوشاتل، 1663 - نيو شاتل، 1747) بالاستمناء ويعرّف هذا المصطلح أنه الخطيئة المرتكبة ضد الطبيعة، التي يمكنها أن تسبّب على وجه الخصوص اضطرابات معدية معوية، وضروباً من الشلل شتّى (سُهام ظهري) أو أن يقود إلى الانتحار (قصاص ذاتي). ولكن الأمر لا يعدو كونه مرضاً مصطنعاً شأنه شأن إثارة أمراض طبيّة المنشأ (أي مرضاً يحرّضه الأطباء)، مرضاً حدّدته الكالفينية بأنه انحراف، كالفينية القرن الثامن عشر. ويبدو الجماع الناقص، في **علم النفس المرضي الجنسي** لمؤلفه هـ. كان (1843) أنه النموذج الأصلي لكل الانحرافات الجنسية التي يمكن أن تُعزى إلى نوعية الطبيعة الإنسانية. ولكن العصر التالي سجّل تراجعاً في وجهة النظر الأنتروبولوجية هذه، إذ «شرح» الانحرافات بضرب من الانحطاط. إن الطبيب النفسي الفرنسي ب. أ. موريل (1809 - 1873)، ذا التكوين اللاهوتي أيضاً، هو الذي كان مصدر هذه النظرية المستوحاة من الدين. فنشر عام 1857 **مطوّلاً في الانحطاط** رسم فيه رسماً أول لتاريخ الإنسانية الطبيعي: الإنسان، الذي خلقه الله على صورته، أفسدته «الخطيئة الأصلية»؛ والمرض والانحطاط ينضويان إلى المنطق ذاته. وسيظلّ موريل، حتى بعد كشوف شارل داروين (1809 - 1882) في أصل الأنواع (1859)، وفيّاً لنظريته التي يسودها قانونان أساسيان: قانون وراثة العيوب الجسمية والعقلية، وقانون تعاظم الانحطاط الذي يفضي إلى انطفاء الفرع المصاب. وللانحطاط مبحث أسباب هو نفسه مبحث أسباب الاغتراب العقلي، الذي يتّصف أحد أشكاله أنه الانحراف الجنسي الذي يمكنه أن يتّخذ مظاهر كثيرة: هوس الشهوة الجنسية، اشتهاء الموتى، الغلمة النسوية، غلمة الرجال. فأساسه يكمن في الخطيئة الأصلية دائماً. ويسلك الدربَ نفسه فالنتان مانيان (1835 - 1916) وجان مارتان شاركو (1825 - 1893). ويرفض مانيان مع ذلك، بوصفه داروينياً، جانب اللاهوت من نظرية موريل ويؤكد على العكس أن النوع الإنساني يتطوّر نحو الكمال، ولو أن

هذا التطور يعاني بعض «الحوادث» التي هي في منشأ الانحطاطات. ويصنّف المرضى العقليين في أربع فئات: الشوكيين، الشوكيين الدماغيين الأماميين، الشوكيين الدماغيين الخلفيين، والدماغيين الأماميين، وينشر مع جـ. م. شاركو مطولاً في **عكس الاتجاه التناسلي وانحرافات جنسية أخرى** (1881)، يجعل فيه هذه الشذوذات ذات علاقة بالانحطاط. وريتشار فون كراف- إيبنغ (مانهايم، 1840 - غراز، 1902) هو الذي يصبح المنظّر الأساسي للانحطاط ومؤسّس علم الأمراض الجنسية. ويعالج في البداية (1879)، كأسلافه، الانحرافات في فصل خاص للطب النفسي. ثم ينشر عام 1886 كتابه الشهير **علم النفس المرضي الجنسي** الذي يدرس فيه الأشكال الأكثر أهمية من الانحرافات: السادية، المازوخية، الفيتيشية والجنسية المثلية. وفي رأيه أن ثمة مراكز نفسية جنسية توجّه على نحو فطري مسلك الإنسان نحو الجنسية الغيرية؛ ولكن هذه المراكز يمكنها أن تتشوّه بفعل الانحطاط، وذلك أمر يشرح بعض السلوكات الشاذّة. وحتى ماغنوس هيرشفيلد، الذي وضع منشأ مرضياً للانحرافات الجنسية، قائماً على المورفولوجيا واضطرابات الغدد الصمّ، يحتفظ بمفهوم الانحطاط. ولا بدّ من انتظار سيغموند فرويد (- 1939 1856) حتى يكون هذه المفهوم أخيراً موضع الإهمال بالتدريج.

A.L.W.

يميّز س. فرويد، في كتابه **ثلاث محاولات في نظرية الجنسية**، تلك التي، من الانحرافات، تكون ناجمة عن انحراف بالنسبة لـ **الموضوع** الجنسي وتلك التي تنجم عن انحراف بالنسبة لـ **الهدف**. فالدافع الجنسي، في الحالة الأولى، يمكنه أن يتوجّه انتقائياً نحو شخص من الجنس نفسه (**قلب**)، نحو طفل (**انجذاب جنسي نحو الأطفال**)، حيوان (**بهيمية**)، أو حتى نحو موضوع غير حيّ. فرافعة نهدين، أو سروال نسائي أو حذاء نصفي، أيها يصبح مكافىء جزء من الجسم الذي أُضفيت عليه قيمة عليا (فيتيشية). وفي الحالة الثانية، لا يكون الهدف المنشود تقارب

الجنسية، بل استخدام أجزاء من الجسم (الفم، الغشاء المخاطي الشرجي) لتحقيق الجماع. أو أن الفعل الجنسي يقتصر أيضاً على بعض الفاعليات كالملامسات وعرض الأعضاء الجنسية أو تأملها. وأخيراً، فإن الرغبة في العنف (فعل العنف أو تلقّيه)، التي هي إلى درجة معيّنة، عنصر طبيعي من عناصر الجنسية (عنصر يمكن أن تقدّم لنا البيولوجيا شرحه)، يمكنها أن تصبح مغالية وتفضي إلى السادية والمازوخية. ولا يعلّق فرويد بمصطلح الانحراف أي سمة من سمات التأنيب، ذلك أنه يقول إن «الاستعداد للانحرافية ليس شيئاً نادراً واستثنائياً، ولكنه جزء لا يتجزأ من التكوين السوي» (1905، الترجمة الفرنسية 1949، ص70). ولن يُعتبر الانحراف عَرَضاً مرضياً إلا عندما توجد «الاقتصادية والتثبيت»، أو في حالات غريبة كالانجذاب الجنسي نحو الأطفال وأكل الغائط.

وفي رأي بعض المؤلفين الآخرين (مارسيل إيك، 1974 ص 311)، يُعرَّف الانحراف الجنسي على وجه الخصوص بأنه انتهاك حرمة القانون. فالمنحرف ينهل لذته، أول الأمر، في تجاوز الممنوعات والبحث عن الشر: إنه يسبّب الكارثة، ويحب التدمير، وتوجيه الإهانة، وتوسيخ الغير؛ ويتباهى بانحرافه ويسعى جهده لجرّ أشخاص آخرين خلفه.

ونجد، بين الأسباب التي تُذكر للانحراف، سبب التخلّف العقلي، وفقدان التوازن الجبلّي، والإصابات العصبية، ولا سيّما الرضوض في الجمجمة، والإدمان على السموم، والتهابات الدماغ (في أعوام 1917 - 1925، في أعقاب التهاب الدماغ الوبائي الذي عاث فساداً في أوروبة، لوحظ أن أشخاصاً أسوياء من قبل كان لهم سلوك منحرف). ويلحّ المحلّلون النفسيون على وجه الخصوص، من جهتهم، على تأثير الوسط، والصدمات الوجدانية في الطفولة الأولى، والتربية.

N.S.

الانحـراف المعيــاري F: Écart type

En: Stadard deviation

D: Standarda bweichung

مقياس تشتّت لمجموع إحصائي عناصره تُقيَّم على سلم قياسي، بالنظر إلى أن قيمة هذا المقياس تُحدّد بوصفها المتوسط التربيعي للمتغيّر المتجمّع.

يُقاس التشتّت، بالنسبة لمتغيّر إحصائي من طبيعة قياسية V، إنطلاقاً من قيمة متوسطة $\bar{V}$؛ ولمجموع الانحرافات d (أو الانحرافات الجبرية) قيمة عدم (O=d∑) لأن الانحرافات السلبية تعوّضها الانحرافات الإيجابية. ومربع الانحرافات d^2، أعني مربّعات قيم المتغيّر المتجمّع $Dv = V - \bar{V}$، هي على العكس، موجبة دائماً، ومجموع المربّعات $\sum d^2$ يبيّن أهمية انحرافات الملاحظات من جانبي المتوسّط؛ فهذا المجموع هو إذن مؤشر درجة التوزّع في المعطيات. وثمة تبنٍّ بصورة كلية للكمية المتوسطة باسم «تقلبات المتغيّر» أو التباين (Variance):

$$Vari\ (V) = \frac{\sum d^2}{N} = \frac{\sum (V-\bar{V})^2}{N}$$

حيث N هي عدد قيم المتغيّر.
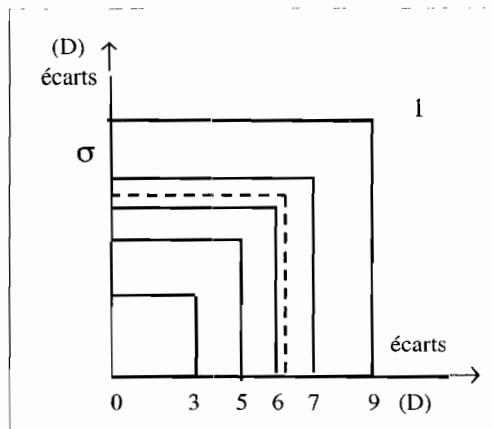
والمتوسط التربيعي للمتغير المتجمّع يسمّى «الانحراف المعياري» للمتغيّر (أو للمجموعة الإحصائية) ويُشار إليه بـ:

$$\sigma\ (V) = \sqrt{var\ (v)} = \sqrt{\frac{\sum d^2}{N}}$$

ويمكننا القول إن التباين variance هو مربع متوسط الانحرافات الممثّلة بيانياً على النحو المشار إليه أدناه (I)، بالنظر إلى أن انحراف ملاحظة هو القيمة المطلقة للانحراف .

مثال ذلك : تمثيل مربعات الانحرافات لمجموع من العلاقات :

. g = V̄ حيث V = (16, 14, 12, 3, 0)

الشكل الأول : حساب الانحراف المعياري

$$Dv = (-9, - 6, 3, 5, 7)$$

$$Var (V) = \frac{9 + 25 + 36 + 81}{5} = 40$$

$$\sigma (V) = \sqrt{40} = 6,3$$

ويبيّن الجدول رقم (2) كيف أن الانحراف المعياري σ لمجموع إحصائي **يمكنه** أن يُحسب مباشرة .

ويصبح هذا الحساب ، بالنسبة لمجموع يتضمّن عدداً كبيراً من **الملاحظات** وينطوي متوسطه على فواصل عشرية ، طويلاً جداً أو غير دقيق إذا لم نأخذ بالحسبان عدداً كافياً من الفواصل العشرية . والواقع أننا نختزل حجم الحسابات إذ نطبّق الصيغة التالية :

$$Var (V)= \frac{\sum v^2}{N} - \overline{V}^2$$

ويُبسَّط الجدول كما هو مبين في الجدول (3).

ويقابل متغيّر ذو انحراف معياري ضعيف توزيعاً مضغوطاً حول المتوسط ؛ إن له إذن منحنى تكرار محدّباً نسبياً. ويقابل توزيع منبسط ومنحنى تكرار مسطّح انحرافاً معيارياً كبيراً (4).

ومن المفيد أن نشبّه مجموعة إحصائية ذات ملاحظات عددها N بالشعاع الموجه في فراغ ذي أبعاد عددها N . فالشعاع الموجّه-انحراف $\vec{D}$ له، في هذا الفراغ، مكوّنات (d_N,... d_2, d_1)، ومربّعه السلّمي هو :

$$\vec{D}^2_V = d^2_1 + d^2_2 + ... + d^2_N = \sum d^2,$$

والتباين هو :

$$Var (V) = \frac{d^2}{N}$$

والشعاع الموجّه-انحراف هو، من جهة أخرى، بالتعريف

$$\vec{D}v = \vec{V} - \vec{V}$$

وعندما تكون المعطيات متجمّعة في فئات إحصائية، تصبح صيغة التباين :

$$Var (V) = \frac{n1\ d^2_1 + n2\ d^2_2 + ...}{N} = f_1\ d^2_1 + f^1_2\ d^2_2 + ... = \sum fd^2$$

2

Q.I. \ Sujets	*A*	*B*	*C*	*D*	*E*	..	*M*	*N*	totaux
v	84	100	92	77	87	..	105	89	1 379
d	− 14,5	1,5	− 6,5	− 21,5	− 11,5	..	6,5	− 9,5	0
d^2	210,25	2,25	42,25	462,25	132,25	..	42,25	90,25	2 351,5

$\overline{V} = \frac{1\ 379}{14} = 98,5$ $\quad Var (V) = \frac{2\ 351,5}{14} = 167,964$ $\quad \sigma(V) = \sqrt{167,964} = 12,96$

الشكل الثاني : حساب الانحراف المعياري

3

sujets / Q.I.	A	B	C	D	...	K	L	M	N	totaux
v	84	100	92	77	...	95	123	105	89	1 379
v^2	7 056	10 000	8 464	5 929	..	9 025	15 129	11 025	7 921	138 183

$\overline{V} = \frac{1\,379}{14} = 98{,}5$ $\quad \overline{V}^2 = 9\,702{,}25$ $\quad \mathrm{Var}\,(V) = \frac{138\,183}{14} - 9\,702{,}25 = 167{,}964$

$\sigma(V) = 12{,}96$

الشكل الثالث : حساب الانحراف المعياري مطبّق على حاصل ذكاء مجموعة من الأفراد.

(*Exemple repris de l'article* DISTRIBUTION)
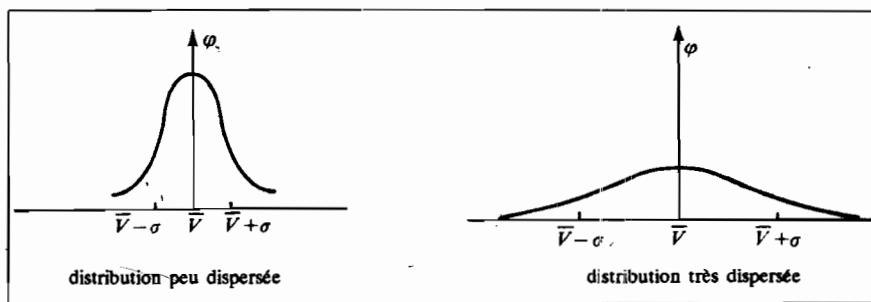
الشكل الرابع : توزيع مشتّت جداً (اليمين)، توزيع ضعيف التشتّت (اليسار).

5

variable Q.I. (centres de classes v)	effectifs de classes n	sommation nv	v^2	sommation nv^2
125	1	125	15 625	15 625
115	2	230	13 225	26 450
105	2	210	11 025	22 050
95	5	475	9 025	45 125
85	3	255	7 225	21 675
75	1	75	5 625	5 625
	14	1 370		136 550

$$\overline{V} = \frac{1\,370}{14} = 97{,}9 \qquad \sum fv^2 = \frac{\sum nv^2}{N} = \frac{136\,550}{14} = 9\,753{,}57$$

$$\text{Var}\,(V) = \sum fv^2 - \overline{V}^2 = 9\,753{,}57 - 9\,584{,}41 = 169{,}16$$

$$\sigma(V) = \sqrt{169{,}16} = 13{,}01$$

الشكل الخامس : حساب الانحراف المعياري مطبّق على حاصل ذكاء مجموعة من الأفراد مؤلفة من فئات . ترجمة الترويسة من اليسار إلى اليمين :

1) متغيّر حاصل الذكاء (مركز الفئات v) ؛

2) عدد الفئات n؛

3) إجمالي nv؛

4) V^2؛ إجمالي nV^2.

J.M.M.

الانزياح، الانتقال

F: Déplacement

En: Displacement

D: Verschiebung

آلة تكيّفية تنتقل الطاقة النفسية من «موضوعها» الحقيقي إلى موضوع بديل.

يقتصر الفرد، عندما الحاجة الفيزيولوجية لا يمكنها أن تُشبَع جرّاء غياب الموضوع الملائم، على موضوع آخر أقل اتّصافاً بأنه مناسب. ومثال ذلك أن السكان استهلكوا، خلال الحرب العالمية الثانية، عدداً من المنتجات البديلة: الحبوب المنتشة المشويّة أو نُوى التمر المحمّصة بدلاً من القهوة، نبات القلقاس الرومي بدلاً من البطاطا، العشب أو أزهار الأوكاليبتوس المجفّفة بدلاً من التبغ. ويلاحظ انزياح مماثل لدى بعض الحيوانات عندما يُعاق سير الفاعلية الغريزية، إما أن ميلين متعارضين يظهران معاً (الهجوم والهرب على سبيل المثال)، وإما أن فعل الاستهلاك متعذّر، بعد طور من البحث (سلوك الشهوة). فالحيوان ينكبّ على **فاعلية بديلة**، هي غير ذات علاقة على وجه العموم بالميول المنشّطة: مثال ذلك أن التعشيش ينوب مناب معركة متعذّرة أو النقر مناب رفض التسافد. فهذه الفاعليات البديلة تقلّص التوتّر المتراكم حين تحوّل اتجاه الطاقة. إن هـ. س. ليدل (1944) لاحظ، في دراساته المنعكسات الشرطية، ظاهرة شبيهة، لأن خروفاً مشروطاً أن يسحب قائمته الأمامية اليمنى، أمام إشارة ضوئية إلى الوراء، يرتكس بإرجاع القائمة الخلفية عندما تُشلّ حركة القائمتين الأماميتين. ويظهر الانزياح لدى الإنسان في تكوّنات اللاشعور جميعها، ولا سيّما في الأحلام (توضع صورة مكان صورة

أخرى، وينوب حادث غير ذي أهمية مناب حدث آخر هامّ) وفي الأعراض العصابية. والانزياح يمكنه أن يحدث في المكان، كما هي الحالة في الرهابات (رهاب الخلاء ورهاب الاحتجاز. . .) حيث الحصر الناشىء من نزاع نفسي يسقطه الفرد على موضوع خارجي بالنسبة له بغية السيادة عليه بصورة أفضل، أو يمكنه أن يحدث في الزمان: مثال ذلك أن «رجل الذئاب» الذي حلّله س. فرويد لا يبكي لموت أخته ولكنه، فيما بعد بزمن طويل، يبكي على قبر بوشكين. ويروي ديموند موريّس، في كتابه **الثنائي العاري**، حالة رجل شيخ كان يذهب بانتظام، بعد أن فقد زوجته، إلى حديقة الحيوانات، يزور نمرة كان يحاول الاقتراب منها ومداعبتها على الرغم من المنع المتكرّر. فهذه النمرة كانت، بالنسبة له، تجسيد زوجته الميتة، وكان قد نقل كل محبته إليها. ونجد في الألسنية أسلوب الانزياح في **الاستعارة** (إبدال ألفاظ متشابهة بعض التشابه: «الحمامات البيضاء» لـ «فتيات طاهرات») وفي **الكناية** (علاقة اقتران: «قنينة جيّدة» لـ «خمر جيّد»). (انظر في هذا المعجم: **الرقابة، التحوّل، اللاشعور، الاستعارة، الكناية، الحلم**).

M.S.

F: Clivage de l'objet

انشـطار الموضوع

En: Splitting of the object

D: Objekt Spatung

حال من الدفاع الأولى ضد الحصر في نظرية ميلاني كلاين: الموضوع الذي تنشده دوافع الحياة (إيروس) ودوافع الموت، سواء أكان «موضوعاً جزئياً» كالثدي أم «موضوعاً كلياً» كالأم، ينقسم إلى جزأين، أحدهما طيّب والآخر سيء، فالأول يُستدَخل والثاني يُسقَط إلى الخارج.

انشطار «الموضوعات الجزئية» موجودة بصورة طبيعية في الأشهر الأربعة الأولى من الحياة (**وضع شبه ذهاني هذائي - شبه فصامي**)؛ وانشطار «الموضوع الكلي» موضع الممارسة نحو أواسط السنة الأولى، عندما ينشأ «**الوضع الاكتئابي**» ويكون الطفل قادراً على أن يدرك أمه في كليتها. والدوافع الليبيدية المدمّرة تنصبّ على الشخص نفسه في العالم الاستيهامي للطفل في هذا العمر. ويولد الحصر من ثنائية المشاعر في العواطف، الحصر المسمّى «اكتئابياً»، ذلك أن الطفل يخشى فقدان أمه، جرّاء عدوانيته. ويفلح مع ذلك في أن يتجاوز هذه الخشية، إذ يكبح دوافعه المدمّرة وينمّي استيهامات «التعويض» (الترميم): فجسم الأم، الذي يُصان من هجمات «الموضوعات السيئة»، يصبح طيّباً، جميلاً، كاملاً. (انظر في هذا المعجم: **تكافؤ الضدين أو ثنائية المشاعر، كلاين (ميلاني)، الموضوع، تفكك متدرّج لشخصية الفصامي**).

N.S.

الانطفـــاء

F: Extinction

En: Extinction

D: Auslöschung

زوال استجابة مشروطة تدريجي عندما يتوقّف تعزيزها.

يقتضي ارتكاس شرطي ليدوم (سيلان اللعاب على سبيل المثال) تعزيزاً مفاده أن يُقدّم المنبّه اللاشرطي (بودرة اللحم على سبيل المثال) تقديماً متنظماً على وجه التقريب. وفي حال غياب هذا التعزيز، تبدأ الاستجابة بالضعف، وتنقص سعتها وتواترها، وتتخلّف عن الحدوث وتتوقّف أخيراً توقّفاً نهائياً. وإذا قدّمنا لكلب منبّهاً شرطياً (ضربة إيقاع بندول على سبيل المثال) تقديما متكرّراً وفي فواصل زمنية قصيرة إلى حدّ كاف (من دقيقتين إلى خمس دقائق)، دون أن نُلحقه بالمنبّه اللاشرطي (الغذاء)، فإن اللعاب الذي كان يسيل بغزارة يندر ندرة تتعاظم إلى أن يزول زوالاً كلياً بعد ست تجارب مماثلة إلى عشر. ويصبح المنبّه الشرطي مجدّداً (ضربة إيقاع بندول في هذه الحالة) منبهاً حيادياً في الظاهر؛ فيبدو مجرّداً من دلالته المكتسبة في وضع الإشراط.

ونقول على نحو عام إن انطفاء استجابة شرطية سريع بمقدار ما كانت الاستجابة بطيئة وصعبة التثبيت. فالانطفاء ليس نسياناً؛ إن الاستجابة معلّقة فقط. وهذه الظاهرة ذات علاقة بسيرورة تكيّفية: وإذ يلغي الانطفاء تلك الارتكاسات غير المناسبة على وضع مؤقت، فإنه يتيح للعضوية أن تتكيّف مع وسطها.

G.G.S.

الانطواء

F: Introversion

En: Introversion

D: Introversion

اتجاه الانطواء على الذات.

كان ك. غ. يونغ قد أدخل هذا المصطلح عام (1910) للدلالة على واحد من الاتجاهين الأساسيين اللذين يمكنهما، في رأيه، أن يميّزا شخصاً من الأشخاص: الانطواء والانبساط. ثمة، في الانطواء، انفصال عن **ليبيدو** (أي الطاقة الحيوية في رأي يونغ) العالم الخارجي لمصلحة العالم الداخلي للفرد. فالفرد خلال العلاج اليونغي، يُساق إلى أن يحتاز الشعور بهذا الاتجاه ويُدعى إلى أن ينمّي الاتجاه الذي كان قد قمعه وجهله حتى تلك اللحظة. واستأنف سيغموند فرويد المصطلح ولكنه منحه معنى أكثر محدودية. ذلك أن الليبيدو (المفهوم أنه طاقة دوافع «الحب»)، في رأيه، ينصرف عن الواقع في أعقاب إحباطات متكرّرة ناجمة عن هذا الواقع، ليوظّف نفسه في الحياة المتخيّلة التي يجد فيها آثار الرغبات المنسيّة. ففرويد يمكنه على هذا النحو أن يميّز تمييزاً واضحاً بين الانطواء (توظيف الليبيدو في الاستيهامات) والنرجسية الثانوية (نقل الليبيدو إلى الأنا)، وذلك أمر لا يفعله يونغ. (انظر في هذا المعجم: **الانبساط- الانطواء، الانبساطي، الانطوائي**).

N.S.

الانطواء على الذات

F: Autisme

En: Autism

D: Autismus

استعداد مرضي للانطواء على الذات، يسبّب انفصالاً عن الواقع أو ضرباً من تكثيف الحياة المتخيّلة.

كان إوجين بروير (1857 - 1939) قد اقترح هذا المصطلح عام 1911 للدلالة على جانب أساسيّ من شخصية الفصاميين، جانب ينطوي على قطيعة مع الواقع كاملة قليلاً أو كثيراً، مقترنة بمحاولة إعداد جديد للحياة العقلية المتصدّعة بفعل المرض. وإذا كان التفكّك والتنافر يمكنهما أن يُعتبرا الجانب المدمّر، السلبي و«الأولي» من الفصام، فإن الانطواء على الذات يمثّل عنصره الإيجابي، «الثانوي»، أي محاولة المريض أن ينظّم وجوده الجديد في العالم»، الذي يتمّ بأسلوب مرضي حتماً. فالدوافع الغريزية الوجدانية الأكثر قدماً تنبعث، في قلب ضربٍ من تفكك التنظيم يتعاظم عمقاً، وعلى قاعٍ من التجزؤ وفقدان التماسك يتعاظم بروزاً، انبعاثاً بغزارة وتُغرق الوجود الواعي من المريض الذي لم يعد يفلح في التمييز بين استيهاماته والواقع. والموضوعات الأكثر تنوّعاً (الأوديبية، الجنسية المثلية، السادية المازوخية، السابقة على التناسلية، إلخ) تشكّل مركّباً بأسلوب فوضوي، قبل منطقي، عتيق، سحري على الغالب، يفضي إلى تخيّلات رهيبة في بعض الأحيان، تخلق عالماً متخيّلاً فوضوياً يتعذّر النفوذ إليه. ويبحث الفرد، إزاء هذا الغزو الاستيهامي، أن ينقل إلى محيطه تجربته المثيرة للحصر، إذ يصف ضروباً

من معيش التأثير، وفقدان الشخصية، والغرابة، التي تكوّن لحمة تعبيره الهاذي (**هذيان الذهاء الهذائي**). وإذ يتوصّل على نحو يزداد صعوبة إلى فهم الواقع والتأثير فيه، فإنه ينطوي على ذاته وعلى هذا العالم الداخلي المنكبّ على المخيّلة.

وفي منظور مختلف، وصف الطبيب النفسي الأمريكي من أصل نمساوي عام 1943، ليو كانّر (المولود عام 1984)، باسم **الانطواء على الذات الطفلي المبكّر**، شكلاً من ذهان الطفل. وهذا المرض، الذي يمسّ الصبيان في الأغلب أكثر من البنات (أكثر بمرتين إلى أربع مرات) ويمكنه أن يبدو منذ السنة الأولى، يبين في ضروب من الخلل في النمو النفسي الحركي كبيرة، يمكنها أن تجعل المرء يعتقد بوجود تخلّف عميق. وهذه الحالة يمكنها، بصورة إجمالية، أن تُفسَّر أنها تفاوت، قطيعة بين وجود القابليات الإدراكية والحركية السويّة وبين إمكان الفرد أن يستخدمها. ويبدو الطفل المنطوي على ذاته، الذي لم يكتسب اللغة بعدُ، أنه يعيش في كون مغلق، موصد في وجه العالم الخارجي الذي لا يبدو الطفل أنه يهتمّ به، غير مبالٍ بالأشخاص الذين لا يميّزهم من الأشياء (على الرغم من أنه يتعرّف على أشكالها)، أشخاص لا ينسب إليهم أي قيمة خاصة. إنه يتطوّر بوصفه ضائعاً في فاعلياته المقولبة التي تضفى عليها الصفة الطقسية، في مكان محدّد جيداً، أرّقه بنقاط صوى. والانطواء على الذات، عندما يدوم، يمنع المكتسبات الفكرية ويقود إلى وضع قاصر خطير لا رجعة فيه. ولكن ظهور اللغة يمكنه أن يتيح نموّ قابليات تكفي لتجعل تكيّفاً اجتماعياً مقبولاً أمراً ممكناً. (انظر في هذا المعجم: **التخلّف العقلي، الأم، الفصام**).

J.MA.

الانطوائي

F: Introverti

En: Introvertive, Introvert type

D: Introvertierter typus

شخص، في مصطلحات ك. غ. يونغ وسيغموند فرويد، يميل إلى الانصراف عن العالم الخارجي وإلى البحث عن إشباعاته في حياة داخلية غنيّة وغزيرة بالاستيهامات.

يبدو الانطوائي في المجتمع على غير سجيّته، صموتاً، متأمّلاً. (انظر في هذا المعجم: **الانبساط- الانطواء، الانطواء**).

N.S.

الانفعــال

F: Émotion

En: Emotion

D: Emotion

حالة جسمية ونفسية تحلّ فجأة، في أعقاب حَدَث غير متوقّع له دلالة خاصة بالنسبة للفرد.

الارتكاس إجمالي، حادّ وقصير المدّة؛ ويرافقه تلوّن وجداني سعيد أو تعس. فالفرح، والغضب، والخوف، التي تدفع الأفراد خارج ذواتهم، تتّفق مع هذا التعريف، ولكن الانفعال الجمالي والديني أو الغيرة ذاتها، التي تتّصف بأنها أكثر انتشاراً ودواماً، ونجد مناسباً أن نحتفظ لها بلفظة عاطفة، لا تتّفق مع هذا التعريف. فالانفعالات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحاجات والدافعيات، ونجدها غالباً في منشأ مظاهر نفسية مرضية. وعلى الرغم من البحوث التي أُجريت عبر العالم منذ عشرات السنين، فإن معارفنا تظلّ مع ذلك مجزّأة. والعلامات الجسمية للانفعالات معروفة جيداً، بدءاً من تراخي الصارّات، والعرق الغزير، وجفاف الفم، وتغيّر الإيقاعات التنفّسية والقلبية، حتى التعديلات الهرمونية والعصبية الكيميائية. وتحدّدت أيضاً تلك المراكز العصبية التي يرتبط بها الخوف، والغضب، واللذة (ولكن المراكز التي يرتبط بها الفرح لم تتحدّد)، ودُرست التصرّفات التي يثيرها الانفعال وانعكاساته على الوظائف العقلية (نقص الرقابة الإرادية، تنامي قابلية الإيحاء). ونُظر في الانفعال من حيث علاقاته بالثقافة وبُرهن على أن الضحك إذا كان يقترن بالفرح والبكاء بالألم، لدى كل الموجودات الإنسانية، فإن

التعبير عن الانفعالات الأخرى يختلف باختلاف المجتمعات: مثال ذلك أن الغضب يجعل أوروبياً يشدّ قبضتيه أو يجعل صينياً يفتح عينين مستديرتين. ولكن تراكم هذه العناصر جميعها لا تنير دربنا حقاً لمعرفة الشروط، شروط ظهور الانفعال، ومعرفة طبيعته ووظيفته. فهل الانفعال ارتكاس تكيّفي مفيد، كما كان شارل داروين (1872) وجون ديوي (1894) يؤكّدان؟ هل هو ضرب من «هزيمة» الفرد كما كان بيير جانه (1928) يزعم؟ أم هو «لغة»، وسيلة تواصل وتأثير على من يحيط بالفرد (هـ. والون)، أو هو أيضاً تصرّف «سحري» من تصرّفات التكيّف، كما يقول جـ. ب. سارتر (1939)؟ نحن لا نفهم الانفعال إلا فهماً غير كامل، ذلك أن هذه الحالة الحيوية لا يمكنها أن تُدرك إلا في مجموعها؛ ومنذ أن نفكّكها لنصف الجوانب النفسية والجسمية، تتشوّه وتفلت منا. ولا يرتبط الانفعال من جهة أخرى بطبيعة العامل الانفعالي فحسب، بل يرتبط على وجه الخصوص بالفرد، وحالته النفسية الوجدانية، وشخصيته، وتجاربه الماضية، أي بكل ما يكوّن جبلّته الخاصة، التي بمقتضاها يستشعر، على نحو خاص به، أحداث وسطه. ويوجد كثير من الانفعالات الجمعية، ولكنها ناجمة عن شروط استثنائية لها الدلالة نفسها بالنسبة للجميع (غرق، هزّة أرضية...). ونحن منفعلون، على نحو عام، عندما يتجاوز الوضع إمكاناتنا في مواجهته أو أننا مندهشون. فالانفعال يعبّر عن عدم تكيّفنا وجهد العضوية لإعادة التوازن مفقود مؤقتاً. وكونه لا يناظر على الإطلاق، كما كان وليم جيمس (1884) يعتقد، احتياز الشعور بالارتكاسات الفيزيولوجية الناجمة عن عدم التكيّف هذا («أخاف لأنني أرتجف»)، فهو يعبّر عن فهم معنى وضعٍ خاصٍ («إنني أخاف الدبّ المتحرّر من كل قيد، لأنني أعلم أنه خطِر») ومعنى توقّف التجنيد للدفاعات الشخصية («أستسلم لغزو الانفعال»). وذلك ما يشرح سلوك بعض الناجين من حوادث أو كوارث، الذين يصيبهم الارتجاف أو الإغماء بعد إنقاذهم بزمن قليل. فالاضطرابات السيكولوجية العصبية الناجمة عن الانفعالات مؤقّته بصورة عامة، ولكن قد يحدث أن تكون الصدمة الانفعالية هي من العنف والديمومة بحيث تُصاب العضوية بالنَهَك. إن هانز سيلي (1946) يوضّح

جيداً دور الانفعالات في **الكرب** (الضغط النفسي) ويصف أمراض التكيّف التي يمكنها أن تنشأ؛ ويمهّد الطب النفسي الجسمي أيضاً مكاناً كبيراً للانفعالات التي يضعها في منشأ آفات شتّى كالربو، والأكزيما، والبدانة، والصرع وحتى التدرّن الرئوي. (انظر في هذا المعجم: **التكيّف، الجملة الطرفية، الكرب**).

N.S.

الانفعال آلية دماغية نوعية تعبّر عن أهمية الحاجة وخاصّيتها واحتمال إشباعها في لحظة معيّنة. وكانت الفيزيولوجيا، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تربط ارتكاسات الإنسان والحيوان الانفعالية بسيرورات خلطية وإنباتية للعضوية، ربطاً أساسياً. وهذا الاتجاه يسم ببروز تلك البحوث التي تنصبّ على دور التغيّرات الحشوية في ظهور التلوّن الانفعالي للمنبهّات التي تؤثّر في العضوية (و. جيمس، ك. جـ. لانج)، كما يسم الأعمال التي تعزو الانفعالات لحالات من التجنيد الأقصى لمنابع الطاقة الحشوية (و. ب. كانّون، 1927). ومع ذلك، يهتمّ العلماء على وجه الخصوص، بدءاً من نهاية الثلاثينات من هذا القرن، بالبحث في أي العوامل الصحيحة، عوامل التفاعل بين العضوية والوسط، تسبّب إثارة البنيات الدماغية التي تتحكّم في الارتكاسات الانفعالية. والمقاربات التقليدية للانفعالات، بوصفها سيرورة عصبية خلطية، إنباتية بصورة أساسية، لم تعد ترضي العلماء. فالانفعال والإدراك، الانفعال والتأثير، الانفعال والمعرفة، هي في المستوى الأول من علم النفس الفيزيولوجي المعاصر للانفعالات. وقدّم بافلوف فكرة نمطيّ دينامي، جملة مستقرّة من «الإشارة ـ الاستجابة» ناجمة عن جملة من تكرار الإشارات الداخلية والخارجية. وفي رأي بافلوف أن الآليات الدماغية للانفعالات تتدخّل في أوضاع قطيعة نمطيٍّ ثابت، إذ تفسح المجال لجملة جديدة من العمل التكيّفي. وبسط علماء عديدون (ف. أ. هودج، د. أو. هيب، أنوكان، ل. هـ. بريبرام) هذه الفكرة، فكرة عدم تلاؤم النمط الذي يقدّمه الدماغ («نمطي

دينامي داخلي» لبافلوف) مع المحيط السهل المنال. وثمة عدد معيّن من الأدلة التجريبية والنظرية تتيح الاعتقاد أن درجة الحالة الانفعالية ونوعيتها (إيجابية أو سلبية) يرتبطان قبل كل شيء بأهمية الحاجة واحتمال الإشباع. وهذا القانون يمكنه أن يبين بالصيغة التالية : آ = ح (إع - إعَ)، حيث أن آ تعني الانفعال، ح، الحاجة، إع، الإعلام الضروري المتوقّع للإشباع، إعَ، الإعلام السهل المنال في لحظة معيّنة. ونقول، بعبارة أخرى، إن الانفعال يولد من تفاوت بين إمكانات الاستجابة لدى فرد من الأفراد (إع) ومقتضيات الوضع أو، على نحو أكثر دقة، من تقييمه الإدراكي الوجداني لهذا الإعلام (إع). وكلمة «إعلام» مأخوذة بمعناها الذرائعي الذي يمكننا تحديده أنه تعديل احتمال الإنجاز للهدف. فالدماغ يمارس رقابة على هذا الاحتمال تبعاً للعادات، والمعارف والقدرات الضرورية لعمل موجّه نحو إشباع الحاجة. وعدم كفاية الإعلام الجاهز (إع أكبر من إعَ) يولّد انفعالات سلبية (قلقاً، خشية، غضباً، إلخ) يبذل الفرد جهده لتقليصها. أما الانفعالات الإيجابية (فرح، متعة، حماسة)، فإنها تبدو عندما الإعلام السهل المنال يتجاوز التوقّع (إعَ أكبر من إع). والانفعالات السلبية هي آليات دماغية تعوّض عدم كفاية الإعلام الذرائعي في السلوكات الموجّهة نحو الهدف. فليست الحاجة المشبعة هي التي تثير انفعالاً إيجابياً، بل الحاجة السهلة المنال والزيادة المتزامنة لاحتمال إشباعها (الإشباع ذاته يستبعد بسرعة ذكرى الانفعال). ونقول بصورة دقيقة إن هذا الواقع يدفع الموجودات الحيّة إلى أن توقف حالة التوازن الداخلي ويوجّهها نحو حاجات أخرى غير مشبعة ونحو أوضاع حيث الإشباع الفعلي يمكنه أن يتجاوز الاحتمال المتوقّع. (انظر في هذا المعجم : **الرغبة**).

P.V.S. (ترجمة D.J.V. إلى الفرنسية)

الانفعــالية

F: Émotivité

En: Emotionality

D: Emotivatät

نزوع المرء إلى أن يتأثّر بأحداث ضعيفة الأهمية تأثراً عميقاً.

الانفعالية سويّة ومفيدة عندما لا تكون موضع مبالغة، ذلك أنها ترغم الفرد على أن يعدّل سلوكه ليتكيّف مع الوضع. فليس ثمة موجود إنساني محروماً من الانفعالات حرماناً كلياً، ولكن بعض الناس يُصابون بالاضطراب أو يستولي عليهم الذعر، باعترافهم الخاص، دون سبب. ونحن نفكّر عادة بهؤلاء الناس عندما نتكلّم على الانفعالية. ويتّفق علماء الطباع كلهم، بعد ج. هيمنز، إ. ويرسما، على اعتبار الانفعالية إحدى الخصائص الأساسية الثلاث للطبع، فالخاصتان الأخريان هما **الفاعلية والرجع**، رجع الانطباعات. ونقيّم شدّة هذا العامل، الانفعالية، بالسهولة التي تحدث بها الانفعالات، وبتواترها وأهميتها. فالانفعالي يتأثر بسهولة، ذو حساسية مفرطة، نَزِق، عطوب؛ إنه يولي الأشياء التافهة أهمية خاصة وينفعل لسبب عديم الأهمية. وغير الانفعالي يتميّز، على العكس، برقابته الانفعالية، وتوازن مزاجه، ومقاومة التنبيهات ذات المنشأ الداخلي أو الخارجي (انظر في هذا المعجم: **الفاعلية، علم الطباع، الرجع**).

N.S.

الانقباض النفسي

F: Psycholepsie

En: Psycholepsy

D: Psycholepsie

مصطلح استخدمه بيير جانه للدلالة على هبوط التوتّر السيكولوجي، وعلى وجه الخصوص عندما يحدث فجأة.

يظهر الانقباض النفسي بانقطاع التفكير ويلاحظ على وجه الخصوص في الإرهاق العصبي النفسي والفصام. (انظر في هذا المعجم: **بيير جانه**).

N.S.

الانقسام المنصّف

F: Méiose

En: Meiosis, Miosis

D: Meiose

انقسام خلوي اختزالي تتكوّن خلاله، بدءاً من خلية ثنائية الصبغيات (أي ذات 2 ن صبغية)، خليتان أحاديتا الصبغيات (أي لم يعد لها سوى ن صبغية).

هذا **الانقسام الاختزالي**، ذو العلاقة بخلايا التوالد، يتحقّق خلال تولّد الخلايا التناسلية: **تكوّن البيضة** الذي يفضي إلى تكوّن الخلية التناسلية الأنثوية أو البويضة؛ **تولّد المنيّ** الذي يكتمل بتكوّن الخلية التناسلية الذكرية أو المنيّ. وبفضل الانقسام المنصّف إنما يظلّ عدد الصبغيات ثابتاً في نوع من الأنواع، لأن اتحاد خلية تناسلية ذكرية بخلية تناسلية أنثوية ينتج خلية وحيدة ذات ن صبغيات، تسمى **الخلية اللاقحة** التي تحتوي المادة الوراثية للأبوين.

M.S.

الانقطاع المفاجىء

F: Barrage

En: Barrier, Obstruction

D: Sperrung

مصطلح استخدمه إميل كريلن (1856 - 1926) للدلالة على سلوك مرضي يكمن في انقطاع مفاجىء لفعل إرادي أو عفوي (Barrage moteur) أو لقول (Barrage iodéitique).

يستأنف الفرد، بعد بعض اللحظات، فاعليته أو المحادثة من النقطة التي كان قد توقّف عندها، أو يغيّر الموضوع. وهذه المظاهر، التي تدلّ على انقطاع في مجرى التفكير، نصادفها على الأغلب في الفصام.

J.MA.

انكماش الأنا

F: Rétrécissement du moi

En: Restriction of the ego

D: Ich - Einschränkung

آلية دفاع للأنا قوامها التخلّي عن كل فاعلية يُحتمل أن تولّد الألم أو الإزعاج.

لبعض الأفراد ذوي الحساسية المفرطة، الذين يواجهون أوضاعاً محدّدة، ميل إلى الانسحاب على نحو لا يفطن إليه أحد وعلى نحو لايقدّم أقلّ ممسك ممكن للنقد. إنهم يعيشون، كالحلزون الذي يسحب قرونه ويدخل قوقعته ليحتمي من منبّهات مؤذية، منطوين على ذاتهم، على هامش وسطهم، إذ يحدّون إلى الحدّ الأقصى علاقاتهم بالغير. فهذا التلميذ سيفضّل، على سبيل المثال، أن ينظر إلى رفاقه يلعبون بدلاً من المشاركة في لهوهم ويتعرّض على هذا النحو إلى انتقاداتهم. ولكن مثل هذا الاتجاه التملّصي يسبّب أيضاً، ولو أنه يتيح تجنّب الإحباطات الشاقّة، ضرباً من تحديد العالم الشخصي ومن انكماش الأنا. وعندما يُستخدم هذا الاتجاه استخداماً ثابتاً وعلى نحو تفضيلي على الاتجاهات الأخرى، يكوّن مسلكاً غير مناسب وعصابياً. (انظر في هذا المعجم: **آلية الدفاع**).

M.S.

الأنوميا، فقدان التنظيم

F: Anomie

En: Anomia

D: Anomie

اضطراب النظام، غياب التنظيم.

هذا المصطلح، مصطلح القرن السادس عشر، كان دوركهايم (1858 - 1917) قد استأنفه ليدلّ على حالة المجتمع الذي تكون فيه القواعد الأخلاقية، والحقوقية والاقتصادية، قد ضعفت، فهي غير متماسكة أو أنها متناقضة بحيث أن الأفراد لا يعلمون أي سلوك يتبنّون. والأنوميا، في حدودها القصوى، هي نفي كل تضامن. إنها تنطوي على وضع لا يمكن فيه أن يتفاعل الأشخاص ولا يكوّنوا «النحن» الملازم لكل حياة اجتماعية. ونقول بعبارة أخرى إن الأنوميا حالة يوجد فيها تناقض بين نسيج الأدوار الاجتماعية ومنظومة التوقّعات من الدور؛ وفيها الأفراد الاجتماعيون الموجودون وجهاً لوجه لا يتقاسمون القيم نفسها، والمعايير، والأنماط، والرموز، وفيها، لهذا السبب، حياتهم الاجتماعية تتضمّن ضرباً من اختلال الانسجام بين غاياتهم الأساسية والوسائل الموضوعة في متناول اليد لتحقيقها. والأنوميا يمكنها، حين تنتقل من القوة إلى الفعل بشدّة ومدى متغيّرين، أن تكون بسيطة أو حادّة (وفي الحالة الأخيرة، ستكون القطيعة بين الغايات والوسائل إما بارزة وإما غير ممكن إصلاحها)، مقيّدة أو معمّمة، أي أن عدداً كبيراً على وجه التقريب من الأفراد سيكونون معنيّين بها ويرتكسون عليها ارتكاساً خاصاً: بعضهم، الحائرون، لن يعلموا ماذا يفعلون ولا ما يفكرون به، وبعضهم

الآخر سيجدون فيها الشروط الضرورية لحرية التعبير عن إبداعيتهم ويبتكرون على نحو بنّاء، في حين أن بعضهم، الذين تغذّيهم تطلّعات يتعذّر تحقيقها، سيمضون في تقديم صفوف المعارضة والتمرّد (تالكوت وبارسونس) أو صفوف الجنوح والانحراف بصورة عامة (روبرت ك. ميرتون). فالتقدّم العلمي والحروب، مع حركاتهما السكانية، هما من الأسباب الأساسية للأنوميا. وبيّن في بداية هذا القرن، بياناً جيداً، فلوريان (سوياتنيكي، بولونية، 1882 - شامبيان، إيلّنيوا، 1958) ووليم توماس، عواقب زرع وسط اجتماعي في وسط اجتماعي آخر. فالفلاحون البولونيون، الذين كانوا قد هاجروا إلى الولايات المتحدة، شعروا، وهم يواجهون قيماً جديدة متناقضة بشدة مع القيم التي كانت قد غذّتهم، أنهم «ضعيفو المعنويات» وطوّروا سلوكاً يسمه على وجه الخصوص عدم الاستقرار المهني والأسري، والعنف والجنوح. وهذا المشكل ذو حاليّة في البلدان التي يستقرّ فيها عدد كبير من المهاجرين كفرنسة أو الولايات المتحدة الأمريكية التي استقبلت، عام 1975، مئة وأربعين ألف لاجىء من فيتنام الجنوبية. (انظر المصطلح التالي في هذا المعجم: **الدور**).

M.B.

الأنيمـــا

F: Anima
En: Anima
D: Anima

الأنيما، في علم النفس التحليلي لكارل غوستاف يونغ 1875- 1961،هي الجزء اللاشعوري من شخصية الذكر، المتكوّن من صفات أنثوية.

كلما كان الرجل متّصفاً بالرجولة، كانت **أنيماه** أنثوية، وذلك أمر سيقوده إلى أن يبدو حسّاساً حنوناً، مداعباً، إلخ. وهذه الجنسية الثنائية النفسية التي يلحّ عليها يونغ، بعد مؤلفين آخرين كسيغموند فرويد (1905) وويلهلم فليس (1906)، هي انعكاس الجنسية الثنائية لدى الموجودات البشرية. ومن المعلوم أن الجنين، في الأسابيع الأولى ينطوي على أعضاء لا متمايزة، أي على أعضاء مذكّرة ومؤنثة؛ ولايتوطدّ الجنس التشريحي إلا فيما بعد، خلال الحمْل. وعلى المستوى النفسي، يُلاحظ وضع مماثل. وتتكوّن الذهنية المذكرة أو المؤنّثة (الجنس السيكولوجي) في العلاقة وبالعلاقة التي يقيمها الطفل مع أبويه وأعضاء محيطه. فالمرء لا يولد رجلاً أو امرأة، بل يصبح كذلك تبعاً للتوحّدات التي أقامها وللوسط الذي يعيش فيه. وفي هذا السياق النفسي الوجداني تتكوّن صورة الذات والصورة المثالية للجنس المقابل. فكل رجل يحمل في ذاته صورة المرأة المثالية (صورة أنموذج محدّد، وليست صورة امرأة معيّنة) سيكون ميّالاً إلى أن يُسقطها على المرأة المحبوبة. فـ **الأنيما**، يقول يونغ، «مرجع يولّد عواطف تلقائياً، وهذه العواطف تمارس تأثيراً على الفهم («إنها فتنتني» [الترجمة الحرفية هي دوّخت رأسي]. انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **النموذج البدئي**، **الأنيموس**).

N.S.

الأنيموس

F: Animus

En: Animus

D: Animus

تشخيص الطبيعة المذكّرة، في مصطلحات كارل غوستاف يونغ، لجزء من لاشعور المرأة.

يظهر الأنيموس في الأحلام والمخيّلات على صورة المعشوق المثالي. فالمرأة تحمل في ذاتها صورة للرجل تسقطها لاشعورياً على الموجود المحبوب، ولكنها تسقطها أيضاً على شخصيات بارزة: أبطال، فنّانين، ممثلين، شخصيات رياضية شهيرة، إلخ. إن **الأنيموس**، ذا القوة المعزّزة في المجتمعات البطريركية، «يمارس تأثيره السائد، يقول يونغ، في الحياة الانفعالية للمرأة». (انظر المصطلح التالي في هذا المعجم: **الأنيما**).

N.S.

الاهتياج النفسي العصبي

F: Nevrosisme

En: Neuroticisme

D: Neurotizismus

الاهتياج النفسي العصبي شكل من الأشكال الأكثر شيوعاً من الاضطرابات النفسية، يصيب في لحظة أو أخرى شخصاً من ثلاثة. إنه اختلال انفعالي ترافقه المخاوف الشديدة أو الحَصَر الحادّ، غير المتناسبة على وجه العموم مع الوضع الواقعي. وليس له سمة ذات علاقة بالطب النفسي.

للفرد الذي يحرز علامات مرتفعة على سلّم الاهتياج النفسي العصبي انفعالات قوية ومتغيّرة، يُحتمل أن تنتظم في عصاب. ولكنه يمكنه أن يتجنّبه بدعم ملائم وشيء من الحظّ. وانفعالات فرد تكون علاماته المحرزة على سلّم الاهتياج النفسي العصبي ضعيفة ويمكنها أن تكون قوية، ولكنها ليست أبداً متغيّرة؛ إنها تظلّ مراقبة وليست متّصفة بعدم التناسب مع الوضع من حيث الشدّة ولا المدّة.

والاهتياج النفسي العصبي **مجموعة اتّصالية** يتحدّد موقع كل فرد عليها في نقطة من النقاط. وبالنظر إلى أن الشخص لا يتّصف كلياً بأنه مستقرّ أو غير مستقر، فإن موقع معظم الناس يكون في المنطقة الوسطى. والسمات التي تميّز الأفراد **غير المستقرين** من الناحية الانفعالية هي: المزاج المتغيّر، النزَق، الاهتياج، الميل إلى القلق والاكتئاب، والعصبية، والنزوع إلى إظهار العلامات الجسمية لهذه الانفعالية، كأوجاع الرأس، والآلام المبهمة، وصعوبات التنفّس، وارتفاع إيقاع

القلب، والتعرّق الغزير. والاهتياج النفسي العصبي تابع للجملة العصبية المستقلّة، وعلى وجه أخصّ للجملة الوديّة، هذا الجزء من الجملة العصبية الذي يمدّ الأعضاء بالأعصاب، والغدد والعضلات التي تتحكّم بالارتكاسات من نموذج «الهروب أو المعركة». والاهتياج النفسي العصبي تحدّده العوامل الوراثية تحديداً قوياً، كما تبيّن الدراسات بالاستبانات للتوائم. فإذا اتّصف توأماً باضطرابات عُصابية، فثمة احتمال كبير أن يكون الآخر أيضاً مصاباً بها في حالة التوائم الحقيقيين (من بيضة واحدة) أكثر منه في الحالة العكسية (توأمان كاذبان أو من بيضتين مختلفتين).

والاهتياج النفسي العصبي وسمة الانبساط ـ الانطواء يحدّدان على الغالب وحدهما ذلك الشكل الخاص الذي سيتّخذه العصاب: الانبساط يجعل الفرد الانفعالي جداً ذا استعداد مسبق للهستيريا، للسيكوباتية (الاعتلال النفسي) أو للجنوح، في حين أن الانطواء يجعل الفرد ذا استعداد مسبق للحَصَر بالحري، للرهابات أو للوسواس القسري. وليس الاهتياج النفسي العصبي سيئاً بالضرورة؛ إن بوسعه أن يجعل الفرد مستقبلاً على المستوى الفنيّ، بل الإبداعي إلى مستوى مرتفع جداً. (انظر في هذا المعجم. **الانبساط – الانطواء، التوأم، الشخصية**).

H.J.E. (ترجمه إلى الفرنسية .D.J.V)

إوإكسكول Uexül (Jakob Johann Von)
(جاكوب جوهان فون)

عالم بيولوجيا وعالم في سيكولوجيا الحيوان، ألماني (كبلاس، إستونية، 1864 - كابري، مقاطعة نابولي، 1944).

تكمن مساهمته الأساسية في دراسة السلوكات الصادرة عن الأنواع الحيوانية المختلفة، في علاقتها بـ**عالمها الخاص**. فكل عضوية تعيش في وسط خاص هي حسّاسة به ومتفاعلة معه تفاعلاً متبادلاً. وهذه الفسحة من الحياة النوعية، التي يسمّيها إوإكسكول (Umwelt) وتتغيّر من نوع إلى آخر، تؤثّر على العضوية وتعدلّها؛ ولكن العضوية بدورها تؤثّر في البيئة وتحولّها. وبعضٌ من هذه التغيّرات لا يفطن إليه أحد؛ ولكنها تنتهي مع الزمن بأن تظهر. وبعضها الآخر، على العكس، محسوسة على نحو مباشر، وعلى وجه الخصوص عندما يكون عامل هذه التغيّرات هو الإنسان، مزوّد بسلاح ثقافته وتقانته.

في العالم الخاص (Umwelt) بكل نوع، يميّز إوإكسكول عالم الإحساسات (merkwelt) وعالم العمل (Wirkwelt)، وكلاهما ذو علاقة وثيقة بالآخر. فلكل نوع تنظيم إدراكي - حركي خاص به ويشرط نمطه في وجوده الخاص. والمشكل، بالنسبة للإنسان، مختلف، بمعنى أن تقانته تتيح له أن يوسّع عالم عمله (Wirkwelt) بدءاً من أقصى حدٍّ من الصغر إلى أقصى حد من الكبر. (انظر في هذا المعجم: **لورنز، وسط، منبّه، رمز**).

G.G.S.

الإوتونيا

F: Eutonie

En: Eutonia

D: Eutonie

الاشتقاق: من اليوناني eu «جيّد»، و tonos ، «توتر».

طريقة في إعادة التربية النفسية التنشيطية قائمة على احتياز الشعور بالجسم.
كانت المربية الدانيماركية من أصل ألماني، جردا ألكسندر، قد ابتكرت هذه التقنية في الثلاثينات من هذا القرن. وكانت هذه المربية قد تكوّنت على الجمباز الإيقاعي لإميل جالك- دالكروز (1865 - 1950) وناضلت هي ذاتها لتحافظ وتسترجع حركيتها التي هدّدها التهاب مفاصل عديدة خطير. وإذ لاحظت كم كانت على الغالب حركات الأطفال والراشدين خرقاء أو مضطربة، فقد استنتجت من ذلك أن جهلاً بالجسم الخاص كان موجوداً في منشأ هذا الخَرَق. وفي حين كان جاك دالكروز يريد تفتيح شخصية تلاميذه إذ يجعل حركات أجسامهم وحركات ذهنهم متناغمة بالموسيقى، تريد جردا ألكسندر أول الأمر أن تجعل تلاميذها يكتشفون أجسامهم، كيما يحسّوا بها إحساساً تاماً ويسكنوها سكناً فعلياً. فالفرد يُدعى، في جوّ من الهدوء والسكينة، إلى أن يركّز انتباهه على جسمه ويتعرّف عليه، جزءاً جزءاً، دون أن يهمل منه قسماً من أقسامه، ويحسّ بوزنه، وحجمه، وحرارته، وتوتّره العضلي؛ ويُطلب إليه أيضاً أن ينجز الأفعال الأقلّ بساطة: أن يتنفّس، ويسير، ويجلس، وينام، ويتمطّى، إلخ، وأن يراقب نفسه وهو يفعلها مراقبة بعمق، ولمدة طويلة، كيما ينفذ إليها. ويتعلّم أخيراً أن يسترخي استرخاء كلياً

ويراقب قوته العضلية العصبية (أن يجمّع طاقته ليقفز، ويبحث عن المرونة والخفّة ليستعمل ريشة الرسم، على سبيل المثال)، ويمكنه على هذا النحو أن يجعل حركاته وتوتّراته متناغمة، ويجد الاتجاه الجسمي الصحيح في كل مناسبة، ويبلغ التوازن الداخلي المتين، لأن الإنسان وحدة فكرية حركية، توازناً يتيح تفتّح الشخصية.

وتختلف الإوتونيا عن غالبية تقنيات الاسترخاء، والرقص والجمباز، بغياب الطراز. فالمرشد يدعو إلى البحث عن إحساسات جسمية ولكنه لا يوحي بأي منها («حاول أن تدرك وزن فخذك»). إنها تقنية ليست مفيدة للأشخاص الذين يتمتّعون بصحة جيّدة فحسب، ولكنها مفيدة أيضاً للمرضى العقليين الذي يعانون تفكّك الشخصية، واعتلال الحساسية (إحساسات غير سويّة متموضعة في أجزاء شتّى من الجسم)، وتوهّم المرض، إلخ. وتُستخدم هذه التقنية أيضاً في الطب النفسي الجسمي، وعلم الأعصاب، ومبحث الرثية. (انظر في هذا المعجم: **الحساسية**، **صورة الجسم**، **رايخ [ويلهلم]**، **الاسترخاء**، **اليوغا**).

N.S.

أوّليّة الرجع

F: Primarité

En: Primary Function

D: Primär funktion

سمة من سمات الشخصية تصف، بحسب المدرسة الفرنسية الهولاندية في علم الطباع، أولئك الأفراد غير المستقرّين في انطباعاتهم وارتكاساتهم، الذين لا تترك الأحداث في أنفسهم أثراً دائماً.

الوقائع الراهنة تفرض نفسها، لدى الشخص «الأولّي الرجع»، على الشعور وتحجب الوقائع القديمة. وهذا الشخص منفتح، بهيج، يصيبه الافتتان بسهولة، يغضب بسرعة ولكنه يعود إلى سكينته بالقدر نفسه من السرعة، ويبدّل صداقات ومهناً، ويمكنه أن يبدو، بالتالي، سطحياً. إن لافونتين وبنْجامان كونْستان ـ الذي كان يقول عن نفسه: «لست مستقراً إلا في عدم الاستقرار» ـ هما من هذا النموذج. ولأولّيّة الرجع ارتباط إيجابي قوي إلى حدّ كاف بالانبساط. (انظر في هذا المعجم: **الطبع، الانبساط**).

N.S.

إيتـــارد (جان مارك غسْبار) Itard (Jean Marc Gaspard)

طبيب فرنسي (أوريزون، ألب المقاطعة العليا، 1774 - باريس، 1838).

إيتـارد، الجرّاح في مشفى فـال دو غراس (1796)، ثـم طبيب رئيس في مؤسسة الصمّ البكم الامبراطورية (1800)، يهتمّ عندئذ بالطفل المتوحّش الذي اكتُشف في أفيرون وشكّلت قصته موضع مقالات كثيرة في صحافة العصر. وكان ف. بينيل (1745 - 1826)، أستاذ إيتادر القديم، قد فحص فيكتور الفتى، الذي كان يبدو أنه ذو اثني عشر عاماً من العمر، وشخّص ضرباً من العته الجبلّي الذي لا يترك أي أمل في التحسّن. ويصمّم إيتارد، مع ذلك، على أن يحاول تربية الفتى الذي لا يترك أي أمل في التحسّن. ويصمّم إيتارد، مع ذلك، على أن يحاول تربية الفتى الذي خصّص له كل الجاهز من وقته. ويعزم على أن «يسلس انقياد» الطفل إذ جعله يعيش حياة خالية من المخاطر التي عرفها حتى ذلك الحين، ولكنها حياة بسيطة إلى درجة تكفي ليكون التعارض مع حياته الماضية غير محيّر. إن إيتارد يريد أن يحرّض حواسّه، ويوسّع حاجاته وعلاقاته، ويعلّمه الكلام، ويجعل فكره يعمل مستخدماً أول الأمر أشياء، بوصفها الدعامة، يمكنها أن تشبع حاجاته الجسمية، ثم موادّ تربوية فيما بعد. ويفلح فيكتور، عكس كل توقّع، في تنفيذ التمرينات الحسية التي اقترحها عليه معلمه، ثم في القراءة والكتابة وفي «أن يستخدم أخيراً كتابته، مهما كانت ومهما ظلّت غير ذات شكل، ليعبّر عن حاجاته، ويلتمس وسائل إشباعها، ويفهم بالدرب نفسه التعبير عن حاجات الآخرين وإرادتهم» (**تقرير** عام 1806، **في** البيت، ص 226). ولكن فيكتور لم يستطع قط،

على الرغم من الجهود كلّها، أن يعبّر عن نفسه شفهياً. فعضوا السمع والكلام كانا، مع أنهما خاليان من كل آفة، يبدوان، بسبب كونهما لم يُستخدما مبكّراً استخداماً كافياً، أنهما لا يمكن استخدامهما على الإطلاق. ويكتب إيتارد تقريراً عن محاولته في **مذكّرته عن الضروب الأولى من نمو فيكتور الأفيرون (1801)** وفي **تقريره عن ضروب النمو الجديدة لدى فيكتور الأفيرون** (1806). وتجعل هذه الإعادة، إعادة التربية، إيتارد مؤسّس بيداغوجيا الأطفال غير الأسوياء. (انظر في هذا المعجم: **الوسط، الطفل المتوحّش**).

J.S.T.

الإيحاء

F: Suggestion

En: Suggestion

D: Suggestion

واقع أن يعرض امرؤ فكرة، أو اعتقاداً، عرْضاً هو من المهارة والرزانة بحيث أن من يقبله يمكنه أن يعتقد أنه خَطَر له خطوراً تلقائياً.

كل الأفراد يقبلون الإيحاء، ولكن الأطفال والأفراد السذّج، الانفعاليين، غير الناضجين وجدانياً أو المتخلّفين عقلياً، يقبلونه أكثر من الأفراد الآخرين. وأمثلة الإيحاء كثيرة. ويكفي أن توصي نجمة سينمائية بمنتج جديد (مسحوق غسيل، سيارة أو برّاد) حتى يزداد بيع هذه السلعة ازدياداً كبيراً: فالمستهلكون يخضعون لـ **إيحاء** الممثّلة. بل يقود القبول المنفعل للأفكار إلى الهلوسة: مجرّب يقول لجماعة من الأطفال أنه سيقذف طابة في الهواء، وذلك يكفي أن يراه نصفهم يقذف الطابة. وفي ورشة خياطة، عانت عاملة أزمة صرع: وفي الورشة نفسها تقع، بعد خمسة عشر يوماً، عاملة أخرى في غيبوبة من جرّاء صعوبة في عملها؛ ويسبّب هذا الحادث الثاني لدى ستة عشر شخصاً أزمات تشنّجية تدوم أكثر من ساعتين. واستطاع ليون شرتوك (1977)، إذ أوحى تحت التنويم المغناطيسي لامرأة عمرها ستون عاماً، تحمل شهادة الأستاذية من الجامعة، أن قطعة من النقد كانت موضوعة على ساعدها الأيمن، أن يسبّب ظهور فُقاعة حرق.

قابلية الإيحاء هي الاستعداد لقبول الإيحاءات، أي قابلية الارتكاس على إشارة (شيء أو أمر) بصورة آلية، دون مشاركة فاعلة من الإرادة. فالفرد يخضع،

خضوعاً سلبياً، لفكرة غريبة، مقبولة دون رقابة، كما لو أن شخصيته كانت تمّحي امّحاءً مؤقتاً أمام شخصية الغير. وهذا الاستعداد الخاص يُستثمر في الطب عندما يوصف منتج صيدلاني حيادي؛ دواء موهم هدفه فقط أن يطمئن المريض، إذ يجعله يعتقد أن الدواء دواء فعّال. وكل الأفراد لا يرتكسون على النحو نفسه على الدواء الموهم، ولكن بوسعنا أن نؤكد، على وجه العموم، أن شخصاً واحداً من ثلاثة أشخاص، على الأقل، حسّاس له.

وثمة إيحاء أضفى عليه الشعبية إميل كوّه (ترواز، 1857- نانسي، 1926)، هو **الإيحاء الذاتي** أو «الإيحاء الانعكاسي»، الذي ينشد أن يؤثّر المرء على نفسه بتكرار بعض الصيغ، كالصيغة التالية: «إنني أمضي من حال أفضل إلى حال فاضل كل الأيام ومن جميع وجهات النظر»، أو بذكر متكرّر لفكرة من الأفكار. (انظر في هذا المعجم: **النوم المغناطيسي**، **المرض الخلاّق**).

N.S.

إيديولوجيا

F: Idiolgie

En: Idiology

D: Idiologie

منظومة من الأفكار رُفعت إلى مرتبة المذهب وتُستخدم دليلاً لحكومة، لحزب، إلخ.

ظهرت كلمة إيديولوجيا في فرنسة نهاية القرن الثامن عشر. وكانت تدلّ عندئذ على دراسة التصوّرات بوصفها جانباً أساسياً من الحياة النفسية. والإيديولوجيا، مع أنطوان ديستوت دو تراسي (باريس، 1754- باريس، 1936)، ضرب من علم النفس يزعم أنه يدرس الأفكار بدءاً من الإحساس المعتبرة أنها المصدر الوحيد لها، وفق النظرية الحسّية لإتيان بونّو دو كونديّاك (1714 - 1780). ويعتبر نابليون بونابرت، اعتباراً تحقيرياً، كلمتي إيديولوجيا وإيديولوجي، إذ يمنح الكلمة الأولى معنى فاعلية نظرية عبثية ويمنح الثانية معنى مثقف فاقد الحسّ العملي بالمسؤوليات السياسية الفعلية. وسيستخدم كارل ماركس (1818 - 1883)، في أول كتاب أساسي له، **الإيديولوجيا الألمانية** (1845 - 1846)، كلمة الإيديولوجيا على نحو تحقيري أيضاً ولكنه أكثر اتصافاً بالصفة العلمية من نابليون. وفي رأيه أن الإيديولوجيا سيرورة تصيب وعي الأفراد بالحياة الاجتماعية: إنها سيرورة تشويه وعكس وظيفتُها المحافظة على النظام الاجتماعي القائم إذ تقدّم له تسويغاً في التصورّ. والإيديولوجيا تصورّ **مشوّه**، من حيث أن كل فرد يرى كلمة الحياة الاجتماعية تبعاً لمكانه في المجتمع، أي بدءاً من آراء مسبقة ناجمة عن التربية التي

تلقّاها في الأسرة، وفي وسطه وطبقته الاجتماعية. ولكنها هي أيضاً وعلى وجه الخصوص تصورّ **معكوس** للحياة الاجتماعية: فلدينا جميعنا ميل إلى الاعتقاد أن الأفكار، أفكار الناس، تصوغ الواقع الاجتماعي، في حين أن هذه الأفكار ليست إلا تصوّره المعكوس. ماركس يقارن الإيديولوجيا، بوصفها سيرورة، بالصورة الشبكية المعكوسة بالنسبة للشيء الذي تعبّر عنه. وتمنح السمة المعكوسة للتصوّر الإيديولوجي وظيفته، وظيفة المحافظة على النظام الاجتماعي القائم. ولأن الجمهور الواسع من الناس اعتبر الرق، والقنانة، والأجارة، على التوالي، طبيعية، إنما استطاعت مجتمعات الرق والإقطاع ورأس المال، أو يمكنها بالفعل، أن تعمل عملها الوظائفي. ولخص ّكارل ماركس هذا التعليم معلناً أن «**الأفكار السائدة في مجتمع هي أفكار الطبقة السائدة**». وانطلاقاً من ذلك، جعل ماركس الإيديولوجيا، بوصفها رؤية مشوّهة ومعكوسة للحياة الاجتماعية، إذ تعبّر تعبيراً لاشعورياً عن ظاهرة الاستغلال والقمع حين تخفيها، متعارضة تعارضاً جذرياً مع العلم، إدراكٍ موضوعي للسيرورات الاجتماعية التي لاينفصل تطوّرها عن الحركة الواقعية لصراع الطبقات. فكل المسألة الخاصّة بتاريخ الماركسية سيكمن، حتى أيامنا هذه، في هذه العلاقة بين الحركة العماليّة الثورية وتعبيرها العلمي، أعني غير الإيديولوجي، في النظرية المادية التاريخية. وكان ماركس يحصي عدة أشكال من الإيديولوجيا، في عدادها نذكر الإيديولوجيا الدينية، الفلسفية، الحقوقية، الاقتصادية، الأخلاقية، الجمالية. وذلك يعني أن كل التصوّرات الخاصة بالحياة الاجتماعية ينبغي لها أن تُعتبر مصابة بمعامل إيديولوجي أهميته ينبغي تحديدها.

وحاول كارل مانهايم (1893 - 1947)، الذي كان أستاذاً في جامعة لندن، أن يردّ الإيديولوجيا، من العكس الذي اكتشفه كارل ماركس، إلى التشوّه، أي إلى مسألة منظور يتغيّر من جماعة إلى جماعة، في مجتمع معيّن. فقد انتقل على هذا النحو من الديالكتيك إلى النسبية. وتنزع مختلف القوى السياسية الموجودة، في أيامنا هذه، المتنازعة في العالم وفي كل مجتمع، إلى أن تتبادل الاتّهام بالنزعة

الأيديولوجية. وأخيراً، تمنح كشوف فرويد الخاصة بآليات «العقلنة»، أي التسويغ المزعوم على مستوى الوعي بالسلوكات الناجمة عن اللاشعور، نظرية الإيديولوجيات ونقدها بعدهما السيكولوجي. فقناعاتنا الأكثر متانة تتطلّب أن تُفحص انطلاقاً من المجتمع المحيط ومن وضعنا في هذا المجتمع، وكذلك انطلاقاً من الإشراط الخاصّ بسيرتنا، إشراط عانيناه. والإيديولوجيات هي، جماعياً وفردياً، بالنسبة للمجتمعات الحديثة، ما كانت عليه الأساطير بالنسبة للمجتمعات السابقة. فالمعرفة الموضوعية بالسيرورات الاجتماعية التاريخية والمعرفة الموضوعية بالسيرورات النفسية الجنسية تنطويان إذن على وضع جذري موضع الاتّهام إيديولوجيات يمكنها أن تكون قد حجبت عنا هذه السيرورات. إن فهم الإيديولوجيا لا يمكنه أن يكون سوى ضرب من نقد الإيديولوجيا.

P.F.

الإيروس

F: Éros
En: Eros
D: Eros

الاشتقاق: من اليوناني «erôs»، «حب» وإله الحب.

مجموعة من الدوافع الجنسية والرغبات في الحب الناجمة عنها.

يقابل الإيروس بصورة عامة (في المفردات المسيحية على نحو رئيس) Phalia (الصداقة، الحنان)و agapé (الإخلاص) بفعل تضمّنه الجنسي. ويعرّفه أفلاطون، في كتابه **المائدة**، أنه رغبة الكمال الخاصة بنوعنا، التي تدفعنا إلى الاتحاد بشخص من الجنس المقابل. وساعدت أفلاطون أسطورة الإنسان الخنثوي الجسم (موجود له جسمان، أحدهما مذكّر، والآخر مؤنث) على توضيح نظرياته في الحب توضيحاً بالمثال. «زيوس، يقول إفلاطون، قطع الإنسان الخنثوي إلى اثنين (. . .). فكل نصف، بالنظر إلى أن هذه القسمة قد تمّت، كان يرغب في الاتحاد بنصفه الآخر. وعندما يلتقيان تتشابك الأذرع ويضمّ أحدهما الآخر ضماً عنيفاً بحيث أنهما، في رغبتهما في الانصهار من جديد، كانا يستسلمان للموت على هذا النحو جوعاً وعطالةً، ذلك أنهما كانا لا يريدان، كلاهما، أن يباشر أحدهما شيئاً دون الآخر» (أفلاطون، **المائدة أو الحب**، ترجمة م. مونيه، باريس، بيّو، 1914).

ويدلّ الإيروس، في رأي فرويد بدءاً من عام 1920، على دوافع الحياة، التي هدفها أن تخلق روابط أكثر عدداً على الدوام بين الموجودات الحية، وعلى القوة «التي هي وحدة كل مايوجد في العالم وتماسكه» (1920، ص. 102 من الترجمة). وطاقة هذا المبدأ، مبدأ العمل، هي **الليبيدو**. (انظر في هذا المعجم: **الحب، الإبداعية الفنية، الليبيدو**).

N.S.

الإيقـاع

F: Rythme

En: Rythm

D: Rythmus

تناوب دوريّ لحركات أو أحداث تبدو في فواصل منتظمة قليلاً أو كثيراً.

في سير الكلام كما في عدو حصان، في مدّ الأمواج وجزرها، نلاحظ في كل مكان أن المدة الزمنية يمكنها أن تتوزّع على مراحل طويلة قليلاً أو كثيراً، وأن حادثاً خاصاً يتكرّر، وأن الزمن تقطّعه لحظات قوية ولحظات ضعيفة. فالحياة الاجتماعية والحياة دون صفة موقّعتان، وليس الكون وحده. ووجودنا يترتّب في أعمار، من الولادة حتى الموت، وأنهرنا مقطّعة إلى تعاقب متناوب من الفاعلية والراحة. وما يكاد طفل يولد حتى يبدأ تعلّم إيقاع الرضاع بالنسبة له، والعنايات بالجسم، والنوم واليقظة، إلخ. ثم يأتي زمن المدرسة الذي يضيف إلى اختلاج المنزل الأسري إيقاعه. إنها، فيما بعد، تعقيدات الحياة المهنية، والالتزامات الاجتماعية، التي تختلط تأرجحاتها بالإيقاعات السابقة. وكلها تنتهي إلى أن تكون بالنسبة لنا طبيعية بحيث نمتثل لها على نحو شبه آلي، دون أن نوليها انتباهنا على وجه التقريب.

يبدو إذن أن للإيقاع وظيفة مفيدة: وظيفة خفض التوتّر في ذهننا. والواقع أن انتباهنا، عندما نطمئن على أن الظاهرة تخضع لضرب من الانتظام، يصبح جاهزاً ويمكنه أن يتّجه إلى مكان آخر أو أن يستريح؛ فالطحّان لا يحتاج إلى أن يراقب طاحونه؛ إنه يستيقظ إذا توقّفت طاحونه هذه. ويخلق إنجاز حركة منتظم أو

عمل من الأعمال آليات نفسية حركية، ويتيح بذلك أن نحقّق اقتصاداً في الطاقة. والإيقاع يشجّع العمل أيضاً لأنه يساعد على تنسيق الجهود الجسمية (عندما يقتضي الأمر أن يسحب المرء حمْلاً على سبيل المثال).

فكل الحياة موقّعة، بدءاً من تقسيم الخلية حتى العمل الوظائفي للدماغ؛ ونحن نعلم انقباض العضلة القلبية وتمدّدها، وتغيّرات عمق النوم وحرارة الجسم في أثناء الليل، والتعديلات الدورية لتركيز الهرمونات، إلخ. فبوسعنا إذن أن نقول إن كل لحظة حيوية إيقاعية وليست مستمرّة. وتخضع كل السيرورات الحيوية إلى عوامل فيزيولوجية، حيوية كيميائية، بعضٌ منها يرتبط بشروط خارجية ارتباطاً جزئياً. مثال ذلك أن هرموناً من الغدّة الصنوبرية، الميلاتونين (القريب، بالعناصر التي تدخل في تركيبه، من وسيط كيمائي هو السيروتونين)، يشهد أن تركيبه يحرّضه الظلام ويكفّه النور.

ولكل فرد إيقاعه الشخصي (أو **درجة نشاط**) الذي يميّزه: وعلى هذا النحو إنما نصف طفلاً بأنه «متراخٍ» أو نذكر بمناسبة الحديث عنه شدّة الحيوية، وفق كونه متباطئاً أو يظهر ذا حيوية قصوى؛ إن **درجة النشاط** هذه ذات علاقة، في جزء منها، بالتربية ولكنها ذات علاقة بالمزاج على وجه الخصوص. ولهذا السبب يكون بالغ الأهمية أن تتوافق فاعلياتنا مع إيقاعنا الشخصي. ولكن الإنسان في مجتمعنا، الذي رفع السرعة إلى مستوى القيمة (نودّ دائماً أن نمضي على نحو أسرع: طائرة النقل البعيدة المدى «الكونكورد» تطير الآن بسرعة تفوق ضعفي سرعة الصوت)، حيث السرعة مستخدمة للنفع وحيث سنميل إلى تسريع الإيقاعات كلها، وحيث نجهل حدود جبلّتنا النفسية البيولوجية، يلهث ويصيبه الإنهاك بسبب رغبته في أن يلحق بإيقاع محيطه الاجتماعي؛ والإرهاق الناجم عن ذلك سبب الازدياد الحالي في الاضطرابات النفسية، في رأي الأستاذ سيغادون. إن ذهننا حسّاس على وجه الخصوص للإيقاع (إلى حدّ يمكننا أن نثير حالات من النوم المغناطيسي انطلاقاً من تعاقبات تحدثها آلات ذات ترجيع كالطبل الأفريقي)، ويفهم المرء أن مربين مثل جاك ـ دالكروز (فيينة، 1865 - جنيف 1950)، مبتكر الجمباز الموقّع، أو مثل تيا

بونيه الذي اخترع طريقة «الانطلاق الجيّد»، أو الذين أيضاً يعلّمون تصحيح اللفظ في حالات التأتأة، يلجأون إلى الإيقاعي، بل إلى العلاج الإيقاعي، بوصفه وسيلة لتفتّح الأشخاص.

N.S.

الإيقاع، مع أنه معطىً من معطيات الواقع، إبداع سيكولوجي. إن ذهننا، في الواقع، هو الذي يجعلنا ندرك، في كثرة المعلومات التي تقتحمنا وتحرّض انتباهنا، تلك البنيات الإيقاعية التي تضع النظام في الإحساسات والأحداث، وتجمعها في أصناف وتعاقبات متناوبة.

ويمثّل الإيقاع إمكان تقييمٍ وتصنيف لمختلف زمر المنبّهات، المنظّمة في الزمان ببنيات إيقاعية. ولهذه المنبهات، المنفصلة زمنياً بفواصل زمنية طويلة أو قصيرة، تسلسل (أو تعاقب) مختلف بالنسبة لبنية معيّنة. ونبدأ، في إدراك البنيات الإيقاعية، بتمييزها بعضها من بعض (أعني تحديد الهوية الكاملة لكل منها، وذلك ما نسميّه: إجراء **التمييز** بين الإيقاعات)؛ ثم نقارن التنظيمات المتماثلة، أي تلك التي تتضمّن العدد نفسه وتعاقب الفواصل الزمنية الطويلة والقصيرة نفسه، ولو أن المدد الزمنية المطلقة كانت مختلفة (مافلوف وبَنْتشوفا، 1974 b). فإدراك الإيقاع شكل من إدراك الزمان. وهو ممكن التحقيق بدءاً من التنبيهات البصرية والملمسية، وليس من التنبيهات السمعية فقط. وعندما توجد اضطربات في إدراك البنيات الإيقاعية، تظهر هذه البنيات معاً بالنسبة لكل الأنماط الحسية على النحو نفسه. فثمة، في عَمَه الإيقاع، فقدان القدرة على التمييز بين البنيات الإيقاعية وتصنيفها. ويترتّب على ذلك أن الفرد يجد نفسه في حال من تعذّر إعادة إنتاجها. وهذا العمه مستقلّ عن طبيعة المنبهات التي تولّد الإيقاعات؛ إنه ذو علاقة بعيب في تقييم الفواصل الزمنية ذات المدة القصيرة، عيب تتضمّنه بنية وحيدة الشكل. (انظر في هذا المعجم: **العَمَه**، **العمل المسلسل**، **دورية الظاهرات الحيوية**، **قياس الزمن في العمل**).

L.M.

الإيقــاع تحت اليومي

F: Infradien

En: Infradien

D: Infradien

هذا المصطلح يصف الإيقـاعـات الفـيـزيولوجـيـة والسلوكـيـة التي يكون «تواترها» أقلّ من حادثة يومياً.

مثـال هذا الإيقـاع أن إيقـاع فـاعلية التكاثر لدى الأيّليّـات أقلّ من حـادثة في اليوم (فصل إسفاد واحد في العام، فصل الخريف).

J.ME.

إيقاع فيزيولوجي يومي

F: Circadien

En: Circadian

D: Zirkadian

هذا المصطلح، الذي ندين به لهـا لبـرغ، يصف كل إيقـاع فـيـزيولـوجي أو سلوكي **ذاتي الصيانة** مدته قريبة من أربع وعشرين ساعة في شروط «السير الحرّ» أي في غيـاب كل عامل خارجي يمكنه أن يجعله متـزامناً على وجه الدقّة مع دوران الأرض حول نفسها. (انظر المصطلح التالي في هذا المعجم: **الساعة الداخلية أو الفيزيولوجية**).

J.ME.

الإيونيـــة

F: Éonisme

En: Eonisme

D: Eonismus

ارتداء الرجل ثياب المرأة.

هذا الانحراف الجنسي، حيث يلتذّ الرجل بارتداء ثياب امرأة، تلقّى اسم الإيونية بالإحالة إلى الضابط الفرنسي شارل دو بومون، فارس إيون (تونّير، 1728 - لندن، 1810)، الذي كان يعدّ نفسه امرأة وأصبح «قارئة» القيصرة في بلاط موسكو الامبراطوري. وثمة، قبله، فرنسي آخر شهير، فرانسوا تيموليون، رئيس دير شوازي (باريس، 1644- باريس، 1724)، الذي كان يروق له أن يرتدي ثياباً نسائية ويقدّم نفسه في المجتمع باسم **كونتيسة بار**. والإيونية، في رأي هافيلاك إلّيس، قد تكون التعبير الرمزي، على مستوى اللباس، عن الجنسية المثلية. ويعتقد أ. هسنَر، على العكس، أن الدافع الجنسي لدى هؤلاء الأفراد موجّه نحو المرأة المرغوبة لكنها البعيدة. وكون الرجل غير قادر على أن يمتلكها، فإنه يحتازها إذ يتماهى بها بما يمثّلها على النحو الأفضل: الثياب. وإذ يتنكّر الرجل بثياب المرأة، فإنه لا يصبح «موضوعاً» جنسياً لرجل آخر بل لذاته. فالإيونية تشبه النرجسية إذن.

M.S.

حـــــرف
البــــاء
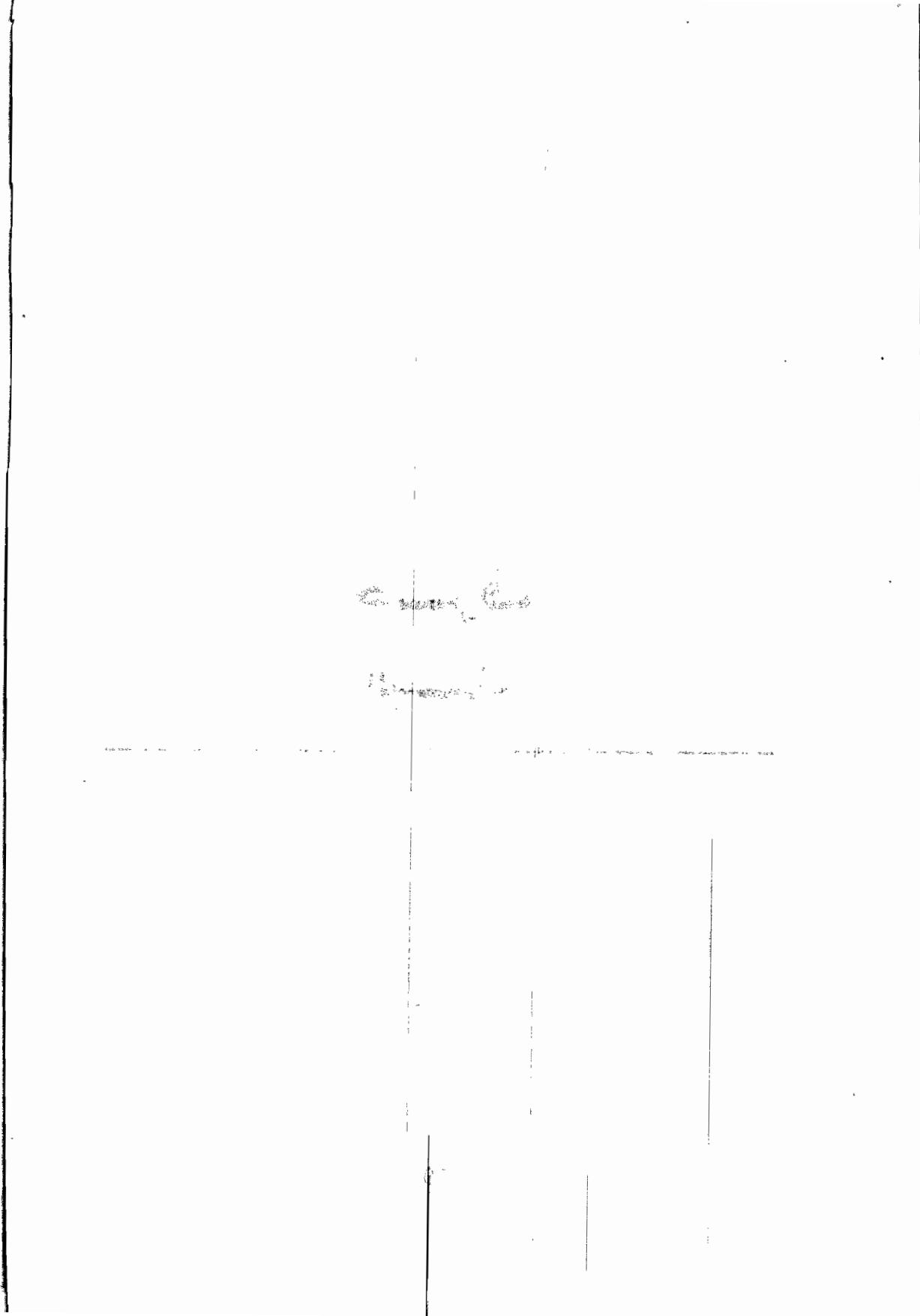
بابِّنسكي (جوزيف فرانسوا فيلِكس) Babinski (Joseph François Félix)

عالم أعصاب فرنسي من أصل بولوني (باريس، 1857 –باريس 1932).

عَمِل بابنسكي في مشفى سالبيتريير (باريس) مع جان مارتان شاركو (1825- 1893) الذي كان رئيس العيادة. وبيّن السمة المصطنعة لاضطرابات لوحظت في هستيريا التحولّ. وكان بابنسكي قد جمع، عام 1901، هذه الاضطرابات، التي لا أساس عضوياً لها ويمكنها أن توجد بالإيحاء ويشفيها الإقناع، في ظلّ تسمية Pithiatisme (من اليوناني Peithô أي «الإقناع»، و iatos أي «قابل للشفاء»). ووصف أيضاً أمراضاً عصبية تمسّ النخاع الشوكي، والدماغ، والمخيخ. واسمه مرتبط على وجه الخصوص بـ«علامة بابنسكي» الشهيرة (1896)، وهي استجابة مرضية للمنعكس الجلدي الأخمصي، التي نبحث عنها بواسطة رأس محدّب غير حادّ، إذ نتابع به طول الحافة الخارجية للقدم نحو «الإصبع الصغيرة» (الخامسة). وثمة في العادة انحناء في «الإصبع الكبيرة» (الأولى). وعندما تكون علامة بابنسكي موجودة، ثمة امتداد بطيء في هذا الإصبع الكبير، يرافقه ابتعاد على شكل مروحة لأصابع القدم، الأصابع الأخرى؛ وهذا الأمر علامة مرضيّة تشخّص آفة في الحزمة الهرمية في النخاع الشوكي، أو جذع الدماغ، أو الدماغ. ويحدث المنعكس الجلدي الأخمصي على الغالب، لدى الوليد، حيث المَلْيَنَة لاتزال ناقصة جداً، بالامتداد (علامة بابنسكي) والانحناء على حدّ سواء تقريباً. ويُعتبر أن علامة بابنسكي، حتى سن السنتين، ليس لها دلالة مرضية.

M.S.

باتوسون (غريغوري) Bateson (Gregory)

أنتروبولوجي أمريكي من أصل انغليزي (غرانتشستر، انغلترا، 1904- سان فرنسيسكو، 1980). إنه ابن العالم البيولوجي وليم باتيسون الذي ندين له بمصطلح «علم الوراثة».

نال شهادة الدكتوراه (1930) من جامعة كمبردج بعد دراسات جامعية في جنيف وإقامة في غينية الجديدة (1927- 1930) . وأجرى بحوثاً في بالي، جزيرة سوند، من عام 1936 حتى 1938، نشر بعدها، بالتعاون مع مارغريت ميد، كتاباً عن السمة البالينية (**السمة البالينية**، 1942).

شغل غـ. باتوسون مناصب شتّى بوصفه محاضراً وباحثاً في جامعتي سدنه (أوسترالية) وكامبريدج (انغلترة). وكان أيضاً، على التوالي، محلّل أفلام أنتروبولوجية في متحف الفن الحديث بنيويورك (1942- 1943)؛ واختصاصياً في المناطق الجنوبية الشرقية الآسيوية في **مكتب الخدمة الإستراتيجية** (1943- 1946)؛ وأستاذاً مدعوّاً في **مدرسة البحث الاجتماعي الجديدة**، نيويورك (1943- 1947)، وفي جامعة هارفارد(1947- 1948)؛ ومحاضراً في معهد لانغلي -بورتر للطب النفسي العصبي، وفي جامعة كاليفورنية (1948- 1950)؛ وعالماً إتنولوجياً في مشفى المحاربين القدماء بالو ألتو، كاليفورنية (1950- 1962)؛ ومدير معهد البحث في التواصل بسان توماس، جزيرة فيرجان (1962 -1964)؛ ومديراً مشاركاً في البحوث للمعهد الأوقيانوسي في هاواي (1964- 1972). إنه، منذ عام 1972، محاضر مدعوّ في **كلية كرسج** من جامعة كاليفورنية، بسانتا كروز.

مساهماته الأساسية في العلوم الاجتماعية والسلوك هي أعماله الأنتربولوجية التي أجراها ميدانياً في المحيط الهادي الجنوبي وتطبيقه على الطب النفسي طرائق البحث الأنتروبولوجي؛ وإدخاله السيبرنطيقا في دراسة التفاعلات الإنسانية والحيوانية؛ وتطبيق نظرية النماذج المنطقية لروسل وهوايتهيد على مشكلات التواصل، الذي قاده إلى نظرية **الإلزام المزدوج في الفصام**؛ ودراساته في الوراثة والتطور.

وتلقّى غـ. باتوسون، المنظّر الرئيس لجماعة بالو ألتو، جائزة فروم ريكمان (1961- 1962) لمساهماته الرئيسة في فهم الفصام.

ومن مؤلفاته، التي تحوي عدة كتب ونحو مئة مقال منشورة في مختلف المجلات الأنتروبولوجية، والبيولوجية، والطب النفسي، وعلم النفس، نذكر أيضاً: **نافن** (1936 مترجمة إلى الفرنسية بعنوان **احتفال نافن**، باريس، دار نشر مينوي، 1971)، **التواصل: المنشأ الاجتماعي للطب النفسي** (بالاشتراك مع جورجن رويش، 1951) **عناصر ضرب من إيكولوجيا الفكر**، 1972. (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **الإلزام المزدوج**، **جماعة بالو ألتو**).

P.W. (ترجمة **D.J.V.** إلى الفرنسية)

بارسونز (تالكوت) Parsons (Talcott)

عالم أمريكي في علم الاجتماع (كولورادو سبرنغز، الولايات المتحدة الأمريكية، 1902-ميونيخ، 1979).

عالم الاجتماع، في رأي بارسونز، «ملاحظ مشارك» ينبغي له أن يبذل جهداً ليظلّ على مسافة من الفاعلين الاجتماعيين الذين يلاحظهم. ويبيّن بارسونز، في كتابه **عناصر من أجل علم اجتماع للعمل** (1951)، كيف أن كل عمل اجتماعي، فردي وجماعي على حدّ سواء، تنظّمه دلالات خارجية بالنسبة له (أعراف، قوانين، قيم، رموز). وذلك أمر واضح بصورة خاصة عندما يدرس عالم الاجتماع ذلك الجانب بين الشخصي من السلوكات. فعندما يوجد شخصان معاً، تحدّد مواقعهما النسبية (الأوضاع) تصرّفهما (الدور). ومثال ذلك أن المريض يفوّض أمره إلى الطبيب، الذي تضمن للفرد كفاءته ونزاهته وغيريته أنه لن يكون موضع استثمار في وضعه الذي يبدو فيه أنه أعزل كلياً. وقدّم لنا بارسونز نظرية تغيّر اجتماعي وإضفاء الصفة المؤسسية. ونحن نذكر من مؤلفاته الأخرى: **منظومة المجتمعات الحديثة** (1971، برانتس هال، ترجمه إلى الفرنسية غ. مولوري، باريس، دونو، 1973). (انظر في هذا المعجم ما يلي: **الأنوميا، المرض، الدور، المجتمع، الوضع**).

M.C.

بافلوف (إيفان بيتروفيتش) Pavlov (Ivan Petrovitch)

عالم روسي في علم النفس الفيزيولوجي(ريازان، 1849–لينغراد، 1936).

كانت أعماله في الهضم، التي أكسبته جائزة نوبل في الفيزيولوجيا والطب عام 1904، متأثّرة بأفكار مواطنه إيفان ميكائيلوفيتش ستشينوف (1829- 1905) ولاسيّما بالأفكار المعروضة في **أفعال الدماغ المنعكسة** (1863). والواقع أن بافلوف يبرهن في كتابه، **دروس في عمل الغدد الهضمية** (1897، الترجمة الفرنسية، ماسّون، 1901) على دور الفاعلية الدماغية في عمل الغدد اللعابية الوظائفي. ويكتشف بافلوف، إذ يستمرّ في بحوثه في الإفرازات المعدية، **المنعكسات الشرطية** (التي يسمّيها «المنعكسات النفسية») وأهميتها في سلوك الحيوان والإنسان، وذلك أمر شكّل موضوع مداخلته في المؤتمر العام للطب بمدريد (**علم النفس وعلم النفس المرضي التجريبي لدى الحيوانات والإنسان**، 1903). ويرتسم دربه من الآن فصاعداً، ولن يكفّ عن أن تثير الدراسة الموضوعية للفاعلية العصبية العليا شغفه. وفي رأي بافلوف ومنافسيه (ولاسيّما و. م. بشتريف) أن الظاهرات النفسية الأكثر إعداداً: التعلّم، العادة، الإرادة، إلخ، يمكننا إرجاعها إلى سلسلة من المنعكسات الشرطية التي يمكن أن يصبح بعضها منعكسات مطلقة، وراثية (تخلّى بافلوف فيما بعد عن الفكرة الأخيرة، ذلك أنه رأى أن تجاربه لم تكن حاسمة في هذا الموضوع). ومساهمة هذا العالم في علم النفس الحديث كبيرة. إنه لم يساهم في تأسيس هذا الفرع من المعرفة علماً فحسب، ولكن أفكاره أفضت أيضاً إلى عدة تطبيقات عملية، كالعلاج النفسي بالسلوك وعلاجات النفور (في الكحولية على سبيل

المثال) أو الولادة دون ألم. ونذكر من مؤلفاته الرئيسة: **محاضرات في المنعكسات الشرطية** (1920، ترجمه إلى الإنغليزية و. هورسله غانت، مجلد 1؛ **عشرون عاماً من الدراسة الموضوعية للفاعلية العصبية العليا [السلوك] لدى الحيوانات**، نيويورك ب. أنترن، 1928، مجلّد2؛ **المنعكسات المشروطة والطب النفسي**، نيويورك ب. أنترن 1930)؛ **المنعكسات الشرطية** (باريس، ألكان، 1927)؛ **دروس في فاعلية القشرة الدماغية** (نشر لوغران، 1929، طبعة جديدة: **دروس في عمل نصفي الكرة الدماغية**، نشر دفاتر الطب السوفييتي، 1953)؛ **نمذجة وعلم أمراض الفاعلية العصبية العليا**، ترجمه من الروسية إلى الفرنسية ن. بومشتاين، باريس المطابع الجامعية الفرنسية، 1955)؛ **منعكسات مشروطة وضروب الكفّ** (باريس، غونتيه، 1963. انظر في هذا المعجم مايلي: **الإشراط، فيغوتسكي**).

N.S.

F: Palo Alto (groupe de) **بالو ألتو (جماعة)**

En: Palo Alto Group

D: Palo Alto Gruppe

مصطلح شائع الاستعمال للدلالة على الباحثين والعاديين المجتمعين حول غريغوري باتوسون ودو دون د. جاكسون في معهد بالو ألتو للبحث العقلي (كاليفورنية، الولايات المتحدة الأمريكية).

تُعنى هذه الجماعة على نحو أساسي بدراسة السلوك (وعلى وجه أخص بالسلوك الدالّ على عَرَض أو المنحرف)، من حيث هو وظيفة التواصل أو التفاعل في بعض المنظومات الاجتماعية، وبخاصة في الأسرة. ولم يحدث قط أن وُجد تنظيم يحمل تسمية جماعة «بالو ألتو» وثمة فوارق وتقلّبات ظهرت، مع مرور الزمن، على الرغم من الاهتمام والتشابهات المشتركة، أساسية، بين هؤلاء الباحثين والعياديين. كانت جماعة البحث في الأصل، عام 1953، تضمّ غ. باتوسون، جي هالي، جون هـ. ويكلاند. وانضمّ إليها، عام 1954، دون جاكسون؛ أما وليم ف. فراي جر. فإنه يقدّم مشاركة غير مستمرّة. ومركز اهتمام الجماعة البدئي كان منصبّاً على طبيعة التواصل العامة وبخاصة على وجود مستويات مختلفة للرسائل ومفارقات ملازمة لها. وكانت نظرية النماذج المنطقية لبرتراند رسل (1872- 1970) وألفريد نورث هوايتهيد (1861- 1947) تقود البحوث بصورة ضمنية، تلك النظرية التي كان يحتويها كتابهما المشترك **مبادئ رياضية** (1910- 1913). ثم تنوّعت الاهتمامات. وإذ أظهرت الجماعة تعدّدية الرسائل في كل تواصل وبيّنت كيف أن هذه الرسائل يساند ويعدّل بعضها بعضاً،

فإنها درست التواصل الفريد لدى الفصاميين (الذي يمكننا وصفه بـ«المجاز غير المعترف به») وشرعت في استقصاءات لمعرفة كيف يمكن أن تقوم مثل هذه التواصلات وأن تكون موضع **تعلّم**، ولاسيّما في السياقات الأسرية. وهذه المسألة -ودراسة المحادثات المسجّلة مع الفصاميين وأسرهم- أفضت إلى صياغة نظرية **«القسر المزدوج»**، التي يعتبر فيها السلوك الدالّ على عَرَض، سلوك الفصامي، استجابة لتخطيطية تواصل تتضمّن رسالتين غير متوافقتين، من مستويين مختلفين، حيث يكون كل شرح لهذا الانعدام في التوافق، أو كل إمكان لمخرج، مكبوح. وهكذا كان الاهتمام الموجّه إلى طبيعة التواصل وتأثيره في السلوك قد أفضى إلى أسلوب في رؤية الأعراض كان يتمحور، في الأصل، على التفاعل الشائع، الذي يمكن أن يُدرك في المنظومات الأسرية، إذ يهمل هذا الأسلوب تلك الاستنباطات التي تنصبّ على خصائص الأفراد العقلية أو الكيميائية الحيوية الخاصة بهم، أو يهمل أيضاً التجارب الحادثة في الطفولة، ولكنها التي لايمكننا ملاحظتها. وذلك دفع إلى توجيه الجهود نحو علاج أسري قرين للفصام.

وأسّس دون جاكسون، عام 1959، **معهد البحث العقلي**، بقصد إعداد الأسس النظرية والعملية لكشوف جماعة غـ. باتوسون (لم يكن ثمة بدّ من أن تنحلّ عام 1961). ويستمرّ المعهد، ببرامج البحث لديه، والعلاج والتكوين، في العمل ليمدّ وجهة النظر التفاعلية على سلوكات «منحرفة» أخرى، مختلفة عن الفصام، وعلى جماعات أخرى غير الأسرة. ويقوده أيضاً هاجس زيادة نجوعه العملي. وثمة عرض لهذه المقاربة ولمعناها موجود في كتاب بول وازتزلاويك ومعاونيه، **ضرب من منطق التواصل**. ووضع هالي دراسة أكثر تعمّقاً لأعمال جماعة باتوسون وأفكارها، مع شروح باتوسون وويكلاند، في كتاب س. إ. سلوزكي ود. س. رانسوم، **القسر المزدوج: تأسيس مقاربة تواصلية للأسرة** (نيويورك، غرون وستراتّون). (انظر في هذا المعجم: **التواصل**، **الأسرة**، **القسر المزدوج**، **الاستعادة**، **ذرائعية التواصل**).

J.WE. (ترجمة **J.S.T.**)

بانكرياس

F: Pancréas
En: Pancreas
D: Bauchspeicheldrüse, Pankreas

غدّة ذات إفراز داخلي وخارجي.

البانكرياس عضو بطني عميق، يمتدّ من اليمين إلى اليسار ومسطح من الأمام إلى الخلف، له شكل القدّوم. طوله 15سم ويزن 60 إلى 80غ. ارتفاعه مختلف: 6سم على مستوى الرأس، 2سم على مستوى الذنب. إنه مندمج، إذ يقع خلف المعدة، في إطار عَفَجي، إلا فيما يتعلق بالذنَب الذي يصل إلى جدار الطحال. وينطوي البانكرياس على أربعة أقسام: طرف يميني، ذي حجم (أو «رأس») مرتبط بالجسم بجزء متقلّص (أو «عنق»)، ضيّق ومتطاول؛ والطرف اليساري، الضامر، هو الذنب. لون البانكرياس، في حالته الغضّة، أبيض وردي، وهو ذو قوام صلب. ولإفرازه الخارجي، أو السكر البانكرياسي، الغنيّ بالبيكربونات، أنزيمات تذيب البروتين (كيموتربسين وتربسين)، وخميرتي الليباز والأميلاز، وظيفة ذات أهمية في الهضم. ويصبّ إفرازه في الجزء الثاني من العَفَج بواسطة قناتي ويرسونغ وسانتوريني. أما الإفراز الداخلي، الذي تنتجه جزر لانجرهانز الصغيرة فإنه يصبّ في الدورة الدمويّة، فإنه يؤدّي دوراً أولياً في ضبط السكر.

يتكوّن **البنكرياس ذو الإفراز الداخلي** من ملايين من جزر لانجرهانز الصغيرة التي تحتوي أربع زمر من الخلايا: خلايا **غامّا** و**دلتا**، التي لا يُعرف دورها، وخلايا **ألفا**، منتجة الغلوكاغون، هرمون يسبّب فرط سكر الدم، وخلايا **بيتا** تفرز **الأنسولين**، الهرمون الوحيد الذي ينقص نسبة السكر في الدم. وهذا الهرمون كان قد عزله عالما الفيزيولوجيا الكنديان فريديريك غرانت باتينغ (أليستون، أونتاريو، 1892- موسغراف هاربور، 1941) وشارل هربرت بيست (المولود عام 1899)

وأطلقا عليه اسم الأنسولين بالإحالة إلى جزر لانجرهانز الصغيرة المسمّاة باللاتينية insula. وقد أوضحه عام 1926 أبولين ثم صنّعه زان عام 1963. والمقصود به واحد من البوليبتيد، وزنه الجزيئي 6000، مؤلف من 51 حمضاً أمينياً. فإفراز الأنسولين، لدى شخص طبيعي، يبلغ 50 إلى 55 وحدة عالمية خلال 24 ساعة، ونسبة الأنسولين في الدم الجاري في الجسم، التي تُقاس بطريقة المناعة الإشعاعية، تختلف من 10 إلى 25 وحدة صغيرة بالميليليتر. وقيمة سكرية الدم هي التي تنظّم إفراز الأنسولين: إن إنتاج هذا الهرمون يطلقه فرط سكر الدم (سكرية الدم أعلى من 1غرام/ بالليتر). ويشجّع الأنسولين تركيب البروتئين والسكر المخزون في الكبد؛ ويسرّع نفوذ السكر في الأنسجة العضلية والشحمية ويتيح تحوّل السكريّات إلى شحم. وهو من جهة ثانية يكبح تحرير السكر في الدم. ويُستخدم الأنسولين في علاج داء السكري، ويتيح، لدى الأفراد المصابين بهذا الداء، أن يحافظ على نسبة سكر الدم في حدود قيم تناسب حياة طبيعية على وجه التقريب. فعندما تبلغ نسبة ارتفاع سكر الدم أرقاماً عالية (4 إلى 5 غرام بالليتر)، يغرق الفرد في غيبوبة هادئة حيث تكون المنعكسات ملغاة. أما حوادث فرط سكر الدم فمتواترة: يصفرّ الفرد ويغمره العرق؛ ويشكو من إحساس بالجوع قاهر، ووجع الرأس، وخفقان القلب والضيق (غمّ نفسي). وثمة اضطرابات عصبية نفسية ذات شدّة متغيّرة. وقد تكون المسألة مسألة وَهَن حادّ، ونَزَق، ورؤية مضاعفة (يرى الفرد صورتين لشيء واحد)، واضطرابات الانتباه. وقد تكون الاضطرابات أكثر خطورة في بعض الأحيان: خلطاً عقلياً، هياجاً نفسياً حركياً، هروباً، أفعالاً جرمية، عدم تنسيق الحركات الإرادية، هلوسة؛ وتوجد في بعض الحالات غيبوبة مع المحافظة على المنعكسات (منعكسات قوية) وظهور علامة بابنسكي الثنائية الجانب. واقترح الطبيب النفسي العصبي من فيينة منفريد ساكل (1900- 1965)، في بداية الثلاثينات من هذا القرن، استخدام الأنسولين في علاج الفصام. وسقط العلاج بالأنسولين في الإهمال بعد مرحلة من الحظوة الكبيرة ويؤثر الأطباء عليه حالياً طرائق أقلّ خطورة.

M.S.

F: Psittacisme **البّبغاوية**

En: Psittacisme

D: Psittazismus

اضطراب لغوي يكمن في تكرار مستمرّ لكلمات أو جمل مسموعة، على غرار ببغاء.

لايفهم الفرد على الأغلب ما يقول المصاب. وهذا الاضطراب نصادفه إلى حدّ كاف لدى المتخلفين عقلياً.

N.S.

F: Recherche -action, Recherche active **البحث -العمل**

En: Action research **البحث الفاعل**

D: Aktionsforsch

عملية هي في وقت واحد تجريب سيكولوجي على أرض الواقع وعمل اجتماعي.

هذا المصطلح المنسوب إلى كورت لوفن (1890- 1947) يندرج في خط الفكر الخاص بالعالم الفيزيائي الألماني فيرنر هيزنبورغ (ويرزبورغ، 1901- 1976) الذي ندين له بمبدأ الريبة. ويؤكد هيزنبورغ، في واحد من كتبه الأخيرة، أن رجل العلم ليس مشاهد الطبيعة بل فاعل، وأن على العلم أن يعترف هو ذاته أنه «جزء من الأعمال المتبادلة بين الطبيعة والإنسان». والأمر أكثر وضوحاً في علم النفس أيضاً. فالباحث لايمكنه أن يصرف النظر عن أفكاره، ولا قيمه، ولا عواطفه؛ إنه متورّط في عمله المحدّدة حدوده بوضوح على هذا النحو. ويأخذ البحث الفاعل هذه الملاحظات بالحسبان ويعتبر أن البحث والعمل لا ينفصل الواحد منهما عن الآخر. وتأليف فرويد مثال نموذجي على هذا الأسلوب من العملية.

N.S.

ميّز فريق كورت لوفن (كوك، شاين، هاردنغ)، عام 1945، تبعاً للتجربة المكتسبة، أربعة ضروب من البحث الفاعل: 1-البحث -العمل **في التشخيص**،

الذي كان يهدف إلى وضع مقاييس شفائية بعد تشخيص، متدخّلاً في وضع قائم الآن (فتنة عرقية على سبيل المثال). والبحث الفاعل كان صحيحاً إذا كان ناجحاً وممكن التحقيق معاً، وإذا كان الأفراد المعنيّون يقبلونه؛ 2-البحث العمل **بالمشاركة**، الذي كان على أعضاء المتّحد المعرّض للخطر أن يشاركوا، منذ البدء، في سيرورة البحث. فهم، من جهة، يفهمون على نحو أفضل ما كان يحدث؛ وإشراكهم، من جهة أخرى، يزيد حظوظ إعادة الوضع إلى ما كان عليه؛ 3-البحث- العمل **الاختباري** الذي كان يكمن في تراكم معطيات التجارب لعمل يومي، يجريه معاً عدة فرقاء على الجماعات المختلفة، في وضع مشابه (مثال ذلك: نوادي الشباب)، بهدف استخلاص قوانين عامة؛ 4-البحث - العمل **التجريبي** الذي كان يكمن في دراسة نجوع التقنيات المتنوّعة في الأوضاع الاجتماعية المتماثلة، وفي تحديد عوامل الإخفاق أو النجاح النسبية.

R.M.

البرافازيا، البرافيميا **F: Paraphasie, Paraphémie**

En: Paraphasia, Paraphemia

D: Paraphasie, Paraphemie

اضطراب اللغة المحكيّة يتميّز باستخدام كلمات أو تعبيرات لا تتوافق مع الفكرة وبتشوّهات في الحروف أو المقاطع تتعرّض لها الألفاظ المستخدمة.

وتؤدي الدرجة العليا من البارافازيا إلى رطانة غير مفهومة (**رطانة البارافازيا**) يصعب على السامع فيها أن يتعرّف على الكلمة. ولا يشعر المريض بأخطائه. ويُلاحظ هذا التشوّه في اللغة في بعض الحُبسات الناجمة عن آفة الفصّ الصدغي الأيسر وفي الحبسة الحسيّة القشرية لفرنيك. (انظر في هذا المعجم: **الحبسة**).

N.S.

البارافرينيا

F: Paraphrénie

En: Paraphrenia

D: Paraphrenie

هذيان مزمن غريب الأطوار على الغالب، لا يغزو الفكر كله ويظلّ متوافقاً مع حياة أسرية، واجتماعية ومهنية سويّة.

يعيش المريض في عالمين معاً: عالمه الخاص، الخرافي، فوق الطبيعي، والعالم الواقعي، الذي يبدو أنه متكيّف معه دائماً. وكان إميل كريبلن (1856- 1926) قد اقترح مصطلح البارافرينيا عام 1899 للدلالة على الذهانات الهاذية المزمنة التي لا تجد مكانها في الكيانين اللذين كان قد عزلهما مسبقاً: «الأشكال الذهانية الهذائية (البارنويا) للخبل المبكّر» و«الذهانات الهذائية المنظّمة». وثمة، في فرنسة وفي العصر نفسه، تطوّر مشابه كان قد قاد إلى وصف «الذهان الهلوسي المزمن» و«هذيان الخيال». فكان تفريد ضروب البارافرينيا ينشد إذن، بصورة أساسية، بيان الفروق الدقيقة في تصنيف يتّسم بالصرامة المغالية، ولكن مشروعية استقلالها كانت دائماً موضع نقاش، وبخاصة منذ أن انتهى مفهوم الفصام، الذي ابتكره عام 1911 إوجين بلوير (1857- 1939)، إلى أن يشمل كلية الذهانات الهاذية، على وجه التقريب. وتتميّز البارافرينيا، بالنسبة لمن يقبل وجودها، من «هذيان الذهان الهذائي»، الذي نصادف نموذجه في الفصام، بغياب تفكّك الشخصية وبالتكيّف الجيد مع الواقع. وتختلف البارافرينيا عن «هذيان الذهان الهذائي» ببنائها غير المنطقي، وإبهامها في بعض الأحيان، وبأهمية الظاهرات المتخيّلة والهلوسية التي

تبديها. ونميّز، في تصنيف كريبلن، أربعة أشكال من البارافرينيا (بعضها ذو نقاط مشتركة مع أمراض عقلية أخرى، وذلك أمر يؤكّد السمة المصطنعة لهذا التجمّع): 1- **البارافرينيا المنهجية** التي تنطوي على نموّ ضرب من هذيان الاضطهاد والتأثير، ترافقه أفكار العظمة، ولكنه يتغذّى بهلوسات عديدة ذات مصادر حسية متعدّدة، وذلك أمر يميّزها من الذهان الهذائي (البارانويا)؛ 2-**البارافينيا الوهمية**، التي تدعمها، هي ذاتها أيضاً، سيرورة هلوسية شديدة، تتميّز على وجه الخصوص بالمظهر المعقّد، غير المتماسك وذي العلاقة بجنون العظمة، مظهر الهذيان (مؤامرات ذات مدىً كوني، كوارث أو نجاح على المستوى العالمي، إلخ)؛ 3-**البارافرينيا الخرافية**، التي تغيب منها الهلوسات والهذيان الغريب على وجه العموم والفقير إلى حدّ كاف، لها سمة توشية متخيّلة ضعيفة التماسك 4-**البارافرينيا التوسّعية** التي تتميّز بتنشيط المزاج، تنشيط يقترن بأفكار جنون العظمة، والأفكار الصوفية والجنسية؛ ويصعب تمييزها من بعض أشكال الهوس.

وتظهر هذه الضروب من البارافرينيا، على وجه العموم، في مرحلة النضج (بين الثلاثين والخمسين من العمر) ولاتفضي، إلا نادراً، إلى تفكّك شبه خبلي.

واستخدم سيغموند فرويد (1856- 1939) مصطلح البارافرينيا بمعنى مختلف جداً: إنه أناب هذا المصطلح أول الأمر مناب مصطلح «الخبل المبكّر» ومصطلح «الفصام» اللذين يراهما غير مناسبين، ثم استخدمه ليصف مجموع الذهانات الهاذية، إذ يظلّ الفصام هو «البارافرينيا بحصر المعنى». (انظر في هذا المعجم: **الهذيان، الذهان، الفصام**).

J.M.A.

البرافازيا الفصامية

F: Schizoparaphasie

En: Schizoparaphasia

D: Schizoparaphasie

شكل أقصى من تفكك وظيفة التواصل في اللغة، يتميّز بغياب التوافق بين الكلمة والفكرة التي يعبّر عنها الفرد أو الشيء الذي يدلّ عليه.

هذا الاضطراب الخطير موجود لدى بعض الفصاميين. فهؤلاء عاجزون، على الرغم من إرادة طيّبة واضحة، عن قراءة ما يكتبون وكتابة ما يقولون.

N.S.

براي (لويس) Braille (louis)

مخترع فرنسي (كوبغري، سين -و- مارن 1809 -باريس 1852).

إنه ابن صانع برادع، جرح نفسه، وهو في الثالثة من عمره، وفقد بصره. وقُبل عام 1819 في المؤسسة الوطنية للعميان التي أشادها في باريس منذ عام 1784 فالنتان هوي (سان -جوست -أن -شوسه، بيكاردي [تُسمّى الآن واز]، 1745- باريس، 1822). وعكف على الموسيقى وكان عازف أورغون في عدّة خورنيات بباريس. واخترع، إذ سمّي أستاذاً في مؤسسة العميان (1828)، نظام كتابة بنقاط بارزة (1829)، مستوحياً نظامه من الأبجدية الناتئة لفالنتان هوي. وعرفت كتابة براي نجاحاً كونياً؛ فكانت موضع التبنّي في كل اللغات، التدوين الرياضي، التدوين الموسيقي، والاختزال. ويتألف نظام براي من ثلاث وستين علامة مستمدة من أربع وستين تركيباً ممكناً من النقاط الست لزهرة النرد. بين كل نقطة فاصل من 2.5م، يقابل العتبة المتوسطة لحدّة اللمس في أقصى الأصابع (ولنقل، على سبيل المقارنة، إن أصغر مسافة إدراكية هي 1م متاح في طرف اللسان). ويدرك فاقد البصر الحروف أول الأمر باللمس (تركيبات النقاط البارزة)، ثم تجميعها (الكلمات)، ويبلغ معنى الجملة نفسه في الحال حين يترك إصبعه تجري على الصفحة. ويتعلّم طفل فاقد البصر أن يقرأ بقدر سرعة طفل طبيعي على وجه التقريب. ويستخدم بعض علماء النفس طريقة المقاطع، وآخرون الطريقة «الإجمالية» التي تنشد أن يميّز فاقد البصر تجميع العلامات ويكتشف الأحرف في كلمات بسيطة مثل بابا؛ وألعاب التعرّف مأخوذة بالحسبان؛ ومثال ذلك قراءة اسم

على بطاقة والبحث عن الشيء المقابل في علبة ألعاب. وينبغي تدريب الطفل تدريباً مبكّراً جداً على استخدام كلتا يديه في القراءة وتهيئته منذ مدارس الحضانة على تمييز الأشياء باللمس.
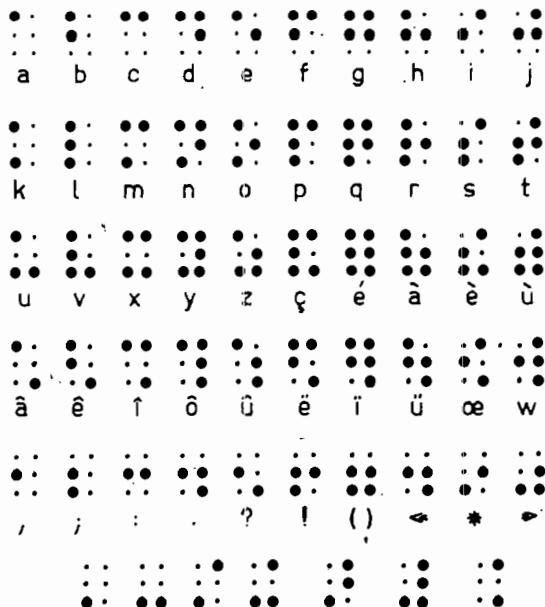
وتنطوي الكتابة بأحرف براي (بواسطة ضرب من المخرز تسمّى «دلاّلة») على صعوبة إضافية، ذلك أنها ينبغي أن تبدأ من اليمين إلى اليسار حتى يمكن أن تُقرأ الأحرف من اليسار إلى اليمين. ويضع الطفل ورقته الصلبة تحت إطار معدني. فيكوّن، بفضل مسطرة صغيرة تحمل صفّين من النوافذ (6مم × 4مم)، حروفه كما في مرآة، إذ يخز النقاط في الخانات المتتالية. ويحدث على الغالب، في البداية على وجه الخصوص، أن تقع أخطاء، ذلك أن رقابة العمل لايمكنها أن تكون مباشرة.

وأتاحت التقنية الحديثة إحداث ضروب من الإتقان كبيرة في نظام براي. وابتكر **مركز تقييم الوسائل الحسية وتطورها** (S.A.E.D.C)، المحدث عام 1964 في **معهد التكنولوجية في ماساشوست** (M.I.T)، جهازاً يتيح التدوين بنظام براي لنص مضروب على مبرقة عادية. وثمة جهاز آخر، «Optacon»، مبتكر عام 1971، يحوّل الانطباعات البصرية التي يتلقاها إلى انطباعات لمسية يدركها الفرد، بحيث أن فاقد البصر يمكنه، إذا حرّكه ببطء فوق نصّ مطبوع بأحرف عادية، أن يقرأه (بعد تدريب، بسرعة 80 كلمة في الدقيقة). وفي باريس رابطة، «كتاب العميان»، مخصّصة لتدوين الكتب العلمية والأدبية التي لاغنى عنها لبعض الطلاب المعوقين، بواسطة آلات كتابة بلغة براي. (انظر في هذا المعجم مايلي: **الأعمى، العمى أو فقدان البصر**).

N.S.
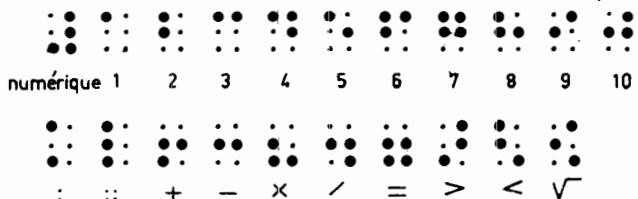
ALPHABET DES AVEUGLES

Procédé Braille (côté lecture)

a b c d e f g h i j

k l m n o p q r s t

u v x y z ç é à è ù

â ê î ô û ë ï ü œ w

, ; : . ? ! ( ) « * »

Apostrophe ou abréviatif — ¡ ò ou § æ numérique majuscule

Chiffres et signes mathématiques

numérique 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

: :: + — × ⁄ = > < √‾

● Caractères en relief
· position relative des caractères en relief dans chaque groupe de six

فيلسوف فرنسي (**باريس، 1859–باريس، 1944**).

تلميذ لامع في دار المعلمين العليا، قُبل في مسابقة الأستذة في الفلسفة، (1880) ونال الدكتوراه في الآداب (1889). وأصبح، بعد ست عشرة سنة من التعليم في مدارس تجهيز مختلفة، أستاذاً في دار المعلمين العليا (1897)، ثم في الكوليج دو فرانس (1900). اختير برغسون عضواً في الأكاديمية الفرنسية عام 1914، ونال جائزة نوبل في الأدب عام 1928 (لعام 1927). ويندّد برغسون، بوصفه عالم نفس للحياة الداخلية، بالسمة المصطنعة للتحليل العقلي الصرف، الذي لايتيح إدراك غنى الحوادث النفسية كله. فالذكاء عاجز عن فهم الحياة والحيّ: إنه مصنوع للعمل (وللعلم، التقني بالتحديد) ولفهم «المادة»، التي هي نتاج العملية العقلية ذاتها. إن **الحدس** هو وحده الذي يتيح إدراك الحركة الحيوية، في دلالتها، وموضوع الفكر، إدراكاً مباشراً وفي ماهيتها وماهيته. وثمة قطب آخر في تأليف برغسون هو مفهوم **الديمومة**. فالزمن، بالنسبة له، خلق، اندفاع حيويّ، أصل الأشكال كلها والأنواع جميعها. وتتيح دراسة له أن يميّز بين «الأنا السطحية» (المتضمّنة سمات الشخصية والأدوار الاجتماعية)، التي تقودها فكرة المفيد، و«الأنا العميقة» التي تتّصف بأنها حرية وخلق وصيرورة. ويقابل برغسون الأفكار ذات النزعة الاختبارية والارتباطية بتيّار الشعور. وهو، من وجهة النظر هذه، يحكم بالعجز والخطأ على محاولات علماء النفس، مثل غ. ت. فخنر، التي تقصد أن تكوّن علم النفس على طراز الفيزياء. إنه يقترب دون أن يعرف، إذ يهاجم

النزعة الفكرية والعقلانية ويبحث في بلوغ المعطى الأصيل، من س. فرويد وإ. هوسرل، اللذين كان برغسون معاصرهما، ويعلن الاتجاهات الأحدث للفينومينولوجيا. و«أخلاق» برغسون، أخيراً، قائمة على التقابل بين «المغلق» (أخلاق مغلقة، ديانات مغلقة، مجتمعات مغلقة) و«المنفتح»، أي الحب، التواصل، معنى القيم الإنسانية الكلية، نداء البطل والقديس.

من كتبه الرئيسة، نذكر: **محاولة في المعطيات المباشرة للشعور** (1889)، **المادة والذاكرة** (1896)، **الضحك** (1900)، **الطاقة الحيوية** (1920)، **الديمومة والمعيّة** (1922)، **منبعا الأخلاق والدين** (1932)، **الفكر والمتحرّك** (1934).

R.M.

برنار (كلود) Bernard (Claude)

عالم فيزيولوجيا فرنسي (سان جوليان، رون، 1813-باريس، 1878).

درس كلود(برنار) على وجه الخصوص ظاهرات الهضم الكيميائية، فيزيولوجيا الجملة العصبية الودّية، ومفعول بعض المنتجات السمّية (أوكسيد الكربون، الكورار، الستريكنين. . .) على الجملة العصبية. واستخلص من كشوفه مفهوم «الوسط الداخلي» الذي يكوّنه الدم واللمف، توازنهما هو الشرط لحياة عضوية مستقلّة. وسيكون هذا المفهوم، الذي يوحي أن العضوية الحيّة قادرة على الضبط الذاتي، موضع الاستعادة والتطوير بمصطلح **الاتزان الحيوي** بفعل الدراسات التي قام بها و. ب. كانّون (1871- 1945).

وعرض كلود برنار في كتابه، **المدخل إلى دراسة الطب التجريبي** (1865)، قواعد البحث العلمي وبيّن أن الفَرَض لاينبغي له أن يؤثّر في الملاحظ وهو يقود التجربة، وإن كان ضرورياً لجمع الحوادث وتنسيق النتائج. وكان لكلود برنار تلامذة عديدون، منهم العالم في علم الأنسجة لويس أنطوان رانفيه (1835- 1922)، وعالم الفيزيولوجيا بول برت (1833- 1886)، وعالم الفيزياء أرسين دارسونفال (1851- 1940). ونذكر من كتبه أيضاً: **العلم التجريبي** (1878)؛ **دروس في ظاهرات الحياة التي تشترك فيها الحيوانات والنباتات** (مجلّدان، 1877- 1878؛ الطبعة الجديدة، 1966، باريس، دار نشر فران)؛ **دروس في علم الأمراض التجريبي** (1880)؛ **مؤشرات عامة وملاحظات عن عمل لم يُنشر، جمعها وعلّق عليها ليون بينه** (باريس، 1952). (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **مبدأ الاستقرار، الاتزان الحيوي**).

M.C.

برنتانو (فرانز) Brentano (Franz)

عالم نفس وفيلسوف ألماني (مارينبورغ، ريناني -بالاتينا، 1838-زوريخ، 1917).

انفصل برنتانو عن الكنيسة، بعد أن كان دومينيكانياً (1864)، وعلّم الفلسفة على التوالي في ويرتزبورغ (1866)، وفيينة (1874- 1895)، وفلورنس وزوريخ (1914). كان إدوار هوسّرل أحد تلاميذه في فيينة. وكان الأول الذي بيّن، إذ عارض التوجّه الذي اتّخذه علم النفس نحو الأنماط الفيزيائية والفيزيولوجية والطبيعية، في كتابه **علم النفس من وجهة النظر الاختبارية** (1874)، أن سيكولوجيا «محتويات الشعور» (وندت، كولب) عبث وأن الأساسي من أفعال الشعور هو **قصديتها**. ويُعتبر برنتانو، بهذه الأطروحة، أنه البشير بالفينومينولوجيا. ويصرّح هذا المؤلف في كتاب لاحق، **تصنيف الظاهرات النفسية** (1911)، أنه وجد في مجرّد وصف الفاعلية لدى الفرد أساس العلم السيكولوجي والموضوعية الحقيقية؛ ولكن هوسّرل انتقد هذا التصور وعاب عليه «نزعته السيكولوجية». ومارس تأليف برنتانو تأثيراً كبيراً في علم النفس إذ أسهم في تطوّره، ولاسيّما في تأسيس نظرية الجشطالت، وعلم النفس الفينومينولوجي. (انظر في هذا المعجم مايلي: **علم النفس الوصفي**).

R.M.

البرود الجنسي

F: Frigidité

En: Frigidity

D: Frigidität

التعذّر على المرأة أن تشعر بالإحساسات الشهوانية وأن تبلغ هزّة الجماع خلال العلاقات الجنسية.

البرود الجنسي، بوصفه انعداماً حقيقياً لقابلية اللذة الجنسية، هو الأغلب في اضطرابات الجنسية الأنثوية. وتُقدَّر نسبة النساء غير الراضيات من حياتهن الجنسية بـ25 بالمئة منهن. وثمة عدد كبير منهن (25 بالمئة) لا يتوصّلن إلى هزّة الجماع، ولكنهن (يستمدّن) مع ذلك ضرباً من الإشباع. وهناك أقلّية منهن لم يشعرن أبداً بأوهى لذة. ويمكن أن يكون للبرود الجنسي أسباب عضوية محلّية (إنتان تناسلي، تلف العجان في أعقاب ولادة، ضمور فرجي، إلخ)، وغدّية (قصور الغدّة الدرقية، فوق الكلوية، أو مضادات النخامى، والكلثمة، وسقام سيموندز...) وقد يكون أيضاً ناجماً عن تعسّف في استعمال المهدّئات العصبية، والمسكِّنات أو المنوّمات؛ ولكنها ذات منشأ نفسي في الأغلب: الرفض اللاشعوري للفعل الجنسي، الخشية من الحمل (أكثر ندرة منذ تصميم طرائق منع الحمل)، خَرَق، جهل الشريك أو عجزه (قذف مبكّر، اختصار العلاقات...)، الرفض اللاشعوري للوضع الأنثوي، صدمات نفسية جنسية حادثة في الطفولة، في المراهقة، إلخ. وهذه الحالة تقبلها المرأة جيداً على الغالب، وتخفيها عن شريكها، ولكنها يمكنها في بعض الأحيان أن تحدّد بعض عواطف الدونية والإثمية أو

الإحباط . والعلاج يمكنه أن يكون طبياً ، ولكنه سيكولوجي في الأغلب . ويمكننا في هذه الحال استخدام الاطمئنان الجديد ، ونزع الصفة المأساوية ، ونزع الشعور بالإثمية ، والنصائح التقنية ، والاسترخاء أو إعادة التربية النفسية الجنسية وفق طريقة و . ماسترز (و) ف . جونسون (علاج كثيف مدته خمسة عشر يوماً) ، طريقة تؤمّن ، في رأي مؤلّفَيْها ، 80 بالمئة من الشفاء الدائم . (انظر في هذا المعجم مايلي : **ماسترز [وليم]**) .

M.S.

بستالوزّي (جوهان هنريك) Pestalozzi (Johan Henrich)

بيداغوجي سويسري (زوريخ، 1746–بروغ، أرغوفي، 1827).

عُني بستالوزي أول الأمر باللاهوت، واللغات، والحقوق، والتاريخ الذي يدرسه، ثم ينذر نفسه للاقتصاد الريفي. وحين استقرّ في نوهوف عام 1771، سبّب له انفعالاً عنيفاً بؤسُ الأطفال الجسمي والمعنوي، الذين يتيهون في الطرقات. عمره ثمانية وعشرون عاماً عندما صمّم على أن يستقبل في منزله خمسة عشر طفلاً أول الأمر، ثم أربعين. وينوي بستالوزي أن ينقذ هؤلاء الأطفال، بفضل الحب وبفضل العناية المناسبة وتعليم متكيّف أيضاً، من الشقاء ويمنحهم مهنة. ويطلق، ليحصل على الأموال الضرورية لتحقيق مشروعه، «رجاءً إلى أصدقاء الانسانية» ويشرع في كتابة الروايات الشعبية التي يعرض فيها أفكاره الإنسانية وتصوّراته البيداغوجية: **ليونار وجرتيتور**، 1781- 1787، **كيف يعلّم جرتيتور أطفاله** (1801)، **كتاب الأمهات** (1803)، وهي مؤلفات لاقت نجاحاً عجيباً. ويدير بستالوزي ميتم ستانس عام 1798؛ ويؤسس عام 1800 منشأة تربوية في بورغدورف (في الفرنسية بيرتود، كانتون برن)، ولكن هاتين المحاولتين انتهتا إلى الإخفاق. ويفتتح بستالوزي، الذي لايعرف وهن العزيمة إطلاقاً، معهداً جديداً في إيفردون عام 1805 يطبّق فيه مبادئه البيداغوجية. وفكرته الرئيسة تكمن في أن التربية عمل حب وبرّ، ولكنها أيضاً معرفة سيكولوجية للطفل. وإذ تبدأ في الأسرة، وتستمرّ في المدرسة، فإنها ينبغي دائماً أن تكون قائمة على التجربة، والعمل، والإحساسات، واحترام الطفل. ويكتب بستالوزّي، بعد إفلاس معهد إيفردون عام 1826، كتابه الأخير: **خاتمة الإبداع**. (انظر في هذا المعجم مايلي: **المدرسة الفعّالة**).

N.S.

البطالة

F: Chômage

En: Unemployment

D: Arbeitslosigkeit

البطالة تعني حرماناً من العمل بصورة عامة، وتعني بصورة أخصّ حرماناً من الفاعلية الصناعية جرّاء أزمة اقتصادية.

قد تكون البطالة فصلية، بالمصادفة، تقنية (تباطؤ الفاعلية أو توقّفها بفعل نقص المواد الأولية أو الطاقة) أو تكنولوجية (حلول الآلة محلّ الإنسان). وتعيث البطالة فساداً في البلدان المصنّعة والبلدان السائرة في درب النمو على حدّ سواء، سواء أكانت جزئية أم كلية. ووُجدت نسبة تقع بين 20 و 30 بالمئة من الشبان محرومة من العمل في بلدان عديدة خلال الأزمة الاقتصادية لعام 1929. وخلق هذا الوضع، الذي أحلّ الشقاء، مناخاً مناسباً لنمو الفاشية والاشتراكية الوطنية اللتين شنّتا، هما نفساهما، الحرب العالمية الثانية. فكل الحكومات تكافح البطالة. وكان إحصاء للعاطلين عن العمل قد حدّد عددهم بعشرة ملايين ونصف عام 1982، على الرغم من هذه الجهود المبذولة لمكافحة البطالة، في بلدان السوق الأوروبية المشتركة (أو الاتحاد الأوروبي الاقتصادي: C.E.E). والعمال الأقلّ تأهيلاً هم الضحايا الأولى (عاطل عن العمل من اثنين ليس لديه تكوين أو تأهيل تقني أو مهني). ولكن الأطر لم تكن معفيّة من البطالة، والأكبر عمراً ليست لديهم إلا حظوظ ضعيفة في إيجاد وظيفة، حتى عندما تتحسّن الشروط الاقتصادية. والعواقب السيكولوجية للحرمان من العمل مأساوية على الغالب. فالأزمات

الخطيرة للبطالة يمكنها أن تسبّب حالات عصابية حادّة شبيهة بتلك التي تثيرها الحرب. ذلك أن العاطل عن العمل ينتقل انتقالاً مفاجئاً من حالة الأمن التي يخلقها كونه صاحب أجر إلى حالة فرد محروم من دخول ثابتة. والنتيجة الأولى هي العسر الاقتصادي، الذي يسبّب الصعوبات الأسرية وعداوة المحيطين بالعاطل عن العمل، وفقدان الحظوة واعتبار الذات. والعاطل عن العمل، ذو العزيمةالمثبّطة والمفعم بالضغينة، يمكنه أن يغرق في الاكتئاب، وبخاصّة إذا كان من قبلُ ذا شروط عمل طيّبة وكان يضطلع بمسؤوليات. إنه يشعر أن المشروع الذي كان قد تماهى به على الغالب انتقص من قيمته وأهمله. ويتوصّل، في بحثه العبث عن عمل مأجور، إلى أن يقلّل من طموحاته باستمرار. ولكن الفشل يوقعه في اليأس. ويستسلم في نهاية المطاف ويتخلّى عن كل فاعلية. وكان ف. لازارفيلد (- 1976 1901)، ماري جاهودا، هـ. زيسل، قد وصفوا هذه الاتجاهات، وصفاً جيداً، في دراستهم العاطلين عن العمل في مدينة نمساوية صغيرة، مارينثال. فالأفراد كانوا من اللامبالاة، وكانوا قد فقدوا عند هذه النقطة مفهوم الزمن، بحيث كانوا يصلون متأخرين إلى مواعيد الباحثين عدة ساعات.

ويختار بعض الأفراد الهامشيين اختياراً عامداً ألا يعملوا، ويستقرّوا في وضع «المستفيد من إعانة»، يعيشون من الإعانات المالية التي تقدّمها الدولة. ودافعياتهم كثيرة. فدافعية بعضهم رفض النظام أو الرعب من العمل. وهذا الاتجاه، لدى بعضهم، ذو علاقة باحتجاج على المجتمع الذي لا يوفّر لهم الوضع الذي يطمحون إليه. وهؤلاء الأفراد المتعطّلون عن العمل تغمر النقمةُ قلوبهم ويقعون بسهولة في الجنوح، والبغاء، والإدمان على المخدّرات. وبيّنت دراسة المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية، التي انصبّت على فترة من واحدة وعشرين سنة ونُشرت عام 1974، أنه كان يوجد ترابط وثيق بين ازدياد البطالة وازدياد الجنوح الأولي.

N.S.

البسيلوسيبين

F: Psilocybine

En: Psilocybin

D: Psilocybin

شبه قلوي مستخرج من فطور مثيرة للهلوسة تنمو في أمريكة الوسطى، أشهرها «البسيلوسيب مكسيكانا» و«البسيلوسيب زابوتيكا».

كانت هذه الفطور، فيما مضى، تُستهلك خلال الطقوس الدينية الأزتيكية. وعاين الأمريكيان ف. بافلوفنا و ر. غ. واسّون عام 1953، خلال رحلة علمية إلى المكسيك، أن تعظيم الفطر المقدّس لايزال مستمراً لدى المازاتيك. وبعد ثلاث سنوات، شهد العالم الطبيعي الفرنسي روجر هايم (1900- 1979)، مدير المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي في باريس، والإتنولوجي عالم الفطور ر. غ. واسّون، جلسات عرافة ليلية لدى **شافية** («امرأة شامان») وجمعا وثائق إتنولوجية عديدة وفطورية. وزرع الفطور المجموعة وحدّد هويتها ر. هايم، ولكن الكيميائي بالوا أ. هوفمان هو الذي عزل، بدءاً من **البسيلوسيب ماكسيكانا**، جسمين لهما تأثير على الحياة النفسية، البسيلوسيبين والبسيلوسين.

والمظاهر الناجمة عن البسيلوسيبين هي نفسها على وجه التقريب تلك المظاهر التي يُحدثها حمض الليزرجيك (L.S.D.25). وتطرأ في زمن أول مفعولات جسمية، تليها مفعولات تختلف بحسب الأفراد. وتُلاحظ، في عداد التغيّرات الجسمية، اضطرابات وعائية حركية، وعصبية إنباتية (تمدّد البؤبؤين، بطء النبض، خفض التوتر...)، ودوارات ومغص وصداعات. ومظاهر البسيلوسيبين

الجسمية الحسية أكثر شدّة من مظاهر حامض الليزرجيك (L.S.D.25) . أما مفعولاته النفسية، فهي، على العكس، أقلّ قوة بكثير (نحو 80/1 إلى 120/1من L.S.D.25) . ويلاحظ جان دوله (مولود عام 1907) وبيير بيشو (مولود عام 1918) وتيريز لامْبريير أن L.S.D.25 يسبّب اختلال الشخصية أكثر من البسيلوسيبين. والبسيلوسيبين يسبّب الغبطة أكثر من L.S.D.25. ويخلق البسيلوسيبين حالة من الرضى مدهشة، وضرباً من الإثارة القوية؛ إنه يشوّه إدراك الزمان والمكان، ويشوّش الشعور، ويُحدث رؤى ملوّنة، ويحرّض الذاكرة الوجدانية، إذ يعيش الفرد عندئذ مجدّداً، عيشاً بحدّة، بعض وقائع ماضية. ويتذكّر الفرد، بعد أن تتبدّد المفعولات، تذكراً على نحو دقيق قليلاً أو كثيراً، ما عاشه. ويميّز ميوشي الياباني، من الناحية الفينومينولوجية، ثلاثة أطوار في تحوّل صورة الجسم الذي يدركه الفرد خلال التجريب. ويعتقد أن من الممكن إجراء علاج نفسي يستخدم هذا التغيّر في صورة الجسم خلال الحالة الحلمية التي يثيرها البسيلوسيبين. ويحتفظ الفرد، تحت التأثير المثير للهلوسة لهذه المادة، بشعوره بذاته وبالأحداث التي تمسّه. فبإمكانه إذن، مع فكرة المعالج النفسي، خلال التجريب وبعده أن يدمج في شخصيته التجربة التي عاناها تحت تأثير البسيلوسيبين. (انظر في هذا المعجم: **حمض الليزرجيك**، **الموهم النفسي**).

A.M.

F: Distance Critique **البعد الحرج**

En: Critical distance

D: Kritische distanz, Kritischer abstand

بعدٌ حدّي تنتقل بدءاً منه بعض الحيوانات من تصرّف الهرب إلى سلوك عدواني دفاعي. (انظر في هذا المعجم مايلي: **إسلاس الانقياد، بعد الهروب**).

I.R.

بكْتريف **Bechterev ou Bektherev (Vladimir Mikhaïlovitch)**

عالم روسي في علم النفس الفيزيولوجي (قرب فياتكا [اسمها الآن كيروف]، الاتحاد السوفييتي، 1857– لينينغراد، 1927)(*).

علّم بكتريف على التوالي، بوصفه أستاذ الطب النفسي وعلم الأعصاب، في سان بطرسبورغ (مدينة اسمها الآن لينينغراد) من عام 1881 إلى 1885، ثم في كازان (1885- 1893)، وعاد أخيراً إلى سان بطرسبورغ حتى عام 1907، وأسّس في هذا التأريخ، هذه المدينة، معهد علم الأعصاب النفسي. وأسّس بكتريف، ضد علم النفس ذي النزعة الاستبطانية وانطلاقاً من أعمال إ. ب. بافلوف (- 1936 1849) الذي كان بكتريف معاونه، ضرباً من علم النفس الموضوعي، علم المنعكس، الذي كان يقصد أن يدرس الحوادث النفسية المعتبرة استجابات لمنبّهات داخلية وخارجية دراسة علمية. وحاول أن يفسّر كلية السلوك الإنساني والحياة العقلية ذاتها انطلاقاً من منعكسات شرطية (المسماة **منعكسات مترابطة**). وقادته أعماله إلى أن يصادر على وجود **ذاكرة عضوية** قادرة على أن تدمج الجسم في الحياة النفسية مجدّداً. ومن تلامذته أو الذين استمروا في مدرسته، نذكر على وجه الخصوص عالمي النفس الروسيين ك. ن. كورنيلوف، الذي استأنف قضايا بكتريف

(*) – لم نذكر أي تغيير في أسماء المدن والبلدات بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتركناها كما وردت في الأصل الفرنسي «م».

في ظل تسـمـيـة «علم الارتكاس» (1930) ولكنه أهملهـا عـام 1937 ، ونيكولا كوستيليف (1876- 1958)، الذي فسّر علم المنعكس في ضوء النظرية الغشطالتية .

ونحن ندين لبكتـريف بـ **مطوّل في التوصيل في الدماغ والنخاع الشـوكي** وبعدة مـؤلفات منها : **دلالة الإيحاء في الحياة الاجتماعية** (1903)؛ **الفاعلية النفسية والحياة** (ترجمة د. كورافال، باريس، بولانجه، 1907)؛ **علم النفس الموضوعي** (1910 ، ترجمة ن. كوستيليف، باريس، دار نشر ألكان، 1913)؛ **المبادئ العامة لعلم المنعكس الإنساني** (1917)؛ **علم المنعكس الجماعي** (1928؛ ترجمة ن. كوستيليف نيوشاتل، دار نشر دولاشو ونيستلي، 1957).

N.S.

F: Flegmatique **البلغمي**

En: Phlegmatic

D: Flegmatisch, Plegmatiker, Phlegmatischer typus

صفة تُقال لشخص هادئ ورصين، يحتفظ بدمه البارد في كل ظرف.

كان البلغم، لدى القدماء، هو المزاج المائي (ليمفا) الذي كان يكوّن الجزء الأساسي من الدم والسوائل الأخرى التي تصون الحياة. و«البلغمي» أو «الليمفاوي»، في نظرية الأمزجة لهيبوقراط، كان صفة من يسود لديه هذا المزاج غير ذي اللون. ويدلّ مصطلح «**بلغمي**»، في أيامنا هذه، على نموذج طبع سماته الرئيسة هي الحذر من العواطف والسيادة على الذات واحترام القواعد.

نجد في هذه الزمرة أناساً جريئين، هادئي الأعصاب، كسقراط، وكانْت -الذي جرّد الدين من غناه الانفعالي ليحولّه إلى أخلاق- وجورج واشنطون أو الجنرال جوفر. ويتحدّد البلغمي، في علم الطباع للمدرسة الفرنسية الهولاندية، بمراقبة الانفعالات (nE)، وفاعليته البطيئة ولكنها ثابتة ومثابرة (A)، ورجع انطباعاته الطويل(S). وإذ يحتفظ بهدوئه في أوضاع تثير مشاعر كثير من الأفراد الآخرين، فإنه يلاحظ ويحكم ببرودة أعصاب، ويقرّر دون عجلة من أمره ولا يتصرّف إلا بمعرفة تامّة للأسباب. ولكنه ما إن يتّخذ قراره حتى يتمسّك به دون أن ينثني. هاجسه المستقبل البعيد، بوصفه إنسان المبادئ والعادات، ويحترم القوانين وعواقب أفعاله. ومع أنه أنيس، فإنه يهب نفسه بصعوبة، ولكن صداقته عميقة ووفيّة. (انظر في هذا المعجم مايلي: **الطبع، علم الطباع، هيبوقراط**).

N.S.

البلوغ

F: Puberté

En: Puberty

D: Pubertät

مجموعة من التحوّلات السيكولوجية العضوية ذات العلاقة بالنضج الجنسي، تسمح الانتقال من الطفولة إلى المراهقة.

البلوغ تسبقه مرحلة تسمّى مرحلة «ما قبل البلوغ» تدوم من سنة إلى سنتين، يتسارع خلالها النموّ الجسمي وتظهر السمات الجنسية الثانوية. وتعلن هذه الظاهرات تحوّلاً عميقاً في كل العضوية، وتغيّراً في كل الأنسجة، في عدد الخلايا والهرمونات وحجمهما، إلخ. ويتفتّح الجسم لدى الفتاة، ويتّسع وركاها ويتغطّيان بالنسيج الشحمي، ويتكوّن النهدان، ويبدو الزغب على الإبطين والعانة. وأول عادة شهرية تعلن قيام وظائف التكاثر. ويعرف الصبي تطوّراً موازياً يتغيّر صوته من جرّاء ضرب من ثخانة الحبال الصوتية؛ ويبدأ في أن تكون له لحية وشاربان، وشعر على الصدر والإبطين والعانة. وتصبح كتفاه أعرض، وتنمو عضلاته، وبوسع المرء أن يرى بروزها تحت الجلد. ويسم وجود الحوينات المنوية في السائل المنوي نضج الخصيتين. وتتغيّر حبوب الجلد لدى الصبي والفتاة معاً، والاضطرابات الوظيفية في الغدد الدهنية متواترة، إذ تثير حب الشباب.

ولاتزال الآليات الغدّية العصبية التي تحكم هذه التغيرات البلوغية غير معروفة. وتأثير إفراز الهرمونات الموجّهة للغدد التناسلية، إفراز تقوم به النخامى، أمر مقبول، ولكننا لانعلم ما يُطلِق هذه السيرورة. وفي رأي بعض الفيزيولوجيين

أن التطوّر الجنسي «مبرمج» وراثياً ومدوّن في رأس المال الصبغي لكل فرد. والواقع أن عمر البلوغ يختلف باختلاف العروق. إنه مبكّر لدى البيض (بين اثنتي عشرة سنة وأربع عشرة) أكثر منه لدى الآسيويين (ست عشرة سنة)، ولدى اللاتين أكثر منه لدى الإسكاندينافيين (خمس عشرة سنة). أما بالنسبة للآخرين، فإن شروط الحياة هي التي تحدّد على وجه الخصوص فترة البلوغ: نظام غذائي متوازن قليلاً أو كثيراً، نظام صحي مرضٍ قليلاً أو كثيراً، تأثير مناخي (حرارة، ضوء)، وسط اجتماعي ثقافي، الخ. ويُلاحظ حالياً انخفاض في عمر البلوغ، وبخاصة في الأوساط الميسورة وفي السكان المدنيين. ومنذ مئة عام، في انغلترة، كان العمر المتوسط للبلوغ لدى الفتيات، في الطبقة المحظوظة من سكان المدن الصناعية الكبرى، أربع عشرة سنة ونصف؛ أما في أيامنا هذه، فإن الفتيات الانغليزيات يبلغن في الثالثة عشرة من عمرهن. والظاهرة نفسها موجودة، منذ بداية القرن العشرين، في الولايات المتحدة الأمريكية وكل البلدان التي تتيح فيها الاحصاءات أن نحكم على هذه الظاهرة.

والبلوغ يمكنه في بعض الحالات -النادرة- أن يظهر على نحو مبكّر جداً (قبل الثامنة لدى الفتاة، بين التاسعة والعاشرة لدى الصبي). وذلك ناجم في بعض الأحيان عن سبب مرضي (ورم في الغدد التناسلية أو في الغدتين فوق الكلويتين، أو آفة دماغية)، ولكن ما يمكنه أن يطلق سيرورة البلوغ غير معروف على الأغلب. والبلوغ يمكنه أن يتأخّر أيضاً لدى 11 إلى 14 بالمئة من الأفراد. فتباطؤ الإيقاع التطوّري لا يثير القلق في ذاته، ذلك أن الطفل سيصبح راشداً طبيعياً، ولكن هذا التباطؤ لا ينبغي إهماله مع ذلك. والواقع أن انعكاساته السيكولوجية كبيرة، على حدّ سواء، لدى المتدرّب الذي تنقصه الصلابة ولدى التلميذ الذي يُبدي على الغالب عجزاً نوعياً في القابليات، (عدم القدرة على الاستدلال بصورة منطقية في المجرّد، وعلى استعمال القضايا الافتراضية)، عجزاً هو مصدر وهن العزيمة والدونية.

والبلوغ يفوق كونه تغيّراً جسدياً بكثير ؛ إنه تحوّل كلي للفرد، وجسمه، وذكائه، وفكره، ووجدانيته. إنه هو أيضاً (أو ينبغي أن يكون) تلك المرحلة التي يهجر خلالها الفرد عالم الطفولة ليدخل عالم الراشدين. ولكن البلوغ، أيامنا هذه وفي البلدان المتطوّرة على وجه الخصوص، مرحلة من التناقضات والمعارضات. ذلك أن المراهق الفتى يرى نفسه، في الوقت الذي يصبح خلاله راشداً بصورة مبكّرة جداً، محجوزاً في حالة من التبعية الاقتصادية، الناجمة على وجه الخصوص عن تمديد الدراسة. فيصبح التفاوت إذن بين إمكاناته السيكولوجية البيولوجية ووضعه الاجتماعي كبيراً جداً. وإذ يمارس عليه الوصاية مجتمعٌ لا يتيح له أن يحقّق تطلّعاته وأبوان يستمرّان في معاملته بوصفه طفلاً ولكنهما يأسفان على أنه لا يتصرّف تصرف الراشد المسؤول، فإنه لم يعد يبقى له إلا أن يحاول هزّ هذه البنيات المفارقة أو أن يبحث عن الحرية خارجها.

N.S.

بلومفيلد (ليونار) Bloomfield (Léonard)

عالم ألسنية أمريكي (شيكاغو، 1887–نيوهافن، كونيكتيكوت، 1949).

يبدأ بلومفيلد عام 1906، بعد مرحلة عادية من الدراسات، مهنته بوصفه مساعداً باللغة الألمانية في جامعة ويسكونسن. ويغيّر الجامعة عدّة مرات من عام 1908 إلى 1913، ثم يذهب إلى أوروبة فيقضي فيها سنة كاملة، يتابع خلالها، في لايبزغ، دروس العالمين الكبيرين في الألسنية المقارنة: بروغمان وليسكيان. ويعلّم قواعد اللغة والألسنية في جامعة ولاية أوهايو، من عام 1914 إلى 1927. ومن عام 1927 إلى 1940، سيكون مجدّداً في جامعة شيكاغو ولكنه، في هذه المرة، بصفته أستاذ اللغة الألمانية. وأخيراً، يخلف عام 1940 إدوار سابير في جامعة يال حيث سيعلّم الألسنية حتى موته.

وأهمية بلومفيلد في الألسنية المعاصرة كبيرة. وكان كتابه الرئيس، **اللغة** (1933)، يُعتبر «أعظم كتاب في الألسنية نُشر في قرننا من جانبي المحيط الأطلسي» (هال). فنظريته الألسنية، **التوزيعية**، سادت الألسنية الأمريكية دون منازع خلال عدة عقود من السنين. إن كل فعل من الكلام يشبه، في رأي هذا المؤلف الذي كان متأثّراً بعلم النفس السلوكي، سلوكاً خاصاً ينبغي أن يكون ممكناً تحديده شكلياً وشرحه بالشروط الخارجية لظهوره. وهو يرفض لهذا السبب كل مقاربة من النموذج ذي النزعة العقلية، تنظر في الكلام أنه حصيلة الفكر ومظهر من مظاهره. فـ**الجملة**، من جهتها، لا تُعرَّف أنها التعبير عن فكرة كاملة، بل أنها «شكل ألسني مستقلّ، غير مندرج في شكل ألسني أوسع». إنه يقترح إجراءً شكلياً بصورة

نسبية، ويحلّله إلى **مكوّنات مباشرة** تتيح، بالتدريج، تفكيك الجملة حتى في مكوّناتها النهائية: المورفيمات. ويميّز بلومفيلد في الأقوال أشكالاً حرة يمكننا أن نلفظها على نحو منعزل (مثل **بيت** أو **بيوتات**، وأشكالاً أخرى لايمكننا أن نلفظها منعزلة (ومثال ذلك **ات** الملحقة، الدّالة على جمع المؤنث السالم)(*). وتُعرَّف **الكلمة** أنها الشكل الحرّ الأدنى ويعزو إلى **علم النحو** دراسة العلاقات داخل أشكال أوسع من الكلمة، محتفظاً لـ **علم الصرف** بدراسة الكلمة.

ويقترح بلومفيلد، إذ يستخلص الوحدات الألسنية، تصنيفاً، وبالتالي تعريفاً، على قاعدة التوزيع، أي على قاعدة سياقات الظهور لهذه الوحدات، ومن هنا منشأ تسمية **التوزيعية** لتمييز هذه النظرية.

وبذل بلومفيلد جهوداً بصورة مستمرّة لينقل الألسنية إلى ميدان الدقة العلمية. ونذكر من مؤلفاته أيضاً: **المدخل إلى دراسة اللغة** (1914)؛ **جوانب ألسنية للعلم** (1919). (انظر مايلي في هذا المعجم: **السلوكية، المونيم**).

R.V.

(*) – أجرينا بعض التعديل في المثال ليكون مناسباً للغة العربية «م».

بنسوانجر (لودفيغ) Binswanger (Ludwig)

طبيب نفسي سويسري (كروزلانجن 1881-كروزلانجن، 1966).

إنه معروف على وجه الخصوص أنه مؤسّس **التحليل الوجودي**، ولكنه مشهور أيضاً في الطب النفسي العيادي بتجديد أجراه في وصف بعض الضروب من الذهان (الهوس على وجه الخصوص) بفضل تطبيق الطريقة الفينومينولوجية. وتلقّى عام 1956 ميدالية إ. -كريبولان، أرفع وسام في الطب النفسي. وكان بنسوانجر قد ترك في هذه المرحلة عيادة بيلّيفو، في كروزلانجن، التي أسّسها جدّه وأدارها والده الذي كان قد خلفه بنسوانجر، الذي نقلها إلى ابنه ولفغانغ. وكان بنسوانجر تلميذ ك. غ. يونغ و إ. بلولر، وعرف س. فرويد وأقام علاقات صداقة معه حتى موته، موت فرويد. وكانت مع ذلك قراءة كتاب **الوجود والزمن** لهيدغر (1927) ضرباً من الوحي بالنسبة له. فندّد عندئذ بالتصورّ الأنتربولوجي للتحليل النفسي (**الإنسان بوصفه طبيعة**)، الذي يحرم الإنسان من بعده الذاتي ومن بعده الأنطولوجي في الوقت نفسه، إذ يحيله إلى تقيّدية ذات نزعة طبيعية وإلى «ميكانيكية الدوافع». وكان لدى بنسوانجر تصور آخر للموجود الإنساني، توحي به فينومينولوجيا إدمون هوسّرل (1859- 1938) وفينومينولوجيا مارتن هيدغر بصورة خاصة.

ونذكر من مؤلفاته أطروحته في الطب: **الظاهرة النفسية الغلفانية في تجربة الارتباط** (1907)؛ **هروب الأفكار** (1933)؛ **الأشكال الأساسية ومعرفة الوجود الإنساني** (1942)؛ **حالة إيلين وست** (1948)؛ **الإنسان في الطب النفسي**

(1957). وبوسعنا أن نقرأ بالفرنسية مايلي من كتبه: **حالة سوزان إوربان** (1952، ترجمة ديكله دوبروير، 1954)؛ **الحلم والوجود** (ترجمة بروير، 1954)؛ **قول ومسيرة وفرويد** (غاليمار، N.R.F، 1970). (انظر في هذا المعجم مايلي: **التحليل الوجودي**).

R.M.

البَكَم (الإرادي أو النفسي المنشأ) F: Mutisme

En: Mutism, Dumbness

D: Mutismus, Stumheit

حالة شخص يلزم الصمت مع أنه يملك الكلام ويحتفظ بكمال أعضائه التصويتية والمراكز الدماغية للغة.

يدلّ هذا المصطلح، بالمعنى الواسع، على كل حرمان من الكلام. ولكنه وقف من الناحية العملية على الحالات التي يكون فيها غياب الكلام طارئاً لدى فرد اكتسب اللغة المحكيّة ولكنه يحرم نفسه منها إرادياً أو بتأثير سيرورة ذهنية مرضية. وينبغي لنا أن نميّز هذه الحالة من الخَرَس (Mutité) الناجم عن التعذّر الجسمي أن يتكلّم المرء من جرّاء إصابة أعضاء السمع أو التصويت (صمم -خرس ولادي أو مبكّر على سبيل المثال)، أو جرّاء وجود آفة دماغية (عَمَه سمعي)، أو، أخيراً، بسبب اضطراب في النموّ العقلي.

والبكم العابر يمكنه أن يدلّ على كفّ مفاجئ، يلي صدمة انفعالية (بكم نفسي المنشأ). ويبدو على الأغلب، في الهستيريا، كفقد الصوت، إذ يستمرّ المريض في التعبير عن نفسه بالحركات والإيماءات.

والبكم، لدى المريض في حالة الخدر، كما نلاحظه في بعض أشكال السوداوية، والتخشّب، والخلط العقلي، علامة من علامات توقّف السيرورات الذهنية. إنه، في حالات الخبل، تعبير عن النكوص الإجمالي العميق لكل

السيرورات العقلية. وأخيراً، ينغلق بعض الأفراد الذين يُصابون بالهذيان المزمن في البكم، الذي يعبّر بالنسبة لبعضهم (لاسيّما المصابون بالذهان الهذائي [البارانويا] الذين تسكنهم عواطف الاضطهاد) عن حذر مطلق يقظ يمنعهم من كل حوار مع الغير، ولو كان ذا مظهر غير ذي قيمة، ويعبّر، بالنسبة للآخرين، عن رفض الاتصال الذي تنظّمه الهلوسات. (انظر في هذا المعجم: **الحُبسة**، **اللغة**، **الكلام**).

J.MA.

البكَم (أو الخَرَس) الجبلّي

F: Audi -mutité

En: Audimutitas, Heareaing, muteness

D: Audimutitas, Horstummheit

تعذّر جبلّي عن الكلام بالنسبة لأطفال لهم مع ذلك مستوى عقلي سويّ ولا يتّصفون بأي قصور سمعي أو صوتي.

هذا الشكل من البكم المسمّى أيضاً «حُبسة جبلّية» يمكنه أن يكون جزئياً أو كلياً. فالمفردات، في الحالة الأولى، فقيرة، والكلمات وحيدة المقطع، دون رابطة، مشوّهة جرّاء نطق رديء (عسر الكلام). ويبدو، في الحالة الثانية، أن الأفراد يعيشون في عالم من الأصوات غير متمايزة؛ إنهم يسلكون كما لو كانوا غير مبالين بالرسائل الصوتية المتلقاة أو يجدون أنفسهم عاجزين عن منحها دلالة؛ ويمكننا اعتبارهم، لهذا السبب، أطفالاً فاقدي السمع أو في حال من الانطواء على الذات. ويرافق البكم الجبلّي خَرَق كبير، واضطرابات التقلّص العضلي، واتّحاد الحركات (ثمة حركات طفيلية غير مراقبة ترافق حركات الفرد الإرادية)، وتنظيم مكاني رديء، وتشوّه عميق في الإيقاع. وأسباب البكم الجبلّي، التي لاتزال سيئة التحديد، متنوّعة: عقابيل جروح جنينية، اعتلال دماغي، كفّ نفسي، إلخ. ويختفي هذا المرض، على وجه العموم، قبل نهاية المراهقة، وشفاؤه تسرّعه إعادة تربية النطق؛ وتظلّ مع ذلك دائماً بعض الاضطرابات في النطق. (انظر في هذا المعجم: **اللغة، البكم**).

N.S.

F: Structure disséminatoire **البنية الانتشارية**

En: Dissemination structure

D: Zerstreuende struktur

الاشتقاق: من اللاتيني disseminatio، من semen أي «semence»: «تشتّت طبيعي للبذار».

سمة من زمرة بنيات المتخيّل تسود فيها التزامّنية (ك. ليفي شتراوس، 1958)، على خلاف البنيات ذات «الشكل الفصامي» والبنيات «الصوفية»، التي تُضفى عليها السمة المكانية وهي تزامنية.

توجد البنيات الانتشارية في كل تعبير عن الصورة بالقول: سرد، حكاية، دراما، قول موسيقي... وكان غ. دوران قد استخدم في البدء، للدلالة على هذه البنيات، مصطلح «بنيات تركيبية» (1959). ولكنه تخلّى عنه، بالنظر إلى هذه الكلمة الأخيرة «تركيبية» تفتح مجالاً للبس كبيراً مع الديالكتيك الهيغلي الذي لايزال متهماً بالثنائية الأرسطية، لمصلحة المصطلح «انتشارية»، الذي ابتكره درّيدا (1972). فالبنية الأولى الانتشارية (أو التركيبية) هي **إضفاء الانسجام على الأضداد**، الشهير، الذي ألحّ عليه ك. غ. يونغ في مؤلفاته (1932، 1934، 1950، إلخ) ونجده في أصل كل قول أنتربولوجي، منذ الأسطورة ومظهرها «الإحراجي» (ك. ليفي شتراوس، 1954) حتى القول الطبي (ف. داغونيه، 1964). وتعبّر الموسيقى على نحو نموذجي عن هذه الإرادة في التوفيق بين الأضداد وإضفاء الانسجام. إنها إذن «تتجاوز الغلمة» (غ. دوران، 1959) شأنها شأن متخيّل القول

السيميائي. وتدخل روح التنظيم، وإضفاء الإيقاع على فلسفات التاريخ، في هذا الكون البنيوي الانتشاري نفسه. والبنية الثانية، التي تنطوي عليها البنية الأولى، تبدو أنها تكمن في السمة الديالكتيكية (المباينة، النزاعية، الخصومية) لكل تعبير بالقول (س. لوباسكو، 1947، جـ. دريّدا، 1967؛ ب. فيس، 1975)؛ بيد أن من الضروري، حتى يكون هناك **إضفاء الانسجام على الأضداد**، أن تبقى «المتقابلات»، وسماتها التي لاتقبل الإرجاع، خلال مدة القول كله. وتعبّر الأسطورة، والتراجيديا، والدراما، تعبيراً قوياً عن هذه السمة الديالكتيكية لكل بنية انتشارية. والبنية الثالثة هي بنية «القصّ بصيغة الحاضر» hypotypose، من اليوناني hupo أي «تحت» و tupos أي «شكل»: الأشياء تبدو موضوعة أمام العينين)، لكل قول يعتبر أن الإنسان حقيقة الكون المركزية. والقول الموسيقي، وفلسفات التاريخ -سواء أكانت ترجع إلى الوراء، كما هو الأمر لدى شبنغلر، أم كانت تقدّمية، كما هو الأمر لدى ماركس -قول يرغم كل انتشار أو كل تركيب على أن يبقي «مكاناً مشتركاً» خلف تباينات الأحداث. ولهذا السبب، سمّى غ. دوران هاتين البنيتين الأخيرتين «تاريخيتين»، ذلك أنهما يتيحان وحدهما، بحركة الأقيسة أو التماثلات (شبنغلر) أن يتكوّن الفهم التاريخي. ويبرز «المعنى» بتجريد التسلسل المنطقي لمجموع العناصر المتتالية في السرد. ويتجلّى التركيب التاريخي جيّداً في رموز الاتحاد المتواتر جداً في الأساطير العظيمة (سابان ورومان، تولوس هوستيليوس وأنكوس مارتيوس، إلخ). وهذا التسلسل المنطقي للسرد يمكنه أن يستخدم أساليب كثيرة (**تبادل الصيغ**، الذي يكمن في إنابة زمن، صيغة، إلخ، مكان آخر أو أخرى؛ **التقديم والتأخير**، حيث ينعكس ترتيب الكلمات المألوف، إلخ). والبنية الرابعة الانتشارية تتجلّى بـ«الوصف المؤثّر للمستقبل» (غ. دوران، 1959)، أي أن هذه البنيات الانتشارية تحمل دائماً حقيقة يمكنها أن تكون مستقبلية. إنها بنيات مسيانية قليلاً أو كثيراً وتكوّن قوة كل استدلال استقرائي. فالصور التي تغذّي الانتشار البنيوي وتجعله نموذجياً هي التي تظهر فيها على الأقل إحدى هذه البنيات الموصوفة أعلاه: كل الصور الدائرية التي نمطها الأصلي هو القمر؛ دائرة

البروج؛ الثالوث واتحاد الأقانيم الثلاثة اللذين يولّدان حدودهما و يجسّدهما الابن والإنسان الخنثوي (الذكر والأنثى معاً)، الصور التكنولوجية للدائرة -دولاب، دولاب المغزل، وبالانزياح، النسيج والنير والعربة. وإلى هذه الصور الدائرية، تضاف التدرّجات النباتية: شجرة، قضيب مزهر وصليب. وإنتاج النار بقدّاحة الاحتكاك أو بالدوران حامل هذه الرموز الانتشارية أيضاً، كذلك غالبية أدوات الموسيقى. ويرى المرء أن شكةّ سلاح المتخيّل للبنيات الانتشارية شكة أُضفيت عليها التقنية بقوة. (انظر في هذا المعجم **الشكل النصامي**).

G.D.

البهيمية

F: Bestialité

En: Bestiality

D: Bestialismus

انحراف جنسي قوامه أن يكون للمرء علاقات جنسية مع حيوان.

البهيمية، بوصفها استيهاماً، منتشرة كثيراً ونصادفها في الأساطير والفنون. وهي، من الناحية العملية، أكثر ندرة ولكنها توجد لدى الجنسين، ولاسيّما لدى أشخاص يعيشون في ضرب من العزلة كالرعاة والجنود في الصحراء، الذين يتداركون غياب الشريك. وفي رأي ألفريد شارل كنْسه (1894- 1956) أن عدد الرجال الذين يمارسون هذا الشكل من الجماع ضعفا عدد النساء، وأن نحو 30 بالمئة من ذكور سكان الريف لهم علاقات من هذا النوع مرة واحدة على الأقلّ، إما على سبيل الفضول، وإما لغياب الشريكة. والبهيمية يمكنها أن تُلاحظ أيضاً لدى بعض المصابين بالخبل والتخلّف العقلي العميق، أو في أثناء نوبات هوسية أو نوبات خلط عقلي. والبهيمية، في التشريع الفرنسي، ليست جريمة؛ ولا تُقمع إلا في الحالات التي تتّصف خلالها بالسمة العامة أو إذا سبّبت موت الحيوان.

M.S.

بوجاس (راميرو) Bujas (Ramiro)

عالم نفس يوغوسلافي (بودفا، دالماثي، 1879- زغرب، كرواتية، 1959).

ينال بوجاس عام 1906، بعد أن درس الفلسفة في غراز (النمسة)، شهادة الدكتوراه في الفلسفة. ويُعنى في الوقت نفسه بالأدب وعلم النفس، ويكتسب معارف متينة في الألسنية. ويمنحه أستاذ الفيزيولوجيا سميتانكا، عام 1920، إمكان أن يؤسّس أول مخبر يوغوسلافي لعلم النفس في كلية الطب بزغرب. ويصبح بعد زمن قليل أستاذاً خاصاً في علم النفس (1922)، ثم أستاذاً عام 1929 في كلية الفلسفة، حيث يؤسّس معهد علم النفس. وسيشغل كرسيّ علم النفس في جامعة زغرب حتى تقاعده عام 1948. وكان شغله الشاغل في حياته علم النفس، يرافقه هاجس تشجيع الملاحظة المنهجية والتحقّق الإحصائي. أما أعماله النظرية الأكثر أهمية، فقد تناولت الإحساس. وفي رأي بوجاس أن الإحساس ناجم عن عنصر ذاتي يسمّيه «العامل -الاستعداد» (آ) وعن متغيّر موضوعي أو «العامل المحيطي» (م)، والعاملان يكوّنان مجموعاً دينامياً. فعندما يكون هذا النظام متوازناً، ينعدم الإحساس. ويوجد هذا الإحساس فقط عندما يختلّ التوازن بفعل سيادة أحد هذين العاملين. وعُني ر. بوجاس باستخدام الارتكاس النفسي الغلفاني في الكشف عن الكذب، كذلك عُني بالتربية، وعلم الامتحانات، وعلم النفس المدرسي.

J.L.

بورت (سيريل لودوويك) Burt (Cyril Ludowic)

عالم نفس انغليزي (لندن، 1883- لندن، 1871)

بورت تلميذ السيد فرانسيس غالتون وشارل سبيرمان، وكان أحد روّاد علم النفس التطبيقي، في مجال البيداغوجيا على وجه الخصوص، وأول عالم ممارس مهني في بريطانية العظمى وأحد أشهر علماء النفس الانغليز في النصف الأول من القرن العشرين. ويدين له بالكثير علم النفس التكويني، والقياس النفسي، والتحليل العاملي. وكان هدف عمله أن ينشّط هذا الفرع من علم النفس الذي ابتكره غالتون (1822- 1911)، علم النفس المسمّى «علم النفس الفردي» أو «الفرقي»، وأن ينميّه.

كان سيريل بورت ابن طبيب. أجرى دراساته الكلاسيكية التقليدية التي، في أوكسفورد، كانت قد نفذت إلى الفلسفة وعلم النفس. وعرف في هذه الجامعة وليم ماك دوغال (1871- 1938) الذي ترك تعليمه في نفسه بصمة دائمة. وذهب بعد أوكسفورد إلى ورزبورغ حيث كان تلميذ أوسوالد كولب (1862- 1915). وشغل مركزاً في جامعة ليفربول بعد عودته، في قسم الفيزيولوجيا برئاسة السيد شارل سكوت شيرّنغتون (1857- 1952) وبدأ فيه بحوثه في بنية القابليات ووراثتها، بحوث لم يكن ثمة بدّ من أن تكون، حتى آخر حياته، في مركز اهتماماته. ومارست أيضاً أعمال ش. س. شيرّنغتون في تكامل الجملة العصبية تأثيراً دائماً على أفكاره.

وغادر بورت ليفربول إلى لندن عام 1913، حيث استخدمه المجلس العام لمنطقة لندن؛ وبقي في هذه الوظيفة حتى عام 1932. وجمع بورت، في هذه المرحلة الفائقة الخصوبة، كمية هائلة من المعطيات التي لم يكن ثمة بدٌّ من أن يبني عليها جزءاً كبيراً من تأليفه اللاحق. وباشر في أول مؤلفاته العظيمة، **توزيع القابليات المدرسية والعلاقات بينها**، فحص القابليات لكلية الفئة السكانية المدرسية لحيّ من لندن، تلك الفئة التي تكوّن عينة ممثّلة، يبتغي من وراء ذلك، أول الأمر، أن يجد المعايير الممكنة التي تميّز أطفال المدارس الابتدائية من أطفال المدارس المتخصّصة في تعليم الأطفال دون الأسوياء؛ ثم يبتغي أن يقيّم عدد الأطفال المتخلّفين في المدارس الابتدائية؛ وأن يتحقّق، ثالثاً وأخيراً، من فَرَض «قابلية مدرسية عامة» ترتكز عليها الفاعليات المدرسية كلها. وعُني أيضاً باصطفاء الأطفال الموهوبين على المستوى المدرسي بصورة استثنائية.

وجمع س. بورت فيما بعد كل معطيات عن الأطفال دون الأسوياء في مؤلّف ذي أهمية، **الطفل المتخلّف** (1937)، وهو دراسة كثيفة للتلاميذ الذين يقع حاصل ذكائهم بين 70 و 80. ويعالج فيه تقنيات التشخيص، والارتباطات بين العوامل الجسمية والسيكولوجية والاجتماعية، والمشكلات البيداغوجية الناجمة عنها. وأنجز س. بورت أيضاً، خلال المرحلة نفسها، عملاً هاماً تناول بناء الروائز، ظهر بعنوان **الروائز العقلية والمدرسية** (1921). ولم يكن ثمة بدّ من أن يبني س. بورت، بوصفه أول من مارس علم النفس في بريطانية العظمى، روائزه ويعيّرها بنفسه. وكان من قبل، في ليفربول، قد صاغ عدداً معيّناً من اختبارات **عوامل الفئة** اللفظية؛ وأضاف إليها في لندن تكييف رائز بينه -سيمون من أجل انغلترا ومجموعة روائز من المستوى المدرسي (قراءة، خط، إنشاء، حساب، رسم، إلخ) ظلّت مستخدمة خلال ربع قرن.

وكتب بورت في المرحلة نفسها **الفتى الجانح** أيضاً (1925)، وهو كتاب أصبح كلاسيكياً، درس فيه حالات مئتي جانح فحصهم هو ذاته. ويبدو في هذا

الكتاب، في ن واحد، عيادياً نافذ البصيرة وقيّاساً خبيراً، ويلحّ فيه على تعدّد أسباب الجنوح السيكولوجية والاجتماعية.

وعُهد عام 1924 إلى س. بورت، الذي سُمّي أستاذ علم النفس البيداغوجي في المعهد البيداغوجي، تكوين الأساتذة. وخلف عام 1932 شارل إدوارد سبيرمان (1863- 1945) في مركز أستاذ علم النفس في **مؤسسة التعليم العالي** بلندن. وكرّس نفسه، بدءاً من هذا التأريخ، تكريساً تدريجياً للقياس النفسي والتحليل العاملي وعلم النفس التكويني على سبيل الحصر. وكان قد عُني، نتيجة اتصاله بسبيرمان وعالم الإحصاء كارل بيرسون (لندن، 1857- لندن، 1936)، عناية مبكّرة جداً بالتحليل العاملي، ولكنه ابتعد بسرعة كافية عن نظرية التحليل العاملي الثنائي لسبيرمان، إذ أوضح عدداً معيناً من العوامل الجماعية، إضافة إلى العامل العام للذكاء. وهجر أيضاً، تحت تأثير ك. بيرسون، طريقة الفارق الرباعي لسبيرمان، البسيطة ولكنها الشاقة في الاستعمال، وأحلّ محلّها الشكل الأول من الطريقة المركزية التي طوّرها لويس ليُون ثورستون (1887- 1955) فيما بعد. ويدين له التحليل العاملي في بداياته بالكثير من الأمور؛ إنه كان أحد الأوائل الذي طبّقوه على تحليل سمات الشخصية التي بيّن س. بورت سمتها الثنائية القطب. وتلقّت نظريته العاملية شكلها النهائي في كتابه **عوامل الفكر** (1940). وأسّس مع غودفري هيلتون (1881- 1955) من إدانبورغ، المجلة التي أصبحت فيما بعد **صحيفة علم النفس الرياضي والإحصائي**. وأدارها مع ثومسون من 1947 إلى 1955، ثم وحده حتى عام 1959، ونشر فيها مجموعة من المقالات التقنية تناولت التحليل العاملي، وعلم النفس التكويني، وسيكولوجيا وسوسيولوجيا الذكاء، وكتابات ذات طابع أعمّ أيضاً.

L.S.H. (ترجمة **D.J.V.** إلى الفرنسية)

Bourdon (Benjamin) بوردون (بنجامان)

فيلسوف وعالم نفس فرنسي (مونمارتان-سور-مير، مانش، 1860-رين، 1943).

يقيم بوردون، بعد أن نال شهادة الأستذة في الفلسفة (1886)، في هيديلبورغ، ثم في ليبزغ، حيث أجرى تدريباً في مخبر علم النفس الفيزيولوجي لولهلم وندت (1832- 1920). ويعلّم بوردون الفلسفة، عندما عاد إلى فرنسة، في فالانسين، ثم في رين. ويدشّن عام 1891 أول محاضرة في علم النفس التجريبي بجامعة هذه المدينة. وسُمّي أول الأمر، بعد أن نال لقب دكتور في العلوم (1892)، في كلية الآداب بليل، ثم في كلية الآداب في رين. ويؤسّس فيها، عام 1896، مخبر علم نفس وألسنية تجريبية، حيث يتابع أعمالاً تتناول الإحساس والإدراك. كتبه الرئيسة: **الإدراك البصري للمكان** (1902)؛ **الذكاء** (1926).

CI.C.

بورلو (ألبير) Burloud (Albert)

عالم نفس فرنسي (كروزيا، إين، 1888- رينّ، 1954).

يعلّم بورلو الفلسفة في مدارس التجهيز ببورغ -أن -بريّس ثم ليون، بعد دراساته في جامعة ليون، التي تُوّجت بشهادة الأستذة في الفلسفة والدكتوراه في الآداب. وإذ سُمّي أستاذاً في كلية الآداب برينّ، فإنه احتلّ فيها مركز المدير لمخبر علم النفس الذي أسّسه عام 1896 بنجامان بوردون، وأسّس هو مركز دراسات نفسية تقنية كان عليه أن يمدّد تعليمه النظري في حقل علم النفس التطبيقي. واختير عام 1950 عضواً مراسلاً في معهد فرنسة. ونجد في تأليفه، الذي كان ارتكاساً في وقت واحد ضد الترابطية والسلوكية والغشطالتية، تأثيرات متنوّعة من مين دوبيران، وبرغسون، ومن مدرسة ويرزبورغ، ولكنها تأثيرات تمثّلها بورلو وأعاد تبنينها على نحو يكوّن منظومة أصيلة. طريقته وكشوفه كشّفهما على وجه الخصوص في كتابيه الأساسيين: **مبادئ سيكولوجيا الميول** (ألكان، 1938)، **محاضرات في علم النفس** (هاشيت، 1948).

إليكم كيف يحدّد طريقته: «إنها أول الأمر طريقة **استبطان انكفائية وحدس سببي** يجعلنا ندرك الأسباب الحقيقية السيكولوجية في ذاتها وفي عملها إدراكاً مباشراً. إنها، في المستوى الثاني، طريقة قائمة على هذا الاستبطان البيراني (مين دو بيران)، طريقة **استنباط سببي** نعود بواسطته من المعلول إلى العلّة، حيث لاتكون العلة مدركة على نحو مباشر. . . (**مبادئ**، ص. 415). والواقع البدئي، الذي يكتشفه الاستبطان الانكفائي، هو **القصد**؛ وهذا القصد «يبدو أنه توجيه الشعور

أكثر مما هو شعور توجيه» (**مبادئ**، ص. 85). فـ**الميول** «مقاصد تعمل عملها الوظائفي دون عون الإرادة، وتملك دفعة واحدة، أو أنها اكتسبت، طاقة خاصة وشيئاً من الاستقلال الذاتي» (**مبادئ**، ص. 69). وبوصفها أشكالاً وقوى في آن واحد، فإنها تنتظم في بنيات دينامية معقّدة: المخططات والموضوعات.

«**المخطط** ميل ذو تمفصلات كثيرة، علاقة مركّبة، شكل يندرج تدريجياً في مادة وينظّمها حين يندرج فيها». إنه طريقة متمثَّلة قليلاً أو كثيراً، قاعدة عاملة، شكل دينامي (**مبادئ**، ص. 73) يمكن أن ينتقل من مادة إلى أخرى.

وتبدو، مع الحياة العاطفية والعقلية، أفكار -قوى أكثر سيولة وأكثر تحرّراً من مادتها، يطلق عليها بورلو اسم **موضوعات**. **فالموضوعات**، على خلاف المخطّطات، «توحي بأفعالنا دون أن تحدّدها مباشرة. ولكن الموضوع، كالمخطط، «**مجرّد واقعي**» عنصر نفسي متميّز، له بعض من الاستقلال وبعض من الفردية (. . .) إنه ضرب من المفهوم المسبق تارة، وطوراً رغبة، حاجة، نزعة (محاضرات، ص. 31).

وكلما نفذنا إلى الدوائر الأكثر تعقيداً من الحياة العقلية والعاطفية، ينتظم الموضوع في ضرب من **مفهوم معقّد**، وهو «ضرب من المفهوم المسبق، فكرة ليست موجودة فينا إلا في حالة الاستعداد (. . .)، مجموعة من العلاقات التي تحتويها و«تنطوي» عليها تجارب وصور خاصة تبدأ هذه العلاقات في أن تنفكّ عنها وظائفياً. . .» (**محاضرات**، ص. 35).

واستطاع بورلو، مسلّحاً بهذه المفاهيم الأساسية، أن يقيم بنية تحتوي «أنساقاً من الواقع متراتبة، متماثلة، ولكنها ليست متماهية، تحكمها أيضاً قوانين الانتباه، والميل، والمخطط، ولكنها ليست على الإطلاق المقاصد نفسها، والميول ذاتها، والمخططات عينها. أضف إلى ذلك أنه يوجد ألوان من التوافق التماثلي بين الأنساق المختلفة من الفاعلية. إن السلوك الغريزي أو العفوي، والخيال، واللغة، والفكر، خاضعة كلها للمبادئ العامة نفسها». (**مبادئ**، ص. 412- 413).

تلك هي مبادئ النظرية التي أعدّها هذا المؤلف: إنها ستظلّ في تاريخ علم النفس باسم **سيكولوجيا الميول**.

ويتضمّن تأليف بورلو، بالإضافة إلى الكتب المذكورة سابقاً وأطروحتيه للدكتوراه، **الفكر المفهومي** (ألكان، 1927) و**الفكر بحسب البحوث التجريبية لـ هـ. جـ. واط ومسّر وبوهلر** (ألكان، 1927)، الكتب التالية: **الطبع** (المطابع الجامعية الفرنسية، 1942)؛ **من علم النفس إلى الفلسفة** (هاشيت، 1950)؛ **سيكولوجيا الحساسية** (أ. كولان، 1954)، دون أن نحصي مقالات عديدة ظهرت في مجلات شتّى. (انظر في هذا المعجم مايلي: **السلوكية، الاستبطان، مين دوبيران، الأنا، الميل**).

J.B.

بوليتزر (جورج) Politizer (Georges)

فيلسوف وعالم نفس فرنسي من أصل هنغاري (ناجيفاراد، هنغارية، 1903- أعدمه النازيون رمياً بالرصاص في جبل فاليريان، سورسن، مرتفعات السين، 1942).

يعلّم بوليتزر، الذي نال شهادة الأستذة في الفلسفة، هذا الفرع من المعرفة في المدارس التجهيزية بأفرو. وينشر بوليتزر عام 1929، الفيلسوف الشيوعي المناضل، باسم مستعار هو فرانسوا أروه، نقداً عنيفاً للبرغسونية، الذي وصفها بـ«التضليل الفلسفي». ويهاجم بالعنف نفسه السلوكية، وعلم النفس الاستبطاني في مدرستي ليبزيغ (وندت) وويرزبورغ (أو. كولب)، اللتين تعيّنان لعلم النفس موضوعاً هو الدراسة المنهجية لمحتوى الشعور، وعلم النفس التجريبي. إنه في الواقع يعادي كل شكل مصطنع للبحث ويرى أن الإنسان لايمكنه أن يدرس نفسه في إطار المخبر، بصورة مستقلّة عن شروط حياته. ومع أنه أكثر تأييداً للتحليل النفسي، فإنه ينبذ مع ذلك فَرَض اللاشعور ويلوم س. فرويد على أن يجعل منه «جوهراً» يجعله قريباً من الفلسفة الكلاسيكية التي يبحث علم النفس على وجه الدقة عن أن يتحرّر منها. وفرع المعرفة التي كان يريد أن يؤسّسه هو **علم النفس المشخّص** القائم على فهم التصرّفات، منظور إليها بالنسبة للفرد (معيشه)، من جهة، وبالنسبة إلى الأحداث التي تجري هذا التصرفات في وسطها، من جهة ثانية. وهذا المجموع يكوّن **الدراما الإنسانية**-في حاليتها وخصوصيتها المحدّدتين-، التي هي في نظره الموضوع الحقيقي لعلم النفس. وأسّس بوليتزر **مجلة علم النفس المشخّص** (1929) ونشر **نقداً لأسس علم النفس** (1928، باريس، ريدر؛ الطبعة الثانية، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1967)، وهو مؤلفه الأكثر أهمية، كما نشر أيضاً **مبادئ أولية في الفلسفة**.

N.S.

بوهلر (كارل) Buhlar (Karl)

عالم نفس ألماني (ميكيشايم، بلاد الباد، 1789-باسادينة، كاليفورنية، 1963).

يعلّم بوهلر على التوالي، بوصفه دكتوراً في الطب (1903) وفي الفلسفة (1904)، في بون، ميونيخ، درسد (1918- 1922) وفيينة. ويلجأ إلى أوسلوحين هرب من النازية 1938، ثم يهاجر عام 1940 إلى الولايات المتحدة الأمريكية (سان بول، مينوسوتة). ويستقرّ في كاليفورنية، لوس أنجلوس، بدءاً من عام 1945. ويوجّه أعماله أول الأمر، بوصفه متأثّراً ببحوث مدرسة ورزبورغ، نحو دراسة الفكر التجريبي. ويتبنّى بوهلر فيما بعد مفاهيم **نظرية الغشطالت**، مفاهيمها السيكولوجية الحيوية التي تبدو بوضوح في مقاله عن الإدراك والشكل (ستوتغارت، 1913) وفي آخر كتاب له، مخصّص لمبدأ الشكل في حياة الإنسان والحيوانات (برن، ستوتغارت، 1960). إن بوهلر، بأعماله التي تناولت الفكر («كل شيء يمكن التفكير فيه، على وجه تام وبدقّة، دون عون الصور»)، و**النمو العقلي للطفل** (إيينة، 1918)، ودور اللغة في نمو الذكاء، والوظيفة المزدوجة للتعبير ولنقل الكلام، يمكنه أن يُحصى بين مؤسّسي علم النفس.

أضف إلى المؤلفات المذكورة سابقاً، نحن ندين له بتأمّل انصبّ على **أزمة علم النفس** (إيينة، 1927)؛ وبـ**نظرية في التعبير** (إيينة 1933)؛ و**نظرية في اللغة** (إيينة، 1934). (انظر في هذا المعجم مايلي: **الفهم**، **نظرية العناصر**، **اللغة**).

CI.C.

بويتينجكْ (فريديريك جاكوبوس جوهان) Buytenijk (Frederik Jacobus Johannes)

عالم فيزيولوجيا وعالم نفس هولاندي (بريده، **1887 –هيرلن، البلدان المنخفضة، 1974**).

يُجري فريديريك، بعد أن درس الطب في جامعة أمستردام، بحوثاً في المحطة الحيوانية بنابل. ويعلّم الفيزيولوجيا العامة من 1914 إلى 1918، في أمستردام بوصفه محاضراً، قبل أن يُسمّى أستاذا في إوترخت (1918)، ثم أمستردام 1919 وكرونانغ (1925). ويعلّم علم النفس النظري، بدءاً من عام 1946، في جامعة إوترخت وعلم النفس المقارن في نيميغ ولوفان، في الوقت نفسه.

نشر فريديريك-جاكوبوس جوهان، المفكر الأصيل والمؤلف الغزير، أعمالاً ذات أهمية في علم النفس الحيواني، يبيّن فيها نوعية الغريزة وتعقّدها؛ ويوصي، بوصفه متأثّراً بالفكر الفينومينولوجي، بالرجوع إلى الميدان بدلاً من المخبر بغية فهم التصرّف الواقعي للفرد المنظور إليه في وسطه الطبيعي، وليس فهم سلوك مصطنع يثيره عالم النفس رغماً عنه ودون أن يشكّ في ذلك.

من مؤلفاته العديدة، نذكر: **سيكولوجيا الحيوانات** (1920، هارلم بون؛ (مترجم إلى الفرنسية، باريس، بيّو، 1928)؛ **في الألم** (1948، برن، هـ. هوبير؛ (مترجم إلى الفرنسية، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1951)؛ **اتجاهات وحركات** (1948، إوترخت، سبكتروم؛ (مترجم إلى الفرنسية، بروكسل، ديكله دو بروير، 1957)؛ **المرأة، أنماط وجودها، وظهورها، ووجودها** (1951، إوترخت، سبكتروم؛ (مترجم إلى الفرنسية عام 1954، بروكسل، ديلكه دو بروير)؛ **مطوّل في السيكولوجيا الحيوانية** (1952، المنشورات الجامعية الفرنسية)؛ **كرة القدم، دراسة سيكولوجية** (ديلكه دو بروير، 1952).

CL.C.

بياجه (جان) Piaget (Jean)

عالم إبستيمولوجي سويسري (نوشاتل، 1896- كولونج- بيللوريف، 1980).

يهتمّ بياجه، منذ طفولته، بالعلوم الطبيعية، وينشر، بإشراف العالم الطبيعي بول غوده، وهو في الحادية عشرة من عمره، مقاله الأول عن «الدوري الأبهق»، ثم ينشر، بدءاً من عام 1911، دراسات مختلفة عن رخويات جوره في نوشاتل. ويقدّم عام 1918 أطروحته للدكتوراه في علم الحيوان تتناول «توزّع تنوّعات الرخويات في جبال الألب الفاليزانية». ولكن بياجه يتّجه الآن، في هذه المرحلة، إلى الفلسفة والمنطق اللذين سيقودانه نحو الإبستيمولوجيا. ويذهب إلى باريس، بعد إقامة قصيرة في زيوريخ، حيث يصبح تلميذ ليون برانشفيك (باريس، 1864- 1944)، خصم الاختبارية ذات النزعة الوضعية، وتلميذ بيير جانه (1859 -1947). ولكن بياجه إنما ينذر نفسه لعلم نفس الطفل بفضل تيودور سيمون (1873- 1961). الذي يعمل عندئذ في ميدان ذكاء الطفل ويفتح لبياجه مخبره الذي يقع في مدرسة للصبيان من كل الأعمار. وبوسعه، إذ يُخضع التلاميذ إلى اختبارات مختلفة، ويتكلّم معهم، أن يتبع من عمر إلى عمر تقدّم الاستدلال ويحلّل الأسلوب الذي به يحدث تجاوز الصعوبات البدئية. ويصبح، بعد عودته إلى بلاده، المعاون الرئيس لإدوار كلاباريد (1873- 1940) في معهد جان جاك روسو بجنيف (1912- 1925)، ثم يخلف أرنولد ريمون في كرسيّ الفلسفة بجامعة نوشاتل. ويُدعى عام 1929، إلى تعليم علم النفس التجريبي في كلية العلوم

بجنيف، ثم علم النفس التكويني في جامعات لوزان (1938- 1951)، وجنيف (1939- 1952)، وباريس (1952- 1963). ولكن عمله الأساسي مرتبط بتأسيس (عام 1953) المركز العالمي للإبستيمولوجيا التكوينية بجنيف، الذي يضمّ علماء من فروع المعرفة المختلفة (فيزياء، ومنطق، ورياضيات، وعلماء في علم النفس. . .) وباحثين أعمالُهم شكّلت موضوع نشر في مجموعة «دراسات في الإبستيمولوجيا التكوينية» (باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية). فالمشروع الذي **لم يتوقّف** بياجه عن تحقيقه هو إنشاء **نظرية للمعرفة**. وكانت ملاحظة أطفاله الثلاثة قد أتاحت له أن يرصن مفهومه للذكاء الحسّي الحركي (المستند إلى الإحساسات والفاعلية العضلية). ويبني فيما بعد، إذ درس دراسة منهجية وبأسلوب تجريبي، مفهومات السببية الفيزيائية لدى الطفل، ونشوء العدد، وتكوّن الرمز، ومفهومات السرعة، والحركة، والزمان، والمكان، والحكم، والاستدلال، والمنطق، أقول يبني بياجه مدوّنة معرفة تتيح له أن يبني عليها بعض اقتناعاته. ومثال ذلك أنه يعتبر أن الاختباريين ذوي النزعة الوضعية، الذين يعتقدون أن معرفة الحوادث النفسية تنجم عن التجربة المباشرة، عن الإحساسات، يقعون في الخطأ، ذلك أن السيرورة السيكولوجية التي تتدخّل في كل معرفة ليست ارتباط إدراكات، ولا حتى «ارتباطاً» من النموذج «منبه -استجابة»، بل هي ضرب من التكامل، من الاندماج، ضرب من «تمثّل» الشيء، بدءاً من عملٍ عليه. فالطفل الذي يلعب بشيء، يؤثّر فيه ويحوّله (ولو أن التحويل تغيير وضعه).

إن كل معرفة ناجمة، في رأي بياجه، عن بناء ذي علاقة هو ذاته بآلية سيكولوجية بيولوجية من الضبط الذي يؤدّي إلى أن يخلق بنيات جديدة خلقاً مستمراً. وكان لأعمال هذا المؤلف رجع عالمي. فأكسبته على وجه الخصوص جائزة إراسم (1972) وجائزة كيتّه في الطب النفسي (1973) وجائزة معهد الحياة (1973).

كتب بياجه أكثر عدداً من أن نذكرها كلها. ونقتصر منها على مايبدو لنا أنه يؤرّخ مساره العلمي: **اللغة والفكر لدى الطفل** (نوشاتل -باريس، دولاشو ونيستلي، 1923)؛ **تصوّر العالم لدى الطفل** (باريس، ألكان، 1926)؛ **ولادة الذكاء** (دولاشو ونيستلي، 1936)؛ **علم نفس الذكاء** (باريس، أرمون كولان، 1947)؛ **المدخل إلى الإبستيمولوجيا التكوينية** (3مجلدات، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1950)؛ **الحكمة وأوهام الفلسفة** (المنشورات الجامعية الفرنسية، 1965)؛ **البيولوجيا والمعرفة. محاولة في العلاقات بين ضروب الضبط العضوي والسيرورات المعرفية** (باريس، غاليمار، 1967)؛ **إبستيمولوجيا علوم الإنسان** (غاليمار، 1972). (انظر في هذا المعجم مايلي: **المدرسة الفعّالة، العملية أو الإجراء، المرحلة**).

J.S.T.

البيئة

F: Environnement

En: Environment, Surroundings

D: Umgebung

ما يحيط بفرد أو جماعة.

مفهوم البيئة يشمل معاً الوسط الكوني، الجغرافي، الفيزيائي، والوسط الاجتماعي، بمؤسساته، وثقافته، وقيمه. ويؤلف هذا المجموع منظومة من القوى تمارس تأثيرها على الفرد الذي يستجيب لها على نحو خاص، وفق اهتماماته وقدراته. وبيّن العالم البيولوجي الألماني جاكوب جوهان فون إوإكسول (1864- 1944) أن الوسط الفيزيائي نفسه، الذي ليس له الدلالة نفسها بالنسبة للموجودات جميعها، الموجودة فيه، يحدّد لدى هذه الموجودات ارتكاسات مختلفة. ومثال ذلك أن البطّة البرية تستجيب لرائحة ندى البحر ولكنها لا تستجيب لرائحة الأمونياك أو الأثير؛ وتنذره بالخطر تلك الرائحة التي تصدر عن القنافذ، قنفذ النهر (تفرزها الغدد القلفية لأمثاله)، في حين أن الأسيتون يتركه لامبالياً. والمهمّ في الواقع، بالنسبة لكل فرد، هو ما يحدث في عالمه الخاص (umwelt)، كما هو متكوّن ذاتياً بالنسبة له، وفق القدرات الحَسّيّة الحركية الخاصة بنوعه. فثمة إذن، في المكان الجغرافي نفسه، كثرة من العوالم النوعية، يختلف بعضها عن البعض الآخر.

وامتدّت البحوث السيكولوجية، في الغرب، المنصبّة على البيئة، منذ الستينات من هذا القرن، بحوث اقتصرت على وسط العمل خلال زمن طويل، إلى

إطار الحياة. وعلى هذا النحو إنما تُبذل جهود للتنبّؤ بارتكاسات الأشخاص على الأضرار التي يُحتمل أن تكون قد سبّبتها إقامة مصنع، بناء طريق ذي اتجاهين أو بناء مطار. وثمة محاولة، باستقصاءات مسبقة، لتحديد المستوى الصوتي، الشمّي، البصري، إلخ، الذي يولد منه العسر وانعدام أسباب الراحة في الجوار. وأظهر تحليل العناصر المجموعة تنوّعات كبيرة بين الأفراد وحتى داخل الأفراد. فالمستوى الواحد من الضجيج، الذي يخلق عسراً يتعذّر أن يتحمّله فرد من الأفراد، لا يزعج جاره؛ والشخص نفسه قد يصيبه بالغيظ ذلك الرنين المتكرّر الصادر عن كريّة تنزلق وتتدحرج على بلاط أرضية الشقّة الواقعة فوقه، ولا يعير دوريّة الطائرات في المطار القريب منه كل القرب انتباهاً. وينبغي لنا، ليكون لدينا رأي صحيح على وجه التقريب في حساسية جماعة من الأشخاص للضجة، أن نجمع ارتكاساتهم خلال فترات مختلفة من النهار، مراحل شتّى من العام، تبعاً للأوضاع المتغيّرة. وهذه الملاحظات تصحّ أيضاً على الروائح، والدخان، إلخ. ويكمن أحد الشروح لهذه الاختلافات في واقع مفاده أن الإنسان هو الفرد المنفعل والعامل الفاعل معاً في التحوّلات التي تجري في بيئته. وينبغي لنا، لنفهم اتّجاه أحدٍ إزاء الأضرار، أن نستعلم ما يمثّله بالنسبة له قرب هذا المصنع المعيّن، هذا المنجم، هذه الطريق للمواصلات. وتتدخّل في هذا التصوّر عوامل اقتصادية ونفسية وجدانية، وذكريات شخصية أو أسرية، والتقليد وحتى استيهامات لاشعورية. ومثال ذلك أن الإنسان، في بعض المناطق المنجمية، يتعلّق تعلقاً وجدانياً بالمنجم كأنه أم مرضعة، ولو أنه يبدو في بعض الأحيان قاسياً. ولأن الإنسان يتماهى بإطار حياته وبالمتّحد الاجتماعي المهني الذي ينتمي إليه، فإنه يتحمّل الشارع دون شمس، والحيّ الصاخب، والروائح غير الصحية؛ بل ينتهي إلى أن يجد السحر في المنظر المنجمي، مع أكوام أنقاضه المألوفة ومساكنه المسودّة. وضروب عدم الرضى الخاصة بتغيّرات البيئة تظهر على وجه الخصوص في المواقع التي أُعيد تنظيمها. مثال ذلك المواقع التي قُطعت فيها الغابات لبناء حاضرات جديدة، أو في المناطق التي دُمّرت الغيضات فيها ليسهل العمل بالآلات الزراعية. ومن الضروري أن نباشر، قبل

الشروع في تحوّل من هذا النوع، دراسات جدّية، تأخذ بالحسبان معاً جوانب المشروع الاقتصادية وانعكاساته السيكولوجية السوسيولوجية والبيولوجية والإيكولوجية، إلخ. ولكننا نعيش في عالم تحدونا السرعة فيه لحلّ المشكلات العملية التي تطرح نفسها، عالم نباشر فيه العلم بالمحاولات والأخطاء بدلاً من أن نمنح أنفسنا الزمن للتفكّر. (انظر في هذا المعجم: **الجو المحيط**، **الوسط**، **إوإكسكول**).

N.S.

بيتيلهايم Bettelheim (Bruno)

محلّل نفسي أمريكي من أصل نمساوي (فيينة، 1903).

دكتور في علم النفس والفلسفة، أنجز أحد تلاميذ فرويد تكوينه محللاً نفسياً. وعُني بيتيلهايم في وقت مبكّر جداً بالذهان الطفلي، ثم بالعلاج النفسي للأطفال المصابين بالانطواء على الذات، وذلك قبل أن يقدّم لِيُو كانّر بكثير ذلك الوصف الأول للانطواء على الذات الطفلي المبكّر. ويهاجر بيتيلهايم إلى الولايات المتّحدة عام 1939 بعد أن كان قد اعتُقل في داشو وبوكنْوُلد عام 1938. ويلاحظ بيتيلهايم، خلال شهور رهيبة منصرمة في معسكرات الاعتقال، التي يتكلّم عليها مطوّلاً في **القلب الواعي** (1960 ترجمه إلى الفرنسية، ر. لافون، باريس، 1970)، سلوك المعتقلين معه ويصوغ مفهوم **الوضع الأقصى**. والمقصود «وضع يعيشه الفرد بوصفه وضعاً لابدّ له من أن يدمّره نهائياً» ولا يمكنه أن يواجهه إلا بآليات دفاع ذهانية. وإذ وصل المنفيّ إلى آخر درجة من العوز، ودُفع إلى أقصى حدّ من امتلاكه ذاته بفعل حرّاس ينكرون عليه كل وضع إنساني، فقد وجد نفسه يتحوّل إلى حالة الشيء ويرغب في أن يكونه، ذلك أنه يتوحّد كلياً بإرادة معتقليه. ويتوقّف فيما بعد، مقتنعاً بسمة قدره الحتمية، عن المقاومة ولم يعد يتوقّع سوى موته الماثل. ويستمدّ بيتيلهايم من هذه الملاحظات المأساوية عبرة ونتائج عملية: بما أن وسطاً مؤذياً يمكنه أن يقود إلى تدمير الشخصية، فإنه ينبغي أن يكون ممكناً «أن نعيد بناء» أطفال ذهانيين وأن نعيدهم إلى الحياة، إذ نعدّ شروط وجودهم. ومن هنا وُلدت فكرة مدرسة للتكوين القويم، تجسّدت بتأسيس معهد التكوين القويم سونيا

-شانكمان، تابع لجامعة شيكاغو، وهو مؤسّسة نظّمها تنظيماً كلياً عام 1944 وأدارها حتى تقاعد، عام 1973.

وتجربته لدى الأطفال الذهانيين كان قد وصفها في أربعة كتب: **الحب غير كاف** (1950، ترجمه إلى الفرنسية م. ن. زيسنوفيكا بعنوان **علاج الاضطرابات الوجدانية لدى الطفل. الحب لايكفي**، باريس، دار نشر فلوروس، 1970)؛ **الهاربون من الحياة. علاج الاضطرابات الوجدانية لدى الطفل** (1955؛ ترجمه إلى الفرنسية ف. شازولا، باريس، دار نشر فلوروس، 1973)؛ **الحصن الفارغ** (1967؛ ترجمه إلى الفرنسية ر. هوموري بعنوان: **الحصن الفارغ. الانطواء على الذات الطفلي وولادة الذات**، باريس، غاليمار، 1969)؛ **منزل للقلب** (1974؛ ترجمه إلى الفرنسية م. لاروش بعنوان: **مكان يولد فيه المرء مجدّداً**، باريس، ر. لافّون، 1975). ونْدين له أيضاً بكتب أخرى هي: **الجروح الرمزية** (1954؛ ترجمه إلى الفرنسية ك. مونود بعنوان: **الجروح الرمزية. محاولة في تفسير طقوس المسارّة**، باريس، غاليمار، 1971)؛ **أطفال الحلم** (1969؛ ترجمه إلى الفرنسية أو. ويرثيمر، باريس، ر. لافّون، 1971). (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **الانطواء على الذات، الأسر**).

N.S.

بيريوف (جانشو ديميتروف) Piryov (Gencho Dimitrov)

عالم نفسي وبيداغوجي بلغاري (مولود في كازانلاك، بلغارية، 1901).

كان بيريوف في صوفية، على التوالي، معاوناً وأستاذاً حامل شهادة الأستذة، وأستاذاً يشغل كرسيي البيداغوجيا وعلم النفس. عدد منشوراته تبلغ نحو 500، منها ستة عشر كتاباً نذكر منها: **التربية المتكاملة** (صوفية، سيلنجيروف، 1941)، **مساهمة في سيكولوجيا التعلّم**، صوفية.

المشكلات الرئيسة التي درسها بيريوف هي سيكولوجيا التعلّم، الارتباطات بين منظومتي التأشير للمجملة العصبية المركزية، علم نفس الطفل، التشخيص النفسي. ومساهماته الأصيلة خاصة بنظرية وتخطيطية دورية النمو لدى الطفل، وسيكولوجيا سيرورة التعليم والمبادئ البيداغوجية الأساسية، ونظام التصنيف لطرائق علم النفس؛ وتدين له بلغارية، إضافة إلى ذلك، بتكييف بلغاري لمقياس الذكاء لبينه -سيمون -ترمان.

N.T.

Binet (Alfred) بينه (ألفريد)

عالم نفس فرنسي (**نيس، 1857–باريس، 1911**).

كان لبينه، المتأثّر بأبيه الطبيب وأمه الفنّانة الرسّامة، فكر فضولي منفتح على مجالات عديدة من الفاعليات العلمية، والفلسفية، والأدبية والفنية. شرع بينه، بعد أن نال الإجازة في الحقوق (1878)، في دراسة الطب والعلوم الطبيعية. وتُوّجت دراسته بنيله لقب دكتور في العلوم لكتابه **مساهمة في دراسة الجملة العصبية تحت المعوية للحشرات** (باريس، 1894). ولكن علم النفس كان يجذب بينه. فنشر كتاباً عنوانه **سيكولوجيا الاستدلال** (باريس، ألكان، 1886)؛ وآخر عنوانه **دراسات في علم النفس التجريبي** (باريس، دوان، 1888)؛ وكتباً أخرى: **الفيتيشية في الحب** (دوان، 1891)؛ **تشوّهات الشخصية** (ألكان، 1892)؛ **التعب العقلي** (بالاشتراك مع فيكتور هنري، باريس، شليشر، 1898)؛ **قابلية الإيحاء** (شليشر، 1900)؛ إلخ. فكل السيرورات النفسية كان معنيّاً بها. وكتب عدة مقالات عن: الإدراك (1890)، السمع (1892)، الذاكرة (1893)، وحتى الشعوذة (1894)؛ ولكن **الدراسة التجريبية على الذكاء** (شيشلر، 1903) هي التي كانت تستهويه. وكان بوسعه، إذ أنه عامل مستبسل، أن يقوم في آن واحد ببحوثه المخبرية في علم النفس الفيزيولوجي بالسوربون، التي كان يقودها منذ عام 1894، وبمتابعة تأمل فلسفي حول **الروح والجسد** (باريس، فلاماريون، 1905)، وبتأليف مسرحية، **الإنسان العجيب**، التي مُثّلت أكثر من خمس وعشرين مرة على مسرح ساراه-برنهاردت.

ولكن بينه معروف على وجه الخصوص بأعماله التي تتناول قياس نموّ الذكاء. وإذ كان وزير التعليم العام قد سمّاه عضواً في اللجنة التي عُهد إليها أن تدرس وسائل اصطفاء التلاميذ المتخلّفين عقلياً حتى تحسّن الوزارة تربيتهم على نحو أفضل، فقد وجد المناسبة في ذلك ليظهر عبقريته. ويعدّ بينه خلال عام، يساعده تيودور سيمون (1873- 1961)، طبيب في مشفى الطب النفسي لبيرّ -فوكلوز (سين)، طرائق جديدة لـ«تشخيص المستوى العقلي لدى الأطفال الأسوياء وغير الأسوياء في الملجأ والمدرسة الابتدائية»، طرائق جديدة يعرضها في مجلة **السنة السيكولوجية** (1905، II، 191- 244). هذه الطرائق التي أعيد النظر فيها مرات عديدة وحُسِّنت، تفضي إلى المقياس الشهير، **السلم القياسي للذكاء** (1911) الذي سيكون نجاحه عالمياً. وهذا المقياس، المشهور بتسمية «رائز بينه -سيمون»، يتألف من اختبارات (أو بنود) بسيطة، متكيّفة مع كل عمر، بدءاً من ثلاث سنوات. ومثال ذلك أننا نتوقّع من طفل في هذا العمر أن يكون قادراً على أن يقول اسم أسرته (كنيته)؛ وأن يعرّف، في الخامسة، شيئاً بالاستعمال؛ وأن ينسخ، في السابعة، معيّناً أو يكرّر بالترتيب مجموعة من خمسة أرقام تُقال أمامه. وبان هذا الرائز بسرعة أنه أداة مفيدة وعملية وشكّل موضوع أعمال عديدة خارج فرنسة. فإدوار كلاباريد في سويسرة، أوفيد ديكرولي في بلجيكة، سيريل بورت في انغلترة، وليم ستيرن (و) أو. بوبرتاج في ألمانية، هـ. غودارد ولوفس تيرمان في الولايات المتّحدة الأمريكية، جعلوه معروفاً وكيّفوه مع سكان بلدانهم أو وسّعوه ليتناول الأطفال الصغار جداً والراشدين. وإعادة النظر التي أجراها تيرمان (**إعادة نظر -ستانفورد**) كانت موضع تعديل أنجزه ل. تيرمان و م. أ. ميريل (1937 و1960)، في حين أن إعادة النظر التي حقّقها رونه زازو نفذت في نهاية المطاف إلى **السلم القياسي الجديد للذكاء** (N.E.M.I). وفي هذه النسخة من بينه -سيمون، كانت بعض البنود قد حذفت (ترتيب خمسة أوزان على سبيل المثال)، ونُقلت بعض البنود الأخرى من عمر إلى آخر (نسخ شكل معيّن)؛ وثمة بنود أخرى كانت

قد أُضيفت (مفردات، تشابهات، مجموعات من الأعداد ينبغي إكمالها). أضف إلى ذلك أن التعبير شكّل موضوعاً لرقابة دقيقة.

وكان بينه أيضاً ذا نزعة إنسانية، حسّاساً للمشكلات الاجتماعية التي كان يصادفها ويسعى جهده للمساهمة في حلّها على طريقته. ومثال ذلك أنه كتب، بعد أن لاحظ أن الأطفال الأفضل نمواً من الناحية الجسمية، أي الأفضل تغذية والذين ينتمون، على وجه العموم، إلى الطبقات الاجتماعية الأكثر حظاً، كانوا ينالون في رائزه نتائج أفضل من الآخرين، أقول كتب مقالاً عنوانه «البؤس الفيزيولوجي والبؤس الاجتماعي» في (**مجلة السنة السيكولوجية**، 1960) وخلُص إلى نتيجة مفادها أن ثمة ضرورة ملحّة لتحسين شروط الحياة للأكثر عسراً. ومن مؤلفات بينه الواسعة جداً، نذكر أيضاً كتابه الرائع، **الأفكار الحديثة عن الأطفال** (فلاماريون، 1909)، الذي يمنح نظراته الأساسية في علم النفس تأليفاً ويكوّن وصيته البيداغوجية. (انظر في هذا المعجم مايلي: **العمر العقلي، التربية الخاصة**).

R.M.

بينيديكت (روث فولتون) Benediet (Ruth Fulton)

عالمة أمريكية في الإتنولوجيا (نيويورك، 1887- نيويورك، 1948).

كانت، في جامعة كولومبيا بنيويورك، مساعدة فرانز بوس (1858- 1942)، ثم أستاذة بدورها. وعُنيت على وجه الخصوص بمشكلات العلاقات بين الشخص والمؤسّسات الاجتماعية وعرّفت، انطلاقاً من دراسة لهنود زوني في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة وهنود السهول، مفهوم «النموذج الثقافي» الذي عرضته في كتابها **نماذج الثقافة** (1934)؛ فكل ثقافة تتميّز بأشكال من الحضارة تنفذ إلى كلية الحياة الاجتماعية، في المؤسّسات، والأساطير، والاعتقادات الجماعية، وفي التصرّفات الفردية أيضاً. وكل شخص مزوّد بإمكانات كثيرة منذ ولادته. فتضفي الوقائع الثقافية امتيازاً على جزء منها، إذ تفرض على نحو من الأنحاء شكلاً، «نموذجاً» من الشخصية على الفرد سيمتثل لها بصورة طبيعية جداً، لأن المسألة مسألة نمط سائد يستحسنه متّحده. ومثل هذه **النماذج** الثقافية، التي تمنح علم النفس الفردي شكلاً، وتبنية، تمنح المجتمعات وحدتها وتصون استمراريتها عبر التحولات الحتمية التي قيّض للمجتمعات أن تعانيها، فالمجتمع يقدّم إذن معياراً للسلوك. ومثال ذلك أنْ ليس من الأدب أن يكون المرء بارعاً في شيء لدى الهنود الزوني في المكسيك الجديدة، الذين يتميّزون بروح التعاون، والرأفة والاعتدال (ثقافة أبولينية)؛ وعلى العكس، إن الاعتبار، لدى شعب دوبوان في مالينيزية أو لدى هنود كواكيتل في الشاطئ الغربي من كندة، العدوانيين، الصلفين، المسيطرين (ثقافة «ديونيزية» أو «فوستية»)، هو للمنافسة، والإنسان الذي يبدو ميالاً للتسامح، لطيفاً، مسالماً، سيكون دون أدنى شك معدوداً أنه غير سويّ.

أضف إلى الدراسة التي أجرتها ر. بينيديكت على المجتمعات الصغيرة المحرومة من الكتابة، فقد انكبّت على الثقافة اليابانية، ولكن أعمالها في هذا الموضوع كان قد عارضها بعض المؤلفين. ولنذكر من كتبها: **أساطير الهنود زوني** (نيويورك، جامعة كولومبيا، 1934)؛ **نماذج ثقافية** (1934؛ ترجمه إلى الفرنسية ر. ويل بعنوان **عينات من الثقافات**، باريس، غاليمار، 1950)؛ **الأقحوان والسيف** (بوسطن، دار نشرها وغتون ميغين، 1946). (انظر المصطلح في هذا المعجم: **الطب النفسي الإتني**).

N.S.

البيولوجيا الزمنية

F: Chronobiologie

En: Chronobiology

D: Chronobiologie

جزء من علم الحياة (البيولوجيا) موضوعه دراسة دورية الظاهرات الملاحظة في المادة الحيّة.

لدى الموجودات الحيّة، من وحيدات الخليّة حتى الإنسان، توجد ظاهرات حيوية دورية. ويعلم كل فرد، على سبيل المثال، أن أزهاراً عديدة تتفتّح في النهار، وأن أزهاراً أخرى لاتتفتح إلا في الغسق، وأن بعض النباتات، كالتُرمس، تطوي أوراقها ليلاً (وذلك وضع يسمّى «وضع النوم» أو **الانتحاء الليلي**). وتقع الفاعلية القصوى، لدى الحيوانات النهارية، في بداية النهار وفي نهايته، في حين أنها، لدى الحيوانات الليلية كفأر الحقل الليلية، تُلاحظ عند هبوط الليل وقبل الفجر. ويبدو أن لكل نوع إيقاعه الخاص، الذي يشكّل جزءاً من إرثه الوراثي، ويكفي وميض نور (2000/1 من الثانية) في الواقع حتى يُثار إيقاع إفراخٍ في مجموعة من ذبابات الخلّ التي تنشأ في شروط ثابتة من الظلام والحرارة.

ويملك الإنسان أيضاً ضرباً من الإيقاعية، ليس في فاعلياته فحسب: تغذيته ونومه، بل في وظائفه الفيزيولوجية: تحلون الدم، تكلّس الدم، التوتّر الشرياني، إخراج البول، فاعلية غدّية، حرارة جسمية (تبلغ بصورة طبيعية قصواها نحو الساعة 17 وأدناها نحو الخامسة صباحاً).

وتبدو الدورات البيولوجية مرتّبة بفعل تناوب الأنهر والليالي وبفعل تغيّرات أخرى في البيئة كأطوار القمر وتعاقب الفصول. ولكن العامل الأقوى، لدى الإنسان، يبدو أنه من طبيعة نفسية اجتماعية، ذلك أن الأسلوب الذي به نوزّع فاعليتنا وراحتنا (إرادياً أو تحت ضغط الأوامر الاجتماعية) هو الذي يعمل بوصفه «عامل مزامنة» أساسي. ولكن الانتقال من إيقاع إلى آخر لايحدث آنياً. ومثال ذلك أن الانقلاب الكامل لمنحنى الحرارة لدى الممرّضات اللواتي يُدعون إلى العمل ليلاً يتطلّب ثلاثين إلى أربعين يوماً (إ. تولوز، هـ. بييرون، 1907).

وأحد التطبيقات العملية للبيولوجيا الزمنية هو «علم الصيدلة الزمني» الذي يبذل جهداً ليحدّد مفعول المخدّرات والأدوية تبعاً للإيقاعات البيولوجية، وبخاصة الإيقاعات النهارية الليلية. وربما يصبح ممكناً، انطلاقاً من هذه المعرفة الجديدة وأخذاً بالحسبان تلك البنية الزمنية لكل مريض، أن يتفرّد فن تجديد الجرعات، وألا يعطى كل مريض سوى الجرعة الدنيا المفيدة والضرورية من النتاج الدوائي بغية الحصول على التحسّن الحاسم، دون أن يكون علينا أن نخشى مفعولاته الثانوية المؤذية. (انظر في هذا المعجم: **الساعة الداخلية، الإيقاع، مزامن (عامل المزامنة)، الزمن**).

N.S.

بيرون (هنري) Piéron (Henri)

عالم فرنسي في علم النفس (باريس، 1881-باريس، 1964).

سُمّي هنري بيرون على التوالي، بعد أن نال إجازة جامعية في العلوم (1904) والأستذة في الفلسفة، رئيساً لأعمال مخبر الطبيب النفسي إدوار تولوز (1865- 1947)، ومحاضراً في المدرسة العملية للدرسات العليا (باريس). ودُعي عام 1912 ليخلف ألفريد بينه (1857- 1911) في إدارة مخبر السوربون لعلم النفس. ويدافع في العام نفسه عن أطروحته للدكتوراه في العلوم، أطروحة تناولت **المشكل الفيزيولوجي للنوم** (باريس، ماسّون). ويرى نفسه عام 1913 وقد عُهدت إليه إدارة مجلة **السنة السيكولوجية**، وهي وظيفة سيقوم بها خلال أكثر من نصف قرن. وعندما تنشب الحرب العالمية الأولى، يصبح هنري بيرون معاون الأستاذ ميره، في مركز الطب النفسي العصبي بمونبيليه، حيث يهتمّ بالطب النفسي وعلم أعصاب الحرب. ويرجع بعد تسريحه من الجيش إلى مخبر السوربون. ويدير عام 1921 معهد علم النفس بباريس الذي أُسّس منذ زمن قريب، ويحتلّ عام 1923 كرسيّ فيزيولوجيا الإحساسات، التي أُنشئت من أجله، في كوليج فرنسة. ويؤسّس عام 1928، بمساعدة جوليان فونتين وهنري لوجيه (1888- 1973)، المعهد الوطني لدراسات العمل والتوجيه المهني، الذي أمّن إدارته حتى عام 1962. وكان طموح هنري بيرون دائماً أن يمنح علم النفس أسساً موضوعية وعلمية. وكان يصرّح، منذ عام 1908، أن الشعور لايمكنه أن يكون موضوع دراسة، ويحدّد بدلاً منه **السلوك** وآلياته العصبية الفيزيولوجية. وكل عمله مستوحى من هذه الفكرة.

ولنذكر من كتبه العديدة: **تطور الذاكرة** (1910، باريس، فلاماريون)؛ **الدماغ والفكر** (1923، باريس، ألكان)؛ **علم النفس التجريبي** (1927، باريس، أ. كولان)؛ **الإحساس، دليل الحياة** (1945، باريس، غاليمار)؛ **من الحيوان الأشيني إلى الإنسان. دراسة في علم النفس الفيزيولوجي المقارن**، المجلد1؛ **الاستباق والذاكرة. أسس التطور النفسي** (1958)، المجلد2؛ **من الغريزة الحيوانية إلى الحياة النفسية الإنسانية، الوجدانية والإشراط** (1959، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية)؛ **الإنسان، ولا شيء غير الإنسان** (منشور بعد وفاته، 1967، المنشورات الجامعية الفرنسية). وأشرف أيضاً على تحرير **قاموس علم النفس** (1951، المنشورات الجامعية الفرنسية) وعلى كتاب هام هو **المطوّل في علم النفس التطبيقي** يضمّ سبع كتب (1949- 1959، المنشورات الجامعية الفرنسية). (انظر في هذا المعجم مايلي: **السلوكية، علم الامتحانات**).

CL.C.

محتويات

الجزء الأول